INTERNATIONAL
ISLAMIC UNIVERSITY
ISLAMABAD

FACULTY OF ISLAMIC STUDIES (USULUDDIN)

DEPARTMENT OF TAFSEER & QURANIC SIENCES

الجامعة الإسلامية العالمية بإسلام آباد

كلية أصول الدين (الدراسات الإسلامية)

قسم التفسير وعلوم القرآن

مرحلة الدكتوراه

بحث لنيل درجة الدكتوراة في التفسير وعلوم القرآن، بعنوان:

ترجيحات القنوجي في تفسيره فتح البيان في مقاصد القرآن

من أول سورة الروم إلى آخر سورة الناس

[جمعاً ودراسة تقييمية]

إشراف:

الأستاذ الدكتور سميع الحق ابن المفتى الأعظم مولانا عبد الديان -رحمه الله- شترالى

رئيس قسم التفسير وعلوم القرآن سابقا

إعداد الطالب:

نصر من الله بن غلام محمد الأفغانى

رقم التسجيل: 168-FU/PHDTQS/S13

بسم الله الرحمن الرحیم

الجامعة الإسلامية العالمية بإسلام آباد

كلية أصول الدين (الدراسات الإسلامية)

قسم التفسير وعلوم القرآن

أجريت مناقشة الرسالة التي قدمها الباحث/ نصر من الله الأفغاني

بعنوان:

ترجيحات القنوجي في تفسيره فتح البيان في مقاصد القرآن من أول سورة الروم إلى آخر سورة الناس [جمعاً ودراسة تقييمية]

بتاريخ: 2020/01/23 م

الموافق: 27/ 5/ 1441هـ

أعضاء لجنة المناقشة وتوقيعاتهم

الرقم	الأعضاء	الاسم	التوقيع
1	المشرف على البحث	الأستاذ الدكتور سميع الحق بن المفتي الأعظم مولانا عبد الديان حفظه الله ورعاه	
2	المناقش الخارجي	الأستاذ الدكتور عبد الحميد عباسي	
3	المناقش الخارجي	الأستاذ الدكتور تاج الدين الأزهري	
4	المناقش الداخلي	الأستاذ الدكتور شاه أحمد جنيد الهاشمي	

ومنح الطالب درجة الدكتوراه (Ph.D.)، بتقدير: ( )

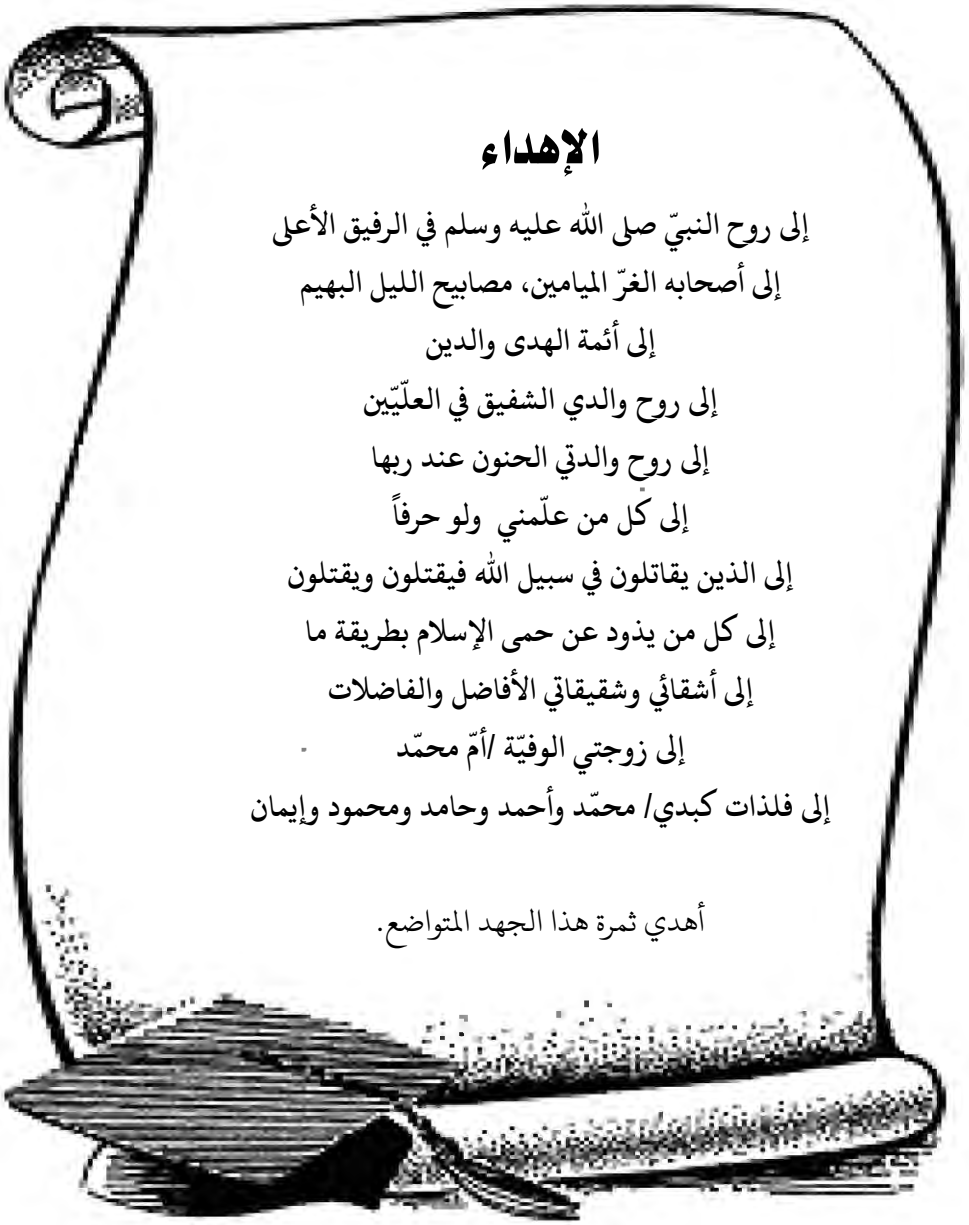

الإهداء

إلى روح النبيّ صلى الله عليه وسلم في الرفيق الأعلى

إلى أصحابه الغرّ الميامين، مصابيح الليل البهيم

إلى أئمة الهدى والدين

إلى روح والدي الشفيق في العلّيّين

إلى روح والدتي الحنون عند ربها

إلى كل من علّمني ولو حرفاً

إلى الذين يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون

إلى كل من يذود عن حمى الإسلام بطريقة ما

إلى أشقائي وشقيقاتي الأفاضل والفاضلات

إلى زوجتي الوفيّة /أمّ محمّد

إلى فلذات كبدي/ محمّد وأحمد وحامد ومحمود وإيمان

أهدي ثمرة هذا الجهد المتواضع.

كلمة الشكر والتقدير

وما لي لا أشكر ربّي الذي وفّقني إلى إتمام هذا البحث، فلولا توفيقه إيّاي لما حرّكت القلم ولا سطرت الكَلِم، فله الشكر أولاً وآخراً.

ثم أتقدم بأسمى آيات الشكر والتقدير إلى أستاذي فضيلة الشيخ الأستاذ الدكتور سميع الحق ابن المفتي الأعظم مولانا عبد الديان شترالي -حفظه الله ورعاه- الذي تفضّل بقبول الإشراف على هذه الرسالة، والذي استفدت كثيراً من توجيهاته وملاحظاته القيّمة، وإرشاداته العلمية الدقيقة، وعطائه الغزير، ولم يبخل عليّ بوقته الثمين قطّ، بل رحّب بي في أي وقت أردت لقائه، وكان لتشجيعه أثر كبير في إكمال هذا البحث، فجزاه الله عني خير الجزاء، وبارك له في عمره وأهله وأولاده، وأسأل الله أن ينفع به الإسلام والمسلمين، وأن يردّ له جميله بالجنة.

كما أتقدّم بعظيم الشكر والثناء إلى الجامعة الإسلامية العالمية بإسلام آباد، والقائمين عليها الذين أتاحوا لي فرصة الدراسة في هذه الجامعة الميمونة، وأسأل الله أن يجعلها جامعة خير، ومنارة علم، وأن يديم عطاءها ويحفظها من شرّ أعدائها وكل من يكيد لها شراً، وأخصّ بالشكر هنا كلية أصول الدين (الدراسات الإسلامية) وعلى وجه الخصوص قسم التفسير وعلوم القرآن، فجزى الله القائمين عليها خير الجزاء.

ثم لا يسعني في هذا المقام إلا أن أسجّل الشكر العميم والدعاء العريض لوالدي الكريمين اللذين لا أستطيع أن أوفيهما حقّهما إلا أن أدعو الله تعالى أن يكتب لهما خيري الدنيا والآخـــــرة: ﴿رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾.[الإسراء: 24] وأن يجزيهما عني خير الجزاء.

ومن الاعتراف بالجميل أن أشكر إخوتي الأشقاء الذين شجّعوني على تحصيل العلم الشرعي، وفرّغوني لهذا الهدف النبيل من جميع شواغل المعاش، وأعباء الاقتصاد، وأمدّوني منذ صغري إمداداً معنوياً وحسّياً، وخلّصوني من موانع مواصلة المسيرة التعليمية، فجزاهم الله خير الجزاء، وبارك لهم في أمور دينهم ودنياهم.

ولا يفوتني أن أتقدم بالشكر الجزيل أيضاً إلى جميع أساتذتي الأكارم الذين تتلمذت على أيديهم في جميع المؤسّسات العلمية التي ربّيت فيها، وكان لهم أثر طيب في تكوين شخصيتي العلمية، أسأل الله سبحانه وتعالى أن يبارك لهم في أعمارهم وأن يجزيهم عني خير الجزاء، وأن يجعل كل ما يقدمونه في ميزان حسناتهم يوم لا ينفع مال ولا بنون، إلا من أتى الله بقلب سليم.

ولن أنسى شكر زوجتي الوفيّة التي صبرت على آلام الفراق، وضحّت بأوقاتها الغالية من أجل الله تعالى وإرضاء زوجها، وتحمّلت معي كثيراً من المشاق، فكانت نعم المؤازر والمعين، فجزاها الله خيراً وأكرمها بالفردوس الأعلى من الجنة.

وأخيراً أشكر كل من ساهم في إنجاز هذا البحث وأعانني فيه بجهد من إسداء نصحٍ أو إرشاد مشورة، أو تذليل عقبة أو توفير مرجع، فجزاهم الله جميعاً خير الجزاء.

وصلِّ اللهمَّ على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه وسلِّم.

الطالب/ نصر من الله الأفغاني

المقدمة

وتشتمل على:

- التعريف بالموضوع
- أهمية الموضوع
- أسباب اختيار الموضوع
- أهداف البحث
- إشكالية البحث
- الدراسات السابقة عن الموضوع
- منهج الدراسة
- خطوات البحث
- خطة البحث

المقدمة

الحمدلله منزل الكتاب على قلب محمد النبي الأمين والصلاة والسلام على أفضل الأنبياء والمرسلين الذي أرسله الله تعالى رحمة للعالمين وعلى آله الطيبين وأصحابه الطاهرين ومن سار على نهجه إلى يوم الدين.

أما بعد: فإن أولى ما يتنافس فيه المتنافسون، ويشتغل به المؤمنون هو كتاب الله تعالى تعلماً وتعليماً إذ هو كلام رب العالمين وحبله المتين والمعجزة التي أنزلت على محمد صلى الله عليه وسلم فلا يزال العلماء في كل عصر ينهلون من علومه ومعرفة مراد الله تعالى منه، ثم يبينون للناس ما فهموا ويذكرون لهم ما استنبطوا.

التعريف بالموضوع

لقد بذل العلماء جهوداً جبارة في تفسير كلام الله عزوجل، وألفوا في ذلك مؤلفات قيمة، وقاموا بخدمة هذا الكتاب خير قيام، فجزاهم الله تعالى عن هذه الأمة خير الجزاء.

ومن هؤلاء العلماء الذين خدموا كلام الله تعالى: الإمام العلامة الشيخ صديق حسن خان القنوجي البخاري المتوفى سنة (1307 هـ) صاحب تفسير (فتح البيان في مقاصد القرآن) الذي يعتبر تفسيراً جامعاً للمأثور والرأي المحمود حيث يعرض فيه المؤلف لأسباب النزول والقراءات والإعراب والغريب من الألفاظ والرد على الفرق الضالة مع ذكره لأقوال السلف من الصحابة والتابعين وأقوال من بعدهم من المفسرين وغيرهم في تفسير الآيات القرآنية والمسائل الفقهية.

ففي هذا الكتاب أنهار من العلم ينهل منها كل ظامئ، وإن الشيخ القنوجي له ترجيحات كثيرة في التفسير تربو على الألف، وذلك على أساس قواعد معينة في الترجيح، لذا عزمت أن أخوض –مع الزملاء- غمار هذه الترجيحات التي تعتبر فائدة علمية للباحث والقارئ، حيث بدأ قسم التفسير وعلوم القرآن مشروعاً لكتابة رسالة الدكتوراه بجمع ودراسة ترجيحات الشيخ القنوجي في تفسيره، و كان المشروع عبارة عن ثلاث رسائل علميّة، موزّعة على ثلاثة طلاب، هذه هي الأخيرة منها.

فقد كان نصيبي من جمع هذه الترجيحات ودراستها الثلث الأخير الذي يبدأ من أول سورة الروم وينتهي بآخر سورة الناس، في حين سبقت في المشروع رسالتان:

الأولى: من أول سورة الفاتحة إلى آخر سورة التوبة للأخ الزميل الدكتور أحمد حماد

الثانية: من أول سورة يونس إلى آخر سورة العنكبوت للأخ الزميل الدكتور سيد آصف محمود

واخترت العنوان التالي لرسالة الدكتوراه:

ترجيحات القنوجي في تفسيره (فتح البيان في مقاصد القرآن)

من أول سورة الروم إلى آخر سورة الناس

"جمعاً ودراسةً تقييميةً "

والموضوع عبارة عن جمع ما رجحه واختاره الشيخ صديق حسن خان في تفسيره (**فتح البيان في مقاصد القرآن من أول سورة الروم إلى آخر سورة الناس**) من الأقوال التفسيرية المتعلقة بالنص القرآني وسياقه والمتعلقة بالسنة والآثار والقرائن وكذلك المتعلقة بلغة العرب، ولم أتطرق إلى ما يتعلق بالقضايا العقدية والمسائل الفقهية والأصولية إلا نادراً؛ لأن مظانها كتب أخرى غير التفسير ويهتم بها المتخصصون في كل من المجالات المذكورة، ثم موازنتها بأقوال أئمة التفسير وأدلتهم ومناقشة آراء العلماء مع بيان الراجح منها بالدليل قدر المستطاع.

إضافة إلى ما ذكر فإن هذا الموضوع يجمع الأقوال المشتتة في تفسير لفظة أو آية أو مسألة ما، مع بيان قواعد الترجيح وصيغه التي أوردها الشيخ في تفسيره عند ترجيح قول على آخر ومنهجه في بيان تلك الترجيحات و وجوهها وأساليبه فيها.

أهمية الموضوع

تكمن أهمية الموضوع في الأمور التالية:

1. إن تفسير فتح البيان من أجل التفاسير وأعظمها شأناً، وقد استفاد منه طلاب العلم والعلماء على اختلاف تخصصاتهم.
2. شهرة مؤلفه وعلوّ قدره عند العلماء.
3. كثرة الفوائد والاستنباطات والدرر في هذا التفسير، مما يجدر بكل طالب علم الاطلاع عليها والإستفادة منها وبذل الجهد في ذلك.
4. تفسير فتح البيان زاخر بعرض الأقوال التفسيرية وترجيح ما يراه المؤلف أقرب إلى الصواب بطرق ترجيحيّة معيّنة.

أسباب اختيار الموضوع

ولقد دفعني إلى اختيار هذا الموضوع أسباب عديدة منها:

1. جدة هذا الموضوع في البحوث المتعلقة بالتفسير، فقد قام الباحثون حديثاً بدراسة ترجيحات المفسرين ومقارنتها بأقوال المفسرين الآخرين واستخراج قواعد الترجيح من بينها، وهي دراسة تستحق الاهتمام والاعتناء خدمة لتراثنا الثمين.

2. لقد قام الباحثون بدراسة منهج تفسير فتح البيان –على ما سنذكره في الدراسات السابقة- وبقي العمل على دراسة ترجيحات المفسر.
3. كون المفسر من علماء شبه القارة الهندية الذين يستحقون منا تقديرهم واحترامهم وخدمة التراث الذي تركوه لنا، وذلك عن طريق دراسة كتبهم واستخراج الكنوز الدفينة فيها وإبرازها للعالم، والرسائل العلمية خير وسيلة للوصول إلى هذا الهدف النبيل.
4. تعرّض المفسر للمسائل الفقهية واللغوية العقدية وغيرها ثم ترجيحه في ذلك مما يحتاج إلى دراسة هذه الترجيحات ووضعها في موازين قواعد الترجيح.
5. اعتماد هذا الموضوع على السبر والمقارنة والمناقشة والموازنة والترجيح المقترن بالدليل والتعليل مما يكسب الباحث قوة وملكة في تفسير كتاب الله تعالى.
6. تطبيق قواعد الترجيح في علم التفسير التي وضعها العلماء وهذا يزيد القواعد تأصيلاً والباحث تجربة وخبرة في تخصصه وتنمي فيه روح التحقيق والدقيق.
7. تعلق هذا الموضوع بعلم التفسير تعلقاً مباشراً.
8. أنه يربط الباحث بالتراث، ويتيح له فرصة خدمته التي يجب على الخلف تجاه سلفهم.
9. عدم تعصب المفسر لمذهب معين من المذاهب الفقهية، وإنما يرجح المسائل الخلافية مستنداً إلى أدلة الترجيح.
10. رغبتي الشخصية ورغبة كثير من طلبة العلم في معرفة الرأي الراجح في المسائل الخلافية بصورة سهلة وميسرة.

كل هذا وغيره مما دفعني إلى اختيار هذا الموضوع وبذل جهدي في الكتابة عن هذا التفسير، وبيان ترجيحات المفسر فيه، والأصول والقواعد التي يرجّح على أساسها، وبيان قيمة ترجيحاته في تفسيره كي يسهل على الناس فهم تفسيره، وأسأل الله عز وجل أن ينفعني به والمسلمين أجمعين.

أهداف البحث

ومن خلال بيان أسباب اختيار الموضوع تتبين الأهداف من هذه الرسالة وهي كما يلي:

1. تحديد المسائل الترجيحية من كتاب فتح البيان في مقاصد القرآن للشيخ صديق حسن خان- رحمه الله-.
2. جمع المعلومات التي تدور حول المسائل المختلف فيها.
3. تبيين الرأي الراجح في المسألة مع بيان سبب ترجيحه.
4. بناء شخصية الباحث العلمية من خلال إبداء رأيه في المسائل الترجيحية.

إشكالية البحث

يجب على كل باحث في الرسائل العلمية أن لا يكتب في موضوع لا تستحق الدراسة بمعنى أن لا يكون بحثه مما لا يسدّ ثلمة في الدراسات العلمية، بل ينبغي له أن يختار من الموضوعات التي تكون مثار بحوث ومناقشات وجدل بين طلبة العلم والدارسين، ولذا فإنه من المناسب جداً أن يفترض الباحث بعض التساؤلات التي يمكن أن يجيب عنها خلال كتابته للبحث، ومن هنا أودّ أن أذكر الأسئلة الأصلية والفرعية التي يمكن أن يجيب عنها هذا البحث، وهي:

السؤال الأصلي: ما ترجيحات الشيخ القنوجي في تفسيره فتح البيان في مقاصد القرآن؟

وتحت هذا السؤال عدة أسئلة فرعية منها:

الأسئلة الفرعية:

- من هو الشيخ القنوجي؟ وما تفسيره؟
- ما الترجيح؟ وما منهج الشيخ القنوجي فيه؟
- ما ترجيحات الشيخ القنوجي من أول سورة الروم إلى آخر سورة الناس؟
- ما مصادر تفسيره؟ وما مميزاته ومآخذه؟

إلى غير ذلك من الأسئلة التي يمكن أن يجيب عنها هذا البحث –بإذن الله تعالى-.

الدراسات السابقة عن الموضوع

ويجب على كل باحث أيضاً أن يرجع إلى جهود السابقين ليطلع على مدى ما وصلت إليه الدراسة في الموضوع الذي يريد البحث عنه، كي لا تتكرر الجهود، ولا يصرف وقته في أمور لا تترتب عليه عظيم فائدة، ولا يكون وراءه هدف، ومن هنا أود أن أذكر بالإيجاز البحوث والدراسات التي كتبت حول موضوع: (**ترجيحات القنوجي في تفسيره (فتح البيان في مقاصد القرآن) من أول سورة الروم إلى آخر سورة الناس "جمعاً ودراسةً تقييميةً "**).

وكما يوضح من هذا العنوان أن لهذا الموضوع جانبين: أحدهما: جانب الترجيحات، والثاني: جانب يخص دراسة تفسير فتح البيان في مقاصد القرآن ومفسِّره.

وبعد التتبع والاستقراء عن الدراسات السابقة وجدت أنه كتبت عدة رسائل علمية وجامعية -في مرحلتي الدكتوراه والماجستير- تناولت الترجيحات لدى مفسر معين، وذلك في جامعات العالم الإسلامي، و وزّعت بعضها على عدة طلاب لطول الموضوع وضخامته ومن ذلك:

1. ترجيحات الإمام الطبري في تفسيره، جمعاً ودراسة، للباحث: حسين بن علي الحربي وزملائه، رسائل دكتوراه من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض.

2. ترجيحات أبي المظفر السمعاني في التفسير جمعاً ودراسةً للباحث: فهد سالم الغامدي وزملائه، من الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

3. ترجيحات الإمام ابن عطية في تفسيره المحرر الوجيز للباحث: احمد سلامة ابو الفتوح من كلية اصول الدين والدعوة - (بطنطا)

4. ترجيحات ابن العربي المالكي في التفسير للباحث: عواطف أمين البساطي، من الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

5. ترجيحات الرازي في تفسيره في ضوء قواعد الترجيح المتعلقة بالنص القرآني دراسة نظرية تطبيقية، للباحث عبد الله بن عبد الرحمن الرومي، من جامعة الملك سعود بالرياض.

6. ترجيحات القرطبي في التفسير، جمعاً ودراسة وموازنة، للباحث: عبد الله عيدان أحمد الزهراني وزملائه، رسالة ماجستير، من جامعة أم القرى بمكة المكرمة.

7. ترجيحات ابن جزي الكلبي في التفسير للباحثة: إيمان بنت زكي من جامعة أم القرى بمكة المكرمة.

8. ترجيحات أبي حيان الأندلسي في تفسيره - جمعا ودراسة وموازنة (من خلال تفسيره البحر المحيط) رسائل الدكتوراه للباحثة: سلمى داود وزميلاتها. من جامعة أم القرى بمكة المكرمة. 1428هـ

9. ترجيحات الحافظ ابن كثير في التفسير للباحث: آدم عثمان علي، من الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

10. ترجيحات الإمام الشوكاني في تفسيره فتح القدير للباحث: حسين الشربيني محمد كلية اصول الدين والدعوة -(بطنطا)

11. ترجيحات الإمام الألوسي في تفسيره روح المعاني في تفسير القرآن الكريم والسبع المثاني للباحثة: جهاد محمد محرز حسن سلامة، من جامعة الأزهر - كلية الدراسات الإسلامية.

12. ترجيحات الشنقيطي في تفسيره، جمعاً ودراسة، للباحثة: أسماء محمد الناصر وزميلاتها، رسائل ماجستير. من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض. 1429، 2008م

13. ترجيحات الشيخ محمد الطاهر بن عاشور فى تفسيره التحرير والتنوير للباحث: أنور أحمد عبد العاطى أحمد من جامعة الأزهر - كلية أصول الدين والدعوة الإسلامية

14. ترجيحات ابن عثيمين في التفسير جمعاً ودراسةً وموازنة للباحث: حسن بن ثابت وزملائه. رسائل ماجستير جامعة أم القرى بمكة المكرمة.

وغيرها من الرسائل الجامعية التي كتبت حول ترجيحات المفسرين في مختلف الجامعات العالمية.

وفي الجانب الثاني: أعني جانب الدراسة عن تفسير فتح البيان ومؤلفة فقد كتب عنه -حسب اطلاعي- ما يلي:

1. ترجمة الشيخ صديق حسن خان رحمه الله لمحمد اجتباء الندوي، وهي من أجود تراجمه.
2. الآراء الاعتقادية للشيخ صديق حسن خان (رسالة جامعية) للدكتور محمد أختر خان.
3. جهود الشيخ صديق حسن خان في الدعوة والاحتساب للدكتور على الأحمد. (رسالة جامعية).

ومن الرسائل الجامعية عن منهجه وتفسيره:

4. الشيخ صديق حسن خان القنوجي وجهوده في تفسير فتح البيان في مقاصد القرآن، للباحث موفق عبدالرزاق الدليمي، رسالة ماجستير في جامعة بغداد، سنة 1993م.
5. منهج الشيخ صديق حسن خان في التفسير، للباحث أحمد بن محمد الحمادي، رسالة ماجستير في جامعة الإمام محمد بن سعود، سنة 1408هـ(1).
6. منهج الشيخ صديق حسن خان في تفسيره فتح البيان في مقاصد القرآن رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير من الجامعة الإسلامية العالمية بإسلام آباد، كلية أصول الدين قسم التفسير والحديث، للطالب عمرخان سنة 1415هـ الموافق 1994م.

وخلاصة القول: إننا نلاحظ مما سبق أنه لم يسبق –حسب علمي- أن تطرق أحد إلى ترجيحات الشيخ صديق حسن خان في تفسيره وخاصة الجزء الذي خصّصته للدراسة وهو: **(من أول سورة الروم إلى آخر سورة الناس)**، وإنما هو موضوع جديد، بيد أنه قدّمت -قبل هذا- إلى قسم التفسير وعلوم القرآن بجامعتنا خطتان –لنيل درجة الدكتوراه-:

أحداهما بعنوان: **(ترجيحات الشيخ صديق حسن خان في تفسيره فتح البيان في مقاصد القرآن من أول سورة الفاتحة إلى آخر سورة التوبة -جمعاً ودراسة تقييمية-)** للزميل الدكتور أحمد حماد، وقد تمّت مناقشته.

والثانية بعنوان: **(ترجيحات الشيخ صديق حسن خان في تفسيره فتح البيان في مقاصد القرآن من أول سورة يونس إلى آخر سورة العنكبوت -جمعاً ودراسةً تقييمية-)** للزميل الدكتور آصف محمود، وقد تمّت مناقشته أيضاً، وكلتا الرسالتين خارجتان عن حيز دراستي.

منهج الدراسة

يتبيّن منهج الدراسة التي قمت بها من خلال عنوان الرسالة وذلك أني استفدت من المناهج العلميّة التالية:

---

(1) هذه المعلومات مأخوذة من الشبكة العالمية موقع الألوكة. على الروابط التالية:

http://www.alukah.net/culture/0/57749/#ixzz32ts9Kb5p

http://www.alukah.net/culture/0/57749/#ixzz32trrCNZQ

1. المنهج الاستقرائي، حيث أجمع الترجيحات المشتتة في الجزء المخصص للدراسة.
2. المنهج المقارن، حيث أقارن فيها أقوال القنوجي بأقوال غيره من المفسرين.
3. المنهج الوصفي، حيث أصف أقوال القنوجي وغيره من المفسرين كما هي عندهم.
4. المنهج التحليلي، حيث أحلّل رأي القنوجي وغيره عند الضرورة.
5. المنهج النقدي، حيث أنتقد الرأي المرجوح وأؤيد الراجح بالأدلة والقواعد.

فهذا البحث يجمع في طيّاته هذه المناهج كلّها، وأرجو أن أكون موفقاً في ذلك.

خطوات البحث

أما الخطوات التي سرت عليها في كتابة هذا البحث، وخاصة فيما يتعلق بجمع الترجيحات ودراستها، فتتلخص فيما يأتي:

- وضع عنوان مناسب للمسألة المقصود البحث عنها.
- ذكر الآية التي وردت في تفسيرها المسألة المقصود البحث عنها.
- عرض الأقوال الواردة في المسألة بالإجمال.
- بيان رأي الشيخ القنوجي في المسألة مع عرض نصه في المسألة و ترجيحه لقول ما.
- عند عرض المسائل راعيت ترتيب الآيات في المصحف.
- دراسة قول الشيخ القنوجي ومقارنتها بأقوال المفسرين، وذكر أقوالهم قدر الإمكان.
- التعليق على أقوال المفسرين وترجيح القنوجي من بينها، ثم بيان القول الراجح عند الباحث مستنداً بالأدلة النقلية والعقلية، وبيان القاعدة التي يمكن أن يعتمد عليها في الترجيح بين الأقوال، سواء كان القول الراجح موافقاً لرأي القنوجي أو مخالفاً له.
- قمت بعزو الآيات الواردة في رسالتي إلى سورها مع ذكر رقم الآيات، وذلك في المتن.
- قمت بتخريج الأحاديث الواردة في رسالتي من مصادرها الأصلية.
- ترجمت للأعلام المذكورة في رسالتي غير المعروفين، وذلك بتقديم ترجمة موجزة لكل واحد منهم أول مرة، وفهرستهم وفق الحروف الهجائية.
- عرّفت بما يحتاج إلى التعريف من القبائل والمدن والأماكن الغريبة.
- قمت بمراجعة كتب التفسير الأخرى لا سيما المتقدمة على تفسير الشيخ القنوجي لمعرفة موافقته أو مخالفته لها، فيما يخصّ المسائل التي أتناولها بالدراسة والبحث، للاهتداء إلى وجه الصواب في المسألة مع اختيار ما يفيد في المسألة موضوع الدراسة.

- وقد اعتمدت الآن في تفسير فتح البيان على طبعة المكتبة العصرية صيدا بيروت، والتي تتوفر في الشبكة العالمية بصيغة بي دي إيف (PDF) والمكتبة الشاملة (موافقاً للمطبوع)، وقد أراجع الطبعات الأخرى عند الدراسة والحاجة إليها ثم أذكر تفصيلها في الهامش.

هذا، وقد حاولت في كل ما كتبته التزام الدقة والموضوعية وفق المنهج العلمي مدعماً كل ما ذهبت إليه بالدليل. بإذن الله تعالى.

خطة البحث

يتكون هذا البحث من مقدمة، وتمهيد، وثلاثة أبواب، وخاتمة، وفهارس وبيانها كالتالي:

المقدمة:

وتشتمل على:

- **التعريف بالموضوع**
- **أهمية الموضوع**
- **أسباب اختيار الموضوع**
- **أهداف الموضوع**
- **إشكالية البحث**
- **الدراسات السابقة عن الموضوع**
- **منهج الدراسة**
- **خطوات البحث**
- **خطة البحث**

التمهيد:

ترجمة الشيخ القنوجي ومعرفة تفسيره

ويشتمل على فصلين:

الفصل الأول: نبذة عن ترجمة الشيخ صديق حسن خان القنوجي رحمه الله

ويشتمل على عشرة مباحث:

المبحث الأول: اسمه ونسبه و كنيته و لقبه ومولده

المبحث الثاني: نشأته و طلبه للعلم ورحلاته

المبحث الثالث: شيوخه وتلاميذه

المبحث الرابع: ثناء العلماء عليه

المبحث الخامس: عقيدته ومذهبه

المبحث السادس: حياته العلمية والاجتماعية

المبحث السابع: وظائفه، أعماله وإصلاحاته

المبحث الثامن: مؤلفاته وآثاره

المبحث التاسع:محنته وابتلاءاته

المبحث العاشر: وفاته ودفنه

الفصل الثاني: التعريف بتفسير فتح البيان في مقاصد القرآن

ويشتمل على خمسة مباحث:

المبحث الأول: اسمه الكامل و سبب تسميته و زمن تأليفه

المبحث الثاني: أهمية هذا التفسير وثناء العلماء عليه

المبحث الثالث:أهم معالم منهجه و طريقته في تفسيره

المبحث الرابع: الدراسات حول هذا التفسير

المبحث الخامس: نسخه وطبعاته

□الباب الأول: الترجيح والتفسير ومنهج القنوجي فيهما

ويشتمل على ثلاثة فصول:

الفصل الأول: شروط الترجيح ومنهج القنوجي فيه

ويشتمل على أربعة مباحث:

المبحث الأول: معنى الترجيح و شروطه وقواعده

المبحث الثاني: صيغ الترجيح عند الشيخ القنوجي

المبحث الثالث: منهج الشيخ القنوجي في الترجيح في التفسير

المبحث الرابع: وجوه الترجيح عند الشيخ القنوجي

الفصل الثاني: التفسير بالمأثور ومنهج الشيخ القنوجي فيه

ويشتمل على خمسة مباحث:

المبحث الأول: التفسير بالمأثور، مفهومه وأنواعه.

المبحث الثاني: منهج الشيخ القنوجي في تفسير القرآن بالقرآن

المبحث الثالث: منهج الشيخ القنوجي في تفسير القرآن بالسنة

المبحث الرابع: منهج الشيخ القنوجي في تفسير القرآن بأقوال الصحابة والتابعين

المبحث الخامس: منهج الشيخ القنوجي في تفسير القرآن بالإجماع

الفصل الثالث التفسير بالرأي ومنهج القنوجي فيه

ويشتمل على أربعة مباحث:

المبحث الأول: التفسير بالرأي مفهومه، أنواعه وموقف العلماء منه

المبحث الثاني: قواعد الترجيح في التفسير بالرأي

المبحث الثالث: منشأ الخطأ في التفسير بالرأي

المبحث الرابع: منهج الشيخ القنوجي في التفسير بالرأي

الباب الثاني: عرض ودراسة ترجيحات القنوجي في تفسيره من أول سورة الروم إلى آخر سورة الناس

ويشتمل على ثلاثة فصول:

الفصل الأول: ترجيحات الشيخ القنوجي في تفسيره من أول سورة الروم إلى آخر سورة الذاريات

الفصل الثاني: ترجيحات الشيخ القنوجي في تفسيره من أول سورة الطور إلى آخر سورة التكوير

الفصل الثالث: ترجيحات الشيخ القنوجي في تفسيره من أول سورة المطففين إلى آخر سورة الناس

الباب الثالث: ترجيحات الشيخ القنوجي في الميزان

ويشتمل على فصلين:

الفصل الأول: مصادر تفسيره ومراجعه

ويشتمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: مصادره من كتب التفسير

المبحث الثاني: مصادره من كتب السنة

المبحث الثالث: مصادره من كتب اللغة وغيرها

الفصل الثاني: مميزات ترجيحات الشيخ القنوجي في تفسيره والمآخذ عليه

ويشتمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: مكانة تفسير القنوجي وترجيحاته

المبحث الثاني: مميزات ترجيحات الشيخ القنوجي في تفسيره

المبحث الثالث: المآخذ على ترجيحات القنوجي في تفسيره

الخاتمة:

وتحتوي على:

- نتائج البحث.
- التوصيات والاقترحات.

الفهارس العامة :

وتشتمل على:

- فهرس الآيات القرآنية
- فهرس الأحاديث النبوية
- فهرس الآثار
- فهرس الأعلام (الشخصيات)
- فهرس المدن والأماكن
- فهرس القبائل والفرق والأحداث
- فهرس المصادر والمراجع
- فهرس الموضوعات

وبالجملة: فهذا هو جهد المقلّ، قدمته للمسلمين خدمة لكتاب الله تعالى، وقد توخّيت فيه الحقَّ والصدق والصواب، وأردت الخير لي خاصّة وللمسلمين عامة، وأقول جهارًا:

لا شكّ أن دراسة ترجيحات الشيخ القنوجي تحتاج إلى جهد أكبر وبضاعة علمية غير قليلة، وإنني إذ أكتب عنها أعترف بضعفي وتقصيري كأيّ إنسان يخطئ ويصيب، فإن أصبت فمن فضل ربي وتوفيقه وأحمده عليه، وما كان فيه من هفوات فمن نفسي الضعيفة ومن الشيطان اللعين، ورحم الله امرءاً أهدى إليّ عيوبي، وحسبي أني توخّيت الصواب، وأسأل الله –جلّت قدرته- أن يجعل عملي هذا خالصاً لوجهه وسعياً لرضاه، وأسأله المزيد من فضله وكرمه وعونه وتسديده...وأستغفر الله تعالى العليّ العظيم. وصلِّ اللهم على محمد -ﷺ- وعلى آله وصحبه وسلِّم.

الطالب/ نصرمن الله الأفغاني

التمهيد

ترجمة الشيخ القنوجي ومعرفة تفسيره

ويشتمل على فصلين:

الفصل الأول: نبذة عن ترجمة الشيخ القنوجي –رحمه الله–

الفصل الثاني: التعريف بتفسير فتح البيان في مقاصد القرآن

الفصل الأول

نبذة عن ترجمة الشيخ القنوجي –رحمه الله–

ويشتمل على عشرة مباحث:

المبحث الأول: اسمه ونسبه و كنيته و لقبه ومولده

المبحث الثاني: نشأته و طلبه للعلم ورحلاته

المبحث الثالث: شيوخه وتلاميذه

المبحث الرابع: ثناء العلماء عليه

المبحث الخامس: عقيدته ومذهبه

المبحث السادس: حياته العلمية والاجتماعية

المبحث السابع: وظائفه، أعماله وإصلاحاته

المبحث الثامن: مؤلفاته وآثاره

المبحث التاسع:محنته وابتلاءاته

المبحث العاشر: وفاته ودفنه

المبحث الأول

اسمه ونسبه وكنيته ولقبه ومولده (1)

المطلب الأول: اسمه ونسبه ونسبته

هو "صديق(2) بن حسن بن علي بن لطف الله بن عزيز الله بن لطف علي بن علي أصغر بن سيد كبير بن تاج الدين بن جلال رابع بن سيد راجو شهيد بن سيد جلال ثالث بن حامد كبير بن ناصر الدين محمود بن جلال الدين بخاري معروف بـ(مخدوم جهانيان جهان گشت) بن أحمد كبير بن جلال أعظم(گل سرخ) بن علي مؤيد بن جعفر بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن علي أشقر بن جعفر زكي بن علي نقي بن محمد تقي بن علي رضا بن موسى كاظم بن جعفر صادق بن محمد باقر بن علي زين العابدين بن حسين سبط بن فاطمة بنت رسول الله -صلى الله عليه وسلم".(3)

و من هنا يبدو أن الشيخ –رحمه الله- من بيت السادة (أل الرسول)، إذ يصل نسبه إلى الإمام حسين بن علي و منه إلى السيدة فاطمة –رضي الله عنها- و منها إلى الرسول الكريم-صلى الله عليه وسلم- عن طريق بضع وثلاثين واسطة.

وينسب الشيخ بثلاث نسبات هي:

1. (**الحسيني**) نسبة إلى الحسين بن علي -سبط رسول الله صلى الله عليه وسلم-.

---

(1) **عيون مصادر ترجمته:** من عادة الشيخ -رحمه الله- أن يترجم لنفسه في آخر بعض مؤلفاته ومن ذلك:
التاج المكلل ص 535 و **أبجد العلوم** ص 725 **والحطة** ص 262 **وإتحاف النبلاء** 263 وغيرها من مؤلفاته، كما ترجم له غيره في مؤلفاتهم مثل: **نزهة الخواطر** للشيخ عبد الحي الحسيني ج 8 ص 178 و **جلاء العينين في محاكمة الأحمدين** للسيد نعمان خير الدين الآلوسي ص 67 و **مآثر صديقي** لابنه علي حسن في أربعة مجلدات خصصه لترجمة والده، و هو من أوعب تراجمه، و**الأعلام للزركلي** ج 7 ص 36 و **معجم المؤلفين** لعمر رضا كحالة ج 10 ص 90 وغيرها من كتب التراجم و المؤلفات المعاصرة.

(2) هكذا أورد الشيخ اسمه في كثير من مصنفاته ولكن يضيف بعض معاصريه كلمة (محمد) قبل كلمة (صديق) فيقولون: (محمد صديق حسن) و ذلك إما أنهم يضيفونه للتشريف والتبرك أو تمشّياً مع خطاب الدولة بخصوص تلقيبها إياه حيث أمرت بإضافة كلمتي السيد و محمد مع اسمه. انظر: **مآثر صديقي** ج 2 ص 93-94

(3) هكذا ذكر الشيخ نسبه في كتابه **إبقاء المنن بإلقاء المحن**، صديق حسن خان، 1305هـ، تسهيل مولانا محمد خالد سيف، تنقيح ونظر ثاني: قاري نعيم الحق نعيم، دار الدعوة السلفية، شيش محل رود، لاهور. الطبعة الأولى 1407هـ، ص28-29، كما ذكر ه مفصلاً في كتابه الآخر **لقطة العجلان بما تمس إلى معرفته حاجة الإنسان** ص 130. ويبدو أن ثمة اختلاف كبير في نسب الشيخ –رحمه الله- فابنه (علي حسن) في كتابه (**مآثر صديقي**) يضيف فيه أسماء لا توجد عند غيره. وما أثبتناه هنا مأخوذ من كتاب **إبقاء المنن**.

2. (**البخاري**) نسبة إلى بخارى(1)؛ لأن جدّه الشريف (**محمد**)(2) نزح من بغداد إلى بخارى ثم استقرت بها أسرتهم فنفع الله بهم الأمة هناك حتى غادر جدّه (**الشيخ جلال الدين أعظم**)(3) وطنه (بخارى) و نزل بـ (ملتان)(4) في الهند عام 653هـ، ثم انتقل جدّه (**الشيخ جلال الثالث**)(5) من ملتان إلى دهلي، وذلك في القرن الخامس عشر الميلادي.(6)

3. (**القنوجي**) نسبة إلى (**قنوج**)(7) موطن آبائه؛ لأن جدّه (**الشيخ جلال الثالث**) عندما انتقل إلى

---

(1) بخارى (Bukhara) بضم الباء، كانت قاعدة ملك السامانية، و تقع اليوم في أزبكستان، وتعدّ خامس أكبر مدن أزبكستان. انظر: معجم البلدان لشهاب الدين ياقوت الحموي، دار صادر بيروت، الطبعة الأولى 1977م، ج 1 ص 353.

(2) هو الجد الثامن عشر للشيخ، و كان يلقّب بـ (گل سرخ) أي الورد الأحمر، و هو أول من أقام من أجداده ببخارى، و اختارها مسكناً له، ثم استقرّت أربع سلالات من أحفاده هناك، وله ابن واحد هو السيد جعفر. انظر: مآثر صديقي ج 1 ص 35-36.

(3) هوالسيد جلال الدين بن علي بن جعفر، ولد بمدينة بخارى ونشأ بها وقرأ العلم وتأدّب على والده، ثم قدم ملتان ولقي بها الشيخ بهاء الدين زكريا سنة خمس وثلاثين وستمائة فصحبه ولازمه وأخذ عنه، وكان عالماً كبيراً عارفاً فقيهاً زاهداً صالحاً منقطعاً إلى الله سبحانه، أخذ عنه خلق كثير من العلماء والمشايخ، وبارك الله في ذريته الصالح فملأوا آفاق الهند بالعلم والصلاح، وكانت وفاته في 19من جمادى الأولى سنة 695هـ. انظر: نزهة الخواطر ج 1 ص 94.

(4) مدينة مُلْتَان أو مُولْتان (Multan): هي مدينة من نواحي الهند قرب غزنة أهلها مسلمون منذ قديم. انظر: معجم البلدان ج 5 ص 189. -وتقع ملتان الآن في باكستان في الجزء الجنوبي من محافظة البنجاب، و عدد سكانها 3.1 مليون نسمة حسب إحصائية عام 1998م مما يجعلها سادس أكبر مدن باكستان. وتبعد عن كراتشي بحوالي 966كلم. و ملتان مليئة بالأسواق والجوامع والضرائح والقبور المصممة بشكل مميز. انظر: (ويكيبيديا، الموسوعة الحرة) الرابط التالي:

https://en.wikipedia.org/wiki/Multan

(5) هو السيد جلال الدين الثالث –الجدّ العاشر للشيخ- انتقل من ملتان إلى دهلي عاصمة الهند بدعوة من السلطان بهلول شاه اللودي (1451-1488م) الذي كان من أخص مريديه، حيث حضر ملتان فطلب من الشيخ جلال أن يرافقه إلى دهلي فقبل الدعوة و انتقل معه إلى العاصمة. انظر: مآثر صديقي ج 1 ص 35-42، و مقالة للدكتور السيد محمد إجتباء الندوي بعنوان: (**الأمير صديق حسن خان وأسرته**) بمجلة المجمع العلمي الهندي رقم 1-2 عام يونيو 1978م ص 221-223

(6) انظر: مآثر صديقي ج 1 ص 35-42، و مقالة للدكتور السيد محمد إجتباء الندوي بعنوان: (**الأمير صديق حسن خان وأسرته**) بمجلة المجمع العلمي الهندي رقم 1-2 عام يونيو 1978م ص 221-223

(7) مدينة قنوج (Kanauj) اختلف في ضبط هذا اللفظ، فقال ياقوت الحموي في معجمه: (قَنّوج) بفتح أوله وتشديد ثانيه و آخره جيم، موضع في بلاد الهند. انظر: معجم البلدان ج 4 ص 409، ومثله في مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع لعبد المؤمن بن عبد الحق القطيعي البغدادي، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى: 1412 هـ ج 3 ص 1129. و ضبطه الرحالة ابن بطوطة (قِنَوج) بكسر القاف وفتح النون وواو ساكن وجيم، -ولم يصرّح بتشديد النون-. انظر: رحلة ابن بطوطة (تحفة النظار في غرائب الأمصار و عجائب الأسفار) تحقيق: محمد عبد المنعم العريان، دار إحياء العلوم، بيروت لبنان، الطبعة الأولى: 1407هـ 1987م. ج 2 ص 550. وتبعه القلقشندي على هذا الضبط في صبح الأعشى نقلاً عن تقويم البلدان إلا أنه صرّح بتشديد النون. انظر: صبح الأعشى في صناعة الإنشاء لأحمد بن علي بن أحمد الفزاري القلقشندي، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ج 5 ص 73. وقال في القاموس المحيط ص 203: (قِنَّوج كسِنَّوْر). وعليه اعتمد الشيخ صديق حسن خان في الحطة ص 256 ولقطة العجلان ص 64 وغيرهما.

دهلي أقطع له سلطان دهلي ضيعة كبيرة في بلدة قنوج فاستقرّت أسرته فيها نحو ثلاثمائة سنة، وصارت مركز الدعوة والإصلاح لهذه الأسرة الكريمة.(1)

المطلب الثاني: كنيته ولقبه

يكنى الشيخ -رحمه الله- بـ (**أبي الطيّب**)، هكذا يصرّح بكنيته في بعض كتبه أثناء ترجمته لنفسه.(2) و ذلك بلقب ابنه الأكبر (نور الحسن)(3) حيث لقّبه والده بـ (الطيّب) كما لقّب ابنه الثاني (علي حسن)(4) بـ (الطّاهر).(5)

فقال في التاج المكلل: (... فنزلت بجوار بيت الله الحرام، وتطيّبت بمسك تراب الحطيم والمقام، وأنا أبو الطيّب المستهام...).(6)

و يبدو أن له كنية أخرى وهي (أبو الوفاء) حيث ذكر ابنه ضمن قائمة مؤلفاته كتابه المسمى بـ (وصيت نامه ابو الوفاء) باللغة الأردية.(1)

و نُطق الهنود لها اليوم هو قَنُّوج مثل ضبط معجم البلدان، وهذا الضبط هو الذي اعتمده الزركلي في الأعلام، وقال: هو الضبط المعروف عند علماء الهند اليوم. انظر: ج 5 ص 204

وقال ابن بطوطة عن مدينة قنوج: (هي مدينة كبيرة حسنة العمارة، حصينة، رخيصة الأسعار، كثيرة السكّر، و منها يحمل إلى دهلي، وعليها سور عظيم). انظر: رحلة ابن بطوطة ج 2 ص 550.

وقال الشيخ صديق حسن خان في الحطة ما ملخصه: هي مدينة تاريخية قديمة شمالي الهند، وكانت من أشهر مراكز المُلك فيها، ولها ذكرٌ كثير في التواريخ، ولكنها تضاءلت في العصور المتاخرة. انظر: الحطة ص 262. و تقع مدينة (قنوج) حالياً في ولاية أتر برديش شمال الهند قرب مدينة كانبور الصناعية.

(1) انظر: مآثر صديقي ج 1 ص 35-42، و مقالة للدكتور السيد محمد إجتباء الندوي بعنوان: (**الأمير صديق حسن خان وأسرته**) بمجلة المجمع العلمي الهندي رقم 1-2 عام يونيو 1978م ص 221-223

(2) انظر: **أبجد العلوم** ص 725، و **التاج المكلل** ص 535، و **إتحاف النبلاء المتقين** ص 263 وغيرها.

(3) هو السيد أبو الخير نور الحسن القنوجي المعروف بنواب نور الحسن خان بن صديق حسن خان الحسيني البخاري القنوجي، ولد ببلدة بهوبال سنة 1278هـ، ونشأ على الصلاح والطاعة، وأخذ عن مشائخ بلده وعن والده ، وله شعر حسن بالفارسي والأردو، وكلام بليغ في العبارات الأدبية، وله الرحمة المهداة، ومنتخب عمل اليوم والليلة لابن السني، ومنتخب مشارق الأنوار، ومنتخب عوارف المعارف، ومنتخب تاريخ الخلفاء، ورسائل في التصوف والسلوك، مات بمدينة لكهنؤ سنة 1336هـ. ترجم له والده في عدد من كتبه، انظر: نزهة الخواطر ج 8 ص 1395-1396

(4) هو أبو النصر علي حسن، من أهل العلم والأدب، ولد ببلدة بهوبال سنة 1283هـ ونشأ بها، برع في الشعر الفارسي والهندي حتى ألّف تذكرة لشعراء الفرس سمّاها (صبح گلشن) و أخرى لشعراء الهند باسم (بزم سخن) وله ترجمة والده -بالأردية- المسمى بـ (مآثر صديقي) ، و هو من أهم مصادر ترجمته و أوعبها، والقول السديد في أدلة الاجتهاد و التقليد، و إليه نسب شرح المرقاة في المنطق، كما أن له حواش على مؤلفات أبيه و أخيه، قيل: توفي سنة 1936م ويقال: إنه كان حياً سنة 1354هـ، ترجم له والده في أبجد العلوم ص 732، و إتحاف النبلاء المتقين ص 327 والتاج المكلّل ص 531. و انظر: نزهة الخواطر ج 8 ص 1250

(5) انظر: **مآثر صديقي** ج 4 ص 103

(6) انظر: **التاج المكلل** ص 540

أما ألقابه فكان يلقّب نفسه أول عمره بـ **(روحي)**(2) ولقّبه الآخرون بـ **(المجدد)**(3) كما لُقّب بـ **(خان)** عند ما ولي النظارة بديوان الإنشاء.(4) ومن أهم الألقاب الحكومية التي حاز عليها لقب **(النواب والاه جاه (صاحب مكانة عالية)**، وكان يعدّ من أكبر الألقاب الحكومية التي كان يلقب بها الأمير المسلم، و بالتالي يمنح له حق التعظيم في أرض الهند، فقد خصّصت له الحكومة البريطانية في المكاتيب الرسمية الألقاب التالية: **(نواب صاحب معدن مخلد اخلاق مخزن مكارم اختصاص نواب والا جاه أمير الملك سيد محمد صديق حسن خان صاحب بهادر –سلّمه الله تعالى-)**.(5)

وبعد زواجه بملكة بهوبال(6) السيدة شاه جهان بيگم(7) أصرّت عليه بلقب **(النواب)** أن يكتب مع اسمه فلم يخالفها ولكنه اختار لنفسه فيما بعد لقب **(التوفيق)** حيث نشر ديوانه الشعري **(گل رعنا)** بهذا اللقب.(8)

وكان الشيخ –رحمه الله- لا يلقي بالاً لهذه الألقاب الفاخرة، والنعوت الرسميّة، بل كان يزهد في الدنيا ويشمئز بصحبة أهلها، ويفتخر بوراثة الأنبياء ويعتز بنسبته إلى العلم، وكان يحسب أن لقب **(نوّاب)** عتاب من قبل رب الأرباب و سبب هلاك يوم الحساب، وأن توليته لأمور السياسة ابتلاء من الله عليه، و إنه ليرغب في مجالسة أهل العلم والأدب.(9)

---

(1) انظر: **مآثر صديقي** تحت عنوان: (فهرست مؤلفات الشيخ) ملحق في آخر الجزء الرابع من الكتاب ص 20 برقم 219. وكما ذكر له هذه الكنية أيضاً صاحبه الذي لازمه حتى آخر حياته وهو الشيخ ذو الفقار أحمد البهوبالي في كتابه **قضاء الأرب من ذكر علماء النحو و الأدب**، مطبع مفيد عام اكره، الهند، 1316هـ. ص245 245. انظر: رسالة جامعية بعنوان: (**الأمير صديق حسن خان وجهوده في الأدب العربي)** رسالة ماجستير للطالب سعد الله المحمدي، من كلية اللغة العربية بالجامعة الإسلامية العالمية بإسلام آباد، باكستان، عام 1421هـ، ص 25.

(2) مآثر صديقي ج 4 ص 185

(3) المرجع السابق ج4 ص 156 و 181

(4) نزهة الخواطر ج 8 ص 1247

(5) مآثر صديقي ج 2 ص 93-94

(6) مدينة بهوبال او بوبال (Bhopal) مدينة قديمة في الهند وهي عاصمة ولاية ماديا براديش وتعني (بلاد الوسط) و تسمى كذلك بقلب الهند باعتبارها تتوسط هذا البلد، انظر: (ويكيبيديا، الموسوعة الحرة) الرابط التالي:

https://en.wikipedia.org/wiki/Bhopal

(7) شاه جهان بيگم أميرة من أميرات الهند، أصلها من قوم أفغان، اعتلت إمارة بوبال بعد وفاة والدتها الأميرة سكندر بيكم، ويقال أنها أحسنت إدارة البلاد. توفيت في 16 حزيران سنة 1901 م. انظر: أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام لعمر رضا كحالة، مؤسسة الرسالة، بيروت، بدون طبع وتاريخ، ج 2 ص 283-284 والتاج المكلّل للقنوجي ص 532

(8) مآثر صديقي ج 4 ص 185

(9) انظر: المرجع السابق ج 3 ص 171 و التاج المكلل ص 541

المطلب الثالث: مولده

ولد الشيخ –رحمه الله- ضحى الأحد، التاسع عشر (19) من شهر جمادي الثاني من سنة ألف و مأتين ثمان وأربعين (1248) من هجرة الرسول – صلى الله عليه وسلم- الموافق للرابع عشر (14) من شهر أكتوبر عام ألف و ثمانمائة و اثنان وثلاثون (1832) من الميلاد. وذلك ببلدة (بانس بريلي)(1) بولاية (اتربرديش)(2) شمالي الهند في بيت جدّه لأمه الشيخ المفتي محمد عوض العثماني،(3) وبعد أيام جاءت به أمه الكريمة من بريلي إلى (قنوج) موطن آبائه الكرام.(4)

المبحث الثاني

نشأته و طلبه للعلم ورحلاته

المطلب الأول: نشأته

وبما أن الشيخ –رحمه الله- ولد في بيت علم و دين من جهة الأب والأم كان من الطبيعي أن يتربّى تربية صالحة و ينشأ تنشئة إسلامية خالصة على الطهر والعفاف و الأخلاق الحميدة، و عندما عانق الربيع السادس من عمره واجهته مشكلة اليتم(5) التي حرمته من عطف الأبوّة و حنانها، فأصبح يتيماً فقيراً في رعاية والدته، فربّته أحسن ما تربّي الأمّ ولدها، حيث ركّزت على تعليمه و تثقيفه و اهتمّت بأخلاقه و ديانته فلندعه يحدّث عن تربية والدته له فيقول: لما بلغت السابعة من عمري

---

(1) بانس بريلي أو بريلي (Bareilly) مدينة من مدن الهند في ولاية أتر برديش شمال الهند، و تبعد عن العاصمة الوطنية (نيودلهي) 250 كيلومتراً. انظر: (ويكيبيديا، الموسوعة الحرة) الرابط التالي:

https://en.wikipedia.org/wiki/Bareilly

(2) أتر برديش (Uttar Pradesh) هو الإقليم الشمالي لبلاد الهند وإحدى ولاياتها، عاصمتها ومن أكبر مدنها: لكنو. انظر: (ويكيبيديا، الموسوعة الحرة) الرابط التالي:

https://en.wikipedia.org/wiki/Uttar_Pradesh

(3) هو المفتي محمد عوض درويش العثماني البريلوي الحنفي، أحد العلماء المشهورين، آل إليه الإفتاء بمدينة (بريلي) بعد وفاة والده، وكان شديد الحياء والتعبّد، ذا جرأة و نجدة. مات سنة 1220هـ انظر: نزهة الخواطر ج 7 ص 1102.

(4) انظر: التاج المكلل ص 535، والحطة 262، و أبجد العلوم ص 725، و مآثرصديقي ج 2 ص 1-2، وجلاء العينين ص 68، و نزهة الخواطر ج 8 ص 1247، و مقالة الدكتور محمد إجتباء الندوي بعنوان: **(حياة الأمير صديق حسن خان و مآثره)** بمجلة المجمع العلمي الهندي رقم 1-2 (1يونيو 1997م) ص 155.

(5) هكذا صرّح المترجم أن والده لبّى داعي الأجل حين طعن في السادسة من عمره، انظر: الحطّة ص 263، و كذا في نزهة الخواطر ج 8 ص 1247، لكن ابنه علي حسن ذكر أنه يَتِم وعمره خمسة أعوام، انظر: مآثر صديقي ج 2 ص 2 وقال المترجم في كتابه إبقاء المنن أنه يتم سنة 1253هـ حين كان عمره أربع أو خمس سنوات –على الشك-. إبقاء المنن ص 30، وقال في ص 218: يتم وعمره خمس سنوات. وعلى كل فلم يتجاوز السادسة من عمره. والله أعلم

وكان المسجد قريبا من البيت، وأنا في نوم هادئ، فكانت أمي توقظني وتوضئني وتبعثني إلى المسجد، ولم تسمح أبدا أن أصلي في البيت، وعندما تجدني مستغرقًا في النوم ترشّ الماء على وجهي.(1)

المطلب الثاني: بدؤه في طلب العلم وحبّه له

ولمّا توفي والده وأصبح في ظلّ رعاية والدته وعناية أخيه الأكبر (أحمد بن حسن)(2) رجعت به أمّه إلى بلدتها، وتربّى في بيت جدِّه من أمّه، فعيّنت له أمّه مدرسًا خاصاً للقرآن،(3) وقرأ الفارسية واعتنى بها كثيراً؛ لأنها كانت لغة رسمية لتلك البلاد آنذاك، و تعلّم الخط و درس على شقيقه الأكبر (أحمد حسن) العلوم العربية الأولى في فنون شتى من نحو وصرف وبلاغة ومنطق، كما استفاد من صفوة أعيان قنّوج وعلماء ضواحيها.(4)

وقد جعل الله له قلباً ميالاً إلى الدراسة و مشتاقاً إلى قراءة الكتب إلى حدّ أنه لم يوجد كتاب إلا وقرأه كما قرأ كثيراً من الروايات والقصص المتداولة في عصره، و إلى هذا أشار بقوله: "وكنتُ كثير الاشتغال بمطالعة الكتب وكتابة الصحف من أيام كوني في المكتب، فطالعتُ زبرًا عديدة، وبيناتٍ كثيرة، وكتبًا غزيرة، وأسفارًا غريبة وشهيرة من كل فن ملائم، وعلم أجنبي، وحصلت منها على فوائد شتى، لا تكاد تنحصر في: إلى وحتى"(5)

المطلب الثالث: رحلاته العلمية

كان الشيخ –رحمه الله- في بلده قنّوج إلى أن أخذه أحد أصدقاء والده ومريديه إلى مدينة فرخ آباد(6) حيث أقام في بيته شهوراً، فدرس على مشائخ تلك المدينة: هداية النحو لأبي حيان والكافية لابن الحاجب و شرحها للجامي و إيساغوجي في المنطق وغيرها من الكتب، ثم دعاه بعض تلامذة والده إلى مدينة كانفور(7) فانتقل إليها و استفاد من علمائها و مشائخها كما صحب ثلة من أجلاء

---

(1) انظر: إبقاء المنن ص 89 و مآثر صديقي ج2 ص 2

(2) هو السيد أحمد بن حسن بن علي الملقب بالعرشي، ولد سنة 1246هـ كان من العلماء الفضلاء والأدباء البارعين، صاحب ذكاء وفطنة، له اليد الطولى في الشعر العربي والفارسي، حجّ بيت الله الحرام عام 1276هـ و في طريقه توفّي بالوباء سنة 1277هـ انظر: أبجد العلوم للقنوجي ص 723، والتاج المكلّل ص 286.

(3) مآثر صديقي ج2 ص 3

(4) انظر: التاج المكلّل ص 535

(5) انظر: المرجع السابق ص 535

(6) فرخ آباد (Farrukhabad) مدينة في ولاية أوتر برديش في شمال الهند.

(7) كانفور (Kanpur) مدينة صناعية كبيرة على ضفاف نهر الغانج (Ganges River) ، في ولاية أتربرديش شمال الهند.

علماء هذه المدينة فنهل من مناهلها العلمية الصافية و أوساطها الإصلاحية. ولكن هذه الدراسة كلها كانت غير منتظمة و من غير فكر ورويّة.(1)

و إن لم يستفد الشيخ من هذه الرحلة -حسب قوله- فإنها أثرت في نفسه تأثيراً بليغاً مما جعلته يتوجّه إلى العلم و يخرج في طلبه.

و في سنة 1269هـ الموافقة لسنة 1882م ، عندما بلغ من العمر إحدى و عشرين سنة خرج بتشجيع من بعض أهل العلم إلى دهلي التي كانت إذ ذاك مليئة بالعلماء والأدباء، فلقي بها جماعة منهم، و دار على جماعة من مشائخها النبلاء منهم الشيخ المفتي صدر الدين خان(2) فاستفاد بصحبتهم كثيراً من العلوم والآداب وحسن المحاضرة، والتقى بالعلماء والشعراء والوجهاء والفضلاء، واهتم اهتماما بالغاً بالفنون من العقليات والنقليات والأدب والعربية حتى أحاط بالفنون المتداولة وغيرهم من الشاذة الفاذة علماً، وحصل منها على قسط أوفر ونصيب أجمع.(3)

لقد أقام الشيخ في دهلي سنتين كاملتين، و درس على سماحة المفتي مختصر المعاني في البلاغة وقسم العبادات من شرح الوقاية والمعاملات من الهداية في الفقه الحنفي والتوضيح والتلويح في أصول الفقه وعدة كتب في المنطق والحكمة والفلسفة والأدب وعلم الكلام، كما قرأ سورة البقرة في تفسير البيضاوي و نحو خمسة أجزاء من صحيح البخاري قراءة والبقية سماعاً. كما قرأ على شيوخ آخرين يأتي بيانهم فيما بعد إن شاء الله.

استطاع الشيخ أن ينتفع بإقامته بدهلي انتفاعاً كبيراً، حيث استفاد من علمائها و فضلائها وشيوخها وأدبائها، وغرسوا العلم والدين في ذهنه و فكره، وكانت السنتان اللتان قضاهما في دهلي نقطة تحول في حياته، فقد تضلّع فيها بعلم جمّ و ثقافة واسعة و تجربة عظيمة.

عاد الشيخ من بعد أن قضى سنتين في العاصمة، وكان عمره إذ ذاك ثلاثاً وعشرين سنة، إلى بلده " قنوج" ولم يستطع الإقامة بها إلا شهراً.

ثم عقد العزم على أن يخرج من بلده مرة أخرى، فارتحل هذه المرة إلى إمارة بهوبال المسلمة، لكن هذه الرحلة لم تكن لطلب العلم إنما كانت لالتماس الرزق و المعيشة حيث كان على عاتقه

---

(1) انظر: مآثر صديقي ج 2 ص 5-6، و مقالة للدكتور محمد إجتباء الندوي بعنوان: (حياة الأمير صديق حسن خان و مآثره) بمجلة المجمع العلمي الهندي رقم 1-2 (1يونيو 1997م) ص 157-158.

(2) هو صدر الدين خان بهادر ولي الصدارة بدهلي من جهة البرطانية - حكام الهند- فاستمر عليها إلى الفتنة وأخذ الحديث عن الشيخ المهاجر، تلمذ على الشاه عبد الْعَزِيز وَالْمولى رفيع الدّين الدهلوي ابني الشيخ ولي الله الدهلوي، وله رسالة: منتهى المقال في شد الرحال. انظر: أبجد العلوم ص 711، والحطة ص 264

(3) التاج المكلّل ص 536 و جلاء العينين ص 68

مسؤلية أسرته الكريمة، و مع ذلك فلم تخل الرحلة هذه من اكتساب العلم و الخبرة ولقاء العلماء والأدباء؛ لأن بهوبال كان موئل العلماء والأدباء آنذاك.(1)

فقرأ في تلك الفرصة القليلة نبذة صالحة من كتب الحديث، كصحيح مسلم، وجامع الترمذي، وسنن ابن ماجة، وسنن النسائي والدراري المضيئة شرح الدرة البهية للشوكاني، كلها على القاضي زين العابدين بن محسن الأنصاري اليماني(2) نزيل بهوبال وقاضيها، وحصلت له الإجازة عن صنوه الكبير الشيخ حسين بن محسن السبعي الأنصاري اليماني(3)، والشيخ المعمر عبد الحق بن فضل الله العثماني النيوتيني(4).(5)

ومما يمكن اعتبارها من رحلاته العلمية أيضاً رحلته لأداء فريضة الحج عام 1285هـ وذلك عن طريق السفينة الشراعية التي استغرقت مدة ثمانية أشهر كاملة.(6) حيث التقى خلالها بالعلماء والوجهاء وذاكرهم في مسائل العلم والأدب، وكتب بيده عديداً من الكتب في المركب وأيام إقامته، و استفاد من هذه الرحلة في إنماء مخزونه العلمي إذ يقول متحدثاً عن ذلك الزمن: كتبت بيدي في المركب كتاب (الصارم المنكي على نحر ابن السبكي للحافظ ابن قدامة المقدسي)(7)في مجلد وسط،

---

(1) انظر: مآثر صديقي ج 2 ص 10-19 و مقالة للدكتور محمد إجتباء الندوي بعنوان: (حياة الأمير صديق حسن خان و مآثره) بمجلة المجمع العلمي الهندي رقم 1-2 (1يونيو 1997م) ص 159-1163.

(2) هو أحد العلماء المشهورين، قرأ العلم على كثيرين، من أبرزهم أخوه الشيخ حسين شيخ القنوجي، ولي قضاء مدينة بهوبال، و قرأ عليه القنوجي الكتب الستة، توفي سنة 1297هـ ببلدة بهوبال و دفن بها. انظر: نزهة الخواطر ص 978

(3) هو الشيخ المحدث القاضي حسين بن محسن بن محمد بن مهدي السبعي الأنصاري، تلميذ العلامة محمد بن ناصر الحازمي تلميذ العلامة القاضي محمد بن علي الشوكاني، ولد سنة 1245هـ، ولي القضاء باليمن أربع سنوات ثم استقال عن ذلك وترك وطنه فقدم أرض الهند، وتوطن ببلدة بهوبال، فطار صيته في أقطار الهند، وأخذ عنه الحديث جماعة من أعيان الهند كالسيد صديق حسن خان القنوجي، وله رسائل حافلة ومباحث مطولة هي مجموعة في مجلد، وله تعليقات على سنن أبي داؤد، توفي سنة 1327هـ. **انظر:** نزهة الخواطر ص 1212-1214

(4) هو الشيخ عبد الحق بن فضل الله العثماني النيوتيني ثم البنارسي أحد العلماء المشهورين، ولد سنة 1206هـ وقرأ على أبيه وغيره من العلماء ثم سافر إلى دهلي وقرأ الحديث على الشيخ إسماعيل بن عبد الغني الدهلوي والشيخ عبد الحي البرهانوي ثم رحل إلى صنعاء ولقى بها القاضي محمد بن علي الشوكاني وغيره فأجازوه إجازة عامة، وكان لا يتقيد بمذهب ولا يقلد أحداً في شيء من أمور دينية، ومن مصنفاته: الدر الفريد في المنع عن التقليد، توفي محرماً بمنى سنة 1276هـ. انظر: نزهة الخواطر ص 1000-1003.

(5) نزهة الخواطر ص 1247 والحطة ص 267.

(6) رحلة الصديق إلى البيت العتيق للقنوجي، تصحيح وتعليق: عبد الحكيم شرف الدين، إصدارات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، دولة قطر، الطبعة الثانية 1428هـ ، 2007م، ص 169

(7) هو محمد بن أحمد بن عبد الهادي المقدسي الحنبلي، اشتهر بابن عبد الهادي نسبة لجده، ولد سنة 705هـ او قريباً منها، كان إماماً عالماً، من أبرز مشائخه: شيخ الإسلام ابن تيمية، توفي سنة 744هـ. انظر: البداية والنهاية للحافظ ابن كثير ج 14 ص 221.

ولم أضيع زمن ركوبي البحر عبثاً.(1) و مما يدلّ على شغفه بالعلم وحرصه على تنظيم أوقاته في هذه الرحلة قوله: ولم آل جهداً في هذه الحركة وأيام البركة من تحصيل العلم النافع والخير الجاري.(2) ويؤكد أنه راجع كثيراً من الكتب في هذه الفترة ولم يترك الاستفادة بالعلم حتى بالأماكن المقدسة في غير أيام الحج.(3) و هذا مما يضفي على هذه الرحلة صبغة علمية، وأنها لم تكن رحلة الحج والزيارة فحسب بل كانت رحلة درس وعبادة، و مطالعة و استفادة، ونقل كتب وجمعها و شراءها.(4) ذكر ذلك كله في كتابه الماتع الذي سمّاه: رحلة الصديق إلى البيت العتيق.

المبحث الثالث

شيوخه وتلاميذه

المطلب الأول: شيوخه

تتلمذ الشيخ على كبار شيوخ عصره، حيث تلقّى العلوم المتداولة من الصرف والنحو واللغة والأدب وعلوم القرآن والسنة وغيرها على يد كثير من أساطين العلم والعلماء البارعين ومن أبرزهم:

1. **الشيخ أحمد حسن**(5): هو أخوه الأكبر، يكبر منه بسنتين، تتلمذ عليه وقرأ بعض أجزاء القرآن الكريم، ومختصرات في الصرف والنحو والبلاغة والمنطق وهو في صغره وقبل تنقّله في البلدان.
2. **الشيخ المفتي صدر الدين خان الدهلوي**(6)**:** قرأ عليه القنوجي قراءة منتظمة الكتب الآلية درساً درساً، فقرأ مختصر المعاني، وشرح الوقاية وشرح المواقف والهداية والعقائد النسفية وغيرها حتى أجازه إجازة خاصة، وكتب له شهادة بالتحصيل.
3. **القاضي حسين بن محسن السبعي الأنصاري**(7)**:** تتلمذ عليه القنوجي في العلوم الحديثية، و أخذ عليه أكثر الأمهات والصحاح وعيرها، و أجازه بها إجازة عامة تامة .

---

(1) المرجع نفسه ص 161

(2) المرجع نفسه ص 163

(3) المرجع نفسه ص 162

(4) انظر: مقالة للدكتور محمد إجتباء الندوي بعنوان: (حياة الأمير صديق حسن خان و مآثره) بمجلة المجمع العلمي الهندي رقم 1-2 (1يونيو 1983م) ص 195.

(5) سبقت ترجمته في ص 23

(6) سبقت ترجمته في ص24

(7) سبقت ترجمته في ص 25

4. **الشيخ يعقوب بن محمد بن أفضل العمري المهاجر**(1): سبط الشيخ عبد العزيز بن ولي الله الدهلوي، أخذ عنه القنوجي إجازة في الحديث.
5. **الشيخ زين العابدين بن محسن الأنصاري اليماني**(2) : قرأ عليه القنوجي الصحاح الستة.
6. **الشيخ عبدالحق بن فضل الله المحمدي**(3): أجاز له عامة، وهو أعلى شيوخه إسنادًا.

و ممن استجاز منهم أيضاً:

7. **الشيخ يحيى بن محمد بن أحمد بن حسن الحازمي**(4)**:** -كان قاضي عدن - استجاز منه فأجاز له حسب اقتراحه سنة 1295هـ.
8. **الشيخ السيد نعمان خير الدين ألوسي زاده**(5):-كان مفتي بغداد- أجاز له سنة 1296هـ.(6) وتدبَّجَا(7) في الإجازة، فيعتبر شيخه من جهة و تلميذه من أخرى.

المطلب الثاني: تلامذته

نظراً لاشتغال الشيخ بالمناصب الحكومية والمهام الإدارية، والتأليف ومطالعة الكتب العلمية، لم يولِ الشيخ اهتماماً كبيرا للتدريس كما أولاه للتأليف، ولم يكن شغله الشاغل ذلك،(8) ومع ذلك فقد درس على يد القنوجي علماء أجلاء في العلوم ونهلوا منه و كان نِعم الشيخ لهم، فأخذ عنه ولداه هما: (نور الحسن و علي حسن) العلم وقام بتدريسهما، فهما من تلامذته، وكذلك أخذت

---

(1) هو العالم المحدث يعقوب بن محمد أفضل الدهلوي، المهاجر إلى مكة المكرمة، وهو أصغر أخ للشاه محمد إسحاق، لم يكن له نظير في العلم والخلق الجميل، ولد بدهلي وقرأ على جده الشيخ عبد العزيز بن ولي الله الدهلوي، ونشأ في مهده ورعايته، وحصلت له الإجازة منه في العلم والطريقة، فدرس وأفاد بدهلي ثم هاجر إلى مكة المكرمة سنة 1258هـ وسكن بها، توفي سنة 1282هـ بمكة المكرمة. انظر: نزهة الخواطر ص 1138.

(2) سبقت ترجمته في ص 25

(3) سبقت ترجمته في ص 25

(4) هو العلامة القاضي يحيى بن محمد الحازمي،أخذ العلم عن عديد من العلماء أمثال العلامة حسين بن محسن السبعي الأنصاري وغيره. تولى القضاء منذ منتصف القرن الثالث عشر الهجري، ويعتبر من كبار الشخصيات البارزة بعدن في ذلك العصر، قضى معظم حياته في خدمة المجتمع حتى انتقل إلى جوار ربه سنة 1348هـ.

(5) هو أبو البركات السيدُ خيرُ الدين نعمان بن محمود الألوسي، ولد سنة 1252هـ واعظ فقيه، باحث، من أعلام الأسرة الآلوسية في العراق، قرأ على والده و على علماء بغداد ومشايخها، ولي القضاء في بلاد متعددة، من مؤلفاته: الجواب الفسيح لما لفّقه عبد المسيح وشقائق النعمان، وجلاء العينين في محاكمة الأحمدين، توفي ببغداد سنة 1317هـ. انظر: التاج المكلّل ص 509 والأعلام للزركلي ج 8 ص 42.

(6) انظر: الحطة ص 263-269 و انظر: أبجد العلوم ص 725، مآثر صديقي ج 2 ص 17

(7) التدبيج بمعنى التزيين، و في اصطلاح المحدثين: (أن يروي القرينان كل واحد منهما عن الآخر). انظر: تيسير مصطلح الحديث للشيخ محمود الطحان النعيمي، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الطبعة العاشرة 1425هـ-2004م ص 238

(8) قال عن نفسه في التاج المكلّل: (درَّس قليلاً، وصنّف كثيرًا) ص 536

عنه زوجته الملكة (شاه جهان بيگم) العلمَ فدرست على يديه، ويعتبر العلامة نعمان خير الدين الألوسي أيضاً من تلامذته –كما أسلفنا- وله تلاميذ كثيرون غيرهم، درسوا عليه أو أجازهم.(1)

المبحث الرابع

ثناء العلماء عليه

لقد أثنى على الشيخ كثير من علماء عصره، وأعلام وقته، ولقد ملئ كتاب قرة الأعيان ومسرة الأذهان(2) بثناء العلماء على الأمير صديق حسن خان القنوجي، بالشعر تارة، وبالنثر أخرى، و فيما يلي نبذة يسيرة من ثناء العلماء المعاصرين له و من بعدهم عليه:

1. قال **الشيخ حمد بن عَتيق النجدي**(3) في مطلع رسالته إلى المترجم:

(إلى الإمام المعظم، والشريف المقدم محمد، الملقب: صديق، زاده الله من التحقيق؛ وأجاره في ماله من عذاب الحريق، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته. وبعد: وصل إلينا التفسير، فرأينا أمرا عجيبا، ما كنا نظن أن الزمان يسمح بمثله، في عصرنا وما قرب منه، لما في التفاسير التي تصل إلينا من التحريف، والخروج عن طريقة الاستقامة، وحمل كتاب الله على غير مراد الله، وركوب التعاسيف في حمله على المذاهب الباطلة، وجعله آلة لذلك.

---

(1) انظر: أبجد العلوم ص 731، وانظر: صديق حسن خان القنوجي وجهوده في تفسيره فتح البيان في مقاصد القرآن للدكتور موفق عبد الرزاق الدليمي، مكتبة التوبة، الطبعة الأولى 1435هـ 2014م، ص 35، وانظر: منهج صديق حسن خان في تفسيره فتح البيان، رسالة ماجستير من جامعة الإمام محمد بن سعود بالرياض للباحث: أحمد محمد صالح عبد الله، ص 62.

(2) اسمه الكامل: **قرة الأعيان و مسرة الأذهان في مآثر الملك الجليل النواب صديق حسن خان**، طبعت بمطبعة الجوائب، قسطنطينية، 1298هـ و الكتاب مرفوع على الشبكة في حوالي 160 صفحة. و طبع في حياة الشيخ حيث ذكره في التاج المكلّل ص 538. وممن نُقل ثناؤه عليه هناك: نقيب الأشراف في دمشق المفتي محمود الحمزاوي، وعبدالغني الغُنيمي، وعبدالغني الرافعي مفتي طرابلس، وحسين منقارة، وإبراهيم بن عبدالغفار الدسوقي الأزهري، ومحمد صالح تقي الدين نقيب الأشراف بالقدس، ويوسف أفندي مفتي القدس، وزين العابدين بن محسن، ومحمد بن عبدالله بن حميد مفتي الحنابلة بمكة، ومحمد بن أحمد بن عبدالباري، وسليمان بن محد الأهدل مفتي زبيد، ومحمد بن عبدالله الزوّاك مفتي بلدة الزيدية، ويوسف بن مبارك العريشي، ومحمد الكتبي الحنفي المدرس بالمسجد الحرام، وأمين بن حسن الحلواني، ويحيى بن محمد مفتي الحُديدة، وحسين بن محسن الأنصاري، وحسن التاجي المدني إمام وخطيب المسجد النبوي وغيرهم. و من أراد المزيد فليراجع الكتاب.

(3) هو الشيخ حمد بن علي بن محمد بن عتيق، قاض حنبلي من علماء نجد، ولد في بلدة الزلفي سنة 1227هـ، وتفقه في الرياض، وولي قضاء الحلوة ثم قضاء الأفلاج إلى أن توفي سنة 1301هـ، له كتب مختصرة مطبوعة، منها: (إبطال التنديد باختصار شرح التوحيد) و (بيان النجاة والفكاك، من موالاة المرتدين وأهل الإشراك) و (الدفاع عن أهل السنة والاتباع) كلها رسائل في الدعوة إلى التوحيد. انظر: الأعلام 273/2

فلما نظرنا في ذلك التفسير، تبيّن لنا حسن قصد منشئه، وسلامة عقيدته، وبعده عن تعمّد مذهب غير ما عليه السلف الكرام، فعلمنا أن ذلك من قبيل قوله: ﴿ وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْماً ﴾، والحمد لله رب العالمين.. الخ).(1)

2. وقال العلامة **عبدالحي اللَّكْنَوي**(2) في (تذكرة الراشد): (الفاضل الكامل، زينة المجالس والمحافل، زبدة المآنس والأماثل، ذي التصنيفات الشهيرة، والترصيفات الكبيرة، النواب السيد صديق حسن القنوجي ثم البهوبالي، بلّغه الله إلى كواعب الأماني الغوالي، ولا حرمه الله عن أبكار الغوالي، وحفظه الله عن غياهب الأيام والليالي، ولا ابتلاه الله بالجمع بين الحصى واللآلي).(3)

3. وقال العلامة الشيخ **محمود أفندي حمزة**(4) **مفتي الشام:**

تلقـــت يـــداي بكـــل احـــترام كتابـــا كريمـــا جليـــل المقـــام

ولمـــا تصـــفحت أوراقـــه رأيـــت اللالـــئ بســـلك انتظـــام

ومـــن كـــل فـــن حـــوى نبـــذة عليهـــا يدنـــدن كـــل هـــمام

إلى أن قال:

ولا زال بـــــدر معـــــارفه يضيـــء بآفـــاق هنـــد وشـــام

ولا زال دهـــرا خطيـــب العـــلى مليكـــا عظـــيما ليـــوم القيـــام

---

(1) انظر: الدرر السنية في الأجوبة النجدية، لعلماء نجد الأعلام، جمع وتحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم النجدي، الطبعة السادسة، 1417هـ/1996م، 13/23-24، وانظر أيضا: الرسائل المتبادلة بين الشيخين صديق حسن خان و أحمد بن عيسى، اعتنى بها سليمان بن صالح الخراشي، در التوحيد للنشر، الرياض، الطبعة الأولى 1431هـ 2010م ص (38)

(2) هو الشيخ أبو الحسنات محمد عَبْد الحَيّ بن محمد عبد الحليم الأنصاري اللكنوي الهندي، عالم بالحديث والتراجم، من فقهاء الحنفية، ولد سنة 1264هـ و توفي سنة 1304هـ، من كتبه: (الآثار المرفوعة في الأخبار الموضوعة) و (الفوائد البهية في تراجم الحنفية) و (التعليقات السنية على الفوائد البهية) و (الرفع والتكميل في الجرح والتعديل) في رجال الحديث، و (ظفر الأماني في مختصر الجرجاني) في مصطلح الحديث، و (التعليق الممجد على موطأ الإمام محمد الشيبانيّ) ، وغيرها. انظر: الأعلام 187/6، و نزهة الخواطر 1268/8

(3) تذكرة الراشد برد تبصرة الناقد للإمام محمد عبد الحي اللكنوي تحقيق: الدكتور صلاح محمد أبو الحاج، مركز العلماء العالمي للدراسات وتقنية المعلومات، الطبعة الأولى ص 11

(4) هو الشيخ محمود بن محمد نسيب بن حمزة الحسيني: مفتي الديار الشامية، وأحد العلماء المكثرين من التصانيف. ولد في دمشق سنة 1236هـ ونشأ بها. تقلب في مناصب عالية انتهت به إلى فتوى الشام، وكان فقيها أديبا شاعرا. من كتبه: در الأسرار في تفسير القرآن الكريم بالحروف المهملة، مجلدان، و الفتاوى منظومة في مجلد، و الفتاوى المحمودية مجلدان ضخمان، و الفرائد البهية في القواعد الفقهية وغيرها. توفي سنة 1305هـ. انظر: الأعلام 185/7، وانظر: فهرس الفهارس 879/2

ودام بعـــــــــز ونصـــــــــر عـــلى أعاديـــــه يجـــرعهم كـــأس ســـام

قصـــــــــير ثنـــــائي لحـــــضرته كـــلام الملـــوك ملـــوك الكـــلام (1)

4. يقول **العلامة نعمان الآلوسي:**« شيخنا الإمام الكبير السيد العلامة الأمير البدر المنير البحر الحبر في التفسير والحديث والفقه والأصول والتاريخ والأدب والشعر والكتابة والتصوف والحكمة والفلسفة وغيرها».(2) وقال أيضاً: «إذا ذكر مسألة من مسائل الخلاف استدل ورجح، ويحق له الاجتهاد لاجتماع شروطه فيه، وما رأيت أسرع انتزاعاً للآيات الدالة على المسألة التي يوردها منه، ولا أشدَّ استحضاراً للسنة المطهرة وعزوها منه، هذا مع ما هو عليه من الكرم والجود والشجاعة، وجمع الفؤاد والبراعة، والفراغ من ملاذ النفس، ومن خالطه وعرفه ينسبني إلى التقصير فيه، ومن نابذه وخالفه قد ينسبني الى التغالي فيه».(3)

5. وقال **العلامة شمس الحق العظيم آباد**(4) في غاية المقصود (السيد العلاّمة المحدّث المفسّر الناسك التقي صديق بن حسن القنوجي)(5)

ولما عدَّد المجددين في الإسلام في كتابه عون المعبود ذكر الشيخ القنوجي ضمن المجددين في القرن الثالث عشر الهجري فقال: (والعلامة الأجل، المحدِّث الفاضل الأكمل، جامع العلوم الغزيرة، ذو التصانيف الكثيرة، النواب صديق الحسن خان البوفالي القنوجي، تغمده الله بغفرانه، وأدخله بحبوحة جنانه).(6)

6. و وصفه **علامة الشام جمال الدين القاسمي**(7) في قواعد التحديث: بالإمام الأثري.(1) كما

---

(1) قرة الأعيان ومسرة الأذهان، مطبعة الجوائب، 1298هـ، قسطنطينية (ص17).

(2) جلاء العينين في محاكمة الأحمدين للعلامة السيد خير الدين نعمان بن محمود الألوسي البغدادي، تحقيق: الداني بن منير آل زهوي، المكتبة العصرية، صيدا-بيروت، الطبعة الأولى 1427هـ، ص 67-68

(3) المصدر نفسه ص 69

(4) هو الشيخ أبو الطيب شمس الحق بن علي بن مقصود علي الصديقي، العظيم آبادي، عالم بالحديث، من أهل (عظيم آباد) في الهند، ولد بها سنة 1273هـ وتوفي فيها سنة 1329هـ، جمع مكتبة حافلة بالمخطوطات. قرأ الحديث في دهلي. وصنف كتبا منها: (عون المعبود في شرح سنن أبي داود)، ونسبه إلى أخيه شرف الحق، و (غاية المقصود) وهو مطول في شرح سنن أبي داود لكنه لم يكمله، و (التعليق المغني على سنن الدارقطنيّ) وغيرها. انظر: الأعلام للزركلي 301/6-302 ونزهة الخواطر 1243/8

(5) غاية المقصود شرح سنن أبي داود لشمس الحق العظيم آبادي، المجمع العلمي - كراتشي - الطبعة الأولى 1414 هـ 69/1

(6) عون المعبود شرح سنن أبي داود، للعلامة شمس الحق العظيم آبادي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية 1415 هـ 266/11

(7) هو الإمام جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم القاسمي، من سلالة الحسين السبط، إمام الشام في عصره، علما بالدين، وتضلعاً من فنون الأدب. ولد في دمشق سنة 1283هـ، وكان سلفي العقيدة لا يقول بالتقليد. له مصنفات و بحوث كثيرة منها:

وصفه في تفسيره بالعلامة.(2)

7. وقال **مؤرخ الهند عبدالحي الحسني**(3) في نزهة الخواطر: (علاّمة الزمان، وترجمان الحديث والقرآن، محيي العلوم العربية، وبدر الأقطار الهندية، السيد الشريف.. صاحب المصنفات الشهيرة، والمؤلفات الكثيرة. (4)

وقال أيضاً: (وكان غاية في صفاء الذهن وسرعة الخاطر، وعذوبة التقرير وحسن التحرير، وشرف الطبع وكرم الأخلاف، وبهاء المنظر وكمال المخبر، وله من الحياء والتواضع ما لا يساويه فيه أحد، ولا يصدق بذلك إلا من تاخمه وجالسه، فإنه كان لا يعد نفسه إلا كأحد الناس).(5)

8. **وقال عنه علامة العراق محمود شكري الآلوسي**(6)**:** ذلك الإمام الهمام، بل ملك العلماء الأعلام ..والنواب -رحمه الله- لم يكن له حاجة لمعاونة أحد و لا خدمته، وفضله أشهر من أن ينبه عليه.. والنواب -رحمه الله- كان من المحدِّثين، فكان يتبع ما صحّ لديه من الحديث، كما هو شأن أهل الحديث والأثر وأتباع سيد البشر، ومثله كثيرون في البلاد الهندية قبل عصره وبعده.(7)

9. وقال العلامة **محمد رشيد رضا**(8) **في مجلة المنار:** (وناهيك بسلفها الصالح السيد صديق حسن

الفتوى في الإسلام وجوامع الآداب في أخلاق الأنجاب و تعطير المشام في مآثر دمشق الشام و قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث و محاسن التأويل وغيرها، توفي سنة 1332هـ . انظر: الأعلام للزركلي 135/2

(1) قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث للشيخ جمال الدين القاسمي، دار الكتب العلمية -بيروت-لبنان. ص45

(2) محاسن التأويل للشيخ جمال الدين القاسمي تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلميه – بيروت، الطبعة: الأولى - 1418 هـ. 132/2.

(3) هو العلامة عبد الحي بن فخر الدين بن عبد العليّ الحسني الطالبي، باحث مؤرخ هندي، عربي الأصل، انتقل أجداده من بغداد إلى غزنة في فتنة المغول، ثم استقرت ذريته في الهند، ولد في بلدة رأي بريلي سنة 1286هـ وقرأ الفقه والأدب وبعض كتب الطب في لكهنوء، وتولّى إدارة أعمال (ندوة العلماء) وتوفي بـ (رأي بريلي) سنة 1341هـ. له تصانيف منها: (نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر) و (جنة المشرق ومطلع النور المشرق)، و (معارف العوارف في أنواع العلوم والمعارف) باسم (الثقافة الإسلامية في الهند) وغيرها. انظر: الأعلام للزركلي 290/3

(4) نزهة الخواطر 1246/8

(5) المرجع السابق 8/ 1249

(6) هو الشيخ أبو المعالي محمود شكري بن عبد الله بن شهاب الدين محمود الآلوسي الحسيني، مؤرخ، عالم بالأدب والدين، من دعاة الإصلاح، ولد في بغداد سنة 1273هـ، وأخذ العلم عن أبيه وعمه وغيرهما.

له 52 مصنفا، منها: بلوغ الأرب في أحوال العرب و أخبار بغداد وما جاورها من القرى والبلاد و المسك الأذفر في تراجم علماء القرن الثالث عشر وتاريخ نجدو عقد الدرر شرح مختصر نخبة الفكر و غاية الأماني في الرد على النبهاني، توفي رحمه الله في بغداد سنة 1342هـ. انظر: الأعلام للزركلي 172/7-173.

(7) غاية الأماني في الرد على النبهاني للشيخ أبي المعالي محمود شكري الألوسي تحقيق: أبي عبد الله الداني ، الناشر: مكتبة الرشد، الرياض، المملكة العربية السعوديةالطبعة: الأولى، 1422هـ- 2001م. (94/2).

(8) هو الشيخ محمد رشيد بن علي رضا، البغدادي الأصل، الحسيني النسب، صاحب مجلة (المنار) وأحد رجال الإصلاح. من الكتّاب العلماء بالحديث والأدب والتاريخ والتفسير، ولد في القلمون (من أعمال طرابلس الشام) سنة 1282هـ و نشأ وتعلم فيها وفي طرابلس. ثم

خان صاحب المصنفات الشهيرة التي هي من دعائم إحياء العلم والدين، -رحمه الله تعالى-).(1)

10. وقال علامة المغرب **محمد عبدالحي الكَتّاني**(2) في فهرس الفهارس: (وبالجملة فهو من كبار من لهم اليد الطولى في إحياء كثير من كتب الحديث وعلومه بالهند وغيره، جزاه الله خيرًا).(3)

11. وقال علامة الهند **أبو الحسن الندوي**(4): وقد قام صديق خان شخصيًّا بما لا تقوم به مجامع علمية في أكثر الأحيان؛ لكثرة المؤلفات وضخامة الإنتاج.(5)

وقال أيضاً: (وعرفت مواضع النبوغ والعظمة في هذه الشخصية الكبيرة التي كانت من مفاخر عصره ومن مفاخر الهند).(6)

رحل إلى مصر سنة 1315 هـ فلازم الشيخ محمد عبده وتتلمذ له. رحل إلى الهند والحجاز وأوربا وعاد، فاستقر بمصر إلى أن توفي فيها سنة 1354هـ ودفن بالقاهرة. أشهر آثاره مجلة (المنار) أصدر منها 34 مجلدا، و (تفسير القرآن الحكيم) المعروف بتفسير المنار اثنا عشر مجلدا منه، ولم يكمله، و (الوحي المحمدي) و (شبهات النصارى وحجج الإسلام) و غيرها. انظر: الأعلام للزركلي 126/6

(1) مقالة بعنوان: (ملكة بهوبال الهندية في إنكلترة) بمجلة المنار، والتعليق عليها للشيخ محمد رشيد رضا، المجلد الرابع عشر، عدد جمادي الآخرة 1329هـ 1911م. ص 470.

(2) هو العلامة محمد عَبْد الحَيّ بن عبد الكبير بن محمد الحسني الإدريسي الكتاني، عالم بالحديث ورجاله، مغربي، ولد بفاس سنة 1305هـ وتعلم بها، و توفي في باريس سنة 1382هـ. له تآليف منها: (فهرس الفهارس) و (اختصار الشمائل) و (التراتيب الإدارية) وغيرها. وكان على ما فيه من انحراف عن الجادة في سياسته، صدرا من صدور المغرب ومرجعا للمستشرقين خاصة. انظر: الأعلام للزركلي 187/6.

(3) فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات للعلامة محمد عَبْد الحَيّ بن عبد الكبير الحسني الإدريسي، المعروف بالكتاني، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية 1982م 1057/2

(4) هو الشيخ العلامة أبو الحسن علي الحسني الندوي بن السيد عبد الحي بن السيد فخر الدين، أحد أعلام الدعاة والمفكرين الإسلاميين في العصر الحاضر، ولد في (رائي بريلي) بالهند عام (1332هـ) ، درس العربيّة والأدب، وأتقن الإنجليزيّة والفارسيّة، إلى جانب لغته الأورديّة، وقرأ التفسير، ثم أكمل تعليمه في دار العلوم بندوة العلماء، ودار العلوم ديوبند، وجامعة لكهنؤ، تأثّر ب الإمام أحمد و ابن تيمية وأحمد السرهندي وشاه ولي الله الدهلوي، كما كان لمحمد إقبال أثرا كبيرا في توجيهه الأدبي والفكري.

عمل مدرّسًا بدار العلوم في لكنهؤ عشر سنوات، واشتغل بالصحافة، كما أسّس جمعيّة لنشر الإسلام بين الهنود، وتولّى رئاسة جامعة دار العلوم (ندوة العلماء)، و كان عضواً في رابطة العالم الإسلامي، ومجامع اللغة العربية في دمشق والقاهرة وعمان وغيرها. نال جائزة الملك فيصل في الرياض عام (1400هـ)، وجائزة الشخصية الإسلامية في دبي عام (1419هـ). من مؤلفاته: الإسلام والحكم، الإسلام والمستشرقون، التفسير السياسي للإسلام، دراسات قرآنية، روائع إقبال، السيرة النبوية، ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، نظرات في الأدب وغيرها، توفي في 23 من رمضان سنة 1420هـ بالهند. الترجمة مستفادة من كتاب: العلامة أبو الحسن الندوي رائد الأدب الإسلامي للسيد عبد الماجد الغوري، دار ابن كثير دمشق- بيروت، الطبعة الأولى 1430هـ.

(5) المسلمون في الهند للعلامة أبي الحسن الندوي، دار ابن كثير دمشق- بيروت، الطبعة الأولى 1420هـ، ص 53

(6) شخصيات وكتب للعلامة أبي الحسن الندوي، دار القلم دمشق، الطبعة الأولى 1410هـ، ص 236.

المبحث الخامس

عقيدته ومذهبه

المطلب الأول: عقيدته

مما يظهر جلياً أن الشيخ صديق -رحمه الله تعالى- عالم من علماء أهل السنة والجماعة،(1) وإن المتأمل في عقيدته من خلال كتبه وآثاره يجد أنها عقيدة السلف الصالح -رحمهم الله تعالى-، فكتبه ناطقة بها، ومن المصنفات التي سطّر فيها عقيدته كتاب: قطف الثمر في بيان عقيدة أهل الأثر، والدين الخالص، وقصد السبيل إلى ذم الكلام والتأويل، والانتقاد الرجيح في شرح الاعتقاد الصحيح،(2) وغيرها.

غير أنه يبدو في تفسيره بعض ما يلاحظ أنه يميل إلى مذهب الأشاعرة في بعض المسائل،(3) تأثراً ببيئته التي عاش فيها، كما يلاحظ أيضاً أنها قليلة ونادرة بالنسبة للمسائل التي وافق فيها اعتقاد السلف الصالح –رحمهم الله-، وقد نبّهه الشيخ حمد بن عتيق –رحمه الله- في رسالته التي بعث بها إلى الشيخ صديق خان، و أوصاه بالرجوع إلى كتب شيخ الإسلام ابن تيمية(4) وتلميذه ابن القيم(5) –رحمهما الله- كما أهداه نونية ابن القيم مع الرسالة المذكورة، وردّ الشيخ حمد بن عتيق صنيعه هذا إلى سببين أساسيين هما:

أحدهما: أنه لم يحصل له إمعان نظر في الكتاب بعد إتمامه.

---

(1) يقول ابنه: كان سنيّاً خالصاً، محمديّاً قحاً، موحداً بحتاً، متبعاً للكتاب والسنة. انظر: مآثر صديقي 1/4

(2) وقد طبعت هذه الكتب كلها.

(3) كالقول بإنكار التحسين والتقبيح العقليين، والاقتصار على كونهما شرعيين فقط، و إنكار القول بتكليف ما لا يطاق دون النظر إلى ما لعلماء السلف فيه من التفصيل. انظر: رسالة جامعية بعنوان: (السيد صديق حسن القنوجي آراؤه الاعتقادية وموقفه من عقيدة السلف) رسالة دكتوراه من جامعة أم القرى كلية الدعوة وأصول الدين، للباحث: أختر جمال محمد لقمان، عام: 1407-1408هـ 25/1

(4) هو الإمام العلم شيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن عبدالحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن محمد المعروف بابن تيمية الحراني الدمشقي ولد بحران يوم الاثنين سنة 661هـ، وقدم مع والده إلى دمشق وهو صغير، فسمع بها الحديث واشتغل بالعلوم، وكان ذكياً كثير الحفظ والتأليف، وأصبح إماماً في التفسير والحديث والفتوى، عالماً بالأصول والمذاهب والنحو واللغة وغيرها من العلوم النقلية والعقلية، حارب البدع والخرافات فاضطهد وسجن، توفي في السجن سنة 728هـ، تذكرة الحفاظ للذهبي 1496/4،ط. إحياء التراث العربي، مصور عن طبعة الهند في 4 أجزاء، بيروت-لبنان. و البداية والنهاية لابن كثير 135/14-140.

(5)هو الإمام العلامة أبو عبدالله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي ثم الدمشقي الفقيه الحنبلي المفسّر المحدّث، الأصولي، الشهير بابن قيم الجوزية، ولد في سنة 691 هـ، و لازم شيخ الإسلام ابن تيمية، و أخذ عنه العلم وله تصانيف كثيرة في كل أنواع العلوم. و كان زاهداً، عابداً ورعاً، توفي سنة 751هـانظر: البداية والنهاية لابن كثير 14/ 270.

ثانيهما: إحسان الشيخ صديق الظن ببعض المتكلمين الذين نقل الشيخ عباراتهم في التفسير-اعتقاداً منه أنه مذهب السلف- فدخل عليه منها، ولا يخفى أن هذا قليل جداً بالنسبة لما وقع فيه كثير من المفسرين قبله.(1)

و خلاصة القول أن الشيخ –رحمه الله- كان يعتقد اعتقاد السلف الصالح، حيث قرّر ذلك في مواضع عديدة من كتبه وأثبتها بتفاصيله، منها قوله:

(... فاعلم أن جملة ما عليه أصحاب الحديث والسنة هو الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله، ومن الإيمان بالله الإيمان بما وصف الله به نفسه المقدسة في كتابه العزيز، وبما وصفه به رسوله محمد -صلى الله عليه وسلم- من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل ولا تأويل، فيؤمنون بالله سبحانه وتعالى وبأسمائه الحسنى، وصفاته العليا، ولا ينفون عنه ما وصف به نفسه، ولا يحرفون الكلم عن مواضعه، ولا يلحدون في أسمائه وآياته... إلى آخر كلامه -رحمه الله-).(2)

المطلب الثاني: مذهبه الفقهي

أما الكلام عن مذهبه الفقهي فقد زعم ابنه أنه كان حنفي المذهب، نقشبندي المشرب، وكان ينسب نفسه دائماً -على طريقة أسلافه- إلى المذهب الحنفي غير أنه كان يقدّم السنة عملاً واعتقاداً.(3)

لكن كلام ابنه هذا لا يعول عليه ما دامت مؤلفاته تنطق صريحة في هذه المسألة، فالمتتبع لكتب العلامة صديق حسن خان القنوجي وما سطره يعلم من أول تتبع قراءاته أنه لم يكن يلتزم بمذهب معين، ولم يكن مقلدًا، بل كان يتبع الرأي الصواب الذي يراه بالدليل وهذا واضحٌ جدًا في كتبه، فكان يغلب عليه اتباع الدليل والحديث والميل إلى آراء المحققين من أهل العلم ممن لهم اعتناء بتحقيق المسائل والاستناد إلى الأدلة الشرعية، دون تعصب لرأي أو مذهب.

---

(1) انظر: الدرر السنية في الأجوبة النجدية، لعلماء نجد الأعلام، جمع وتحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم النجدي، الطبعة السادسة، 1417هـ/1996م، 13/23-24، وانظر أيضا: الرسائل المتبادلة بين الشيخين صديق حسن خان و أحمد بن عيسى، اعتنى بها سليمان بن صالح الخراشي، در التوحيد للنشر، الرياض، الطبعة الأولى 1431هـ 2010م ص (38)

(2) قطف الثمر في بيان عقيدة أهل الأثر للعلامة الشيخ صديق حسن خان القنوجي، تحقيق : الدكتور عاصم بن عبدالله القريوتي، الناشر: عالم الكتب - بيروت، الطبعة الأولى 1414هـ 1984، ص31.

(3) انظر: مآثر صديقي 1/4

ويبدو أن ابنه –رحمه الله- نظر إلى ظاهر صنيع الشيخ حيث كان يوافق مذهب الحنفية، فلم يكن يرفع يديه في الصلاة، ولم يكن يجهر بـ (آمين). قال الشيخ عبد الحي الحسني: والعجب أنه كان يصلي على طريقة الأحناف فلا يرفع الأيدي في المواضع غير تكبير التحريمة ولا يجهر بآمين بعد الفاتحة ولا يضع يده على صدره وإن كان ليوتر بواحدة ويصلي ثمان ركعات في التراويح. انظر: نزهة الخواطر 1248/8

ولا عجب فقد بلغ–رحمه الله- درجة الاجتهاد و تأهّله وتوفّرت لديه أدواته –وكان يدّعيه(1)- و كان ينكر إنكاراً شديداً على التقليد الأعمى الذي تقيّد به كثير من معاصريه، بل نراه يقرر ذلك في بعض كتبه حيث يقول:

"أحق المذاهب إتقانًا وأحسنها اتباعًا وأحكمها وأحراها بالتمسك به، ما ذهب إليه أهل الحديث والقرآن والترجيح لمذهب دون مذهب تحكم لا دليل عليه، بل المذاهب الأربعة كلها سواسية في الحقيقة، والواجب على الناس كلهم اتباع صرائح الكتاب العزيز والسنة المطهرة دون اتباع آراء الرجال وأقوال العلماء والأخذ باجتهاداتهم سيما فيما يخالف القرآن الكريم والحديث الشريف".(2)

وقال في التاج المكلّل: "هذا، وإني منذ استسعدت بمدارك علوم الحديث والقرآن، واختصصت بخدمتهما الشريفة من بين الأقران والأعيان، واجتهدت رأيي في العمل بالدليل، وتركت التقليد في جانب، لما أنه مجرد قال وقيل، وأخرجت كتبَ الرأي والفروع من بيتي، وشحنت عوضها داري بالكتب من دواوين السنة وشروحها وحواشيها، وكتب الأصول، والتفسير، والأدب، والسلوك، والتاريخ، وما إليها؛ مما يعينني على تلك المقاصد الحسنة".(3)

ولقد ألّف الشيخ -رحمه الله- في ترجمة نفسه كتاباً مستقلاً سمّاه (إبقاء المنن)(4) فقد صرّح فيه على مذهبه تحت عنوان: (ميرا مذهب) أي: مذهبي، فقال: " يعجبني من المذاهب ما كان صحيحاً قوياً -نظراً للأدلة-، مبنياً على الأحوط، ولا أحبّ أبداً أن أترك أدلة الكتاب والسنة مقابل أقوال أهل العلم وأحبّ جدّاً أن أختار طريق الجمع بين المذاهب المختلفة قدر الإمكان حتى تكون عبادتي صحيحة عند المذاهب كلّها أو معظمها".(5)

ثم يقول: "قد علمت أن الحق يدور في المذاهب الأربعة ولا ينحصر فيها؛ لأن أهل الحديث وأهل الظاهر والصوفية أيضاً على حق، بل هم من أفضل ممن هم على الحق، ولا أرجّح مذهباً على آخر؛(6) لأن ترجيح مذهب على آخر يسبّب في تنقيص المذاهب الأخرى عند كثير من الناس"(7)

---

(1) ادّعى الشيخ الاجتهاد ونفى التجديد عن نفسه رغم ما وصفه بهما أصحابه ومعاصروه. انظر: إبقاء المنن ص 159

(2) أبجد العلوم 402/2

(3) التاج المكلّل ص 539

(4) الكتاب باللغة الأردية مطبوع من دار الدعوة السلفية لاهور، باكستان. وللعلم فإن الشيخ -رحمه الله- ألف كتابه هذا قبل وفاته بسنة. انظر: إبقاء المنن ص 234.

(5) إبقاء المنن ص 84

(6) يقصد ترجيح مذهب على غيره من حيث العموم.

(7) إبقاء المنن ص 87

ويقول تحت عنوان: (راه اعتدال) أي: منهج الاعتدال: " أختار لنفسي اتباع الدليل، فإذا كان المذهب صحيحاً قوياً -نظراً للدليل- أختاره، سواءً كان مذهب الحنفية أو الشافعية أو المالكية أو الحنابلة، ولا أرفض مذهباً بمجرد التعصّب كما لا آخذ بمذهبٍ بمجرد التشهّي.

فعلى سبيل المثال: مذهب المالكية أقوى في مسألة المياه، ومذهب الحنفية أصح في صيغ التشهد، ومذهب الإمام أحمد أقوى في مسألة الصفات، ولهذا اخترتها.

ثم يقول: فعلى هذا، لو سمّيت نفسي حنفياً أو شافعياً أو مالكياً أو حنبلياً لم يكن كذباً، ولو قلت أنا سني لكان صحيحاً، ولو نسبت نفسي إلى الأئمة الأربعة أو غيرهم من المجتهدين باعتباري محباً وخادماً لهم لكان صحيحاً أيضاً. ومعظم نسبة أئمة العلم إلى سلف الأمة من هذا القبيل.(1)

وبعد هذا الوضوح وتصريحات المترجم بنفسه لم يبق مجال للشك والتردّد في مذهبه، فهو متبع للدليل، متمسك بما هو أقوى عنده دون ترجيح مذهب على غيره تقليداً و تعصّباً و عناداً من غير دليل.

ويجدر بالذكر هنا ما نقل من تبرئة الشيخ القنوجي من الوهابية أو تصريحه بعدم الانتماء إليها، فقد قال في كتابه إبقاء المنن: نظراً لما تروّج من اتهام الناس بالوهابية، فقد اتهمتُ بها أنا أيضاً، واعتبرت جريمة عظيمة رفعت شكواها إلى الحكام، في حين أنه ليست لي أية علاقة تتلمذ -كابراً عن كابرٍ، أباً عن جدٍ- بمؤسس هذه الحركة ولا أردت ذلك أبداً.

لقد سمعتُ أنه حنبلي المذهب، ومؤلفاته غير متداولة في هذا البلد، وقد اطلعتُ على كتاب التوحيد له الذي يحتوي على آيات و أحاديث من الكتب الستة، وليس فيه ذكر للجهاد والقتال، ولا ذكر القيل والقال، وأنا أعرف الآيات والأحاديث في موضوع التوحيد أكثر مما ذكر، فما معنى تقليده إذاً؟(2)

واستطرد المترجم بعده في هذه المسألة، وأجاب عن هذا الاتهام بالتفصيل كما ذكر رأيه في مؤسس الوهابية في كتابه المشهور (أبجد العلوم) قائلاً: اختلف اعتقاد الناس فيه: فمنهم من أثني عليه في كل ما قاله وانتصر له..... ومنهم من أساء الظن به و كفّره وبدّعه... ومنهم من سلك سبيل الإنصاف فقبل من أقواله ما كان صواباً ورد ما خالف منها سنة و كتاباً،وهو الصواب.(3)

---

(1) المرجع نفسه ص 88-8

(2) انظر: إبقاء المنن ص 259

(3) انظر: أبجد العلوم 200/3

ويتضح مما سبق أن الشيخ القنوجي لم يكن يتبع الوهابية، بل أعلن عدم انتمائه إليها، ولكنه سلك سبيل الانصاف تجاههم، ولعل السبب في ذلك ما ذكره ابنه في (مآثر صديقي) من أن كلمة الوهابي كانت –حينئذ- مرادفةً لكلمة الباغي على الحكومة الإنجليزية، ولذا فإن الحكومة اتهمت كل من خالفها أو أعلن الجهاد ضدها بالوهابي الذي بغى عليها؛(1) ولأن الوهابية كانت فرقة منفورة آنذاك لاصطدامها بالخلافة التركية العثمانية، وإن كانت لها آراء وأفكار مشتركة بينها وبين أهل الحديث الذين لا يلتزمون بتقليد المذاهب الأربعة.

ومن هنا أعلن الشيخ القنوجي برائته من الوهابية مع كونه يوافقهم في كثير من آرائهم الفقهية والعقدية، ولكنه لم يكن موافقاً معهم في مسائل أخرى منها ضرورة الجهاد ضد الحكومة الإنجليزية، مثل غيره من علماء شبه القارة الهندية الذين لم يكونوا يلتزمون بتقليد أئمة المذاهب الفقهية الأربعة حيث كانوا يفضلون الانتماء إلى أهل الحديث بدل انتمائهم إلى الوهابية.(2)

أما ما يتعلق برأيه في الجهاد ضد الحكومة الإنجليزية فسنتطرق إليها في موضعه إن شاء الله.(3)

المبحث السادس

حياته العلمية والاجتماعية

المطلب الأول: حياته العلمية

نشأ صديق حسن خان منذ صباه بين أسرة طيبة محبة للعلم، ومات أبوه فتركه صغيراً يتيماً لكن أمه وأخاه عنيا به عناية كبيرة وحرصا على تعليمه الدين واللغة منذ الصغر.

ولمّا كبر وترعرع عكف على دراسة مختلف العلوم والفنون على مشاهير علماء عصره، حيث نزل ببلدة كانفور، فقرأ هناك من أوائل الفنون، ثم سافر إلى دهلي وقرأ قراءة منتظمة درساً درساً، وحصل على إجازة التحصيل وهو في الحادية والعشرين من عمره. (4)

وارتحل بعد ذلك إلى بهوبال فقرأ في تلك الفرصة نبذة صالحة من كتب الحديث كما قرأ مؤلفات الإمام ابن تيمية و تلميذه ابن القيم –رحمهما الله تعالى-.(5)

---

(1) انظر: المسلمون في الهند لأبي الحسن الندوي ص 188

(2) للتفصيل في هذه المسألة راجع: مآثر صديقي 4/140-163

(3) انظر صفحة: 52 وما بعدها

(4) انظر: الحطة في ذكر الصحاح الستة ص 173-174، والتاج المكلّل ص 541

(5) انظر: الحطة في ذكر الصحاح الستة ص 474-479، وقد ذكرنا بالتفصيل رحلاته العلمية فيما سبق ص 24

لقد جمع الشيخ صديق حسن خان –رحمه الله- في اكتسابه للعلم بين الأخذ عن الشيوخ والأخذ عن الكتب في مختلف العلوم، فلم يترك علماً من العلوم إلا وطالعه، ولا فناً من الفنون إلا ومرّ عليه، وهذا واضح في تنوع مؤلفاته حيث يخبرنا عن اكتسابه العلم بمطالعته فقال: " ثم طالع بفرط شوقه وصحيح ذوقه كتباً كثيرة و دواوين شتى في العلوم المتعددة، والفنون المتنوعة ومرّ عليها مروراً بالغة على اختلاف أنحائها، وأتى عليها بصميم همته وعظيم نهمته بأكمل ما يكون حتى حصل منها على فوائد كثيرة وعوائد أثيرة، أغنته عن الاستفادة عن أبناء الزمان، وأقنعته عن مذاكرة فضلاء البلدان.

وجمع بعونه تعالى وحسن توفيقه ولطف تيسيره من نفائس العلوم والكتب ومواد التفسير والحديث وأسبابها ما يعسر عده ويطول حده.

وأوعى من ضروب الفضائل العلمية والتحقيقات النفسية ما قصرت عنه أيدي أبناء الزمان ويعجز دون بيانه ترجمان اليراع عن إبراز هذا الشأن ولله الحمد على ما يكون وعلى ما كان.(1)

و اشتغل حياته بعدها بالتأليف والتحقيق، فكان –رحمه الله- كثير التأليف سريع الكتابة حلو الخط، فلم يترك فناّ من فنون العلوم الشرعية واللغوية إلا وقد صنّف فيه تصنيفاً على ما سيأتي تفصيله في ذكر مؤلفاته.

قال صاحب نزهة الخواطر: "وكان مع اشتغاله بمهمات الدولة كثير الاشتغال بمطالعة الكتب وكتابة الصحف وجمع ما لا تنحصر بحدّ وعدّ. وله مصنفات كثيرة ومؤلفات شهيرة في التفسير والحديث والفقه والأصول والتاريخ والأدب قلما يتفق مثلها لأحد من العلماء، وكان سريع الكتابة حلو الخط، يكتب كراستين في مجلس واحد بخط خفي في ورق عال".(2)

وقال عن نفسه في التاج المكلّل: " درَّس قليلاً، وصنف كثيرًا، أحاط بالفنون المتداولة وغيرها من الشاذة الفاذة علمًا، وحصل منها على قسط أوفر، ونصيبٍ أجمع، ... وكنتُ كثير الاشتغال بمطالعة الكتب وكتابة الصحف من أيام كوني في المكتب، فطالعتُ كتبًا غزيرة، من كل فن ملائم، وعلم أجنبي، وحصلت منها على فوائد، وأولُ ما صنفت سنة 1270، ثم تتابعت التواليف ما بين مطوَّل منها ومختصر، عربيًا وفارسيًا، وطُبعت واشتُهرت. وحُبِّبَ إليَّ علمُ الأدب والعربية والشعر، والتاريخ والتصوف، ونفرَ الطبعُ عن معقولات الفن نفرةً زائدة، و اشتغلت بعلم الكتاب والسنة، شغلة لم تترك لغيرها موقعًا".(3)

---

(1) أبجد العلوم ص 726

(2) انظر: نزهة الخواطر 1248/8

(3) بتصرف من: التاج المكلّل ص 536-537

فقد قام –رحمه الله- بحقٍّ بما لا تقوم به مجامع علمية في أكثر الأحيان؛ لكثرة المؤلفات وضخامة الإنتاج، كما قال عنه العلامة أبو الحسن الندوي.(1)

المطلب الثاني: حياته الاجتماعية

لقد واجه الشيخ –رحمه الله- في حياته ظروفاً مختلفة وأحداثاً متنوعة فهي قاسية أول الأمر خاصة عند ما رحل عنه والده عام 1253هـ وبقي صغيرا في حجر أمه يتيماً، ولم يجد من بتكفل برعايته والقيام بأمره إلا أمه الكريمة التي اهتمت بتعليمه وتثقيفه وغرس معاني الحب والإخلاص فيه حتى نشأ عفيفا طاهراً في ظلال الإيمان والعقيدة والجدّ والكدّ.

ومن ملامح حياته الاجتماعية إقبال الزمان عليه حيناً، وإدباره عنه حيناً آخر، فأقبلت عليه النعم بعد رحلته الأولى إلى بهوبال سنة 1271هـ طلباً للاسترزاق إذ وظّف هناك براتب ثلاثين روبية شهرياً وتقدم خطوة عندما عيّن رئيساً لديوان الكتّاب براتب خمسين روبية، ثم غير حاله ولم يستطع البقاء في هذه الوظيفة لخلاف نشأ بينه وبين بعض العلماء في الإمارة، فرجع إلى موطنه الأصلي ليجد ضيق العيش يخيم على الأسرة الفقيرة كنتيجة لحالة الطوارئ التي أعلنت في البلد.(2)

ثم ابتسمت له الأقدار فاستدعته أميرة البهوبال السيدة سكندر بيگم(3) فأكرمته وحفت به وعيّنته في الديوان الأميري واستطاع بإخلاص للعمل وخدماته الجليله أن يحتل مكانة مرموقة في قلوب الشعب ورجال الحكم والبلاط الأميري فتقدم سريعاً إلى المناصب الكبيرة واستطاع أن يتولّى منصباً كبيراً في الحكم.(4) وهناك تزوج –رحمه الله- زواجه الأول سنة 1277هـ بابنة الشيخ جمال الدين(5) الموسومة (ذكية بيگم)،(1) عاش الشيخ معها عيشة هادئة هنيئة، ساعدته في أعماله

---

(1) المسلمون في الهند ص 53

(2) مقالة الدكتور محمد إجتباء الندوي بعنوان: (**حياة الأمير صديق حسن خان و مآثره**) بمجلة المجمع العلمي الهندي رقم 1-2 (1يونيو 1981م) ص 69-71.

(3) هي السيدة سكندر بيگم، ثامنة واليات بهوبال ولدت سنة 1233هـ و كانت معروفة بالذكاء منذ صغرها، وعقدت نكاحها بابن عمها النواب منير محمد خان، وولدت له السيدة شاه جهان بيگم (زوجة صديق حسن خان)، توفيت سنة 1883م. انظر: أعلام النساء لعمر رضا كحالة 2/200-202.

(4) مقالة الدكتور محمد إجتباء الندوي بعنوان: (**حياة الأمير صديق حسن خان و مآثره**) بمجلة المجمع العلمي الهندي رقم 1-2 (1يونيو 1981م) ص 81.

(5) هو الشيخ جمال الدين، من تلامذة الشيخ عبد العزيز الدهلوي وأخيه رفيع الدين الدهلوي، ولد سنة 1216هـ، تولّى منصب النائب الأول لإمارة بهوبال في عهد الأميرة سكندر بيكم عام 1263هـ، ألف الكوكب الدري في معاني القرآن الكريم، توفي سنة 1299هـ. انظر: مقالة الدكتور محمد إجتباء الندوي بعنوان: (حياة الأمير صديق حسن خان و مآثره) بمجلة المجمع العلمي الهندي رقم 1-2 (1يونيو 1981م) ص 78.

العلمية والحكومية، وكانت زوجة وفيّة.(2) ولما اعتلت الأميرة شاه جهان بيگم(3) سدة الحكم، و كانت أيماً تعرف شخصية صديق حسن وإخلاصه في عمله، و قد اقترحت عليها الحكومة الإنجليزية الزواج، لم تكن لتختار شخصاً آخر رفيقاً لدربها غير صديق حسن خان لما رأت فيه من العلم والفضل والجد والاجتهاد والعمل الدائب والحب و التقدير للحكم والإمارة فعرضت الأمر عليه، فقبلها زوجة له وشريكة لحياته وكان ذلك عام 1288هـ، ولم يكن لهما ذرية من هذا الزواج، بيد أن الشيخ –رحمه الله- كان سعيداً في حياته الاجتماعية مع زوجته الأميرة، إذ أقرأتها القرآن الكريم وشرح لها معانيه، وعلمها كتب الحديث الشريف وحقّق رغبتها في تصحيح الأنظمة الإدارية والتعليمية وكتابة عدد من المؤلفات التي تهتم بإصلاح الأمور الاجتماعية والسياسية في الإمارة.(4)

وهو يشيد بها كثيرا ويذكر فضلها وإحسانها إليه وإلى أولاده وقال عنها : " ولها من حسن الخلق ولطف الطبع وكرم الشيم ورفعة الهمة ومحاضرة الجواب والشجاعة، والود للعلماء والعاملين بالكتاب والسنة، وفصاحة اللسان وقوة الجنان وسرعة الإدراك مالا يعبّر عنه وصف ولا يأتي عليه حصر".(5)

فعاش الزوجان في سلام وحب يخدمان العلم ويديران الحكم والإمارة ويحاولان رفاهية الشعب وتطبيق الشريعة، ولقّب الشيخ صديق حسن خان بالنواب ومنح حق التعظيم في أرض الهند بطولها وعرضها وأعطي الامتيازات والممتلكات وحصل على الأوسمة الملكية والهدايا الرسمية وجلس مجلس الخلافة في الأمور الدولية وكان في أحسن حال ورخاء بال إذ دبرت عليه مؤامرات وحقد عليه كثير من الحساد من أهل البدع وأصحاب المناصب واتهموه بما بدا لهم من أنواع الاتهامات، منها تحريضه على الجهاد ونشر الوهابية وإلزام الملكة بالحجاب الشرعي(6) فمنع من التأليف والتصنيف وانتزعت الحكومة الإنجليزية منه ألقاب الإمارة وما يلازمها من إطلاق المدافع والتدخل في إدارة الحكومة عام 1302هـ وتنكرت له الوجوه وشمت به الأعداء وهو صابر محتسب، وزوجته

---

(1) هي السيدة ذكية بيگم، كبرى بنتي الشيخ جمال الدين، ينتهي نسبها إلى سيدنا أبي بكر الصديق -رضي الله عنه- درست اللغة العربية والقرآن الكريم، وأتقنت الفارسية والأردية. كانت الزوجة الأولى للشيخ صديق حسن خان وأم أولاده: نور الحسن وعلي حسن و صفية وحفصه، توفيت سنة 1301هـ انظر: إبقاء المنن ص 122-125

(2) انظر: إبقاء المنن ص 122-125

(3) مرّت ترجمتها في ص 21

(4) انظر: التاج المكلّل ص 532-533، وحسن الأسوة بما ثبت من الله ورسوله في النسوة للشيخ صديق حسن خان، تحقيق :د مصطفى الخن ومحي الدين مستو، مؤسسة الرسالة-بيروت، الطبعة الثانية:1401هـ ص 13-14

(5) التاج المكلّل ص 533

(6) ستأتي الأجوبة عن هذه الاتهامات في ص 53

أميرة البلاد ثابتة على الإخلاص والوداد والوفاء والاتحاد، تبذل جهدها في نفي هذه التهم وإزالة المحنة.(1)

و نجد الشيخ كثيراً ما يشتكي من حساده أيام رئاسته، وبغضائهم له على غير وجه، و وضع الأشواك في طريقه ... وتوجيههم السهام إليه، فيصبر على أذاهم ويكل أمرهم إلى الله تعالى قائلاً: "اللهم إن أعدائي بلغوا في عداوتهم لي غاية، وإن حسادي بالغوا في أذاي إلى نهاية وإني لا أقدر على دفعهم عنّي، ولا أهتدي إلى الصون منهم سبيلاً، وأنت تعلم عجزي وضعفي فكنت أنت الرقيب عليهم فعوّضني رغماً لأنوفهم جميلاً، واحفظني عن شرورهم بما تحفظ به عبادك الصالحين".(2) وتذكر أميرة بهوبال زوجة الشيخ –رحمه الله- أن سبب عداوة الحساد لها ولزوجها هو تمكّنها من تحقيق الأعمال الخالدة والأمجاد الناطقة التي ستبقى علماً على هذه الولاية بمساعدة الشيخ وجهوده المتميزة.(3)

و إن الله تعالى منحه الورع والتقوى وحسن السلوك مع الناس فكان لايعد نفسه إلا كأحد من الناس، و من أعظم ما منحه الله تعالى أن ألقى في قلبه محبة العلماء الربانينن والميل إلى معالي الأمور ولذلك كان يتطلع إلى أخبارهم ويتبرك بآثارهم.(4)

وكان لا يناظر أحداً، ولا يخاطب بشيء من الردّ لكون الناس مكابرين لا مناظرين وجاهلين لا عالمين.(5)

قال في إبقاء المنن: "منذ بداية طلبي للعلم إلى الآن،(6) وقد مرّ على عمري خمس وخمسون ربيعاً، في هذه المدة كلها، لم أناظر طالب علم، ولا عالماً، ولا درويشاً، ولم أباحثهم ولم أجادلهم ولم أكابرهم، كما لم أكتب في ردّ شخص بعينه كتاباً أو رسالة".(7)

وقد تخلّى الشيخ عما لا يحلّ له أخذه أو ما يشك فيه، دائم البشر، حلو المنطق، مقلاً من الكلام غير جاف ولا عبوس كثير الحلم قليل الغضب، عفيف اللسان لا يقترح لنفسه شيئاً مشغول الفكر بالمطالعة والتأليف.(8)

---

(1) إبقاء المنن ص 255-270

(2) التاج المكلّل ص 538

(3) مآثر صديقي ج 3 ص 189-192

(4) نزهة الخواطر 1249/8

(5) جلاء العينين ص 69

(6) وهي سنة 1306هـ أي قبل وفاته بسنة.

(7) إبقاء المنن ص 76

(8) نزهة الخواطر 1249/8

المبحث السابع

وظائفه، أعماله وإصلاحاته

قام الشيخ صديق حسن خان –رحمه الله- بتقليد عدد من المناصب المهمة في إمارة بهوبال، كما قام بإصلاحات كثيرة وخدمات جليلة و إنجازات عظيمة في المهام التي تولّى القيام بها، وفيما يلي أشير إلى أهم الوظائف والمناصب التي تقلّدها الشيخ –رحمه الله- بعد تخرّجه من الدراسة و مجيئه إلى إمارة بهوبال:

- عيّن في ديوان الأميرة الخاص براتب ثلاثين روبية سنة 1271هـ، ثم ارتفع إلى رتبة أعلى فازداد راتبه إلى 40 ومنها إلى 50 روبية، ثم ترك هذه الوظيفة سنة 1273هـ (1)
- تولّى وظيفة براتب خمسين روبية في إمارة تونك(2) سنة 1275هـ، ولكن الجوّ لم يلائمه فتركها بعد ثمانية أشهر وانتقل إلى بهوبال.(3)
- تعيينه في الديوان الأميري سنة 1276هـ كمرتب لتاريخ بهوبال، وذلك لما عرف عنه من كثرة قراءاته، و وفرة معلوماته، وذيوع صيته في العلم والأدب والإنشاء.(4)
- تعيينه بصفة مستشار شؤون التعليم، وكّل إليه هذا المنصب للقيام بتنظيم أمور التعليم و نموذجية العملية التعليمية في الإمارة، وذلك لشغفه الشديد بنشر العلوم الشرعية، و ملائمة هذا المنصب مع ميوله وعواطفه، وكان توليته لهذا المنصب قبل عقد الزواج بينه و بين الأميرة سنة 1286هـ.(5)
- توظيفه بصفة رئيس ديوان الكتّاب والإنشاء، و قيامه بترتيب وتهذيب دستور إمارة بهوبال سنة

---

(1) مقالة الدكتور محمد إجتباء الندوي بعنوان: (حياة الأمير صديق حسن خان و مآثره) بمجلة المجمع العلمي الهندي رقم 1-2 (1يونيو 1981م) ص 71.

(2) إمارة تونك و بالإنجليزية (TONK)، وكانت ولاية أميرية في الهند عندما كانت تحت الحكم البريطاني، وتقع في شمال غرب الهند، وهي اليوم جزء من ولاية راجستان، وكانت عاصمة للدولة تحكمها أسرة حاكمة من المسلمين. انظر: ويكيبيديا (الموسوعة الحرة) الرابط التالي:

https://ar.wikipedia.org/wiki/%D%8A%5D%85%9D%8A%7D%8B%1D%8A9_%D%8AA%D%88%9D%86%9D83%9

(3) مآثر صديقي 40/1، و مقالة الدكتور محمد إجتباء الندوي بعنوان: (حياة الأمير صديق حسن خان و مآثره) بمجلة المجمع العلمي الهندي رقم 1-2 (1يونيو 1981م) ص 76.

(4) مآثر صديقي 42/2 و مقالة الدكتور محمد إجتباء الندوي بعنوان: (حياة الأمير صديق حسن خان و مآثره) بمجلة المجمع العلمي الهندي رقم 1-2 (1يونيو 1981م) ص 76.

(5) مآثر صديقي 81/2 وانظر: رسالة جامعية بعنوان: (السيد صديق حسن القنوجي آراؤه الاعتقادية وموقفه من عقيدة السلف) رسالة دكتوراه من جامعة أم القرى كلية الدعوة وأصول الدين، للباحث: أختر جمال محمد لقمان، عام: 1407-1408هـ 46/1

1287هـ.(1)

• تعيينه بصفة معتمد المهام رئيس والوزراء والنائب للرياسة، وهذا من أكبر المناصب التي حاز عليها الشيخ، فكان نائباً عن الملكة ومستشاراً خاصاً لها في جميع أمور الدولة، وذلك سنة 1288هـ. (2) وقد وظّف الشيخ –رحمه الله- هذه المناصب كلها لنشر العلوم الشرعية واللغة العربية، والاهتمام بطبع الكتب وتعميم الثقافة الإسلامية، فأصبح محطّ نظر لعلماء عصره وأدباء وقته.

وأما إصلاحاته العلمية والإدارية والاجتماعية فقد تنوعت وكثرت، ذكرها نجله في كتابه (مآثر صديقي) بالتفصيل في الجزء الثالث ومنها:

1. نشر الكتب وتوزيعها، مثل فتح الباري لابن حجر و تفسير ابن كثير ونيل الأوطار للشوكاني وغيرها.
2. تشجيعه العلماء وطلاب العلم على حفظ السنة النبوية وتأليف الكتب العلمية و تحفيزهم بالجوائز القيمة.
3. تأسيس المجلس العلمي، حيث اشتمل على كبار العلماء من الهند وخارجها، وعيّن بعضهم على الشؤون الدينية كالقضاء والإفتاء والتأليف والتحقيق وغيرها.
4. تأسيس المدارس والمعاهد العلمية، فقد بلغ عددها في عهده إحدى وثمانين مدرسة منها:

ألف: المدرسة البلقيسية ب: المدرسة السليمانية ج: المدرسة الجهانغيرية

د: المدرسة الصديقية هـ: مدرسة فكتوريا و: مدرسة برنس (ولي العهد)

والمدرستان الأخيرتان كانتا مختصة بالصناعات والحرف.

5. بناء المكتبات: ومنها:

ألف: مكتبة فيض عام ب: المكتبة الجهانغيرية

ج: مكتبة الرئاسة د: مكتبة القنوجي

6. المطابع: ومن المطابع المهمة في عهده:

ألف: المطبعة السكندرية ب: المطبعة الشاهجهانية

ج: المطبعة السلطانية د: المطبعة الصديقية

ومن الإصلاحات الهامة التي بدأت في عهده:

1. مجلس الشورى

---

(1) مآثر صديقي 81/2، ونزهة الخواطر 8/ 1248

(2) حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر للشيخ عبد الرزاق بن حسن بن إبراهيم البيطار الميداني الدمشقي تحقيق: محمد بهجة البيطار ، دار صادر، بيروت، الطبعة: الثانية، 1413 هـ ص 745.

2. المحكمة القضائية و دار الإفتاء
3. الحسبة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
4. محاولة القضاء على إدمان الخمر والرقص والغناء والقمار
5. القضاء على الربا
6. تقرير عطلة الجمعة والعيدين والثلث الأخير من رمضان للمعتكفين خاصة.
7. الحث على نكاح الأرامل.
8. الكف عن مزاولة المسجونين أي عمل شاق يوم الجمعة وشهر رمضان.
9. القضاء على غلاء المهور
10. إلزام الحجاب الشرعي على النساء ومنعهن من الخروج سافرات.
11. إلغاء البغاء و حرفة الزنا إلغاء مبرماً، وتحرير البغايا ممن يستغلونهن.
12. سدّ أبواب الرشوة والخيانة.
13. رفع الضرائب الثقيلة الجائرة.
14. تنظيم نظام الزكاة طبقاً للشريعة الإسلامية.
15. إصلاح نظام الشرطة
16. تنظيم جيش الإمارة
17. تنظيم إدارة المساجد وتشييدها في العاصمة والمدن والقرى
18. نشر الوعي الإسلامي والتوعية الفكرية والأخلاقية
19. إنشاء مصلحة للبناء والتشييد للمباني الحكومية والمساكن الشعبية.
20. تحديد الأراضي وتوزيعها بين الفلاحين كما يستحقونها، وتحديد الإقطاعية وإعادتها إلى أصحابها الشرعيين.(1)

إنها بعض إصلاحات الشيخ –رحمه الله- العلمية والإدارية والاجتماعية والدينية في إمارة بهوبال المحروسة، وقد أثمرت ثمارها وتحولت إمارة بهوبال بفضل الله تعالى ثم بمساعي الشيخ –رحمه الله- إلى مركز للعلم ونموذج رائع للحضارة الإسلامية القيمة.

---

(1) انظر: مآثر صديقي 3/ من 50- 201، وانظر أيضاً: رسالة جامعية بعنوان: (السيد صديق حسن القنوجي آراؤه الاعتقادية وموقفه من عقيدة السلف) رسالة دكتوراه من جامعة أم القرى كلية الدعوة وأصول الدين، للباحث: أختر جمال محمد لقمان، عام: 1407-1408هـ 1/39-53، و مقالة بعنوان: الأمير صديق حسن خان، حياته وخدماته) للدكتور السيد محمد إجتباء الندوي في مجلة ثقافة الهند التابعة للمجلس الهندي للعلاقات الثقافية نيودهلي- الهند، المجلد 52 العدد 2 عام (2001م) ص 33-35.

المبحث الثامن

مؤلفاته وآثاره

عرفنا فيما سبق أنه لم يكن همّ الشيخ –رحمه الله- إلا التأليف والتحقيق، فقد كان شغوفاً بالمطالعة والقراءة والتأليف والعلم، وكان يقضي جلّ أوقاته في هذه الميادين، فألّف وكتب في كثير من العلوم باللغات الثلاث: العربية والفارسية و الهندية (الأردوية)، وله يد طولى في كل من هذه اللغات، حتى بلغت مؤلفاته مائتين واثنين وعشرين مؤلفاً منها ستة وخمسون (56) كتاباً باللغة العربية فقط، ومنها كتب كبار ذات قيمة علمية، كتفسيره فتح البيان في مقاصد القرآن في عشرة مجلدات كبار، وأبجد العلوم والتاج المكلّل وغيرها، وإذا ضمّت إليه الرسائل الصغيرة بلغت إلى ثلاث مائة مؤلف،(1) وفيما يلي عرض لأهم هذه المؤلفات:

أولاً: التفسير وعلومه

اسم الكتاب	لغة الكتابة
1. إفادة الشيوخ بمقدار الناسخ والمنسوخ	(فارسي)
2. الإكسير في أصول التفسير	(فارسي)
3. تذكير الكلّ بتفسير الفاتحة و أربع قل	(أردو)
4. ترجمان القرآن بلطائف البيان	(أردو)
5. فتح البيان في مقاصد القرآن	(عربي)(2)
6. فصل الخطاب في فضائل الكتاب	(أردو)
7. نيل المرام من تفسير آيات الأحكام	(عربي)

ثانياً: الحديث وعلومه

8. الإدراك بتخريج أحاديث رد الإشراك	(عربي)
9. الإذاعة لما كان وما يكون بين الساعة	(عربي)

(1) انظر: ملحق بقائمة مؤلفاته في آخر المجلد الرابع من كتاب نجله (مآثر صديقي)، وقد ذكر المترجم أيضاً جملة كبيرة من مؤلفاته في بعض كتبه كـ (أبجد العلوم ص 727-730) وغيرها، وانظر أيضاً: المسلمون في الهند للندوي ص 53، وشخصيات وكتب أثرت في حياتي له أيضاً ص 240.

(2) و سيأتي التعريف به مفصلاً في المبحث التالي.

10. أربعون حديثاً في فضائل الحج والعمرة (عربي)
11. إكليل الكرامة في تبيان مقاصد الإمامة (عربي)
12. بغية القاري في ثلاثيات البخاري (أردو)
13. بلوغ السول من أقضية الرسول -صلى الله عليه وسلم- (عربي)
14. تميمة الصبي بشرح الأربعين من أحاديث النبي (أردو)
15. توفيق الباري لترجمة الأدب المفرد من صحيح البخاري (أردو)
16. الحرز المكنون من لفظ المعصوم المأمون (عربي)
17. حسن الأسوة بما ثبت من الله ورسوله في النسوة (عربي)
18. الحطة بذكر الصحاح الستة (عربي)
19. الرحمة المهداة إلى من يريد زيادة العلم على أحاديث المشكاة (عربي)
20. الروض البسام من ترجمة بلوغ المرام ومؤلفه الإمام (عربي)
21. السراج الوهاج في كشف مطالب صحيح مسلم بن الحجاج (عربي)
22. سلسلة العسجد في ذكر مشائخ السند (فارسي)
23. العبرة بما جاء في الغزو والشهادة والهجرة (عربي)
24. عون الباري لحل أدلة البخاري (عربي)
25. عين اليقين ترجمة الأربعين للغزالي (أردو)
26. فتح العلام شرح بلوغ المرام (عربي)
27. مسك الختام شرح بلوغ المرام (فارسي)
28. منهج الوصول إلى اصطلاح أحاديث الرسول (فارسي)
29. موائد العوائد من عيون الأخبار والفوائد (عربي)
30. نزل الأبرار بالعلم المأثور من الأدعية والأذكار (عربي)

ثالثاً: العقيدة وعلم الكلام والسلوك والتزكية

31. الاحتواء على مسألة الاستواء (أردو)
32. الانتقاد الرجيح بشرح الاعتقاد الصحيح (عربي)
33. بذل المنفعة لإيضاح الأركان الأربعة (أردو)

34. بغية الرائد في شرح العقائد (فارسي)
35. الجوائز والصلات من جمع الأسامي والصفات (عربي)
36. حضرات التجلي من نفحات التحلي والتخلي (عربي)
37. حظيرة القدس و ذخيرة الأنس (فارسي)
38. خيبة الأكوان في افتراق الأمم على المذاهب والأديان (عربي)
39. الدر المنضود في ذكر المهدي الموعود (أردو)
40. الدين الخالص (عربي)
41. زيادة الإيمان بأعمال الجنان (أردو)
42. الغنة ببشارة الجنة لأهل السنة (عربي)
43. قصد السبيل إلى ذم الكلام والتأويل (عربي)
44. قضية المقدور على فتنة القبور (أردو)
45. قطف الثمر في بيان عقيدة أهل الأثر (عربي)
46. كشف الغمة عن افتراق الأمة (أردو)
47. كلمة الحق (فارسي)
48. مثير ساكن الغرام إلى روضات دار السلام (عربي)
49. المعتقد المعتمد (أردو)
50. يقظة أولي الاعتبار من ذكر النار وأصحاب النار (عربي)

رابعاً: الفقه وأصوله

51. الاقليد لأدلة الاجتهاد والتقليد (عربي)
52. إيضاح المحجة للعمرة والحجة (أردو)
53. تخريج الوصايا من خبايا الزوايا (عربي)
54. جلب المنفعة في الذب عن الأئمة الأربعة (فارسي)
55. الجُنّة في الأسوة الحسنة بالسنة (عربي)
56. حصول المأمول من علم الأصول (عربي)
57. ذخر المحتي من آداب المفتي (عربي)

58. الروضة الندية شرح الدرر البهية (عربي)
59. السيف المسلول على من سبّ الرسول (أردو)
60. ظفر اللاضي فيما يجب في القضاء على القاضي (عربي)
61. فتاوى إمام المتقين (فارسي)
62. فتح المغيث بفقه الحديث (أردو)
63. قضاء الأرب في تحقيق مسألة النسب أهو من جهة الأم أو الأب (عربي)
64. هداية السائل إلى أدلة المسائل (فارسي)
65. وسيلة النجاة لأداء الصلاة والصوم والحج والزكاة (أردو)

خامساً: الأدب و اللغة وعلومها

66. برد الأكباد شرح قصيدة بانت سعاد (فارسي)
67. البلغة في أصول اللغة (عربي)
68. تصريف الرياح شرح مرح الأرواح (فارسي)
69. ديوان كل رعنا (فارسي)
70. صافية شرح كافية (فارسي)
71. العلم الخفاق من علم الاشتقاق (عربي)
72. غاية البيان (أردو)
73. غصن البان المورق بمحسنات البيان (عربي)
74. قسطاس الأذهان شرح الميزان (أردو)
75. الكلمة العنبرية في مدح خير البرية قصيدة عربية من (70) بيتاً في مدح الرسول -صلى الله عليه وسلم-
76. لف القماط على تصحيح بعض ما استعمله العامة من المعرّب والدخيل والأغلاط (عربي)
77. مراتع الغزلان من تذكار أدباء الزمان (عربي)
78. معجب نحو المغرب (أردو)
79. الموعظة الحسنة بما يخطب به في شهور السنة (عربي)
80. نشوة السكران من صهباء تذكار الغزلان (عربي)
81. نفح الطيب من ذكر المنزل والحبيب (فارسي)

سادساً: التاريخ والتراجم

82. أبجد العلوم (عربي)
83. إبقاء المنن بإلقاء المحن (أردو)
84. إتحاف النبلاء المتقين بإحياء مآثر الفقهاء المحدثين (فارسي)
85. التاج المكلل من جواهر مآثر الطراز الآخر والأول (عربي)
86. ترجمان الوهابية (أردو)
87. تشريف البشر بذكر الأئمة الاثني عشر (أردو)
88. تكريم المؤمنين بتقديم مناقب الخلفاء الراشدين (أردو)
89. رحلة الصديق إلى البيت العتيق (عربي)
90. رياض الجنة في تراجم أهل السنة (عربي)
91. الفرع النامي عن الأصل السامي (فارسي)
92. لقطة العجلان مما تمس إلى معرفته حاجة الإنسان (عربي)

سابعاً: الأخلاق والآداب

93. اختيار السعادة بإيثار العلم على العبادة (أردو)
94. إدامة السكر بإقامة الصبر والشكر (أردو)
95. إعلام البشر بوجوه الخير والشر (أردو)
96. إيقاظ النيام لصلة الأرحام (أردو)
97. تحريم الخمر والزنا واللواط والمعازف والعشق (أردو)
98. تعليم الذكر والدعاء (أردو)
99. حث الإنسان على ما يوجب دخول الجنان (أردو)
100. دواء القلب القاسي بتذكير الموت الناسي (أردو)

هذه أبرز مؤلفات الشيخ -رحمه الله- و ما تركتها أكثر، فهي في جملتها كتب نافعة و رسائل علمية قيّمة، ولا شك أن هذا العدد الهائل من المؤلفات تستحقّ الإشادة والتنويه، فقد أظهرت شخصيته و مدى تمكّنه من الكتابة وبراعته في التحرير وحسن التأليف والترتيب، وحظيت

مؤلفاته -وبالتحديد العربية منها- بالقبول والإعجاب لدى القراء، وسارت بها الركبان، وانتشرت في البلدان، و أكبّ عليها العلماء في كل زمان وقرظها لفيف من أهل العلم والأدب.(1)

و مما تجدر الإشارة إليه أن بعض الحساد والجهلة انتقدوه و ألصقوا به ما هو منه بريء كبراءة الذئب من دم يوسف، ومن هؤلاء (فان دك)(2) المسيحي المنصر، الذي ادعى أن الشيخ القنوجي ليس من أصحاب العلم بل تأليفاته كلها سرقات علمية –على الاصطلاح المعاصر- فيقول الهالك فندك في كتابه: اكتفاء القنوع بما هو مطبوع:

"أصله من عوام الناس إلا أنه توصل إلى ملكة بهوبال في إقليم الدكان (الدكن) في الهند وتزوج بها وتسمى نائباً عنها. فعند ما اغتنى بالمال جمع إليه العلماء وأرسل فابتاع الكتب خط اليد من كل جهة. وجمع مكتبة كبيرة وكلف من حوله من العلماء بالتأليف ثم أخذ مصنفاتهم ونسبها لنفسه بل كان يختار الكتب القديمة التي لم تكن منها سوى النسخة الواحدة ويغير العنوان ويبدله باسم آخر ويضع على الصحيفة الأولى اسمه مع ألقاب الفخر...".(3)

وهذا الكلام إنما صدر عن جهل بمؤلفات الشيخ القنوجي وحياته، فإن من قرأ مؤلفاته أدرك أن نفسه فيها واحد، و من عرفه عن كثب عرف أنه كان سريع الكتابة وحسن التعبير.

وقد كفانا الرد على فان دك العلامة الكتاني(4) حيث قال في فهرس الفهارس:

"وما لبعض المسيحيين في كتاب له اسمه " اكتفاء القنوع بما هو مطبوع " من أن المترجم كان عامياً وتزوج بملكة بوهبال فعندما اعتز بالمال جمع إليه العلماء وأرسل يبتاع الكتب بخط اليد

---

(1) انظر: رسالة جامعية بعنوان: (**الأمير صديق حسن خان وجهوده في الأدب العربي**) رسالة ماجستير للطالب سعد الله المحمدي، من كلية اللغة العربية بالجامعة الإسلامية العالمية بإسلام آباد، باكستان، عام 1421هـ، ص 48-83، فقد رتّب مؤلفات الشيخ ترتيباً حسناً، وحقّق في نسبتها إلى الشيخ تحقيقاً جيداً، وانظر أيضاً: رسالة جامعية بعنوان: (**السيد صديق حسن القنوجي آراؤه الاعتقادية وموقفه من عقيدة السلف**) رسالة دكتوراه من جامعة أم القرى كلية الدعوة وأصول الدين، للباحث: أختر جمال محمد لقمان، عام: 1407-1408هـ 1/70-82

(2) هو ادوارد كرنيليوس فان دك (Cornelius Van Dyck) هولندي الأصل أميركي المولد، ولد في نيويورك سنة 1233هـ تعلم الطب ثم أرسل للتبشير الديني إلى بيروت وحذق العربية، كما حفظ كثيرا من أشعارها ومفرداتها وتاريخها. ويعد من مؤسسي الكلية الأمريكية في بيروت، توفي في بيروت سنة 1313هـ الموافق 1895م. من مؤلفاته: اكتفاء القنوع بما هو مطبوع، المرآة الوضية في الكرة الأرضية، النقش في الحجر، الأصول الهندسية، أصول الكيماء وتاريخ الأطباء وغيرها. انظر: الأعلام للزركلي 5/223.

(3) اكتفاء القنوع بما هو مطبوع لفندك، تصحيح: محمد علي الببلاوي، مطبعة التأليف (الهلال)، مصر.1313هـ 1896م. ص 497

(4) مضت ترجمته في ص 32

وكلف العلماء بوضع المؤلفات ثم نسبها لنفسه، بل كان يختار الكتب القديمة العديمة الوجود وينسبها لنفسه ... الخ، فكلام أعدائه فيه، وإلا فالتآليف تآليفه ونفسه فيها متحد".(1)

المبحث التاسع

محنته وابتلاءاته

لم يسلم الشيخ –رحمه الله- كدأب الصالحين قبله من المحن والابتلاءات والتهم التي وجهت إليه من قبل حسّاده وأعداءه، فقد كان –رحمه الله- بحكم مكانته العلمية والسياسية التي احتلها، امتاز من بين أبناء زمانه وأقرانه، ولذا صار غرضاً ومرمىً للحاسدين و أصحاب الأهواء والبدع والخرافات، ولم يألوا جهداً في إيذائه والطعن فيه وفي عقيدته ومذهبه.

فأول المحن والابتلاءات التي ابتلي به الشيخ –رحمه الله- هو اليُتْم، فقد فَقَدَ والده وهو في الخامسة من عمره،(2) حيث لم يكن يتذكر صورته ولا سيرته، ثم تكابد مصاعب طلب العلم مدة، ثم ابتلي بفقد أخيه الأكبر الذي كان يعول الأسرة فتحولت أعباء الأسرة إلى عاتقه و أحيط به افتقار المعيشة و عانى المشقة والعناء في سبيل طلب المعيشة والاسترزاق.

ولما تزوج الشيخ –رحمه الله- من الملكة و ولي سدة الحكم واعترفت له الحكومة البريطانية بحق التعظيم في ربوع الهند بإطلاق المدافع سبع عشرة طلقة وخلعت عليه الخلغ الفاخرة، وبعد تنفيذ مخططاته العلمية و مشاريعه الإصلاحية و نشر صيته في العالم، بدأت الدسائس والإفتراءات والمكائد تحاك ضدّه من قبل الحسدة والمنافسين والمخالفين، فلم يجدوا أي فرصة للتنكيل به إلا انتهزوها، حتى هدّدوه بالقتل وأشاعوا الأكاذيب عليه في الجرائد وألقوا في طعام الزوجين سمّاً، لكن الله تعالى عصمهما من شرّهم، كما أطعموا زوجته الملكة أدوية العقم كي لا تلد منه.(3)

ولم يكتف الحاسدون على هذا فقط، بل اتهموه ببعض التهم في السياسية والحكومة كي يثير عليه غضب الحكومة البريطانية و تنحّيه عن الحكم والمنصب، فنجحوا في تلك المؤامرات والدسائس بمساعدة الإنجليز، حيث لم يحلو للمستعمرين أيضاً أن يتركوا هذا المصلح مدة طويلة في منصبه فقد تحالفت شكاوي الحاسدين و مكائد المخالفين مع رغبات المستعمر الصليبي فاتهمه وكيل الحكومة الإنجليزية بعدة تُهَم(4) تسبّبت في تنحّيه عن الإمارة، فنجحوا

(1) فهرس الفهارس للعلامة عبد الحي الكتاني، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، 1982م. 1058/2.

(2) إبقاء المنن ص 218

(3) انظر: السيد صديق حسن القنوجي و آراؤه الاعتقادية و موقفه من عقيدة السلف 32/1-33

(4) و من التهم التي وجهت إليه:

- أنه حرض في بعض مؤلفاته على الجهاد.
- أنه مشمر عن ساق الجد والاجتهاد في نشر المذهب الوهابي في الهند، وهو مذهب اتهم أصحابه بالخروج على الحكومة الإنجليزية، وعرفوا بنزعتهم إلى الجهاد.
- أنه ألزم شاهجهان بيگم ملكة بهوبال الحجاب الشرعي ليستبد بأمور الحكومة ويطلق يده فيها. وغير ذلك من التهم. انظر: نزهة الخواطر 1248/8

وهذه التهم لا تخلو من أمرين: الأول: أنها حقيقة واقعة كحثّه على الجهاد ونشر العقيدة الصحيحة و إلزامه الملكة الحجاب الشرعي، وهذه تعدّ في الحقيقة مناقب للشيخ لا تُهَم. والثاني: أنها تهم مكذوبة ومفتراة عليه كاستبداده بأمور الدولة، وحجز الأملاك وبذور النفاق بين الملكة وابنتها، فهي تهم لا حقيقة لها أصلاً. انظر: السيد صديق حسن القنوجي آراؤه الاعتقادية و موقفه من عقيدة السلف 33/1-35 و دعوة الشيخ صديق حسن خان واحتسابه ص 63-64.

و أود أن أسلط الضوء على رأيه في مسألة الجهاد ضد الحكومة البريطانية وموقفه منها لما لها من أهمية بالغة ولكونها محل نقاش محتدم بين المهتمين بمثل هذه القضايا، فأقول:

- مما لاشك فيه أن الشيخ القنوجي –باعتباره تقيّده بالشريعة الإسلامية وكونه عالماً من كبار علماء المسلمين- يعتقد بفرضية الجهاد الثابت في القرآن الكريم والسنة النبوية، ولقد بيّن ذلك في غير واحد من كتبه. منها: العبرة بما جاء في الغزو والشهادة والهجرة للشيخ القنوجي، تحقيق: أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العليمة بيروت لبنان، الطبعة الأولى 1405هـ 1985م. ص 179.
- يرى الشيخ القنوجي عدم جواز الجهاد في الأحوال التالية:

ألف: عند كون المسلمين رعايا لغير المسلمين.

ب: عند ما يعيش المسلمون تحت سيطرة الكفار في أمن ورخاء.

ج: عند ما يكون أولاد المسلمين و أموالهم تحت صيانة غير المسلمين.

د: عند ما يكون بين المسلمين وبين الكفار عهد وميثاق.

هـ: عند عدم توفر العدد والعتاد الكافي لمقاتلة الكفار، أو بعبارة أخرى: عدم التكافؤ بين القوتين.

و: عند عدم تدخل الكفار في الشعائر الدينية كمنع المسلمين من تعمير المساجد والصلاة والصيام والأذان وغيرها؛ لأن الإسلام منع من الإغارة على قرية توجد فيها المساجد ويسمع فيها الأذان، ويسمح فيها بممارسة الشعائر الإسلامية.

ز: عند عدم وجود أمير للمسلمين يأمرهم بالخروج إلى الجهاد.

وعلى هذا، فإن الشروط السابقة كانت منتفية في عصر القنوجي فلا جواز للجهاد إذاً ضد الحكومة البريطانية، وفيما يلي أسرد لك نص كلام القنوجي في المسألة:

قال القنوجي في كتابه موائد العوائد (بالفارسية): اختلف أهل العلم في الهند بعد الاحتلال البريطاني، هل بقي داراً للإسلام أم تحوّل إلى دار الحرب؟ وفتوى الحنفية على أنها دار إسلام، فلا جهاد إذاً، بل يعتبر معصية وكبيرة من الكبائر.

وعند البعض (مثل علماء دهلي) يعتبر دار حرب، فلا يجوز الجهاد فيها أيضاً لأحد ضد أحد –سواء كان من حكام الإنجليز أو غيره-؛ لأنه يشترط في الجهاد أن يخرج المسلم من دار الحرب ويهاجر إلى دار الإسلام ومنها يهاجم على دار الحرب، أما البقاء في دار الحرب والجهاد منها فلم يذهب إليه أحد من المسلمين لا في القديم ولا في الجديد.

إضافة إلى ذلك فإن مبايعة الأمير أول شرط للجهاد، وينبغي أن يكون الأمير متصفاً بصفات الإمامةعلى أكمل وجه، ويستحسنه أهل الحل والعقد ويعترف بإمارته العلماء وأصحاب الرأي والعقل، ثم لا يدعي الإمارة أحد بعده وإلا يعتبر ذلك بغياً.

وكل هذه الشروط كانت مفقودة في زمن الغدر وهي غير موجودة حتى الآن. انتهى. انظر: مآثر صديقي 130/3-140، نقلاً عن موائد العوائد ص 34

جميعاً في عزل الشيخ عن منصبه و حكمه و مصادرة ألقاب التعظيم والتشريف عنه و انتزاع كافة سلطاته وإلغاء إطلاق المدافع التشريفية، وكان ذلك في الرابع عشر من ذي القعدة سنة 1302هـ ثم منع في العام القابل من التدخل فى إدارة الحكومة ونظمها، حتى تنكرت له الوجوه، وشمت به الأعداء وهو صابر محتسب، وزوجته أميرة البلاد ثابتة على الإخلاص والوداد، والوفاء والاتحاد، تبذل جهدها في نفي التهم، وإزالة المحنة.(1) فكان –رحمه الله- على هذه الحالة إلى أن لقي ربه -جلا وعلا-.

المبحث العاشر

وفاته ودفنه

عاش المترجم أواخر حياته يعاني ابتلاءات ومحن حتى أُصيب سنة 1307هـ بمرض الاستسقاء،(2) ثم اشتد به المرض، وأعياه العلاج، واعتراه الذهول والإغماء، وكانت أنامله تتحرك كأنه مشغول بالكتابة، ولما كان يوم وفاته -و هو مغمىً عليه- أفاق قليلاً فسأل عن كتابه (مقالات الإحسان) -و هو آخر تأليفاته- هل هو صدر من المطبعة؟ فقيل له: إنه على وشك الصدور ولعله يصل خلال يوم وليلة، فحمد الله على ذلك، فلما كان نصف الليل انسابت على لسانه كلمة: (أحب لقاء الله) قالها مرة أو مرتين وطلب الماء ثم احتضر وفاضت روحه. وكان ذلك ليلة الخميس التاسع والعشرين من جمادي الآخرة سنة سبع وثلاثمائة وألف، في تمام الساعة الواحدة وخمس وثلاثين دقيقة الموافق مع عشرين من فبراير عام 1890للميلاد، وله من العمر تسع وخمسون سنة وثلاثة أشهر وستة أيام. عليه رحمة الله الواسعة.

وقال في كتابه الآخر (الإذاعة لما كان وما يكون بين يدي الساعة) بعد ذكر قول الإمام القرطبي في وجوب كف اليد واللسان عن سفك الدماء وانتهاك الأعراض عند ظهور الفتن ونزول البلايا والمحن: أقول: وقد فعلت مثل ذلك في زمن الفساد الذي وقع في إقليم الهند بين عساكر الإفرنج وحكامهم في سنة 1372هـ الموافق 1857م وابتلي ناس كثير به، وسمّوه الجهاد، ولم توجد شروطه، ولم يكن على منهاج الشريعة الحقة، وانتدب لطلب الملك والرياسة، فأصبحوا خاسرين، ولله الأمر من قبل ومن بعد. انظر: الإذاعة لما كان وما يكون بين يدي الساعة للشيخ القنوجي، دار ابن حزم، الطبعة الأولى 1421هـ 2000م ص 67-68.

فخلاصة القول أن الشيخ القنوجي لم يكن يرى جواز الجهاد ضد الاحتلال البريطاني سواء أثناء تعيينه على مناصب الدولة ومهامها أو قبلها أثناء الثورة الهندية، ومن المؤسف أنه يسمي الثورة الهندية المباركة -التي قتل فيها آلاف من المسلمين ظلماً وجوراً- ثورة غدر وفتنة، باعتبار أن المسلمين غدروا في عهودهم مع الحكومة الإنجليزية. ولا حول ولا قوة إلا بالله.

(1) انظر: نزهة الخواطر 1248/8

(2) الاستسقاء أو الوذمة: وبالإنجليزية: (Edema) هي تورم عضو أو نسيج نتيجة تجمع أو فائض داخل-نسيجي للسوائل أسفل الجلد أو في أحد تجاويف الجسم . انظر: استسقاء_(طب)/https://ar.wikipedia.org/wiki

وفور وفاة المترجم أصدر الإنجليز أوامرهم بإعادة الألقاب له وأن يشيّع ويُدفن بما يليق من المراسم الملكية، وكأني بهم في مكرهم ودهائهم أرادوا إرضاء زوجه الملكة في أمرٍ لا يضرهم شيئاً.

ولكن كان الشيخ -رحمه الله- قد أوصى أن يُدفن على طريقة السنّة، ونُفِّذت وصيته، فغسل بعد الفجر يوم الخميس وشُيِّعت جنازته في جمع حاشد، وكانت أكبر جنازة في تاريخ بهوبال، وصلي عليه ثلاث مرات، فكانت جموع الناس أكبر لطمة لأعدائه، ثم دفن في مقبرة أسرته الخاصة قبل صلاة الظهر.(1)

وكانت وفاته وفاة عالم كبير محدّث جليل، مؤلف عبقري، محيي الكتاب والسنة، داعية عظيم، إداري محنك، حاكم عادل، محب للخير، والصبر والإحسان، وحريص على الرفاهية والزدهار، والرخاء للإنسانية والبشرية جمعاء، فلم تكن وفاته خسارة لفرد دون فرد، وجماعة دون جماعة، وفئة دون فئة، بل كانت خسارة الأمة الإسلامية كلها. (2)

رحم الله روحه الطاهرة، وأمطر عليه شآبيب رحمته ورضوانه، وأدخله فسيح جنانه.

ولعلي خلال هذه الصفحات قد ألقيت ضوءاً –ولو يسيراً- على سيرة هذا الإمام الجليل و ذكرت نبذة مفيدة من حياته الحافلة بالعلم والتأليف و خدمة الإسلام وأهله، و للعلم فإني قد أوجزت فيما أوردته عن الشيخ –رحمه الله- وإلا فإنه لن يوفّ بحقّه من التقدير والإجلال ولو كتبت عنه مجلدات ضخام، و ما ذكرته غيض من فيض وقطرة من البحر.

رحمه الله تعالى رحمة واسعة وأسكنه فسيح جنانه.

---

(1) انظر: مآثر صديقي 199/3-203، و نزهة الخواطر 1249/8، و السيد صديق القنوجي وآراؤه الاعتقادية ص 37-38 و دعوة الشيخ صديق حسن خان واحتسابه ص 66-67.

(2) مقالة الدكتور محمد إجتباء الندوي بعنوان: (حياة الأمير صديق حسن خان و مآثره) بمجلة المجمع العلمي الهندي رقم 1-2 (1يونيو 1981م) ص 125.

الفصل الثاني

التعريف بتفسير فتح البيان في مقاصد القرآن

ويشتمل على خمسة مباحث:

المبحث الأول: اسمه الكامل و سبب تسميته و زمن تأليفه

المبحث الثاني: أهمية هذا التفسير وثناء العلماء عليه

المبحث الثالث:أهم معالم منهجه و طريقته في تفسيره

المبحث الرابع: الدراسات حول هذا التفسير

المبحث الخامس: نسخه وطبعاته

المبحث الأول

اسمه الكامل و سبب و زمن تـأليفه

لقد سمى الشيخ القنوجي تفسيره بـ (فتح البيان في مقاصد القرآن) كما صرح بذلك في مقدمة تفسيره حيث قال: (... وسمّيته (فتح البيان في مقاصد القرآن) وهو اسم له تاريخي).(1)

و أما سبب تأليفه فقد ذكر أنه كان يدور في خلده منذ زمن أن يكتب في التفسير كتاباً يجمع بين الطريقين (الرواية والدراية) على الوجه المعتبر؛ لأنه لم يقم بهذا العمل إلا القليل من المفسرين، كما أنه لا بد في كل زمان من تجديد ما طال به العهد وقصر للطالبين فيه الجد والجهد إيقاظاً للنائمين و تحريضاً للمتثبطين، ولكنه لم يجد فرصة مناسبة للقيام بهذا العمل حتى سأله جماعة من أهل العلم ممن يتحرى اتباع السنة والكتاب، ويجتنب الابتداع في كل باب، و ألحوا عليه و أظهروا الفقر إليه حتى أجابهم لما طلبوه.(2)

وأما زمن تأليفه فقد بدأ بتحريره في أوائل شهر صفر من عام تسع و ثمانين من القرن الثالث عشر(3) وانتهى منه ضحوة يوم الجمعة التاسع والعشرون من شهر ذي الحجة سنة تسع و ثمانين بعد مائتين و ألف من الهجرة النبوية (1289/12/29هـ). (4) ولكنه اشتغل في بعض هذه الأشهر بأمور، و منعه من التحرير والتسطير شاغل، فكان تمام مدة جمعه و تأليفه ثمانية أشهر لا أقل منه ولا أكثر.(5) وقد طعن الشيخ آنذاك في العشر الخامس من عمره. (6)

ويبدو أن التفسير في بدايته كان مجرد تلخيص لتفسير فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير للإمام محمد بن علي الشوكاني ثم زاد فيه من تفسير مدارك التنزيل وحقائق التأويل للإمام النسفي وتفسير لباب التأويل في معاني التنزيل للإمام الخازن، ثم زاد فيه بعض الجمل من تفسير شرح الجلالين المسمى بالكمالين،(7) واستغرق ذلك سنتين أو ثلاث سنوات.(1)

---

(1) فتح البيان في مقاصد القرآن ج 1 ص20 هكذا في طبعة المكتبة العصرية، و أما في الطبعة الهندية الأولى ببهوبال ج1 ص13، فقال: (و هو اسم تاريخي له) و هو الأنسب من حيث المعنى. فمعنى قوله: (وهو اسم تاريخي له) أن مجموع حروف هذا الاسم على حساب أبي جاد تساوي (1289) و هي السنة التي كتب فيها الشيخ تفسيره.

(2) المرجع السابق ج 1 ص20، المكتبة العصرية

(3) انظر: فتح البيان 4/975-976، المطبع الصديقي بهوبال –الهند-.من تقريظ الشيخ ذوالفقار احمد.

(4) المرجع السابق ج 15 ص471، المكتبة العصرية

(5) انظر: فتح البيان 4/976، المطبع الصديقي بهوبال –الهند-.من تقريظ الشيخ ذوالفقار احمد.

(6) المرجع السابق ج 15 ص472، المكتبة العصرية

(7) للشيخ سلام الله الدهلوي

المبحث الثاني

أهمية هذا التفسير وثناء العلماء عليه

إن فتح البيان من أكبر و أهم مؤلفات الشيخ -رحمه الله- وكان يفتخر به دائماً –وحقّ له أن يفتخر به- ويذكره في طليعة قائمة مؤلفاته.

و لا شكّ أن تفسيره من الأهمية بمكان كما كتب على غلافه أنه تفسير سلفي أثري خال من الإسرائيليات والجدليات المذهبية والكلامية يغني عن جميع التفاسير ولا تغني جميعها عنه.(2)

ولقد أثنى على تفسيره جماعة من علماء عصره و من بعدهم، وفيما يلي نذكر نبذة يسيرة من ثناء العلماء على هذا التفسير القيّم:

قال العلامة حمد بن عتيق (3) :

"وقد وصل إلينا التفسير بكماله فرأينا أمرًا عجيبًا ما كنا نظن أن الزمان يسمح بمثله وما قرب منه لما في التفاسير التي تصل إلينا من التحريف والخروج عن طريقة الاستقامة وحمل كلام الله على غير مراد الله وركوب التفاسير في حمله على المذاهب الباطلة وجعلت السنة كذلك فلما نظرنا في ذلك تبين لنا حسن قصد منشئه وسلامة عقيدته وتبعده من تعمد مذهب غير ما عليه السلف الكرام فعلمنا أن ذلك من قبيل قوله تعالى:﴿وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾﴾ [الكهف: ٦٥]فالحمد لله رب العالمين ...".(4)

وقال العلامة الشيخ محمود أفندي حمزة(5) مفتي الشام حين وصل إليه هذا التفسير:

تلقـــت يـــداي بكـــل احـــترام كتابـــا كريمـــا جليـــل المقـــام

ولمـــا تصـــفحت أوراقـــه رأيـــت اللالـــئ بســـلك انتظـــام

ومـــن كـــل فـــن حـــوى نبـــذة عليهـــا يدنـــدن كـــل هـــمام (6)

---

(1) انظر: إبقاء المنن بإلقاء المحن ص348 من كلام صاحبه الشيخ ذوالفقار أحمد.

(2) انظر غلاف التفسير في كل مجلد من طبعة المكتبة العصرية صيدا، بيروت

(3) مضت ترجمته في ص 29

(4) هداية الطريق من رسائل وفتاوى الشيخ حمد بن علي بن عتيق، عناية: إسماعيل بن سعد بن عتيق، (ص119-120)، و انظر أيضاً: الدرر السنية في الأجوبة النجدية، لعلماء نجد الأعلام، جمع وتحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم النجدي، الطبعة السادسة، 1417هـ/1996م، 13/23-24، وانظر أيضا: الرسائل المتبادلة بين الشيخين صديق حسن خان و أحمد بن عيسى، اعتنى بها سليمان بن صالح الخراشي، در التوحيد للنشر، الرياض، الطبعة الأولى 1431هـ 2010م ص (38)

(5) سبقت ترجمته في ص 30

(6) قرة الأعيان ومسرة الأذهان، مطبعة الجوائب، 1298هـ، قسطنطينية (ص17).

وقال عنه صاحبه الشيخ ذو الفقار احمد المالوي(1):

"هذا التفسير بحمد الله تعالى قد جاء جامعاً للصحيح من الأقاويل عارياً عن الشبه والتصحيف والتبديل محلىً بالأحاديث النبوية مطرزاً بالأحكام الشرعية موشياً بالقصص الصحيحة و أخبار الماضيين الصريحة مرصعاً بأحسن الإشارات مخرجاً بأوضح العبارات مفرغاً في قالب الجمال بأفصح لفظٍ وأبلغ مقال ومهذباً جامعاً لمعاني التفسير ولباب التأويل والتتعبير حاوياً لتلخيص مأثوره و منقوله متضمناً لنكته و أصوله، ولم يجعل لنفسه تصرفاً فيه سوى النقد والانتخاب مجتنباً حد التطويل الممل والإيجاز المخل وفضول الأسباب فهو كتاب مبارك وسط في التأويلات جامع لوجوه الإعراب والقراءات متضمن لحقائق السنن و مقالات أهاليها موشح بتفاسير سلف الأمة و أئمتها و مواليها خال عن أباطيل الآراء الفاسدة و أكاذيب العقول الكاسدة ساقه بأبلغ ما قدر عليه من الإيجاز و حسن التهذيب مازجاً له بالكتاب العزيز مع التسهيل والتقريب".(2)

وقال الشيخ قاسم القيسي(3) –رحمه الله-:

" وأما التفسير المسمى (فتح البيان في تفسير القرآن) للعلامة محمد صديق حسن خان فهو تفسير جيد أيضاً كتفسير الإمام الشوكاني من حيث الجمع بين الرواية والدراية والتحقيق لما هو الصحيح والتمييز بين الراجح والمرجوح، إلا أنه كان موضوعاً بطريقة المزج بمتن القرآن بخلاف ما قبله وقد ضاهاه وحاكاه في أكثر المواضع لفظاً بلفظ، وزاد عليه في مواضع عديدة وقد أحسن وما أساء ..." (4)

---

(1) هو الشيخ الفاضل ذو الفقار أحمد بن همت علي الحسيني النقوي السارنكبوري ثم البهوبالي المالوي. ولد سنة 1262هـ بمدينة بهوبال، وقرأ على الشيخ العلامة عبد الحق بن محمد أعظم الكابلي، والشيخ حسين بن محسن السبعي الأنصاري، والشيخ المحدث عبد القيوم الصديقي البرهانوي والشيخ المهاجر يعقوب بن محمد أفضل العمري الدهلوي، والشيخ محمد بن عبد الرحمن الأنصاري السهارنبوري، والسيد شريف محمد بن ناصر الحازمي - والسيد أحمد بن زيني دحلان الشافعي المكي وغيرهم ، فبلغ من العلم والكمال مبلغ الرجال - وقربه نواب صديق حسن القنوجي إلى نفسه- وأدناه وأهله بالعناية والقبول - وكان يحبه حباً مفرطاً. من مصنفاته: المبتكر في المؤنث والمذكر، وطي الفراسخ في منازل البرازخ، والروض الممطر في تراجم علماء شرح الصدور، ومحاسن المحسنين في حكايات الصالحين. توفي 1340هـ ببلدة بهوبال. انظر: نزهة الخواطر 1225/8

(2) انظر: تقريظه على تفسير فتح البيان في آخر المجلد الرابع ص975، المطبع الصديقي الواقع في دار الإمارة بهوبال المحمية سنة 1294.

وقد تضمن آخر المجلد الرابع من الطبعة الهندية البهوباليه الصديقية تقاريظ جماعة من العلماء المعاصرين للشيخ القنوجي منهم: السيد محمد الكتبي الحنفي الخطيب الإمام المدرس بالمسجد الحرام و شيخ الأدباء و تاج الأذكياء الحنفاء و نخبة الأصدقاء الشيخ أمين بن حسن المدني الحلواني و الشيخ فيض الحسن السهارنفوري والشيخ العلامة المفسر المحدث علي بن عبد الله الشامي الكناني والشيخ العلامة الفقيه يحيى بن محمد المفتي وغيرهم رحمهم الله جميعاً. كما مدح تفسيره جماعة من العلماء غير ما ذكرنا، وجمعت أقوالهم في كتاب قرة الأعيان و مسرة الأذهان ، فليراجعه من أراد التفصيل.

(3) هو أبو عبد الوهاب قاسم بن محمد القيسي، ولد في الرصافة من بغداد سنة 1292هـ وتوفي سنة 1375هـ، فقيه، أصولي، لغوي، متكلم، مفسر، وترك آثارا ناهزت الخمسين مؤلفا في العلم والادب، وولي في اواخر ايامه الافتاء في بغداد. انظر: معجم المؤلفين 412/13

(4) تاريخ التفسير للشيخ قاسم القيسي، مطبعة المجمع العلمي العراقي، 1358هـ ص 137.

وقال محقق تفسيره الشيخ عبد الله بن إبراهيم الأنصاري (1) :

"فاختار الشيخ صديق خان أن يكتب تفسيراً خالياً من الإسرائيليات والخرافات التي يقوم الدليل على بطلانها وكذلك الجدل المذهبي والمناقشات الكلامية، فجمع بين الرواية والدراية مع تجديد ما طال به العهد وقصر للطالبين فيه الجد والجهد إيقاظاً للنائمين وتحريضاً للمتثبطين".(2)

وقال أيضاً: "وبالجملة فإن تفسيره تنزاح عنه شبه المبطلين وتحريف الغالين وتأويل الجاهلين، خلى من كثرة الحشو والدخيل والخرافات التي لا يقوم عليها دليل. فكان درة بين كتب التفسير".(3)

و قال العلامة أبو الحسن الندوي(4):

"ولقد نبغ في الهند في القرن الرابع عشر الهجري مؤلفون فاقوا في العالم الإسلامي كله، في سرعة التأليف، وكثرة المؤلفات، وضخامة الإنتاج، وكان كل واحد منهم مجمعًا علميًا نشيطًا، وقد قام بعضهم شخصيًا بما لا يقوم به مجاميع علمية في أكثر الأحيان، فالأمير صديق حسن بن أولاد حسن القنوجي، أمير بهوبال، يبلغ عدد مؤلفاته اثنين وعشرين ومائتين، منها ستة وخمسون مؤلفًا باللغة العربية، ومنها كتب كبار ذات قيمة علمية منها: فتح البيان في تفسير القرآن".(5)

المبحث الثالث

أهم معالم منهجه وطريقته في تفسيره

لقد تكلم الشيخ القنوجي –رحمه الله- عن منهجه و أهم معالمه في مقدمة تفسيره، وملخصه مع بعض التوضيحات في شأن منهجه وطريقته كما يلي:

- إن تفسير فتح البيان مرتب حسب ترتيب المصحف الشريف.
- يعدّ هذا التفسير من التفسير الجملي حيث اختار طريقة التجزئة للآيات حسب جملها المتعددة.
- إنه مزج بين التفسير بالمأثور و بين التفسير بالرأي، و إن كان يغلب عليه جانب الرواية والأثر.
- يضع القنوجي –رحمه الله- لكل سورة مقدمة قصيرة يبيّن فيها اسمها المشهور ثم يذكر لها الأسماء الأخرى

---

(1) هو عبد الله بن إبراهيم بن عبد الله الأنصاري، يصل نسبه إلى الصحابي الجليل سعد بن عبادة الأنصاري الخزرجي، له دراية بالفلك، ولا يزال التقويم القطري يعتمد على حسابه حتى الآن، خدم العلم وحقق كثيراً من الكتب، ولد بمدينة الخور بدولة قطر سنة 1340هـ وكانت وفاته يوم 1410/03/14هـ الموافق 1989/10/15م. موقع مجمع الشيخ عبد الله الأنصاري للقرآن وعلومه. (http://www.qatarch.com)

(2) مقدمة فتح البيان 1/1. المكتبة العصرية

(3) المرجع السابق 2/1

(4) مضت ترجمته في ص 33

(5) المسلمون في الهند للعلامة أبي الحسن الندوي، دار ابن كثير دمشق- بيروت، الطبعة الأولى 1420هـ، ص 53

إن كان لها أكثر من اسم، ثم يبين عدد آياتها، ثم يبيّن المكي والمدني في السورة مع ذكر أقوال المفسرين في ذلك، كما يوضح فضل السورة مستشهداً بالأحاديث والآثار.

- ثم يبدأ بتفسير السورة فيشرع بتفسير الآية و يذكر أولاً تفسيرها بالقرآن ثم بالحديث إن وجد، ثم بأقوال الصحابة، والتابعين، ثم بلغة العرب الفصحى مدللاً على ذلك بأقوال الشعراء و كلام العرب البلغاء، ثم يذكر سبب نزول السورة أو الآية إن كان لها سبب يعرف، مع بيان أقوال المفسرين في ذلك، ثم يذكر العبر والعظات التي من الممكن أن تؤخذ من تفسيره للسورة، مستشهداً لما يقول بالنصوص القرآنية، و بالحديث وأقوال الصحابة وغيرهم.
- وعند تفسير الآية، يذكر أقوالاً عدة -إن وجدت-، ولا يقتصر على وجه واحد سواء من جهة الأثر، أو من جهة النظر وما يحتويه أو يدل عليه معنى الآية من معاني و أوجه محتملة.
- و يحاول في كل ذلك أن يذكر أرجح الأقوال، ويطرح الأقوال الضعيفة، و قد يذكر عدة أقوال ثم يرجح الراجح منها، على حسب ما يؤديه إليه اجتهاده.
- وعند روايته للأحاديث فإنه يعزوها إلى رواتها و مخرجيها في الغالب، إلا أنه لا يناقش درجته من حيث الصحة والضعف متكلاً على العزو، وثقة على من نقل منهم من أئمة التفسير.
- يذكر الشيخ القنوجي القراءات، و يقتصر على السبع المشهورة المتواترة غالباً، و ربما ذكر غير السبع لكنه يسير، إلا أن الملاحظ عليه أنه يذكر القرآءات جملة ولا يبين مرتبتها، وقد يورد الشاذ مع المتواتر دون التنبيه على ذلك.
- تجنب كثيراً من الإسرائيليات والخرافات التي لا دليل عليها والجدل العقلي والكلامي، وأنكر غاية الإنكار على أصحاب التأويلات الكلامية.
- ابتعد عن الجدل المذهبي عند تطرقه لفروع الفقه، ولا يتعصب لمذهب معين، فهو يرجح القول بالدليل.
- اعتمد على قواعد أصول التفسير المعتمدة عند جمهور المفسرين و طبّقها عند تفسير الآية وخاصة قاعدة: العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، وغيرها من القواعد.
- اعتمد كذلك في تفسيره على أمهات كتب التفسير ومشاهيرها.(1)

---

(1) انظر: الدراسة المقارنة بين التفسير المظهري وفتح البيان، رسالة الدكتوراه من جامعة البنجاب للدكتور عبد الرشيد أظهر، ص 74-75، وانظر أيضاً: صديق حسن خان القنوجي جهوده في تفسيره فتح البيان في مقاصد القرآن للباحث: موفق عبد الرزاق الدليمي، مكتبة التوبة، الرياض، الطبعة الأولي 1435هـ، ص 48-49. وانظر أيضاً: القنوجي وآراؤه التفسيرية على ضوء أقوال أئمة التفسير رسالة دكتوراه من جامعة أم درمان للباحث: محمد مهدي علي الحمودي ص 38.

المبحث الرابع

الدراسات حول هذا التفسير

لقد تناول عدد من العلماء والباحثين تفسير فتح البيان بالنقد والتعليق عليه تارة، وبالدراسة والبحث تارة أخرى، ومن هذه الدراسات والبحوث التي عثرت عليها أو عرفت عنها ما يلي:

1- ما تضمنته **رسالة الشيخ حمد بن عتيق** التي أرسلها للمؤلف حيث ذكر فيها بعض الأوهام الواقعة في التفسير، وهي ضمن مجموع فتاوي ورسائل الشيخ حمد بن عتيق.

2- **منهج صديق حسن خان في تفسيره فتح البيان**، رسالة ماجستير من قسم القرآن وعلومه، كلية أصول الدين، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، للباحث: أحمد محمد صالح عبد الله، سنة 1410هـ

3- **صديق حسن خان و منهجه في كتابه فتح البيان في مقاصد القرآن** رسالة دكتوراه من جامعة الإسكندرية كلية آداب اللغة العربية واللغات الشرقية، للباحث: محمود محمد محمد الحنطور.

4- **صديق حسن خان (القنوجي) وجهوده في تفسير فتح البيان في مقاصد القرآن** ، للباحث محمد شاكر عبد الله الكبيسي، جامعة صدام الإسلام، بغداد.1998م.

5- **القنوجي وآراؤه التفسيرية على ضوء أقوال أئمة التفسير**، رسالة دكتوراة، جامعة أم درمان، بجمهورية السودان، كلية أصول الدين، للباحث: محمد مهدي علي الحمودي، 2015هـ.

6- **صديق حسن خان القنوجي جهوده في تفسيره فتح البيان في مقاصد القرآن** للإستاذ الدكتور موفق عبد الرزاق الدليمي رسالة ماجستير من جامعة بغداد، مكتبة التوبة، الرياض، الطبعة الأولى 1435هـ

7- **منهج الشيخ صديق حسن خان في تفسيره فتح البيان في مقاصد القرآن** رسالة ماجستير من الجامعة الإسلامية العالمية بإسلام آباد، كلية أصول الدين، للطالب عمرخان سنة 1415هـ الموافق 1994م.

8- **صديق حسن خان القنوجي (1248-1307هـ) بلاغياً في تفسيره فتح البيان**، رسالة دكتوراه في اللغة العربية وآدابها، للباحث: فلاح حسن محمد خضر الجبوري، جامعة تكريت، سنة 2009م.

9- **صديق حسن خان ومنهجه في التفسير (دراسة تحليلية لكتابه فتح البيان في مقاصد القرآن)** كلية أصول الدين جامعة السلطان الشريف الإسلامية، إندونيسيا، للطالبة: دهليا، سنة 2014م.

10-**صديق حسن خان و منهجه في تفسيره فتح البيان في مقاصد القرآن**، رسالة ماجستير من جامعة الأزهر – القاهرة، قسم التفسير وعلوم القرآن، للطالب: كوبري نور زين ب باتو انجكر انسول.(1)

إضافة إلى بعض المقالات والدراسات التي نشرت في المجلات والدوريات العلمية وعلى صفحات الإنترنيت.

---

(1) معظم المعلومات عن هذه الدراسات والأبحاث أخذتها من الشبكة العالمية (الإنترنيت) من مواقع مختلفة.

المبحث الخامس

نسخه وطبعاته

لقد طبع تفسير فتح البيان في مقاصد القرآن عدة طبعات، و أول طبعة منها طبعت في حياة المؤلف – رحمه الله- حيث أن الشيخ لما أتم التفسير سنة 1289هـ وكّل أمر التصحيح والتبييض إلى صاحبه المولوي ذوالفقار أحمد والمولوي محمد عبد الصمد البشاوري، فقاما بالتصحيح والتبييض في أربع سنوات، ومن الطبعات التي عثرت عليها أو عرفت عنها ما يلي:

1- طبعة المطبع الصديقي الواقع في دار الإمارة بهوبال المحمية، وهي الطبعة الأولى للتفسير، كانت في أربعة مجلدات ضخام، باهتمام المولوي عبد المجيد خان المشرف على مطابع دار الرياسة البهوبالية، وبخط الحافظ علي حسين اللكنوي، غير أن المجلد الأول منها طبع بعد التصحيح والتبييض سنة 1290هـ ، و طبع المجلد الثاني منها سنة 1291هـ، والمجلد الثالث لم أعثر عليه، وطبع المجلد الرابع منها سنة 1293هـ.

2- طبعة المطبعة الكبرى الأميرية بالقاهرة سنة 1300-1302هـ، ويقع في عشرة أجزاء.

3- طبعة المكتبة العصرية، صيدا، بيروت في خمسة عشر مجلداً، باعتناء وتقديم ومراجعة الشيخ عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، سنة 1412هـ -1992م، وعليه بعض الحواشي للأستاذ المطيعي ومعظم الحواشي وتخريج الآيات والأحاديث وبعض التعليقات المفيدة من الشيخ عبد الله بن إبراهيم الأنصاري –كما صرح في آخر المجلد 15. وهذه الطبعة متوفرة على الشبكة بصيغة (PDF) وفي المكتبة الشاملة موافقاً للمطبوع.

4- طبعة درا الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون، بيروت لبنان، الطبعة الأولى سنة 1420هـ -1999م في سبع مجلدات ضخام، وقام بتحقيقه الأستاذ شمس الدين إبراهيم.

5- طبعة دار الكتاب العربي، بيروت لبنان، بتحقيق الشيخ عبد الرزاق المهدي، سنة 1429هـ 2008م، في أربعة مجلدات و ثمانية أجزاء، مع فهارس شاملة. وهي موجودة عندي على شكلها الورقي.(1)

---

(1) بعض هذه الطبعات موجودة عندي على صورتها الورقية ومعظمها نزلتها عن الإنترنيت، وبعضها علمت عنها فقط.

الباب الأول

الترجيح والتفسير ومنهج القنوجي فيهما

ويشتمل على ثلاثة فصول:

الفصل الأول: شروط الترجيح ومنهج القنوجي فيه

الفصل الثاني: التفسير بالمأثور ومنهج القنوجي فيه

الفصل الثالث: التفسير بالرأي ومنهج القنوجي فيه

الفصل الأول

شروط الترجيح ومنهج القنوجي فيه

ويشتمل على أربعة مباحث:

المبحث الأول: معنى الترجيح وشروطه وقواعده

المبحث الثاني: صيغ الترجيح عند الشيخ القنوجي

المبحث الثالث: منهج الشيخ القنوجي في الترجيح في التفسير

المبحث الرابع: وجوه الترجيح عند الشيخ القنوجي

المبحث الأول

معنى الترجيح وشروطه وقواعده

المطلب الأول: معنى الترجيح لغة واصطلاحًا

قال ابن فارس(1): الراء والجيم والحاء أصل واحد يدل على رزانة وزيادة، يقال: رجح الشيء وهو راجح إذا رزن.(2) وأرجح الميزان أثقله حتى مال.(3) ورجح الشيء أرجحه وقواه وفضله على غيره(4) من رجح الميزان يرجَح ويرجُح ويرجِح رجحانًا إذا مال(5) والترجيح هو: جعل الشيء راجحًا فاضلاً غالبًا زائدًا.(6)

وقد عرف الترجيح في الاصطلاح بتعاريف كثيرة (7) منها:

---

(1) هو أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسن، من أئمة اللغة والأدب، ولد سنة (329هـ)، وأصله من قزوين وأقام مدة في همزان ثم انتقل إلى الري، فتوفي فيها سنة (395هـ)، وإليها نسبته، ومن تصانيفه: مقاييس اللغة، والمجمل. انظر: الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين لخير الدين الزركلي 193/1، دار العلم للملايين بيروت، الطبعة االسادسة عشر، 2005م، ومعجم المؤلفين تراجم مصنفي الكتب العربية لعمر رضا كحالة 40/2، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الثانية 1376هـ-1957م، بيروت-لبنان.

(2) معجم مقاييس اللغة، تأليف: أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل - بيروت - لبنان - 1420هـ - 1999م، الطبعة الثانية، 489/2.

(3) انظر: لسان العرب، تأليف: محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، دار صادر - بيروت، الطبعة الأولى 1125/1 مادة رجح.

(4) انظر: المعجم الوسيط، تأليف: إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار، دار النشر: دار الدعوة، تحقيق: مجمع اللغة العربية (329/1)، مادة (رجح).

(5) انظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، لأبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة: الرابعة 1407 هـ1987 م 364/1 مادة (رجح).

(6) موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، لمحمد بن علي ابن القاضي محمد حامد بن محمّد صابر الفاروقي الحنفي التهانوي تقديم وإشراف ومراجعة: د. رفيق العجم، تحقيق: د. علي دحروج، نقل النص الفارسي إلى العربية: د. عبد الله الخالدي، الترجمة الأجنبية: د. جورج زيناني، الناشر: مكتبة لبنان ناشرون – بيروت، الطبعة: الأولى - 1996م. 415/1.

(7) انظر مثلاً: المحصول في علم الأصول للإمام محمد بن عمر بن الحسين الرازي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - الرياض - 1400، الطبعة: الأولى، تحقيق: طه جابر فياض العلواني (397/5) نهاية السول شرح منهاج الوصول للشيخ عبد الرحيم بن الحسن بن علي الإسنوي الشافعيّ، دار الكتب العلمية -بيروت-لبنان، الطبعة الأولى 1420هـ- 1999م 444/4 التعريفات للإمام علي بن محمد بن علي الجرجاني، دار الكتاب العربي - بيروت - 1405، الطبعة: الأولى، تحقيق: إبراهيم الأبياري (ص84)، إرشاد الفحول إلى تحقيق علم الأصول، تأليف: محمد بن علي بن محمد الشوكاني، دار النشر: دار الفكر - بيروت - 1412 - 1992، الطبعة: الأولى، تحقيق: محمد سعيد البدري أبو مصعب 371/1.

تعريف الإمام الرازي(1): "هو تقوية أحد الطريقين على الآخر؛ ليعلم الأقوى فيعمل به، ويطرح الآخر".(2)

وقيل: "تقوية إحدى الأمارتين على الأخرى لدليل".(3)

وعرّفه الأرموي(4) قائلاً: الترجيح تقوية طريق على آخر ليعلم الأقوى فيعمل به ويطرح الآخر.(5) وهناك تعاريف أخرى كثيرة (6).

والترجيح في مسائل التفسير هو: **(تقوية أحد الأقوال في تفسير الآية لدليل أو قاعدة تقويه، او لتضعيف أو ردِّ ما سواه).(7)**

وللترجيح أهمية عظيمة؛ لأن الله عز وجل، ذم العمل بالظن، وأمر بالعلم، والمسائل الخفية في العلم لا يمكن العلم بها إلا بالترجيح.

---

(1)هو أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسين، الملقب بفخر الدين الرازي، المعروف بابن الخطيب، كانت ولادته سنة أربع وأربعين، وقيل ثلاث وأربعين وخمسمائة، بالري، وأخذ عن: والده، والكمال السماني، من مؤلفاته: التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، والمطالب العالية، وكتاب البيان والبرهان في الرد على أهل الزيغ والطغيان، وكتاب إرشاد النظار إلى لطائف الأسرار، توفي سنة 606 هـ بمدينة هراة. للاستزادة انظر: وفيات الأعيان، 4/248-252، وسير أعلام النبلاء، 16/54-55، للإمام شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، دار الحديث- القاهرة، الطبعة: 1427هـ-2006م

(2) المحصول في علم الأصول 5/529

(3) شرح الكوكب المنير للإمام تقي الدين أبي البقاء محمد بن أحمد بن عبد العزيز بن علي الفتوحي المعروف بابن النجار الحنبلي، تحقيق: محمد الزحيلي ونزيه حماد، الناشر: مكتبة العبيكان، الطبعة: الطبعة الثانية 1418هـ - 1997 مـ (4/646).

(4) هو الإمام أبو الثناء سراج الدين محمود بن أبي بكر بن أحمد الأرموي الشافعي، من علماء الأصول والمنطق، ولد سنة 1198هـ، أصله من (أرمية) بأذربيجان. وسكن بدمشق. وتوفي بمدينة (قونية) سنة 1283هـ، من تصانيفه: مطالع الأنوار في المنطق، و التحصيل من المحصول في الأصول، وشرح الوجيز للغزالي، في فروع الفقه، وغيرها. انظر: الأعلام للزركلي 7/ 166

(5) التحصيل من المحصول، لسراج الدين محمود بن أبي بكر الأرْمَوي دراسة وتحقيق: الدكتور عبد الحميد علي أبو زنيد، أصل الكتاب: رسالة دكتوراة، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، 1408 هـ - 1988م.

(6) ينظر: المحصول، مرجع سابق (529/2)، والبحر المحيط في أصول الفقه للإمام بدر الدين محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي، دار الكتب العلمية - لبنان/ بيروت - 1421هـ - 2000م، الطبعة الأولى، تحقيق: ضبط نصوصه وخرج أحاديثه وعلق عليه: د. محمد محمد تامر (130/6). و الإبهاج في شرح المنهاج (208/3)، المؤلف: تقي الدين أبو الحسن علي بن عبد الكافي بن علي بن تمام بن حامد بن يحيي السبكي وولده تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب، الناشر: دار الكتب العلمية –بيروت، عام النشر: 1416هـ - 1995 م. و شرح الكوكب المنير للإمام تقي الدين أبي البقاء محمد بن أحمد بن عبد العزيز بن علي الفتوحي المعروف بابن النجار الحنبلي، تحقيق: محمد الزحيلي ونزيه حماد، الناشر: مكتبة العبيكان، الطبعة: الطبعة الثانية 1418هـ - 1997 مـ (4/646). أصول السرخسي، تأليف: محمد بن أحمد بن أبي سهل السرخسي أبو بكر، دار النشر: دار المعرفة - بيروت (249/2). وكشف الأسرار عن أصول فخر الإسلام البزدوي، لعبد العزيز بن أحمد بن محمد، علاء الدين البخاري تحقيق: عبد الله محمود محمد عمر، الناشر : دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى 1418هـ/1997م (4/ 77). والتقرير والتحرير في علم الأصول لابن أمير الحاج، دار الفكر، سنة النشر 1417هـ - 1996م، بيروت3 / 17.

(7) قواعد الترجيح عند المفسرين للدكتور حسين بن علي بن حسين الحربي، دار القاسم، الرياض، الطبعة الثانية 1429 29/1

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: كل ما أمر الله تعالى به فإنما أمر بالعلم، وذلك أنه في بعض المسائل الخفية على المجتهد أن ينظر في الأدلة ويعمل بالراجح، وكون هذا هو الراجح أمر معلوم عند الأمر المقطوع به، وإن قدّر أن ترجيح هذا على هذا فيه شك عنده لم يعمل به، وإن ظن الرجحان أيضًا فلابد أن يظنه بدليل يكون عنده أرجح من دليل الجانب الآخر،... فلابد أن ينتهي الأمر إلى رجحان معلوم عنده، فيكون متبعًا لما علم أنه أرجح، وهذا اتباع للعلم لا للظن، وهو اتباع الأحسن، كـــما قال تعالى: ﴿ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُواْ بِأَحْسَنِهَا سَأُوْرِيكُمْ دَارَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [الأعراف: 145] وقال: ﴿ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥ ﴾ [الزمر: 18] وقال: ﴿ وَٱتَّبِعُوٓاْ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم ﴾ [الزمر: 55]، فإذا كان أحد الدليلين هو الأرجح فاتباعه هو الأحسن، وهذا معلوم. فالواجب على المجتهد أن يعمل بما يعلم أنه أرجح من غيره، وهو العمل بأرجح الدليلين المتعارضين، وحينئذ فما عمل إلا بالعلم.(1)

وقال الزركشي(2) -رحمه الله-: والقصد منه –أي من الترجيح- تصحيح الصحيح، وإبطال الباطل، واعلم أن الله تعالى لم ينصب على جميع الأحكام الشرعية أدلة قاطعة، بل جعلها ظنية قصدا للتوسيع على المكلفين، لئلا ينحصروا في مذهب واحد؛ لقيام الدليل عليه، و إذا ثبت أن المعتبر في الأحكام الشرعية الأدلة الظنية، فقد تعارض بعارض في الظاهر بحسب جلائها وخفائها، فوجب الترجيح بينهما والعمل بالأقوى، والدليل على تعين الأقوى أنه إذا تعارض دليلان أو أمارتان، فإما أن يعملا جميعا، أو يلغيا جميعاً، أو يعمل بالمرجوح والراجح وهذا متعين.(3)

وتبرز أهمية دراسة الترجيحات في التفسير من خلال النكات التالية:

- معرفة أصح الأقوال وأولاها بالقبول في تفسير كتاب الله، ومن ثم العمل بها اعتقاداً إن كانت من آيات العقيدة، وعملاً بالجوارح إن كانت من آيات الأحكام العملية وسلوكاً وأدباً إن كانت من الأخلاق والآداب.
- تصفية وتنقية كتب التفسير مما قد علق ببعضها من أقوال شاذة أو ضعيفة أو مدسوسة بها لمذهب

(1) انظر: بتصرف من مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، جمع: عبدالرحمن بن محمد بن قاسم وابنه محمد، طبع مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف في المدينة المنورة، تحت إشراف وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد بالمملكة العربية السعودية، عام 1416هـ-1995م. (13/ 114).

(2) هو الإمام بدرالدين محمد بن عبدالله الزركشي الشافعي ، ولد سنة 745 هـــ ، تتلمذ على جمال الدين الأسنوي والحافظ ابن كثير، وكان فقيها أصوليا وأديبا، من مؤلفاته: " البرهان في علوم القرآن " توفي سنة 794 هـ ، أُنظر : الدررالكامنة في أعيان المائة الثامنة ، لإبن الحجر العسقلاني 3 / 397 ، مطبعة حيدر آباد دكن 1349 هـ (هند)، وشذرات الذهب: 6/ 335 .

(3) البحر المحيط في أصول الفقه 406/4

عقدي أو لصاحب هوى أو بدعة، أو نحو ذلك.

- الاستفادة من مناهج المفسرين في القبول والرد.
- الوقوف على أهم قواعد الترجيح عند المفسرين.
- بيان القول الفيصل في الآيات المشكلة بدليله.
- بيان أسباب خطأ المفسرين، لأن معرفة الأقوال المرجوحة يتبين من خلاله أسباب خطأ أصحابها.(1)

المطلب الثاني: شروط الترجيح

إن الناظر في كتب الأصول وكلام العلماء حول مبحث الترجيح بعد القراءة والبحث يجد أنهم ذكروا للترجيح عمومًا أدلة وقد قسم البعض بالاستقراء شروط الترجيح إلى ثلاثة أقسام من حيث المرجح وهو المجتهد ومن حيث محل الترجيح وهو الدليل، ثم من حيث المرجح به.

ولذا قسمنا هذا المطلب إلى ثلاثة أفرع حتى يتضح الأمر ويكون أكثر سهولةً، وإليك الأفرع:

الفرع الأول: شروط المرجِّح (المجتهد)

الفرع الثاني: شروط محل الترجيح (الأدلة)

الفرع الثالث: شروط المرجَّح به

الفرع الأول: شروط المرجح (المجتهد)

إن العلماء حينما ذكروا شروط المرجح وهو المجتهد ذكروها في باب الاجتهاد وليس في باب الترجيح، فبعضهم أجمل الشروط في ثلاثة فقال:

« واعلم أن كمال رتبة الاجتهاد تتوقف على ثلاثة أشياء:

أحدها: التأليف في العلوم التي يتهذب بها الذهن كالعربية وأصول الفقه وما يحتاج إليه من العلوم العقلية في صيانة الذهن عن الخطأ بحيث تصير هذه العلوم ملكة الشخص فإذ ذاك يثق بفهمه لدلالات الألفاظ من حيث هي هي وتحريره تصحيح الأدلة من فاسدها والذي نشير إليه من العربية وأصول الفقه كان الصحابة أعلم به منا من غير تعلم وغاية المتعلم منا أن يصل إلى بعض فهمهم وقد يخطئ وقد يصيب.

الثاني: الإحاطة بمعظم قواعد الشريعة حتى يعرف أن الدليل الذي ينظر فيه مخالف لها أو موافق.

الثالث: أن يكون له من الممارسة والتتبع لمقاصد الشريعة ما يكسبه قوة يفهم منها مراد الشرع من

(1) انظر: قواعد الترجيح عند المفسرين للحربي 33/1

ذلك وما يناسب أن يكون حكماً له في ذلك المحل وإن لم يصرح به، كما أن من عاشر ملكا ومارس أحواله وخبر أموره إذا سئل عن رأيه في القضية الفلانية يغلب على ظنه ما يقوله فيها وإن لم يصرح له به ». (1)

وعندما نلجأ إلى التفصيل فنلخّصها في ستة شروط كما يلي:

الشرط الأول: أن يكون عارفاً بلسان العرب من لغة وإعراب وموضوع خطأهم في الحقيقة والمجاز ومعانى كلامهم في الأوامر والنواهى والعموم والخصوص إلى غير ذلك (2).

الشرط الثاني: أن يكون مشرفا على ما تضمنه الكتاب من الأحكام الشرعية من عموم وخصوص ومبين ومجمل وناسخ ومنسوخ بنص أو فحوى أو ظاهر أو مجمل ليستعمل النص فيما ورد والفحوى فيما يفيده والظاهر فيما يقتضيه والمجمل يطلب المراد منه.(3)

الشرط الثالث: معرفة ما تضمنته السنة من الأحكام، وفيه خمسة شروط:

أحدها: معرفة طرقها من تواتر وآحاد ليكون المتواتر معلومة والآحاد مظنونه.

والثاني: معرفة صحة طرق الآحاد ومعرفة رواتها ليعمل بالصحيح منه ويعدل عن ما لا يصح منه.

والثالث: أن يعرف أحكام الأفعال والأقوال ليعلم بما يوجبه كل واحد منهما.

والرابع: أن يحفظ معانى ما انتفى الاحتمال عنه ويحفظ ألفاظ ما دخله الاحتمال ولا يلزمه حفظ الأسانيد وأسماء الرواة إذا عرف عدالتهم.

والخامس: ترجيح ما يعارض من الأخبار ليأخذ ما يلزم العمل به.(4)

واختار بدر الدين الزركشي أن لا يشترط الإحاطة بجميع السنن وإلا لانسدّ باب الإجتهاد وقد

---

(1) الإبهاج في شرح المنهاج، للسبكي (8/1).

(2) قواطع الأدلة في الأصول (303/2)، لأبي المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزى السمعاني التميمي، الحنفي ثم الشافعي (المتوفى : 489هـ)،تحقيق : محمد حسن محمد حسن اسماعيل الشافعي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1418هـ/1999م.

وينظر: نهاية السول شرح منهاج الوصول، لعبد الرحيم بن الحسن بن علي الأسنوي الشافعيّ، دار الكتب العلمية -بيروت-لبنان، الطبعة: الأولى 1420هـ- 1999م (551/4, 255)، المحصول (498/2)، الإحكام في أصول الأحكام، لأبي الحسن سيد الدين علي بن أبي علي بن محمد بن سالم الثعلبي الآمدي (المتوفى: 631هـ)، تحقيق: عبد الرزاق عفيفي، المكتب الإسلامي، بيروت- دمشق- لبنان (225/4) المستصفى في علم الأصول، للإمام محمد بن محمد الغزالي، تحقيق: محمد عبد السلام عبد الشافي دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة الأولى، 1413، (351/2).

(3) قواطع الأدلة (304/2) انظر نهاية السول (547/4) انظر: فواتح الرحموت بشرح مسلم الثبوت، للشيخ عبد العلي محمد بن نظام الدين محمد السهالوي اللكنوي، تحقيق: عبد الله محمود محمد عمر، دار الكتب العلمية، سنة النشر: 2002م، (363/2) المستصفى (350/2) إحكام الأحكام (220/4) المحصول (497/2).

(4) قواطع الأدلة (305/2).

اجتهد الصحابة في مسائل كثيرة ولم يستحضروا فيها النصوص حتى رويت لهم.(1)

الشرط الرابع: هو معرفة الإجماع والاختلاف وما ينعقد به الإجماع وما لا ينعقد به الإجماع وما يعتد به في الاجماع ومن لا يعتد به في الإجماع ليتبع الإجماع ويجتهد في الاختلاف (2).

الشرط الخامس: هو معرفة القياس والاجتهاد والأصول التي يجوز تعليلها وما لا يجوز تعليلها والأوصاف التي يجوز أن يعلل بها وما لا يجوز أن يعلل بها وترتيب الأدلة بعضها على بعض ومعرفة الأولى فيها فيقدم الأولى ويؤخر ما لا يكون أولى ويعرف وجوه الترجيح ليقدم الراجح على المرجوح.(3)

الشرط السادس: فهو أن يكون ثقة مأمونا غير متساهل في أمر الدين (4).

ثم يقول السمعاني (5): «فإذا تكاملت هذه الشروط في المجتهد صحّ اجتهاده في جميع الأحكام وإن لم يوجد واحد من هذه الشروط خرج من أهلية الاجتهاد وليس يعتبر في صحة الاجتهاد أن يكون رجلا ولا أن يكون حرا ولا أن يكون عدلا وهو يصح من الرجل والمرأة والحر والعبد والفاسق وإنما تعتبر العدالة في الحكم والفتوى فلا يجوز استفتاء الفاسق وإن صح استفتاء المرأة والعبد ولا يصح الحكم إلا من رجل حر عدل فصارت شروط الفتيا أغلظ من شروط الاجتهاد بالعدالة لما تضمنه من القبول وشروط الحكم أغلظ من شروط الفتيا بالحرية والذكورية لما تضمنه من الإلزام».(6)

الفرع الثاني: شروط محل الترجيح (الأدلة)

اختلف العلماء في شروط محل الترجيح فمنهم من جعلها ثلاثة ومنهم من زادها، وعندما تحدّث الإمام الشوكاني -رحمه الله- عن شروط الترجيح قال: «وللترجيح شروط:

الأول: التساوي في الثبوت، فلا تعارض بين الكتاب وخبر الواحد إلا من حيث الأدلة.

الثاني: التساوي في القوة، فلا تعارض بين المتواتر والآحاد، بل يقدم المتواتر بالاتفاق.

---

(1) البحر المحيط (6 / 200).

(2) قواطع الأدلة (306/2) وينظر: نهاية السول (550/4) المحصول (489/2) فواتح الرحموت بشرح مسلم الثبوت لعبد العلي محمد بن نظام الدين محمد السهالوي الأنصاري اللكنوي، تحقيق: عبد الله محمود محمد عمر، دار الكتب العلمية، سنة النشر: 2002م، (363/2) المستصفى (351/2) أصول الفقه للشيخ محمد أبو النور زهير (226/4).

(3) قواطع الأدلة (306/2) وينظر: نهاية السول (551/4) أصول الفقه للشيخ محمد أبو النور زهير (226/4).

(4) قواطع الأدلة (306/2).

(5) هو الإمام أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزي السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعيّ، مفسر، محدث، أصولي. من أهل مرو، مولداً ووفاةً. ولد سنة: 426هـ وتوفي سنة: 489هـ وكان مفتي خراسان، قدمه نظام الملك على أقرانه في مرو. من مؤلفاته: تفسير السمعاني و الانتصار لأصحاب الحديث وقواطع الأدلة في أصول الفقه وغيرها. وهو جد السَّمْعَاني صاحب (الأنساب) عبد الكريم بن محمد. انظر: الأعلام: 7/ 303-304

(6) قواطع الأدلة (306/2).

الثالث: اتفاقهما في الحكم، مع اتحاد الوقت والمحل والجهة، فلا تعارض بين النهي عن البيع مثلا في وقت النداء مع الإذن به في غيره»(1).

وبعد الاستقراء يمكن أن يكون شروط محل الترجيح (الأدلة) ما يلي:

الشرط الأول: قبول هذه الأدلة التعارض في الظاهر وهذا مجاله الأدلة الظنية.

الشرط الثاني: عدم إمكان الجمع بين المتعارضين حقيقة أو تقديراً.

الشرط الثالث: مساواة الدليلين المتعارضين في الحجية : فإذا كان أحدهما ضعيفاً أو مطعوناً فيه فلا يعتبر الترجيح صحيحاً.

الشرط الرابع: عدم كون الدليلين قاطعين فالأدلة المتعارضة في الظاهر مقبولة؛ لأن هذا مجاله الأدلة الظنية، فقد نص العلماء على أن الترجيح محله الأدلة الظنية.

الشرط الخامس: أن لا يُعلم تأخر أحدهما : فيشترط أن لا يكون أحد الدليلين ناسخاً للآخر، فإذا عُلمَ تأخر أحدهما فلا يصح الترجيح بينهما.

الشرط السادس: أن لا يكون الترجيح في الأدلة العقلية التي تثبت العقائد.(2)

الشرط السابع: تحقق المعارضة بين الدليلين.

الشرط الثامن: التساوي في القوة ، فلا تعارض بين المتواتر والآحاد بل يقدم المتواتر بالإتفاق.(3)

الشرط التاسع: أنْ لا يمكن العمل بِكُلّ واحد منهما، فإنْ أمكن العمل بِكُلّ واحد منهما ولو مِن وجْه كان العمل به أَوْلَى مِن الترجيح الذي فيه تقديم الراجح على المرجوح وفيه ترْك لِلدليل الثاني، والإعمال أَوْلَى مِن الإهمال.

الشرط العاشر: أنْ يقوم دليل على الترجيح.

الشرط الحادي عشر: أنْ يكون الترجيح بَيْن الأدلة. (4)

الفرع الثالث: شروط المرجَّح به

للمرجح به وهو الدليل الراجح شرطان:

الشرط الأول: أن يكون المرجِّح به قوياً بحيث يجعل تفضيل الدليل الذي يوجد فيه ذلك مقطوعاً به، فإذا وصلت قوة الدليل الراجح إلى درجة يقطع بكونه أزيد من الدليل المرجوح يجوز الترجيح به.

الشرط الثاني: أن يكون المرجّح به وصفاً للمرجح لا دليلاً مستقلاً، وهذا الشرط اشترطه الحنفية

---

(1) إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول للشوكاني (258/2).

(2) البرهان للإمام الجويني (742/2).

(3) راجع في ذلك: إرشاد الفحول (258/2)

(4)التعارض والترجيح عند الأصوليين وأثرهما في الفقه الإسلامي للدكتور محمد الحفناوي .. دار الوفاء – المنصورة الطبعة الثانية، 1408هـ ص 296-297 .

حيث قالوا إن المرجح به يجب أن يكون وصفاً تابعاً للدليل المرجّح غير مستقل بنفسه، وذهب الجمهور إلى عدم اشتراط ذلك، فيجوز عندهم ترجيح دليل على آخر لزيادة فضل فيه سواء كان وصفاً تابعاً أو دليلاً مستقلاً يصلح لإثبات الحكم.(1)

وبعد:

فإن ما ذكر ههنا من الشروط إنما هي شروط الترجيح في الأدلة الفقهية، والذي هو موضوع بحثنا هنا هو الترجيح بين أقوال المفسرين، ولا شك أن ثمة فرق كبير بين الترجيح في الأدلة الفقهية وبين الترجيح بين أقوال المفسرين، وقد يشتركان في بعض الأمور، ولكن مع الأسف فإن من كتب في أصول التفسير لم يعتنوا بالترجيح وتقعيده وتأصيله مثلما اهتمّ بها علماء أصول الفقه.

فالأصولي يذكر شروط المرجّح وهو المجتهد الذي يستنبط الأحكام الفقهية ويناقش الأدلة و من ثم يرجّح بين الأدلة بما يراه موافقاً للأصول والمقاصد الشرعية، وينبغي لنا أن نذكر شروط المرجح الذي يرجّح بين أقوال المفسرين ويختار منها ما يوافق أصول التفسير وقواعده التي قرّرها المفسرون، وبالتالي يمكننا أن نقول: إن الترجيح عند الأصوليين إنما يلجأ إليه في حالة التعارض بين الأدلة وعند المفسرين يلجأ إليه في حالة التعارض بين الأقوال.

فالترجيح الأصولي وليد التعارض بين الأمارات أي الأدلة، والترجيح التفسيري وليد اختلاف الأقوال في تفسير الآية، فوسائل الترجيح بين النصوص عند الأصوليين ليست هي وسائل الترجيح بين الأقوال عند المفسرين والفقهاء، فالأولى تقوم على ما تقرر في الأصول من مرجحات تتعلق بالرواية والأقيسة وغيرها،(2) والثانية تقوم على مدى قوة الدليل سواء من جهة الصحة أو الصراحة.

كما أن أسباب اختلاف المفسرين في التفسير ليست هي أسباب اختلاف الفقهاء في المسائل الفقهية، فالأولى قد تكون هي الاختلاف في الناسخ والمنسوخ وأسباب النزول، أو في قاعدة من قواعد التفسير وغير ذلك،(3) أما أسباب اختلاف الفقهاء فتتعلق إما برواية النص أو بدرايته أو باللغة...، لهذا تختلف أدوات الترجيح باختلاف دواعي التعارض وأسباب الاختلاف.

وبعد هذا كلّه حاولت أن أبحث عن شروط الترجيح عند المفسرين فلم أعثر على كتاب بيّن تلك الشروط و وفّى هذا الموضوع حقّه غير أني بعد البحث والاستقراء وجمع ما تشتّت في الكتب المتفرقة وما تجود به الذاكرة توصلت إلى ما يلي:

---

(1) التعارض والترجيح بين الأدلة الشرعية لعبد اللطيف عبد الله عزيز البرزنجي، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، الطبعة الأولى: 1413هـ 2/134-135

(2) انظر: البحر المحيط في أصول الفقه للزركشي 8/156

(3) انظر: مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية ص11 وما بعدها طبعة دار مكتبة الحياة بيروت (بدون تاريخ الطبع) .

1. أن تتوفر فيمن يرجّح بين أقوال المفسرين جميع الشروط التي يجب أن تتوفر فيمن يتصدى لتفسير كتاب الله عز وجل من معرفة أسباب النزول والناسخ والمنسوخ وقواعد اللغة وأصول الفقه وغيرها مما اشترطه المفسرون لتفسير كلام الله عز وجل.
2. أن يعرف أنواع خلافات المفسرين وأسبابها، ويطلع على معظم أقوالهم في تفسير الآية ويجمعها عند إرادة ترجيح قول على آخر.
3. أن يكون عارفاً بأصول التفسير وقواعده التي وضعها المفسرون لتفسير كلام الله تعالى، كما يجب أن يعرف قواعد ترجيح قوال على آخر.
4. أن يرجّح التفسيرَ الصحيح الصريح المنقول عن الرسول صلى الله عليه وسلم على كل ما سواه من التفسير، ثم يقدّم تفسير الصحابي على تفسيره من جاء بعده ثم التابعين.
5. أن تدور ترجيحاته فيما يتعلق بصميم التفسير من بيان معاني الألفاظ أو معانيها ولا تتعلق بالعلوم الأخرى كالفقه والإعراب وغير ذلك مما لا تمتّ بصلة مباشرة بعلم التفسير والتي مظانها كتب أخرى غير كتب التفسير.
6. أن يكون لديه إلمام بالقراءات القرآنية المتواترة والشاذة، فإن بعض أقوال المفسرين تعتمد على بعض القراءات المتواترة أو الشاذة.
7. أن يعرف إجماعات المفسرين والأقوال المتفقة عندهم، وما ذهب إليه الجمهور منهم.
8. أن يكون ترجيحه قائماً بدليل وقرينة تدلّ على ترجيح قول على غيره من الأقوال؛ لأن الترجيح لايجوز بمجرد التشهي أو التعصّب لمذهب معين أو قول مفسر معيّن، ويشترط في الدليل المرجّح أن يكون قوياً معتبراً.
9. أن يعرف المرجّح بين أقوال المفسرين محل الترجيح، فتعدد الأقوال في معنى آية من القرآن لا تدلّ على ضرورة الترجيح بينها، كما أنه ليس كل تعارض يكون محلاً للترجيح؛ لأن اختلاف المفسرين نوعان:

الأول: اختلاف تنوع وتعدد: وهو أن تحمل الآية على جميع ما قيل فيها إذا كانت معان صحيحة غير متعارضة. ومنه ما يكون كل من القولين هو في معنى القول الآخر، ولكن العبارتين مختلفتان. ومنه ما يكون المعنيان متغايرين، لكن لا يتنافيان، فهذا قول صحيح وهذا قول صحيح وإن لم يكن معنى أحدهما هو معنى الآخر.

الثاني: اختلاف تضاد وتناقض: وهو القولان المتنافيان بحيث لا يمكن القول بهما معاً، فإذا قيل بأحدهما لزم منه عدم القول بالآخر.(1)

فاختلاف التنوع والتعدد يعمل فيه بقواعد الترجيح لبيان الأولى والأرجح في معنى الآية، وإن كانت الآية تحتمل المرجوح أيضاً، واختلاف التضاد والتناقض يعمل فيه بقواعد الترجيح لبيان الصواب في معنى الآية.

10. أن لا يكون الترجيح بين قولين أو أقوال متساوية في القوة والضعف، فلا يجوز أن يكون الترجيح بين قول تابعي مثلاً وبين قول من ليس لدية دراية كافية في التفسير من أبناء هذا الزمان. وبهذا تبطل الترجيح بين أقوال أئمة التفسير المعتمدين وبين بعض الزنادقة الذين يريدون تحريف كلام الله تعالى وتأويله بما لا يستسيغه العقل ولا يدل عليه النقل.

هذه بعض الشروط التي حاولت أن أجمعها أثناء مطالعتي لكتب أصول التفسير، وأسأل الله تعالى أن أكون موفقاً في ذلك.

المطلب الثالث: نماذج من قواعد الترجيح

لقد ذكر بعض المفسرين في ثنايا تفاسيرهم بعض قواعد الترجيح كالطبري وابن عطية وابن جزي وغيرهم، وأخيراً كتبت عنها رسالة علمية بعنوان: قواعد الترجيح عند المفسرين، وهنا نذكر بعض النماذج اليسيرة لهذه القواعد من هذا الكتاب، وهي تنقسم إلى عدة أقسام رئيسة كما يلي:

أولا قواعد الترجيح المتعلقة بالنص القرآني:

1- لا تصح دعوى النسخ في آية من كتاب الله إلا إذا صح التصريح بنسخها أو انتفى حكمها من كل وجه.(2)

2- أقرّ العديد من المفسرين أن الآيات القرآنية التي تأمر بالمعاملة الحسنة مع أهل الكتاب والإقساط لهم هي آيات منسوخة بأية السيف، والأصح عدم النسخ لعدم التعارض.(3)

ثانيا :قواعد الترجيح المتعلقة بالقراءات ورسم المصحف

1- القراءة الثابتة لا ترد وهي كآية مستقلة

2- اتحاد معنى القراءتين أولى من اختلافه

3- معنى القراءة المتواترة أولى بالصواب من معنى الشاذة

(1) انظر: فصول في أصول التفسير للدكتور مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار، دار ابن الجوزي، الطبعة الثانية، 1423هـ ص 80

(2) الموافقات , (108/3)

(3)النسخ في القران لمصطفي زيد (106/1)

4- التفسير والإعراب الموافق لرسم المصحف أولى من المخالف له.

ثالثا : قواعد الترجيح المتعلقة بالسياق القرآني

1- إدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أولى من الخروج به عنهما إلا بدليل.

2- لا يجوز العدول عن ظاهر القرآن إلا بدليل.

3- تحمل معاني القرآن على أسلوبه ومعهود استعماله.

رابعا : قواعد الترجيح المتعلقة بالسنة والآثار والقرائن و تشتمل على ثلاثة أنواع:

أولاً: قواعد الترجيح المتعلقة بالسنة النبوية:

1- إذا ثبت الحديث وكان نصا في الآية فلا يصار إلى غيره.

2- إذا ثبت الحديث وكان في معنى أحد الأقوال فهو مرجح له على ما خالفه.

3- كل تفسير خالف القرآن أو السنة أو الإجماع فهو رد.

4- لا تحمل الآيات على تفصيلات لغيبيات لا دليل عليها.

ثانياً: قواعد الترجيح المتعلقة بالآثار:

1- سبب النزول الصحيح الصريح مرجح لما وافقه من أوجه التفسير

2- تاريخ نزول الآية الثابت مرجح لما وافقه من أوجه التفسير

3- فهم السلف حجة على من بعدهم.

4- تفسير جمهور السلف مقدم على كل تفسير شاذ.(1)

ثالثاً: قواعد الترجيح المتعلقة بالقرائن:

1- قرائن السياق مرجحة على ما خالفه.

2- ما تأيد بآيات قرآنية مقدم على ما عدم ذلك.(2)

3- القول الذي يعظم مقام النبوة أولى من غيره.

4- كل قول طعن في عصمة النبوة ومقام الرسالة فهو رد.

خامسا : قواعد الترجيح المتعلقة بلغة العرب و تشتمل على ثلاثة أنواع أيضاً:

أولاً: قواعد الترجيح المتعلقة باستعمال العرب للألفاظ والمباني. وتحته عدة قواعد:

1-كل تفسير ليس مأخوذا من دلالة ألفاظ الآية وسياقها فهو رد.

2-ليس كل ما ثبت في اللغة صح حمل القرآن عليه.

---

(1) التحرير والتنوير 1 /630 : 645 .

(2) أضواء البيان (212/1) .

3- يحمل كلام الله على المعروف من كلام العرب دون الشاذ والضعيف والمنكر.
4- الأصل في النص الحقيقة.
5- الحقيقة الشرعية مقدمة على الحقيقة اللغوية.
6- الحقيقة العرفية مقدمة على اللغوية.
7- القول بالاستقلال مقدم على القول بالإضمار
8- القول بالترتيب مقدم على القول بالتقديم والتأخير
9-لا تحمل الآية على القلب ولها بدونه وجه صحيح
10- التأسيس أولى من التأكيد
11- التباين أولى من الترادف
12- التأصيل أولى من الزيادة
13- الإفراد أولى من الإشراك
14- تصريف الكلمة واشتقاقها مرجِح
15- العموم أولى من التخصيص
16- العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب
17- الإطلاق أولى من التقييد.(1)

ثانياً: قواعد الترجيح المتعلقة بمرجع الضمير

1-لا يحمل الضمير على الشأن إذا أمكن غيره
2-إعادة الضمير إلى مذكور أولى من إعادته على مقدر
3- إعادة الضمير على المحدث عنه أولى من إعادته إلى غيره
4- توحيد مرجع الضمائر في السياق الواحد أولى من تفريقها.
5-الأصل إعادة الضمير إلى أقرب مذكور ما لم يرد دليل بخلافه.(2)

ثالثاً: قواعد الترجيح المتعلقة بالإعراب

1- يجب حمل كتاب الله على الأوجه الإعرابية اللائقة بالسياق والموافقة لأدلة الشرع.
2-يجب حمل كتاب الله على الأوجه الإعرابية القوية والمشهورة دون الضعيفة والشاذة والغريبة.(3)

---

(1) انظر جامع البيان (12 / 106 , 107)

(2) الصواعق المرسلة 715/2

(3) انظر: قواعد الترجيح عند المفسرين للحربي، فإنه شرح هذه القواعد شرحاً وافياً مع ذكر الأمثلة.

المبحث الثاني

صيغ الترجيح عند الشيخ القنوجي

إن للمفسرين اصطلاحات وعبارات خاصة يوضحون بها ترجيح قول على قول آخر، ثم كل مفسر من المفسرين يختار من تلك الاصطلاحات والألفاظ ما يحلو لهم ويناسب المقام الذي يرون ترجيح قول فيها على آخر، فصيغ الترجيح المتنوعة هي العبارات والألفاظ التي يستعملها المفسر للدلالة على اختياره أو ترجيحه لأحد الأقوال في معنى الآية، وقد تنوعت الألفاظ التي يعبر بها الشيخ القنوجي عن ترجيح المعنى الذي يريد ترجيحه،إلا أنها كلها تجتمع في الإبانة عن الوجه الذي اختاره، ومن أكثر الألفاظ الترجيحية وروداً في تفسيره قوله: (والأول أولى)، الذي يشير إلى أنه يذكر القول الراجح عنده عادة في بداية ذكر الاختلاف ثم يذكر بقية الأقوال، ويجدر بي في هذا المقام أن أذكر بعض الصيغ التي يرجح بها الشيخ رحمه الله بعض الأقوال على بعض والتي تبيّن لي خلال قرآءتي في الجزء المخصص للدراسة، وأترك ضرب الأمثلة لكل لفظ من الألفاظ التي يستخدمها نظراً لقلة الوقت وخوفاً للتطويل والملل، وقد اكتفيت بالإحالة إلى بعضها في الهامش، ومن هذه العبارات والألفاظ ما يلي:

1- الراجح (1)
2- أرجح (2).
3- الصحيح (3)
4- أصحّ (4)
5- يدلّ على صحة (5).
6- ظاهر (6)
7- أظهر (7)

---

(1) انظر: فتح البيان 263/10، 76/11، 121/11، 292/11، 245/11، 299/11، 248/11، 155/11، 418/11، 426/11، وغيرها.

(2) انظر: فتح البيان 12/ 338، 13/ 38، 58/13، 14/ 434، 13/ 375، 412/14 وغيرها.

(3) انظر: فتح البيان 440/14، 15/ 453، 11/ 200، 11/ 407، 12/ 21، 12/ 354. وغيرها.

(4) انظر: فتح البيان 14/ 196، 449/14، 15/ 87، 15/ 308، 11/ 114. وغيرها.

(5) انظر: فتح البيان 13/ 54، 13/ 103. وغيرها.

(6) انظر: فتح البيان 10/ 256، 10/ 267، 22/11، 111/11، 11/ 152، 11/ 217، 11/ 227. وغيرها.

(7) انظر: فتح البيان 11/ 321، 11/ 330، 11/ 405، 11/ 408، 11/ 416، 11/ 431. وغيرها.

8- أولى(1) و كثيراً ما يقول، والأول أولى. أو وما ذكرناه أولى.

9- أشبه(2)

10- أنسب(3)

11- مناسب(4)

12- أقوى(5)

13- يقوّي أو تقوّى...(6)

14- والحقّ(7)

15- وهو الحق(8)

16- المشهور(9)

17- أشهر(10)

18- أجمع المفسرون(11)

19- وأجمعوا (12)

20- أكثر المفسرين (13)

21- أحسن (14)

22- حسن (15)

---

(1) انظر: فتح البيان 11/ 434، 435/11، 12/ 10، 11، 12/ 15، 12/ 18، 12/ 22، 12/ 23، 12/ 35. وغيرها.

(2) انظر: فتح البيان 14/ 419، 15/ 159، 12/ 277. وغيرها.

(3) انظر: فتح البيان 14/ 455، 15/ 159، 12/ 277. وغيرها.

(4) انظر: فتح البيان 124/12، 352/15.

(5) انظر: فتح البيان 14/ 63، 11/ 223، 410/11، 13/ 103. وغيرها.

(6) انظر: فتح البيان 13/ 363، 411/13، 14/ 378، 15/ 216، 11/ 177. وغيرها.

(7) انظر: فتح البيان 12/ 173، 12/ 305، 12/ 389، 13/ 160، 14/ 48 وغيرها.

(8) انظر: فتح البيان 14/ 240، 247/10، 404/11. وغيرها.

(9) انظر: فتح البيان 12/ 367، 13/ 45، 13/ 48. وغيرها.

(10) انظر: فتح البيان 11/ 26، 12/ 217، 164/13. وغيرها.

(11) انظر: فتح البيان 14/ 38، 15/ 75 وغيرها.

(12) انظر: فتح البيان 355/11، 15/ 54. وغيرها.

(13) انظر: فتح البيان 15/ 199، 299، 15/ 319، 15/ 405. وغيرها.

(14) انظر: فتح البيان 10/ 228، 10/ 256، 11/ 94، 134/11. وغيرها.

(15) انظر: فتح البيان 14/ 448، 11/ 79، 11/ 96 وغيرها.

23- أسلم(1)

24- أحوط (2)

25- أفصح(3)

26- الصواب (4)

27- الأوجه (5)

28- أوفق (6)

29- أعرف في اللغة (7)

30- وعندي (8)

31- الأشبه (9)

32- والمختار (10)

33- الأقرب (11)

34- الأليق (12)

وغير ذلك من الصيغ التي ذكرها الشيخ -رحمه الله- في تفسيره، إضافة إلى أنه قد يضرب الصفح عن القول المرجوح أصلاً أو ينسب بعض الأقوال إلى عدم الصحة أو الضعف.

❁❁❁

---

(1) انظر: فتح البيان 13/ 93، 13/ 253. وغيرها.

(2) انظر: فتح البيان 473/14

(3) انظر: فتح البيان 13/ 87. وغيرها.

(4) انظر: فتح البيان 44/12

(5) انظر: فتح البيان 345/12

(6) انظر: فتح البيان 404/11، 87/12، 401/12، 64/13

(7) انظر: فتح البيان 389/14

(8) انظر: فتح البيان 271/12، 15/ 382.

(9) انظر: فتح البيان 145/14

(10) انظر: فتح البيان 15/ 75، 123

(11) انظر: فتح البيان 12/ 422، 14/ 224

(12) انظر: فتح البيان 13/ 225، 306

المبحث الثالث

منهج الشيخ القنوجي في الترجيح بين الأقوال في تفسيره

إن الشيخ -رحمه الله- صرّح في مقدمة تفسيره بأنه يتعرض للترجيح بين الأقوال المتعارضة في كثير من المواضع في تفسيره، و ذكر أيضاً انه يختار القول الراجح والمختار عند أهل العلم من المفسرين وغيرهم، ويقدم تفسير النبي صلى الله عليه وسلم على تفسير غيره ثم تفاسير الصحابة ثم التابعين لهم بإحسان ثم من دونهم من سلف الأمة، فقال: (وجمعته جمعاً حسناً بعبارة سهلة وألفاظ يسيرة مع تعرض للترجيح بين التفاسير المعارضة في مواضع كثيرة، وبيان للمعنى العربي والإعرابي واللغوي مع حرص على إيراد صفوة الصفوة مما ثبت من التفسير النبوي ومن عظماء الصحابة وعلماء التابعين، ومن دونهم من سلف الأمة وأئمتها المعتبرين).(1)

وقال أيضاً: (ووطنت النفس على سلوك طريقة، هي بالقبول عند الفحول حقيقة، مقتصراً فيه على أرجح الأقوال، وإعراب ما يحتاج إليه عند السؤال، وترك التطويل بذكر أقوال غير مرضية، وقصص لا تصح وأعاريب محلها كتب العربية).(2)

فتبيّن من تصريحات الشيخ رحمه الله أنه يهتم بترجيح الأقوال وبيان الأولى والأقوى من الآراء عند التعارض، وأنه يختار الصفوة من الأقوال والمعاني، معتمداً على الأدلة النقلية والعقلية، واضعاً نصب عينيه قواعد الترجيح وأصوله التي رسمها العلماء و وضعوها، سالكاً في ذلك منهجاً مستقيماً لا يحيد عنه. و فيما يلي نذكر أبرز معالم منهجه في الترجيح بين أقوال المفسرين:

أولاً: كثيراً ما يصرح الشيخ القنوجي على تصحيح القول وتصويبه، فيقول مثلاً: وهو الصحيح، والصحيح كذا، وهذا هو الصحيح. وغير ذلك. وأمثلته كما يلي:

1- عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُم بِٱلَّتِي تُقَرِّبُكُمۡ عِندَنَا زُلۡفَىٰٓ ﴾ [سبأ: ٣٧] قال مجاهد(3) : الزلفى: القربى، والزلفة القربة، قال الأخفش(4) : زلفى اسم مصدر كأنه قال: بالتي تقربكم عندنا

---

(1) فتح البيان 1/ 21

(2) فتح البيان 1/ 23

(3) هو الإمام أبوالحجاج مجاهد بن جبر المكي شيخ القراء والمفسرين، روى عن عبدالله بن عباس وأبي هريرة، وعائشة، وغيرهم، وحدث عنه عكرمة وطاووس وعطاء وكثيرون غيرهم، توفي سنة 103هـ. انظر: سيرأعلام النبلاء 449/4. وشذرات الذهب 125/1 .

(4) هو أبو الحسن سعيد بن مسعدة المجاشعي بالولاء، البلخي، نحوي وعالم باللغة والأدب. سكن البصرة، و أخذ العربية عن سيبويه، توفي سنة 215هـ، له مؤلفات عديدة، منها: معاني القرآن والمقاييس في النحو والاشتقاق. انظر: معجم الأدباء 224/11. وبغية الوعاة 590/1.

تقريباً، قال الفراء(1) : إن (التي) تكون للأموال والأولاد جميعاً **وهو الصحيح**.(2)

2 – وقال عند تفسير قوله تعالى: ﴿ ٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلۡأَيۡدِۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٞ ١٧ ﴾ [ص: ١٧] قيل: وهذه الآية منسوخة بآية السيف، وقيل محكمة **وهو الصحيح**.(3)

3- وقال أيضاً عند تفسير قوله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَوۡلُ فِيٓ أُمَمٖ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِم مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِۖ إِنَّهُمۡ كَانُواْ خَٰسِرِينَ ١٨ ﴾ [الأحقاف: ١٨]، **والصحيح** أنه ليس المراد من الآية شخصاً معيناً، بل المراد كل شخص كان موصوفاً بهذه الصفة، وهو كل من دعاه أبواه إلى الدين الصحيح والإيمان بالبعث، فأبى وأنكر وقيل نزلت في كل كافر عاق لوالديه.(4)

4- وقال عند قوله تعالى: ﴿ يَطُوفُ عَلَيۡهِمۡ وِلۡدَٰنٞ مُّخَلَّدُونَ ١٧ ﴾ [الواقعة: ١٧] قيل: وهم ولدان المسلمين الذين يموتون صغاراً لا حسنة لهم ولا سيئة، وهو ضعيف، وقيل: هم أطفال المشركين ماتوا قبل التكليف، ولا يبعد أن يكونوا مخلوقين في الجنة ابتداء، كالحور العين من غير ولادة، للقيام بهذه الخدمة، ليسوا من أولاد الدنيا **وهذا هو الصحيح**.(5)

5 – وقال عند قوله تعالى: ﴿ وَٱذۡكُرۡنَ مَا يُتۡلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلۡحِكۡمَةِۚ ﴾ [الأحزاب: ٣٤]، واختلف العلماء في بيوت النبي - صلى الله عليه وسلم - التي كان يسكن فيها نساؤه بعد موته هل هي ملك لهن أو لا؟ على قولين، فقالت طائفة: كانت ملكاً لهن بدليل أنهن سكن فيها بعد موت النبي - صلى الله عليه وسلم - إلى وفاتهن، وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم وهب لهن ذلك في حياته، الثاني: أن ذلك كان إسكاناً كما يسكن الرجل أهله، ولم يكن هبة وامتدت سكناهن بها إلى الموت، **وهذا هو الصحيح**.(6)

ثانياً: وقد ينص على تحسين القول وتفضيله على غيره، ويذكره بصيغة أفعل التفضيل، فيقول مثلاً: والأول أولى (وهذه الصيغة من أكثر الصيغ استعمالاً في تفسيره للترجيح)، أصحّ، وهو الأحسن، والأول أظهر. وغيرها من الصيغ. وأمثلة ذلك:

---

(1) هو أبو زكريا يحيى بن زياد الإمام الكبير، من مؤلفاته: معاني القرآن الذي ينقل عنه القنوجي، وله مؤلفات أخرى مثل كتاب اللغات والمصادر في القرآن، توفي سنة 207هـ في طريقه إلى مكة. انظر: تاريخ بغداد 149/14، وفيات الأعيان 176/6، البداية والنهاية 10/ 261.

(2) فتح البيان 200/11

(3) فتح البيان 21/12

(4) فتح البيان 26/13

(5) فتح البيان (362/13)

(6) فتح البيان 126/11

1- عند تفسير قوله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحۡنُ نُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ ﴾ [يس: ١٢] يقول: أي نبعثهم بعد الموت، وقال الحسن(1) والضحاك(2): أي نحييهم بالإيمان بعد الجهل، **والأول أولى**.(3)

2- ويقول عن سورة قريش: وهي مكية عند الجمهور، وقال الضحاك **والكلبي(4):** هي مدنية، **والأول أصح**.(5)

3- ويقول عند قوله تعالى: ﴿إِلَّا حَمِيمٗا وَغَسَّاقٗا ٢٥﴾ [النبأ: ٢٥] والاستثناء منقطع عند من جعل البرد النوم، وبه قال الزمخشري،(6) ويجوز أن يكون متصلاً من قوله: (ولا شراباً) وبه قال أبو حيان(7)، وقضية كلام الكواشي(8) تجويز الأمرين، وقيل: أنه بدل من (شراباً) **وهو الأحسن** لأن الكلام غير موجب.(9)

4- يقول عند قوله تعالى: ﴿مِنۡ أَيِّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥ ١٨﴾ [عبس: ١٨] أي من أي شيء خلق الله هذا الكافر،

---

(1) هو الإمام الحسن بن أبي الحسن البصري الأنصاري، ثقة فقيه، فاضل مشهور، كان يرسل كثيراً ويدلس، قال البزار: كان يروي من جماعة لم يسمع منهم، فيتجوّز ويقول: حدثنا وخطبنا، وهو رأس أهل الطبقة الثالثة، توفي سنة 110هـ. انظر: تقريب التهذيب، ص160، رقم الترجمة: (1227).

(2) هو ضحاك بن مخلد بن الضحاك بن مسلم الشيباني، أبو عاصم النبيل، البصري، ثقة، ثبت، من التاسعة مات سنة 117هـ . انظر: تقريب التهذيب، ص 280، رقم الترجمة: (2977).

(3) فتح البيان 275/11

(4) هو أبو النضر محمد بن السائب بن بشر الكلبي المفسر، يروي عنه ولده هشام، وأخذ عه جرير والفرزدق وجماعة، كان رأسا في الأنساب إلا أنه شيعي متروك الحديث. قال بن معين : ليس بثقة. وقال الدار قطني وجماعة: متروك. توفي سنة 146هـ. انظر: سير أعلام النبلاء 434/6. و ميزان الاعتدال لأبي عبد الله محمد بن أحمد الذهبي تحقيق محمد علي البجاوي 4/5ـ 5، دار الفكر العربي بيروت، بدون تاريخ الطبع.

(5) فتح البيان15 /395

(6)هو أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد الخوارزمي الزمخشري، الإمام الكبير في التفسير والحديث والنحو واللغة والبيان، كان معتزلي الاعتقاد، متظاهرا به، جاور مكة فترة. صنف التصانيف البديعة منها: الكشاف والمفصل وأساس البلاغة، توفي سنة 538. انظر: وفيات الأعيان 168/5. وشذرات الذهب 118/4.

(7) أبوحيان محمد بن يوسف بن علي الغرناطي الأندلسي الشافعي من كبار العلماء بالعربية، ولد بغرناطة في شوال سنة654هـ، اجتهد في طلب العلم حتى برع في النحو والصرف وصار فيهما إمام عصره، وكان له اليدالطولى في التفسير والحديث وكان شاعرا نبيلا، توفي بالقاهرة في صفر سنة745هـ. من تصانيفه: البحرالمحيط. انظر: النجوم الزاهرة 111/10، وشذرات الذهب 6/ 145.

(8) هو الإمام أبو العباس موفق الدين أحمد بن يوسف بن الحسن بن رافع ابن الحسين بن سويدان الشيبانيّ الموصلي، الكواشي، عالم بالتفسير، من فقهاء الشافعية. من أهل الموصل. من كتبه: تبصرة المتذكر في تفسير القرآن، و كشف الحقائق، ويعرف بتفسير الكواشي،توفي سنة 680هـ. انظر: الأعلام للزركلي 274/1

(9) فتح البيان15 /38

والاستفهام للتقرير أو تحقير له **والأول أظهر**.(1)

ثالثاً: ومن عادته في الترجيح أيضاً أنه يرجح ما يدل على العموم في أكثر المواضع، على أساس قاعدة: (العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب)، فيقول مثلاً: وظاهر الآية العموم، والعموم أولى، وظاهر الآية العموم، وغيرها من الصيغ. وأمثلة ذلك:

1- عند قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡكَبِيرُ﴾[البروج: ١١] قال: **وظاهر الآية العموم** فيدخل في ذلك المحرقون في الأخدود بسبب إيمانهم دخولاً أولياً.(2)

2- وقال عند قوله تعالى: ﴿يَوۡمَ يَفِرُّ ٱلۡمَرۡءُ مِنۡ أَخِيهِ ٣٤ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ٣٥﴾ [عبس: [٣٤ - ٣٥] قيل: أول من يفر من أخيه هابيل، ومن أبويه إبراهيم، ومن صاحبته نوح ولوط، ومن ابنه نوح، **والعموم أولى**.(3)

3- وقال في تفسير قوله تعالى: ﴿وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُواْ جَنَّةٗ وَحَرِيرٗا ١٢﴾ [الإنسان: ١٢] أي بسبب صبرهم على التكاليف، وقيل على الفقر، وقيل على الجوع، وقيل على الصوم **والأولى حمل الآية** على الصبر على كل شيء يكون الصبر عليه طاعة لله سبحانه. ثم قال: وظاهر هذه الآيات العموم في كل من خاف من يوم القيامة وأطعم لوجه الله وخاف من عذابه، والسبب وإن كان خاصاً كما تقدم فالاعتبار بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، ويدخل سبب النزول تحت عمومها دخولاً أولياً.(4)

رابعاً: ومن منهجه في ذكر الأقوال أنه يصدرها بالقول الراجح ولكنه يرجحه في الأخير فيقول مثلاً: والأول أولى، والأولى ما ذكرناه. وغيرها، وأمثلها كما يلي:

1- عند تفسير قوله تعالى: ﴿عَيۡنٗا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلۡسَبِيلٗا ١٨﴾ [الإنسان: ١٨] والسلسبيل الشراب اللذيذ مأخوذ من السلاسة، تقول العرب هذا شراب سلس وسلسال وسلسبيل أي طيب لذيذ، قال الزمخشري: وقد زيدت الباء في التركيب حتى صارت الكلمة خماسية ودلت على غاية السلاسة، قال الزجاج(5): السلسبيل في اللغة اسم لماء في غاية السلاسة سريع الجريان يسوغ في حلوقهم،... وقال ابن

---

(1) فتح البيان 82/15

(2) فتح البيان 167/15

(3) فتح البيان 15/ 88

(4) فتح البيان465/14

(5) هو إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج. ولد سنة 241هـ. نحوي ولغوي، ولد ومات في بغداد، تعلم النحو من المبرد. كانت له مناقشات كثيرة مع ثعلب وغيره، توفي سنة 311هـ. من كتبه: الأمالي والاشتقاق وإعراب القرآن ومعاني القرآن. وفيات الأعيان 49/1.

الأعرابي(1): لم أسمع السلسبيل إلا في القرآن، وقال مكي: هو اسم عجمي نكرة فلذلك صرف وزنه مثل دردبيس، وقيل فعفليل لأن الفاء مكررة وقيل سلسة منقادة لهم يصرفونها حيث شاؤوا **والأول أولى**.(2)

2- وقال في تفسير قوله تعالى: ﴿تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ۝٢٥﴾ [القيامة: ٢٥] الفاقرة الداهية العظيمة، يقال فقرته الفاقرة أي كسرت فقار ظهره، قال قتادة(3): الفاقرة الشر، وقال السدي(4): الهلاك وقال ابن زيد(5) : دخول النار، وقيل الحجاب عن رؤية الله تعالى، **والأول أولى**.(6)

3- وعند تفسير قوله تعالى: ﴿لَّٰبِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا ۝٢٣﴾ [النبأ: ٢٣] يقول: و أحقاباً جمع حقب بضمتين وهو الدهر، والأحقاب الدهور، والحقب بضم الحاء وسكون القاف قيل هو ثمانون سنة. ثم ذكر أقوالاً أخر وقال في آخره: **والأولى** ما ذكرناه أولاً من أن المقصود بالآية التأييد لا التقييد.(7)

خامساً: وقد يذكر القول الأول بصيغة الجزم ويذكر باقي الأقوال بصيغة التمريض، مما يدلّ على أنه يذهب إلى ترجيح القول الأول. مثاله: عند تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا﴾ [الجن: ١] قال: (عجباً) في فصاحته وبلاغته وغزارة معانيه وغير ذلك، وقيل: عجباً في مواعظه، وقيل: في بركته.(8)

سادساً: ومن منهجه في الترجيح أنه ينقل ترجيحات المفسرين السابقين، فيؤيد ذلك الترجيح بأدلة

---

(1) هو الإمام أبو عبد الله محمد بن زياد، المعروف بابن الأعرابي، علامة باللغة من أهل الكوفة، ولد سنة 150هـ، من تصانيفه " أسماء الخيل وفرسانها " و" تاريخ القبائل" و" النوادر " وغير ذلك، مات بسامراء سنة 231هـ. انظر: شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد الحنبلي 70/2، ط. الثانية 1399هـ 1979م، دار المسير بيروت، والأعلام لخير الدين الزركلي 365/6، ط. الثالثة، بدون تاريخ الطبع ورقمه.

(2) فتح البيان 471/14

(3) هو قتادة بن دعامة بن قتادة، أبو الخطاب، البصري التابعي أجمعوا على جلالته وتوثيقه وحفظه وفضله توفي سنة: 117هـ. انظر: تذكرة الحفاظ الذهبي 122/1، و شذرات الذهب 153/1.

(4) هو إسماعيل بن عبد الرحمن بن أبي كريمة، الإمام المفسر، أبو محمد الحجازي ثم الكوفي الأعور السدي، أحد موالي قريش، وهو السدي الكبير صاحب التفسير. حدث عن أنس بن مالك وابن عباس وأبي عبد الرحمن السلمي ، وعنه شعبة وسفيان الثوري وأبوعوانة وغيره. قال النسائي: صالح الحديث، وقال أحمد بن حنبل: ثقة. مات سنة 127هـ. وأما السدي الصغير فهو محمد بن مروان الكوفي، أحد المتروكين ، كان في زمن وكيع. انظر: سير أعلام النبلاء 264/5-265. وتهذيب الكمال 131/3.

(5) هو عبدالرحمن بن زيد بن أسلم المدني. كان صاحب قرآن وتفسير. وحدث عن: أبيه، وابن المنكدر، وأبي حازم، وصفوان بن سليم. وروى عنه: أصبغ بن الفرج، وقتيبة، وهشام بن عمار، وآخرون. جمع تفسيرا في مجلد، وكتابا في الناسخ والمنسوخ. توفي سنة 182هـ. انظر: طبقات المفسرين: للداودي، 271/1

(6) فتح البيان 14/ 445

(7) فتح البيان 15/36-37

(8) فتح البيان 351/14

منه، فيقول مثلاً: قال القرطبي(1): الصحيح في الآية... ويؤيده...مثاله:

في تفسير قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمۡ تَفَسَّحُواْ فِي ٱلۡمَجَٰلِسِ فَٱفۡسَحُواْ يَفۡسَحِ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ﴾ [المجادلة: ١١] يقول: **وقال القرطبي: الصحيح** في الآية أنها عامة في كل مجلس، اجتمع فيه المسلمون للخير والأجر، سواء كان مجلس حرب أو ذكر أو يوم جمعة وأن كل واحد أحق بمكانه الذي يسبق إليه، ولكن يوسع لأخيه ما لم يتأذ بذلك فيخرجه الضيق عن موضعه. **ويؤيد هذا حديث** " ابن عمر عند مسلم والبخاري وغيرهما عن النبي صلى الله عليه وسلم، أنه قال: (**لا يقيم الرجل الرجل من مجلسه ثم يجلس فيه ولكن تفسحوا وتوسعوا**)(2)".(3)

سابعاً: ومن منهجه في الترجيح أيضاً أن يذكر ترجيحات بعض المفسرين السابقين لقول ما، فيسكت عن ترجيحه ولا يعقب عليه بما يدل على أنه يوافقه، أو يؤيده، فيقول مثلاً: قال القرطبي: والأول أولى، وقال فلان: وهو الصحيح... وغيرها. ومثاله:

1. يقول في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡتَرِي لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًاۚ﴾ [لقمان: ٦] "**قال القرطبي: إن أولى** ما قيل في هذا الباب هو تفسير لهو الحديث بالغناء قال: وهو قول الصحابة والتابعين. قال ابن عباس: لهو الحديث باطله، وعنه قال: هو الغناء وأشباهه. أخرجه البخاري في الأدب المفرد،(4) وعن ابن مسعود قال: هو والله الغناء، وعن ابن عباس والحسن وعكرمة(5)، وسعيد بن جبير(6): قالوا لهو الحديث هو الغناء.(7)

2. ويقول في تفسير قوله تعالى: ﴿فَـَٔاتِ ذَا ٱلۡقُرۡبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلۡمِسۡكِينَ وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِۚ﴾ [الروم: ٣٨] وللقريب الفقير في

---

(1)هو الإمام عبدالله محمد بن أحمد بن أبي بكر الأنصاري الخزرمي الأندلسي، من كبار المفسرين، من آثاره الجامع لأحكام القرآن، والتذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة، توفي سنة (671هـ)، انظر: الأعلام للزركلي322/5.

(2) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الاستئذان (79) باب: لا يقيم الرجل الرجل من مجلسه وبعده، رقم الحديث: (6269) و (6270)، وأخرجه مسلم أيضاً في صحيحه كتاب السلام (39) باب: تحريم إقامة الإنسان من موضعه المباح الذي سبق إليه (11)، رقم الحديث: (2177)، واللفظ لمسلم غير أن فيه (من مقعده) بدل (مجلسه).

(3) فتح البيان 24/14

(4)انظر: صحيح الأدب المفرد للإمام البخاري، تحقيق وتعليق: محمد ناصر الدين الألباني، دار الصديق للنشر والتوزيع، الطبعة الرابعة، 1418 هـ ص 487، رقم الحديث: 1265، وقال الشيخ الألباني: صحيح الإسناد موقوفاً.

(5) هو أبو عبد الله عكرمة البربري، مولى ابن عباس أصله بربري، ثقة ثبت عالم بالتفسير لم يثبت تكذيبه عن ابن عمر ولا تثبت عنه بدعة، من الثالثة، مات سنة أربع ومائة، وقيل بعد ذلك. انظر: تقريب التهذيب ص397، رقم الحديث: (4673).

(6) هو سعيد بن جبير الأسدي مولاهم الكوفي ثقة ثبت فقيه من الثالثة، وروايته عن عائشة وأبي موسى ونحوهم مرسلة، قتل بين يدي الحجاج سنة خمس وتسعين ولم يكمل الخمسين. يراجع تقريب التهذيب ص 234، رقم الترجمة: (2278).

(7) فتح البيان 10/ 274

مال قريبه الغني حق واجب، وبه قال مجاهد وقتادة، قال مجاهد: لا تقبل صدقة من أحد ورحمه محتاج وقيل: المراد بالقربى: النبي صلى الله عليه وآله وسلم **قال القرطبي: والأول أصح.**(1)

3. وفي تفسير قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمۡ فَمِنكُمۡ كَافِرٞ وَمِنكُم مُّؤۡمِنٞۚ﴾ [التغابن: ٢] يقول: وقال عطاء(2): فمنكم كافر بالله مؤمن بالكواكب ومنكم مؤمن بالله، كافر بالكواكب. قال الزجاج: إن الله خلق الكافر، وكفره فعل له وكسب، مع أن الله خالق الكفر، وخلق المؤمن، وإيمانه فعل له وكسب، مع أن الله خالق الإيمان، والكافر يكفر ويختار الكفر بعد خلق الله إياه، لأن الله تعالى قدر ذلك عليه وعلمه منه، لأن وجود خلاف المقدر عجز، ووجود خلاف المعلوم جهل، هذا طريق أهل السنة، فمن سلك هذا أصاب الحق وسلم من مذهب الجبرية والقدرية(3)، **قال القرطبي: وهذا أحسن الأقوال،** وهو الذي عليه جمهور الأمة وقدم الكافر على المؤمن؛ لأنه الأغلب عند نزول القرآن، وفيه رد لقول من يقول بالمنزلة بين المنزلتين.(4)

ثامناً: و قد يردّ على بعض ما رجحه السابقون معقباً على ترجيحه بأدلة قوية، فيقول مثلاً: واختار فلان كذا ولكن الصحيح...، أو وليس بجيد... مثاله:

1. يقول عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَقَرۡنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ [الأحزاب: ٣٣] وقيل: المعنى وأقررن به عيناً في بيوتكن. قال النحاس(5): **وهو وجه حسن، وأقول: ليس بحسن** ولا هو معنى الآية، فإن المراد بها أمرهن بالسكون والاستقرار في بيوتهن، وليس من قرة العين أي الزمن بيوتكن، عن محمد بن

---

(1) فتح البيان 251/10

(2) هو الإمام أبو محمد عطاء بن أبي رباح، شيخ الإسلام، مفتي الحرم، القرشي مولاهم، ولد أثناء خلافة عثمان ونشأ بمكة، أدرك مائتين من أصحاب رسول الله. كان من أوعية العلم، سيد التابعين علما وعملا وإتقانا في زمانه، توفي سنة 115هـ. انظر: سير أعلام النبلاء 552/5 ـ 559. وميزان الاعتدال 467/3.

(3) القدرية: هم الذين يعتقدون أن الإنسان صانع أفعاله وخالقها خيرها وشرها ولا دخل لقدرة الله فيها.

والجبرية: هم الذين يقولون: إن أفعال الإنسان خيرها وشرها من الله وأن نسبتها إلى العبد إنما هي على سبيل المجاز كقولنا جرى النهر وإنما الذي أجراه حقيقة هو الله، فالإنسان في زعمهم كالريشة في مهب الريح، ولهذا قيل: إن الجبرية والقدرية متقابلتان تقابل التضاد، انظر: موسوعة الفرق المنتسبة للإسلام لمجموعة من الباحثين بإشراف الشيخ عَلوي بن عبد القادر السقاف، موقع الدرر السنية على الإنترنت، 4/ 189، انظر:

https://www.dorar.net/firq/872

(4) فتح البيان164/14

(5) هو أبو جعفر أحمد بن محمد إسماعيل المرادي النحاس النحوي المصري. أخذ النحو عن الزجاج والأخفش، توفي سنة 338هـ. له تصانيف مفيدة منها: تفسير القرآن وإعراب القرآن والكافي. انظر: وفيات الأعيان 99/1 وشذرات الذهب 346/2.

سيرين(1) قال: نبئت أنه قيل لسودة(2) زوج النبي -صلى الله عليه وسلم- "**مالك لا تحجين ولا تعتمرين كما تفعل أخواتك "؟ فقالت: " قد حججت واعتمرت وأمرني الله أن أقرّ في بيتي، فوالله لا أخرج من بيتي حتى أموت" قال: فوالله ما خرجت من باب حجرتها حتى أخرجت جنازتها**(3)".(4)

2. وقال في قوله تعالى: ﴿وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعۡدَ ظُلۡمِهِۦ﴾ [الشورى: ٤١] واللام هي لام الابتداء وقال الحوفي(5) وابن عطية(6): هي لام القسم، **وليس بجيد**، بل الأولى أولى.(7)

تاسعاً: وقد يضعّف قولاً يراه ضعيفاً بصيغ مختلفة، مثل: وهذا ليس بجيد، وفيه بعد، ولا يصح ذلك. وغيرها من الصيغ. مثاله:

1. يقول في تفسير قوله تعالى: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ﴾ [الشورى: ١١] والمراد بذكر المثل هنا المبالغة في النفي بطريق الكناية فإنه إذا نفى عمن يناسبه كان نفيه عنه أولى، كقولهم: مثلك لا يبخل وغيرك لا يجود، وقيل: إن الكاف زائدة للتوكيد لأنه تعالى لا مثل له، وهو المشهور عند المعربين، وقيل: إن مثل زائدة قاله ثعلب(8) وغيره، كما في قوله: ﴿فَإِنۡ ءَامَنُواْ بِمِثۡلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهۡتَدَواْۖ﴾ [البقرة: ١٣٧] أي بما آمنتم

---

(1) هو محمد بن سيرين البصري الأنصاري بالولاء ولد سنة 33هـ ، إمام وقته في علوم الدين بالبصرة ، تابعي من الأشراف الكتاب، اشتهر بالورع وتعبيرالرؤيا توفي سنة 110هـ . انظر: وفيات الأعيان 181/4 وتهذيب التهذيب 214/9.

(2) هي السيدة أم المؤمنين سودة بنت زمعة بن قيس بن عبد شمس القرشية العامرية. كان تزوّجها السكران بن عمرو أخو سهيل بن عمرو، فتوفي عنها فتزوجها رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه وسلّم بعد خديجة، قيل: توفيت في آخر زمان عمر بن الخطاب، ويقال: ماتت سنة 54 هـ. انظر: الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى - 1415 هـ 196/8، رقم الترجمة: (11363)

(3) لم أعثر على هذه الرواية في كتب متون الحديث، غير أن بعض المفسرين ذكروها عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَقَرۡنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ وعزاها السيوطي في الدر المنثور 599/6 إلى عبد بن حميد وابن المنذر فلم أجدها في مسند عبد بن حميد ولا في تفسير ابن المنذر، وانظر: تفسير ابن عطية 383/4، والقرطبي 14/ 180، والثعلبي 34/8، والبحر المحيط 74/8، والسراج المنير للخطيب الشربيني 243/3، مطبعة بولاق، القاهرة، وفتح القدير 324/4 وغيرها.

(4) فتح البيان82/11

(5) هو الإمام أبو الحسن علي بن إبراهيم بن سعيد، الحوفي النحوي، من العلماء باللغة والتفسير، من أهل الحوف (بمصر) من كتبه: البرهان في تفسير القرآن و الموضح في النحو، و مختصر كتاب العين، توفي سنة 430هـ. انظر: الأعلام للزركلي 250/4

(6) هو الإمام أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن عطية، الغرناطي قدوة المفسرين، القاضي. ولد سنة 481. كان فقيها، عالما بالتفسير والأحكام والحديث والفقه والنحو واللغة والأدب. توفي سنة 541هـ. ألف كتابه الوجيز في التفسير. انظر: سير أعلام النبلاء 45/7

(7) فتح البيان314/12

(8) هو أبو العباس أحمد بن يحيى بن زيد بن سيار الشيبانيّ، المعروف بثعلب، إمام الكوفيين في النحو واللغة. كان راوية للشعر، محدثا، مشهورا بالحفظ وصدق اللهجة، ثقة حجة. ولد في بغداد سنة 200هـ ومات بها سنة 291هـ . من كتبه: الفصيح و قواعد الشعر و شرح ديوان زهير و مجالس ثعلب و معاني القرآن و إعراب القرآن) وغير ذلك. انظر: الأعلام للزركلي 267/1

به، **وهذا ليس بجيد،** بل الأول أولى.(1)

2. يقول في تفسير: ﴿لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ﴾ [لقمان: ٦]، وروي عن الحسن أن المراد بلهو الحديث: هو الكفر والشرك. **وفيه بعد.** (2)

3. وقال في تفسير في قوله تعالى: ﴿وَوَالِدٖ وَمَا وَلَدَ ۝٣﴾ [البلد: ٣] وقال عكرمة وسعيد بن جبير: (ووالد) يعني الذي يولد له (وما ولد) يعني العاقر الذي لا يولد له وكأنهما جعلا (ما) نافية، **هو بعيد ولا يصح ذلك** إلا بإضمار الموصول أي ووالد والذي ما ولد.(3)

عاشراً: وقد لا يضعف قولاً، ولا يردّ عليه، ولكنه يراه أحد احتمالات الآية، فيقول مثلاً: ويحتمل...، ومثاله: عند تفسير قوله تعالى: ﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُم مَّا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُواْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِ﴾ [الأحقاف: ٤] يقول: (أَرُونِي) يحتمل أن يكون تأكيداً لقوله: قل أرأيتم أي أخبروني أروني والمفعول الثاني لأرأيتم قوله: (مَاذَا) أي أيُّ شيء (خَلَقُواْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِ)؟ ويحتمل أن لا يكون تأكيداً بل يكون هذا من باب التنازع، لأن أرأيتم يطلب مفعولاً ثانياً وأروني كذلك.(4)

إلى غير ذلك من الأساليب التي تبيّن بوضوح منهجه في اختيار المؤلف ما يرجحه بالنص على بلفظ صريح في الاختيار تارة أو مشعر به تارة أخرى، أو صريح في طرح القول المرجوح أو مشعر باطّراحه.

---

(1) فتح البيان 281/12

(2) فتح البيان 10/ 274

(3) فتح البيان 239/15

(4) فتح البيان 10/13

المبحث الرابع

وجوه الترجيح عند الشيخ القنوجي

إن المفسرين يستفيدون في ترجيح الأقوال في تفاسيرهم من وجوه الترجيح المختلفة التي رسمها العلماء وذكروها في أصولهم، ونعني بهذه الوجوه تلك الطرق التي يسلكها المفسرون لتقوية أحد الأقوال في المسائل التي ترتبط بتفسير القرآن الكريم على غيرها، وحين نقرأ في تفسير الشيخ القنوجي نجد فيه أيضاً نماذج صالحة للوجوه التي اعتمد عليها الشيخ القنوجي في تفسيره كثيراً، ومن هذه الوجوه ما يلي:

1. الترجيح بدلالة النص القرآني.
2. الترجيح بدلالة النسخ
3. الترجيح بدلالة القراءة القرانية
4. الترجيح بدلالة السياق القرآني.
5. الترجيح بدلالة الحديث النبوي
6. الترجيح بدلالة الإجماع
7. الترجيح بدلالة سبب النزول
8. الترجيح بدلالة كونه تفسيراً للسلف من الصحابة والتابعين.
9. الترجيح بدلالة عصمة النبوة
10. الترجيح بدلالة اللغة.

أولاً: الترجيح بدلالة النص القرآني:

يرجح الشيخ القنوجي بعض الأقوال على أساس آية أخرى يؤيد معناها قولاً من أقوال المفسرين، لأن القاعدة التفسيرية الترجيحية تقول: (**القول الذي تؤيده آيات قرآنية مقدم على ما عدم ذلك**)(1) فلذا يرجح القنوجي ذلك القول لأنه يؤيده القرآن، ومن أمثلة ذلك:

1. في تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَقۡبَلَ بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ يَتَسَآءَلُونَ ٢٧﴾ [الصافات: ٢٧] قال: قيل: هم الأتباع والرؤساء يسأل بعضهم بعضاً سؤال توبيخ وتقريع ومخاصمة، قال ابن عباس: ذلك إذا بعثوا في النفخة الثانية وقال مجاهد: هو قول الكفار للشياطين، وقال قتادة: هو قول الإنس للجن، **والأول أولى** لقوله: ﴿قَالُوٓاْ

(1) انظر: مقدمة التفسير ضمن مجموع الفتاوى (363/13)، و مقدمة أضواء البيان (7/1)، لمحمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت – لبنان ، 1415 هـ - 1995 م، و قواعد الترجيح لحسين الحربى (312/1)، لحسين بن على بن حسين الحربي، دار القاسم الرياض، الطبعة الأولى 1417ه /1996م.

﴿إِنَّكُمۡ كُنتُمۡ تَأۡتُونَنَا عَنِ ٱلۡيَمِينِ ٢٨﴾ [الصافات: ٢٨].(1)

2. ومثله في تفسير قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ﴾ [الأحقاف: ١٥] أي بلغ استحكام قوته وعقله، وغاية شبابه واستوائه، وهو جمع لا واحد له من لفظه، وكان سيبويه(2) يقول: واحده شدة، وبلوغ الأشد أن يكتهل، ويستوفي السن التي تستحكم فيها قوته ولبه، وذلك إذا أناف على الثلاثين وناطح الأربعين، وقد مضى تحقيق الأشد مستوفى، ولا بد من تقدير جملة تكون حتى غاية لها، أي عاش واستمرت حياته، وقيل: بلغ عمره ثماني عشرة سنة. وقيل: الأشد الحلم، قاله الشعبي(3) وابن زيد، وقال الحسن: وهو بلوغ الأربعين **والأول أولى** لقوله: ﴿وَبَلَغَ أَرۡبَعِينَ سَنَةً﴾ [الأحقاف: ١٥] فإن هذا يفيد أن بلوغ الأربعين هو شيء وراء بلوغ الأشد.(4)

ثانياً: الترجيح بدلالة النسخ:

من الوجوه التي يرجح بها الأقوال على غيرها دلالة النسخ، فإن بعض المفسرين يقولون بالنسخ من غير دليل، فالقول بعدم النسخ عند ذلك أحد الوجوه التي يرجح بها قول على آخر، والقاعدة تقول: **(لا تصحّ دعوى النسخ في آية من كتاب الله تعالى إلا إذا صحّ التصريح بنسخها أو انتفى حكمها من كل وجه)**.(5) ومن الأمثلة على ذلك في تفسير القنوجي ما يلي:

عند تفسير قوله تعالى: ﴿قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَغۡفِرُواْ لِلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ﴾ [الجاثية: ١٤]، قال: قيل: والآية منسوخة بآية السيف **والأقرب** أن يقال: إنه محمول على ترك المنازعة، وعلى التجاوز فيما يصدر عنهم من الكلمات المؤذية وعن ابن عباس في الآية قال " كان نبي الله صلى الله عليه وسلم يعرض عن المشركين إذا آذوه وكانوا يستهزئون به ويكذبونه فأمره الله أن يقاتل المشركين كافة "، فكان هذا من المنسوخ والأولى القول بعدم النسخ.(6)

ثالثاً: الترجيح بدلالة القراءة القرآنية:

---

(1) فتح البيان 380/11

(2) هو أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، الحارثي، اشتهر بسيبويه، إمام في النحو، تعلم على الخليل بن أحمد الفراهيدي فبرع في النحو. كتب الكتاب في النحو. عارض الكسائي فخطأه فخرج إلى فارس وأقام بها إلى وفاته. انظر: النجوم الزاهرة 99/2.

(3) هو أبو عمر عامر بن شرحبيل الهمداني الكوفي من شعب همدان. مولده في أثناء خلافة عمر. كان إماما حافظا فقيها متفننا متقنا علامة التابعين. يقال: إنه أدرك خمسائة من الصحابة. قال أحمد العجلي: مرسل الشعبي صحيح، لا يكاد يرسل إلاصحيحا. توفي سنة 104هـ. انظر: وفيات الأعيان 12/3 وتذكرة الحفاظ 79/1 .

(4) فتح البيان 23/13

(5) قواعد الترجيح عند المفسرين للحربي 71/1

(6) فتح البيان 422/12

قد يرجّح المفسر قولاً بدلالة قراءة أخرى من القراءات القرآنية، وهي وجه من وجوه الترجيح سواء كانت القراءة متواترة أو غير متواترة؛ لأنها على كل حال تدل على تفسير الآية، ومن الأمثلة على ذلك:

1. في تفسير قوله تعالى: ﴿ٱلَّتِي لَمۡ يُخۡلَقۡ مِثۡلُهَا فِي ٱلۡبِلَٰدِ ۝٨﴾ [الفجر: ٨] قال: هذه صفة لعاد أي لم يخلق مثل تلك القبيلة في الطول والشدة والقوة وهم الذين قالوا ﴿مَنۡ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً﴾ [فصلت: ١٥] أو صفة للقرية على قول من قال أن إرم اسم لقريتهم أو للأرض التي كانوا فيها، **والأول أولى** ويدل عليه قراءة أبيّ بن كعب ﴿ٱلَّتِي لَمۡ يُخۡلَقۡ مِثۡلُهُم فِي ٱلۡبِلَٰدِ ۝٨﴾ [الفجر: ٨].(1)

2. ومثاله أيضاً قوله تعالى: ﴿فَوَيۡلٞ لِّلۡقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ﴾[الزمر: ٢٢] قال الفراء والزجاج: أي عن ذكر الله ... والمعنى ... عن قبول ذكر الله ... وقيل: المعنى من أجل ذكره الذي من حقه أن تنشرح له الصدور، وتطمئن به القلوب، والمعنى أنه إذا ذكر الله اشمأزوا، **والأول أولى**، ويؤيده قراءة من قرأ عن ذكر الله.(2)

رابعاً: الترجيح بدلالة السياق القرآني:

والمفسرون أيضاً يعتبرون السياق أمراً مهماً في ترجيح المعنى المراد من الآية، وذلك لأن الجمل ترتبط بعضها مع بعض، والقاعدة الترجيحية تقول: (**القول الذي تؤيده قرائن في السياق مرجح على ما خالفه**)(3)ومن الأمثلة على ذلك في التفسير القنوجي ما يلي:

قال في تفسير سورة الإخلاص: وتكرير الاسم الجليل للإشعار بأن من لم يتصف بذلك فهو بمعزل عن استحقاق الألوهية، وحذف العاطف من هذه الجملة لأنها كالنتيجة للجملة الأولى. وقيل أن الصمد صفة للإسم الشريف، والخبر هو ما بعده **والأول أولى** لأن السياق يقتضي استقلال كل جملة.(4)

خامساً: الترجيح بدلالة الحديث النبوي:

كون الرسول صلى الله عليه وسلم أول مفسر للقرآن الكريم وأول مبين له، فلا بد للمفسر من الرجوع إلى الحديث النبوي لتفسير القرآن الكريم، وكل تفسير خالف حديث النبي صلى الله عليه وسلم فهو مردود، ولذا جعل المفسرون الحديث النبوي أحد وجوه ترجيح الأقوال على غيرها،

---

(1) فتح البيان 221/15

(2) فتح البيان 103/12

(3) انظر: مقدمة أضواء البيان (12/1) ، و الجامع لأحكام القرآن (291/3) ، لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي تحقيق : أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة الطبعة : الثانية ، 1384هـ - 1964 م ، وقواعد الترجيح للحربي(299/1).

(4) فتح البيان 449/15

والقاعدة الترجيحية تقول: (**إذا ثبت الحديث ، وكان في معنى أحد الأقوال فهو مرجح له على ما خالفه**)(1) ومن الأمثلة على ذلك في تفسير القنوجي ما يلي:

ذكر الشيخ القنوجي في تفسير قوله تعالى: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ﴾ [الممتحنة: ٨] حديث أسماء بنت أبي بكر(2) -رضي الله عنها- الذي رواه البخاري ومسلم وغيرهما، **قالت: أتتني أمي راغبة وهي مشركة في عهد قريش إذ عاهدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألت النبي صلى الله عليه وسلم أأصلها؟ فأنزل الله: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ﴾ الآية فقال: نعم صلي أمك** ".(3) ثم قال: قال ابن زيد: كان هذا في أول الإسلام عند الموادعة وترك الأمر بالقتال، ثم نسخ، قال قتادة: نسخ بقوله: ﴿فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾ [التوبة: ٥]، وقيل: هذا الحكم كان ثابتاً في الصلح بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين قريش، فلما زال الصلح بفتح مكة نسخ الحكم، وقيل: هي خاصة في حلفاء النبي صلى الله عليه وسلم؛ من بينه وبينه عهد، قاله الحسن وقال الكلبي: هم خزاعة(4) وبنو الحارث بن عبد مناف،(5) وقال مجاهد: هي خاصة في الذين آمنوا ولم يهاجروا، وقيل: هي خاصة بالنساء والصبيان، وحكى القرطبي عن أكثر أهل التأويل أنها محكمة، **وهو الأولى** لحديث أسماء المتقدم المتفق عليه.(6)

---

(1) انظر: مقدمة أضواء البيان (23/1) ، قواعد الترجيح لحسين الحربي (206/1) .

(2) هي أسماء بنت عبد اللَّه بن عثمان التيمية، والدة عبد اللَّه بن الزبير، وبنت أبي بكر الصديق، وأمّها قتلة أو قتيلة بنت عبد العزى، أسلمت بمكة بعد سبعة عشر نفسا، وتزوجها الزبير بن العوام، وهاجرت وهي حامل منه بولده عبد اللَّه، فوضعته بقباء، وكانت تلقّب ذات النطاقين. ولدت قبل الهجرة بسبع وعشرين سنة، وعاشت إلى أن ولي ابنها الخلافة ثم إلى أن قتل، وماتت بعده بقليل، قيل: عاشت بعد ابنها عشرين يوما، وقيل غير ذلك. روت عن النبي -صلّى اللَّه عليه وسلّم-، وروى عنها ابناها: عبد اللَّه، وعروة وأحفادها وابن عباس وغيرهم. انظر: الإصابة لابن حجر 12/8-14، رقم الترجمة (10804)

(3) رواه البخاري في صحيحه، باب الهدية للمشركين، 164/3، رقم الحديث: (2620)، ورواه مسلم في صحيحه، باب فضل النفقة والصدقة على الأقربين، 696/2، رقم الحديث: (1003).

(4) هي قبيلة من الأزد، القحطانية، وهم: بنو عمرو بن ربيعة، وهو لحيّ بن حارثة بن عمرو مزيقياء، كانوا بأنحاء مكة في مرّ الظهران، وما يليه من جبالهم، وفيهم بطون كثيرة، وكانت لهم ولاية البيت (الكعبة) قبل قريش، وكانوا يعظمون مناة، وهو اسم صنم، كان لهذيل، وخزاعة، بين مكة، والمدينة. وقد أعانت قريش بني بكر على خزاعة، ثم دخلت بنو بكر في عهد قريش ودخلت خزاعة في عهد رسول الله (ص) وذلك سنة 8 هـ. وحاربت خزاعة مع علي ابن أبي طالب سنة 37 هـ. انظر: معجم قبائل العرب القديمة والحديثة لعمر بن رضا كحالة الدمشقي، 338/1 مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة السابعة، 1414 هـ

(5) هي بطن من قيس بن عيلان، من العدنانية، وهم: بنو الحارث بن عبد مناف بن هلال بن عامر ابن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن ابن منصور بن عكرمة بن قيس بن عيلان انظر: معجم قبائل العرب القديمة والحديثة 229/1

(6) فتح البيان 82/14

سادساً: الترجيح بدلالة الإجماع:

يعتبر الإجماع أحد الأدلة القطعية على ثبوت شيء أو نفيه، وكذلك إجماع المفسرين يعتبر وجهاً من وجوه الترجيح بين الأقوال، والقاعدة الترجيحية تقول: (**كل تفسير خالف القرآن أو السنة أو إجماع الأمة فهو رد**)(1)، وقد اعتمده الشيخ القنوجي في تفسيره أيضاً، ومن الأمثلة عليه:

يقول في تفسير قوله تعالى: ﴿۞ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡعَٰمِلِينَ عَلَيۡهَا وَٱلۡمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمۡ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَٱلۡغَٰرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۖ﴾ [التوبة: ٦٠] قال: (وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ) هم الغزاة والمرابطون يعطون من الصدقة ما ينفقون في غزوهم ومرابطتهم وإن كانوا أغنياء، وهذا قول أكثر العلماء وقال ابن عمر: هم الحجاج والعمار، ثم قال: **والأول أولى** لإجماع الجمهور عليه.(2)

سابعاً: الترجيح بدلالة سبب النزول:

يعتمد المفسرون أيضاً على سبب النزول كأحد وجوه الترجيح في أقوال المفسرين، ومن الأمثلة على ذلك في تفسير القنوجي:

عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيۡرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقۡوَىٰۚ﴾ [البقرة: ١٩٧] قال: إن بعض العرب كانوا يقولون كيف نحج بيت ربنا ولا يطعمنا فكانوا يحجون بلا زاد، ويقولون نحن متوكلون على الله سبحانه ثم يقدمون فيسألون الناس ويكونون كَلاًّ عليهم، فأنزل الله هذه الآية، أخرجه عبد بن حميد والبخاري وأبو داود والنسائي وغيرهم عن ابن عباس، وقد روي عن جماعة من التابعين مثل ذلك. وقيل: المعنى تزودوا لمعادكم من الأعمال الصالحة فإن خير الزاد التقوى، **والأول أرجح** كما دل عليه سبب نزول الآية.(3)

ثامناً: الترجيح لدلالة كونه تفسيراً للسلف من الصحابة والتابعين:

تفسير السلف مقدم على تفاسير غيرهم؛ لأنهم أعلم الناس بالقرآن وأحوال نزوله، ولذا جعل تفسير السلف وجهاً من وجوه الترجيح لدى المفسرين، والقاعدة الترجيحية تقول: (**تفسير جمهور السلف مقدم على كل تفسير شاذ**)(4) وتقول: (**تفسير السلف وفهمهم لنصوص الوحي حجة على من بعدهم**)(5) وقد اعتمده الشيخ القنوجي أيضاً، ومن الأمثلة عليه:

---

(1) قواعد الترجيح عند المفسرين 214/1

(2) فتح البيان 331/5

(3) فتح البيان 405/1

(4) انظر : مقدمة فتح البيان (18/1) و قواعد الترجيح للحربي (288/1).

(5) انظر: مقدمة فتح البيان (18/1) و قواعد الترجيح (271/1) .

قال الشيخ القنوجي في تفسير قوله تعالى: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ... ﴾ [الأحزاب: ٧٢] الأمانة ههنا في قول جميع المفسرين: الطاعة والفرائض التي يتعلق بأدائها الثواب وبتضييعها العقاب، قال القرطبي: الأمانة تعم جميع وظائف الدين على الصحيح من الأقوال وهو قول الجمهور، ثم ذكر الأقوال الأخرى ثم قال في آخره: **والأول أولى**، وهو قول السلف.(1)

تاسعاً: الترجيح بدلالة عصمة النبوة:

يعتقد أهل السنة والجماعة أن الأنبياء معصومون من الذنوب، وعلى هذا فكل قول ينسب فيه الذنب والمعصية إلى الأنبياء يكون باطلاً ومرجوحاً، والقاعد تقول: (**القول الذي يعظم مقام النبوة ولا ينسب إليها ما لا يليق بها أولى بتفسير الآية**)(2)، وأخرى تقول: (**كل قول طعن في عصمة النبوة ومقام الرسالة فهو مردود**)(3)، و من هنا اعتمد الشيخ القنوجي هذا الوجه في تفسيره، ومن الأمثلة عليه:

يقول في قصة زينب بن جحش(**4**) -رضي الله عنها-: وأصح ما في هذا الباب: إن الله قد أعلمه أنها ستكون من أزواجه، وإن زيداً سيطلقها؛ فلما جاء زيد وقال: إني أريد أن أطلقها، قال له: أمسك عليك زوجك، فعاتبه الله تعالى، وقال: لم قلت أمسك عليك زوجك؟ وقد أعلمتك أنها ستكون زوجتك. ثم قال: **وهذا هو الأولى والأليق بحال الأنبياء**.(5)

عاشراً: الترجيح بدلالة اللغة:

لقد أنزل القرآن الكريم بلسان عربي، فهو موافق لقواعد اللغة العربية، ولذا ينبغي أن يفسر القرآن بما هو معروف من لغة العرب، ولذا يرجح القول الموافق للغة العربية على القول المخالف له، فتقول القاعدة الترجيحية: (**القول الذي يؤيده تصريف الكلمة وأصل اشتقاقها أولى بتفسير الآية**)(6) وتقول قاعدة أخرى: (**يجب حمل نصوص الوحي على الحقيقة**)(7) وتقـــول: (**يجب حمل كتاب**

---

(1) فتح البيان 153/11-155

(2) قواعد الترجيح للحربي (328/1).

(3) المرجع نفسه (328/1).

(4) هي زينب بنت جحش الأسدية، أم المؤمنين زوج النبيّ -صلّى اللَّه عليه وسلّم- وأمها أمية عمته -صلّى اللَّه عليه وسلّم-، تزوّجها سنة ثلاث، وقيل سنة خمس، وعمرها خمس وثلاثين سنة، ونزلت بسببها آية الحجاب، وكانت قبله عند زيد بن حارثة، الذي كان يدعى زيد ابن محمد، توفيت سنة عشرين وهي بنت خمسين، ثلاثا وخمسين. وكانت أول نساء النبي صلّى اللَّه عليه وسلّم توفيت بعده. انظر: الإصابة لابن حجر 153/8-155، رقم الترجمة (11227).

(5) فتح البيان 95/11

(6) انظر: مقدمة فتح البيان (18/1) ، وقواعد الترجيح للحربي (511/2) .

(7) قواعد الترجيح للحربي (387/2) .

الله على الأوجه الإعرابية القوية والمشهورة دون الضعيفة والشاذة)(1) فمن هنا اعتمد الشيخ القنوجي هذا الوجه من الترجيح في تفسيره، ومن الأمثلة عليه:

1. قوله في تفسير قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢﴾ [الإخلاص: ٢] والصمد هو الذي يصمد إليه في الحاجات...قال الزجاج: الصمد السيد الذي انتهى إليه السؤدد فلا سيد فوقه، وقيل معنى الصمد الدائم الباقي الذي لم يزل ولا يزول، وقيل معنى الصمد ما ذكر بعده من أنه الذي لم يلد ولم يولد، وقيل هو المستغني عن كل أحد، والمحتاج إليه كل أحد، وقيل هو المقصود في الرغائب والمستعان به في المصائب، وهذان القولان يرجعان إلى معنى القول الأول، وقيل هو الذي يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد، وقيل هو الكامل الذي لا عيب فيه. **وقد أطبق على القول الأول أهل اللغة** وجمهور أهل التفسير.(2)

2. وقال في تفسير قوله تعالى: ﴿فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا ۝٤﴾ [العاديات: ٤] **والمعروف عند جمهور أهل اللغة والمفسرين أن النقع الغبار، وهذا هو المناسب** لمعنى الآية وليس لتفسير النقع بالصوت فيها كثير معنى، فإن قولك أغارت الخيل على بني فلان صبحاً فأثرن به صوتاً قليل الجدوى مغسول المعنى، بعيد من بلاغة القرآن المعجزة.(3)

3. وقال في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ لَدَيْنَآ أَنكَالًا وَجَحِيمًا ۝١٢﴾ [المزمل: ١٢] والأنكال جمع نكل وهو القيد كما قال الحسن ومجاهد وغيرهما، قال ابن مسعود: أنكالاً قيوداً، وقال الكلبي: الأنكال: الأغلال من حديد، **والأول أعرف في اللغة**.(4)

۞۞۞

---

(1) المرجع نفسه (645/2).

(2) فتح البيان 449/15

(3) فتح البيان 352/15

(4) فتح البيان 389/14

الفصل الثاني

التفسير بالمأثور ومنهج القنوجي فيه

ويشتمل على خمسة مباحث:

المبحث الأول: التفسير بالمأثور، مفهومه وأنواعه

المبحث الثاني: منهج الشيخ القنوجي في تفسير القرآن بالقرآن

المبحث الثالث: منهج الشيخ القنوجي في تفسير القرآن بالسنة

المبحث الرابع: منهج الشيخ القنوجي في تفسير القرآن بأقوال الصحابة والتابعين

المبحث الخامس: منهج الشيخ القنوجي في تفسير القرآن بالإجماع

المبحث الأول

التفسير بالمأثور، مفهومه وأنواعه

قبل أن نأتي بتعريف التفسير بالمأثور وأنواعه، أرى من المناسب أولاً أن أعرف التفسير تعريفاً موجزاً، ثم أبيّن أقسامه من حيث العموم، وبعد ذلك أعرّف التفسير بالمأثور وأذكر أنواعه:

أولاً: تعريف التفسير لغة واصطلاحاً

التفسير في اللغة: تفعيل من الفسر، وفعله يأتي من باب ضرب ونصر، ويقال: فسرالشيء يفسِره بالكسر ويفسُره بالضم، وفسّره: أبانه، والتشديد أعم، والفسر: الإبانة وكشف المغطى، أو كشف المعنى المعقول.(1) أو إظهار المعنى المعقول.(2)

التفسير اصطلاحاً: هناك تعريفات عديدة للتفسير اصطلاحاً، أذكر بعضاً منها:

قال الإمام الزركشي في تعريفه : " **هو علم يفهم به كتاب الله المنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، وبيان معانيه وإستخراج أحكامه وحكمه**".(3)

وعرفه الإمام أبوحيان الأندلسي بأنه: "**علم يبحث عن كيفية النطق بألفاظ القرآن، ومدلولاتها، وأحكامها الإفرادية والتركيبية ومعانيها التي تحمل عليها حالة التركيب، وتتمات لذلك** ".(4)

وقال الشيخ عبد العظيم الزرقاني(5): " **بأنه علم يبحث فيه عن القرآن الكريم من حيث دلالته على مراد الله تعالى بقدر الطاقة البشرية** ".(6)

ثانياً: أقسام التفسير من حيث الوصول إليه

لقد قسّم أكثر العلماء(7) التفسير من حيث الوصول إليه إلى قسمين أساسيين هما:

---

(1) انظر : تاج العروس ، لمحمد مرتضى الحسيني الزبيدي ، 13/ 323 ، مادة : فسر ، مطبعة حكومة الكويت 1965م.

(2) المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني ص 381، مادة : فسر . بدون ذكر الطبع ، قديمي كتب خانه كراتشي.

(3) البرهان في علوم القرآن : للإمام الزركشي، 1 / 13، الطبعة الثالثة ، 1400 هـ ، 1980 م، دار الفكر بيروت لبنان.

(4) تفسير البحر المحيط : لأبي حيان الأندلسي :1 / 13 ــ 14 ، ط : الثانية ، 1406 هـ ، 1983 م ، دار الفكر ، بيروت .

(5) هو محمد عبد العظيم الزرقاني، من محافظة المنوفية بمصر، ولد مطلع القرن الرابع عشرالهجري، وتخرج من كلية أُصول الدين ونال العالمية عام 1925 م وعين مدرسا بعدة معاهد في مصر وإماماً، ثم عيّن في كلية أصول الدين عام 1939م، من مؤلفاته: مناهل العرفان في علوم القرآن والمنهل في علوم الحديث وغير ذلك، توفي سنة 1367 هـ. أُنظر: كتاب مناهل العرفان للزرقاني دراسة وتقويم للشيخ خالد بن عثمان السبت 1 /43 ـ 48، دار ابن عفان للنشر والتوزيع (مصر) .

(6) مناهل العرفان في علوم القرآن للزرقاني 335/1، الطبعة الثانية ، دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان .

(7) انظر: البرهان في علوم القرآن للزركشي 172/2، والإتقان في علوم القرآن للسيوطي 221/4 والتفسير والمفسرون 152/1 ومباحث في علوم القرآن للقطان 358، وقد قسمه الزرقاني إلى ثلاثة أقسام، هما و التفسير الإشاري 12/1

1- التفسير بالمأثور و يسمى أيضاً التفسير بالرواية.

2- التفسير بالرأي ويسمى أيضاً التفسير بالدراية أو الاجتهاد.

أما التفسير بالرواية (المأثور) فقال الشيخ عبد العظيم الزرقاني : " هو ما جاء في القرآن أو السنة أو كلام الصحابة بياناً لمراد الله تعالى في كتابه ".(1)

ويقول الدكتورالذهبي(2): يشتمل التفسير بالمأثور ما جاء في القرآن نفسه من البيان والتفصيل لبعض آياته، وما نقل عن الرسول صلى الله عليه وسلم، وما نقل عن الصحابة رضوان الله عليهم، وما نقل عن التابعين في كل ما هو بيان وتوضيح لمراد الله تعالى من نصوص كتابه الكريم.(3)

ومن هنا فإن التفسير بالمأثور ينقسم في ذاته إلى أربعة أقسام هي:

أ- تفسير القرآن بالقرآن

ب- تفسير القرآن بالسنة

ج- تفسير القرآن بأقوال الصحابة

د- تفسير القرآن بأقوال التابعين

يقول الإمام ابن تيمية: " إن أصح طرق التفسير أن يفسر القرآن بالقرآن، فإن أعياك ذلك فعليك بالسنة فإنها شارحة للقرآن وموضحة له، وإذا لم نجد التفسير في القرآن ولا في السنة رجعنا في ذلك إلى أقوال الصحابة وإذا لم تجد التفسير في القرآن ولا في السنة ولا وجدته عن الصحابة فقد رجع كثير من الأئمة في ذلك إلى أقوال التابعين".(4) وإليك بيان هذه الأقسام بشيء من التفصيل:

أولاً: تفسير القرآن بالقرآن

الناظر فى القرآن الكريم يجد أنه قد اشتمل على الإيجاز والإطناب، وعلى الإجمال والتبيين، وعلى الإطلاق والتقييد، وعلى العموم والخصوص، وما أُوجِزَ فى مكان قد يُبْسطَ فى مكان آخر، وما أُجْمِلَ فى موضع قد يُبيَّن فى موضع آخر، وما جاء مطلقاً فى ناحية قد يلحقه التقييد فى ناحية أخرى، وما كان

(1) مناهل العرفان في علوم القرآن للزرقاني 340/1.

(2) هو محمد بن حسين الذهبي، ولد سنة 1332هـ 1914م كان عميدا لكلية أصول الدين، وأمينا عاما لمجمع البحوث الإسلامية، ووزير الأوقاف ،وشؤن الأزهر في مصر،له مؤلفات منها كتفسير والمفسرين ، الإتجات المنحرفة في القرآن الكريم، وقتل على يد إحدي الجماعات المتطرفة سنة 1397 هـ 1977 م .

(3) التفسير والمفسرون : لمحمد حسين الذهبي ، 1/ 152 .

(4) مقدمة في أصول التفسير: لابن تيمية ، ص 39 - 44

عاماً في آية قد يدخله التخصيص في آية أُخرى.(1) وعلى هذا يكون لتفسير القرآن بالقرآن عدة وجوه، نذكر فيما يلي بعضاً منها مع إيراد الأمثلة لها:

الوجه الأول: تبيين المجمل(بر)

والقرآن الكريم مليء بهذا النوع من التفسير نذكر من ذلك قوله تعالى: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأعراف: ٢٣]، فإنه مبيّن وموضّح (**الكلمات**) التي جاء ذكرها مجملاً في قوله تعالى: ﴿فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾﴾ [البقرة: ٣٧].(3)

ومنه قوله تعالى: ﴿أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ [المائدة: 1]، فقوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ مجمل في هذا السياق ولم يبيَّن، وبيَّنه الله سبحانه بقوله: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ﴾[المائدة: 3].

الوجه الثاني: تخصيص العام(بر)

ومن أمثلته في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾ [البقرة: 228] فهذا حكم عام في جميع المطلقات، ثم أتى ما يخصِّص من هذا العام الحوامل، وهو قولـــه تعالى: ﴿وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾[الطلاق: 4]، فخصَّ من عموم المطلقات أولات الأحمال.

ومنه أيضاً قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُم...﴾ [النساء: ٢٣]، فإنه مخصّص لـ (النساء) اللاتي ورد ذكرهن عاماً في قوله تعالى: ﴿فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ﴾ [النساء: ٣].(5)

---

(1) انظر: التفسير والمفسرون 31/1

(2) المجمل عند الأصوليين هو: "ما لم تتضح دلالته". راجع: الإحكام، للآمدي 11/3-3. أصول الفقه، للمقدسي 999/3. تحقيق: محمد السدحان. ط1 (1420هـ-1999م). نشر مكتبة العبيكان-الرياض. إرشاد الفحول 164. أصول الفقه، لمحمد زهير 5/3.

(3) انظر: الإتقان 19/2.

(4) العام هو: اللفظ المستغرق لجميع ما يصلح له بوضع واحد من غير حصر. انظر: منهاج الوصول إلى علم الأصول، (بشرح الأصبهاني) للبيضاوي 351/1 المحصول 460/2. المدخل إلى مذهب الإمام أحمد، لعبد القادر الدمشقي 237. تعليق: عبد الله الزي. ط2 (1401هـ-1981م). مؤسسة الرسالة-بيروت.

(5) انظر: الإتقان 17/2.

الوجه الثالث: تقييد المطلق( )

ومثال الإطلاق قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ﴾ [البقرة: ١٧٣]، فقد أُطلق فيه الدم المحرّم، وقُيّد بالمسفوح في قوله تعالى: ﴿قُل لَّا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا﴾ [الأنعام: ١٤٥].(2)

ومن أمثلته أيضاً قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ﴾[آل عمران: ٩٠]. يعني إذا أخروا التوبة إلى حضور الموت، فتابوا حينئذٍ، وهذا التفسير يشهد له قوله تعالى: ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ﴾ [النساء: ١٨]، فالإطلاق الذي في الآية الأولى ذكر مقيِّدُه في الآية الثانية.(3)

الوجه الرابع: توضيح المشكل( )

ويمثّل للمشكل بقوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَن قَالُوا وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأنعام: ٢٣]، فإنه يتعارض مع قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا ﴿٤٢﴾﴾ [النساء: ٤٢]، ولكنه تعارض ظاهري وليس حقيقياً. ويمكن إزالته من وجهين، أحدهما: أن للقيامة مواطن، ففي بعضها يقع من المشركين الكذب، وعليه تحمل الآية الأولى. وفي بعضها لا يقع منهم الكذب، وعليه تحمل الآية الثالثة. والثاني: أن الكذب يكون بأقوالهم، وبه تُفسّر الآية الأولى، والصدق يكون من جوارحهم، فيأمرها الله -تعالى- بالنطق فتنطق بالصدق، وبه تفسر الآية الثانية.(5)

---

(1) المطلق هو: اللفظ الدال على فرد شائع في جنسه لم يتقيد بصفة من الصفات. انظر: التلويح على التوضيح، للتفتازاني 115/1. ط1. دار الكتب العلمية-بيروت (بدون الرقم والتاريخ). الإحكام، للآمدي 5/3. أصول الفقه، للمقدسي 985/3. مصطلحات علم أصول الفقه، لخلف محمد 93. ط1 (1425هـ-2004م). مؤسسة الريان-بيروت.

(2) انظر: البرهان 16/2.

(3) انظر: أضواء البيان (1/ 343)

(4) المشكل: هو اللفظ الذي خفي معناه المراد لنفس اللفظ بحيث لا يدل إلا بالتأويل وبقرينة تبين المراد منه. انظر: أصول السرخسي 168/1. التلويح على التوضيح 54/1. والمراد بالمشكل عند المفسرين "ما يوهم التعارض بين الآيات". الإتقان 27/2.

(5) انظر: البرهان 56/2. (بتصرف)

الوجه الخامس: تفسير لفظة بلفظة

و ذلك على نوعين:

أـ بيان غريب الألفاظ: وذلك أن يرد في سياق لفظٌ غريب ثم يُذْكَر في موضع آخر معنى أشهر من ذلك اللفظ، ومثاله قوله تعالى: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ﴾ [هود: ٨٢]. وفي موضع آخر قال: ﴿لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ ۝٣٣﴾ [الذاريات: ٣٣]، والآيتان وردتا في شأن قوم لوط.

ب ـ بيان المراد باللفظة في السياق: مثل قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا﴾ [الأنبياء: ٣٠]، فُسِّرت بقوله: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ ۝١١ وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ ۝١٢﴾ [الطارق: ١١ – ١٢]، وقوله: ﴿فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ إِلَىٰ طَعَامِهِ ۝٢٤ أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ۝٢٥ ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا ۝٢٦﴾ [عبس: ٢٤ – ٢٦].

الوجه السادس: تفسير المفهوم من آية بآية أخرى

ومن أمثلة تفسير مفهوم من آية بآية أخرى قوله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ۝١٥﴾ [المطففين: ١٥]، فهي تدل على رؤية الله سبحانه، وهذا المفهوم من الآية يدلّ عليه قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝٢٣﴾ [القيامة: ٢٢ – ٢٣].

الوجه السابع: تفسير معنى بمعنى

مثل تفسير قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ الْأَرْضُ﴾ [النساء: ٤٢] بقوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَابًا ۝٤٠﴾ [النبأ: ٤٠].

هذه بعض وجوه تفسير القرآن بالقرآن وثمة وجوه أخرى تركناها خشية الإطالة.

ثانياً: تفسير القرآن بالسنة

إن السنة النبوية مصدر ثان من مصادر تفسير القرآن الكريم، كما أنها شارحة و مبينة له، قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ۝٤٤﴾ [النحل: ٤٤]، ولذا يجب على المفسر أن يرجع إلى السنة النبوية عند تفسيره للقرآن الكريم.

وعند ما نطلق تفسير القرآن بالسنة نعني به: ما يكون بياناً وتوضيحاً لمراد الله تعالى من نصوص كتابه المجيد مما يكون مصدره النبي ﷺ، وإن كان ثمة فرق بين تفسير القرآن بالسنة وبين التفسير النبوي للقرآن الكريم، فإن الأول يدخله الرأي والاجتهاد، والثاني لا يدخله الرأي والاجتهاد، و بالتالي يجب الأخذ به.

والأنواع المستنبطة في تفسير الرسول صلّى الله عليه وسلّم للقرآن ما يلي:

1 - أن يذكر التفسير، ثم يذكر الآية المفسَّرة.(1)

2 - أن يذكر الآية المفسَّرة، ثم يذكر تفسيرها.(2)

3 -أن يشكل على الصحابة فهم آية فيفسرها لهم.(3)

4 -أن يذكر في كلامه ما يصلح أن يكون تفسيراً للآية.(4)

5 -أن يتأول القرآن، فيعمل بما فيه من أمر، ويترك ما فيه من نهي.(5)(6)

وبناءاً على ذلك يُعرّف (تفسير القرآن بالسنة) بأنه: تفسير القرآن بالصحيح من أقوال النبي -ﷺ- أو أفعاله أو تقريراته أو صفاته. وكما كان لتفسير القرآن بالقرآن الكريم وجوهاً يأخذ بها التفسير من القرآن الكريم فكذلك للسنة النبوية وجوهاً لأخذ التفسير عنها، ومن هذه الوجوه:

الوجه الأول: التفسير بطريق تفصيل المجمل من القرآن

مثل تفصيل رسول الله -ﷺ- كيفية إقامة الصلاة التي ورد ذكرها مجملاً في قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾[البقرة: ٤٣] بفعله. فبين ركعاتها وشروطها وأركانها ثم قال: **{صلوا كما رأيتموني أصلي}**(7)(8).

---

(1) مثاله: ما رواه أبو هريرة -رضي الله عنه- أن رسول الله -صلّى الله عليه وسلّم- قال: «إذا أحبَّ الله عبداً نادى: يا جبريل إني أحببت فلاناً فأحبه، قال: فينادي في السماء، ثم تنزل له المحبة في أهل الأرض، فذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا ۝٩٦﴾ [مريم: ٩٦]، وإذا أبغض الله عبداً نادى: يا جبريل، إني أبغضت فلاناً فينادى في السماء، ثم تنزل له البغضاء في الأرض» رواه الترمذي (5/ 318).

(2) مثاله: ما رواه أبو علي ثمامة بن شفي أنه سمع عقبة بن عامر -رضي الله عنه- يقول: سمعت رسول الله -صلّى الله عليه وآله وسلّم- وهو على المنبر يقول: ﴿وَأَعِدُواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ [الأنفال: ٦٠] ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي». رواه مسلم برقم (1917).

(3) مثاله: ما رواه عبد اللهِ بن مسعود -رضي الله عنه- قال: لما نزلت: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ [الأنعام: ٨٢]، شق ذلك على المسلمين فقالوا: يا رسول الله، أينا لم يظلم نفسه؟! قال: «ليس ذلك، إنما هو الشرك، ألم تسمعوا ما قال لقمان لابنه وهو يعظه: ﴿يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣] رواه البخاري برقم (32، 3360، 3428، 3429، 4629، 4776، 6918، 6937).

(4) مثاله: ما روي عن عبد الله بن مسعود –رضي الله عنه- أيضاً قال: قال رسول الله -صلّى الله عليه وسلّم-: «**يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام، لكل زمام سبعون ألف ملك يجرونها**» رواه مسلم برقم (2842). وهو تفسيرلقوله تعالى:﴿وَجِاْيٓءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ﴾ [الفجر:٢٣].

(5) مثاله: ما روي عن عائشة -رضي الله عنها- قالت: ما صلى النبي -صلّى الله عليه وسلّم- صلاة بعد أن نزلت عليه: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝١﴾ [النصر: ١] إلا يقول فيها: «سبحانك ربنا وبحمدك، اللهم اغفر لي»، وفي رواية عند البخاري عن عائشة: أن النبي صلّى الله عليه وسلّم كان يكثر أن يقول في ركوعه وسجوده: «سبحانك اللهم ربنا وبحمدك، اللهم اغفر لي» يتأول القرآن رواه البخاري برقم (817، 4968)، ومسلم برقم (484).

(6) انظر: فصول في أصول التفسير لمساعد الطيار ص 43-45

(7) أخرجه البخاري في ((صحيحه)) بإسناده عن مالك بن الحويرث، كتاب: الأذان، باب: الأذان للمسافرين إذا كانوا جماعة والإقامة ...، حديث رقم (63)، ص 104.

(8) انظر: السنة ومكانتها 427.

الوجه الثاني: التفسير بطريق تخصيص العام من القرآن

مثل قول رسول الله -ﷺ- {**لا يجمع بين المرأة وعمتها ولا بين المرأة وخالتها**}(1)، فإنه مخصص لقوله تعالى بعد ذكر المحرمات من النساء: ﴿وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَاءَ ذَٰلِكُمْ﴾ [النساء: ٢٤].(2)

الوجه الثالث: التفسير بطريق تقييد المطلق من القرآن

مثل بيان رسول الله -ﷺ- موضع قطع يد السارق وأنه من الكوع بفعله، فهو مقيّد لإطلاق القرآن اليد في قوله: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾ [المائدة: ٣٨].(3) يدل على ذلك ما أخرجه الدارقطني(4) عن عمرو بن حزم(5) -رضي الله عنه- في قصة سارق رداء صفوان بن أمية(6) وفيه: (**ثم أمر بقطعه من المفصل**).(7)

---

(1) أخرجه البخاري في ((صحيحه)) بإسناد عن أبي هريرة، كتاب: النكاح، باب: لا تنكح المرأة على عمتها، حديث رقم (5109)، ص 914.

(2) انظر: دراسات في أصول تفسير القرآن 105.

(3) انظر: دراسات في أصول تفسير القرآن 103.

(4) الدارقطني، هو علي بن عمر بن أحمد البغدادي أبو الحسن، ولد سنة ست وثلاثمائة هجرية. كان فريد عصره وإمام وقته انتهى إليه علم الأثر والمعرفة بعلل الحديث وأسماء الرجال وأحوال الرواة. اضطلع بعلوم سوى علم= = الحديث منها: القراءات والمعرفة بمذاهب الفقهاء والمعرفة بالأدب والشعر. توفي سنة خمس وثمانين وثلاثمائة. راجع ترجمته في: طبقات علماء الحديث 3/183-7. تذكرة الحفاظ، لمحمد الذهبي 3/132-4. ط1(1419هـ-1998م). دار الكتب العلمية – بيروت.

(5) الصحابي الجليل عمرو بن حزم بن زيد بن لوذا الأنصاري يكنى أبا الضحاك، شهد الخندق. توفي في خلافة عمر -رضي الله عنه-. راجع: معرفة الصحابة للإمام أبي نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد الأصبهاني، تحقيق: عادل بن يوسف العزازي، دار الوطن للنشر، الرياض، الطبعة الأولى 1419 هـ - 1998 م 4/1980.

(6) الصحابي الجليل صفوان بن أمية بن خلف الجمحي أبو وهْب. أسلم بعد حنين، ونزل على العباس بالمدينة ثم أذن له النبي ﷺ في الرجوع إلى مكة فأقام بها حتى مات بها مقتل عثمان، وقيل عاش إلى أول خلافة معاوية، وقيل غير ذلك. راجع ترجمته في: الإصابة 3/349-51.

(7) أخرجه الدارقطني في ((سننه))، كتاب: الحدود والديات، حديث رقم (363)، 3/204. دار المعرفة – بيروت.، والقصة أن صفوان بن أمية بن خلف كان نائماً في المسجد، ثيابه تحت رأسه، فجاء سارق فأخذها، فأتي به النبي -صلى الله عليه وسلم- فأقرّ السارق، فأمر به النبي -صلى الله عليه وسلم- أن يقطع، فقال صفوان: يا رسول الله أيقطع رجل من العرب في ثوبي؟ فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: أفلا كان هذا قبل أن تجيء به، ثم قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: اشفعوا ما لم يتصل إلى الوالي، فإذا أوصل إلى الوالي فعفا فلا عفا الله عنه، ثم أمر بقطعه من المفصل.

الوجه الرابع: التفسير بطريق توضيح المشكل من القرآن

مثل توضيح رسول الله -ﷺ- الخيطين في قوله تعالى: ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ﴾ [البقرة: ١٨٧] بقوله **{بل هو سواد الليل وبياض النهار}**(1). قاله -عليه السلام- ذلك لمن فهم من الصحابة ﷺ من الخيطين العقال الأبيض والعقال الأسود.

الوجه الخامس: التفسير بطريق التأكيد

مثل الأحاديث التي تفيد وجوب الصلاة والزكاة والصوم والحج، كحديث **{بني الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة والحج وصوم رمضان}**(2)، فإنه مؤكد لقوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾[البقرة: ٤٣]، وقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ﴾[البقرة: ١٨٣]، وقوله: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾[آل عمران: ٩٧].(3)

ثالثاً: تفسير القرآن بأقوال الصحابة –رضي الله عنهم-

و كما يجب على المفسر الرجوع إلى السنة النبوية كذلك يجب عليه الرجوع إلى أقوال الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين و اجتهاداتهم في تفسير كلام الله تعالى عند ما لم يجده في كتاب الله تعالى ولا في سنة رسوله صلى الله عليه وسلم؛ لمعرفتهم بأوضاع اللغة العربية وأسرارها، و عادات العرب وأحوالهم، و معرفتهم لما عليه اليهود والنصارى في جزيرة العرب وقت نزول القرآن الكريم، و قوة فهمهم وسعة إدراكهم.

و في أهمية أقوال الصحابة في التفسير يقول الإمام ابن تيمية: "إذا لم نجد التفسير في القرآن ولا في السنة رجعنا في ذلك إلى أقوال الصحابة فإنهم أدرى بذلك لما شاهدوه من القرآن والأحوال التي اختصوا بها، ولما لهم من الفهم التام والعلم الصحيح، لا سيما علماؤهم وكبراؤهم كالأئمة الأربعة الخلفاء الراشدين والأئمة المهديين".(4)

---

(1) انظر: دراسات في أصول تفسير القرآن 104. والحديث أخرجه البخاري في ((صحيحه)) بإسناد عن عدي بن حاتم، كتاب: التفسير، باب: سورة البقرة، حديث رقم (4510)، ص 766.

(2) أخرجه البخاري في ((صحيحه)) بإسناد عن ابن عمر، كتاب: الإيمان، باب: قول النبي ﷺ بني الإسلام على خمس، حديث رقم (8)، ص 5

(3) انظر: السنة ومكانتها 427.

(4) مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية: ص 40. وانظر أيضاً: التفسير والمفسرون 59/1 ـ 61.

وأما حكم بيان القرآن بما صح وروده عن الصحابة، فيقول الإمام السيوطي: "إن تفسير الصحابي الذي شهد الوحي والتنزيل له حكم المرفوع. كذلك أطلق الحاكم. وقيده بعضهم بما كان في بيان النزول ونحوه مما لا مجال للرأي فيه، وإلا فهو من الموقوف".

ثم يقول السيوطي في الإتقان: "ثم رأيت نفسه صرح به ـ هذا القيد ـ في علوم الحديث فقال: ومن الموقوفات تفسير الصحابة. و أما من يقول: إن تفسير الصحابة مسند، فإنما يقوله فيما فيه سبب النزول، فقد خصّص هنا وعمم في المستدرك فاعتمد الأول".(1)

و خلاصة القول في حكم تفسير الصحابي أنه ينقسم إلى أقسام، وكل قسم له حكم خاص، وهذه الأقسام هي:

1. ما له حكم الرفع، وهذا يشمل أسباب النزول، والإخبار عن المغيَّبات، وحكم هذا: القَبول، إذا صح الخبر فيه؛ وذلك أن هذا مما لا مجال للاجتهاد فيه، بشرط أن لا يكون المفسِّر مشهوراً بالأخذ عن أهل الكتاب، إذا كان في القول المذكور شبهة الخبر الإسرائيلي.
2. ما أجمعوا عليه؛ لأن الإجماع حجة، و بخاصة إجماع الصحابة.
3. ما رجعوا فيه إلى لغتهم، وحكم هذا القبول كذلك؛ لأنهم هم أهل اللسان الذي نزل به القرآن، وهم أعلم بلغتهم من غيرهم.
4. ما رجعوا فيه إلى أهل الكتاب، وهذا له حكم الإسرائيليات.(2)

---

(1) الإتقان 229/2

(2) والروايات الإسرائيلية على ثلاثة أقسام، وكل قسم له حكمه الخاص:

أحدها: ما علمنا صحته مما بأيدينا مما يشهد له بالصدق فذلك صحيح.

والثاني: ما علمنا كذبه بما عندنا مما يخالفه، أو كان لا يتفق مع العقل، وهذا القسم لا يصح قبوله ولا روايته.

والثالث: المسكوت عنه، لا من هذا القبيل ولا من هذا القبيل، فلا نؤمن به ولا نكذبه، وتجوز حكايته لقول النبي ﷺ: "بلغوا عني ولو آية، وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج، ومن كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار" أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب أحاديث الأنبياء، باب نزول عيسى ابن مريم عليهما السلام، رقم الحديث 3461، ص 582.

وهذا القسم غالبه مما ليس فيه فائدة تعود إلى أمر ديني، ولهذا يختلف علماء أهل الكتاب في مثل هذا اختلافا كثيرا ويأتي عن المفسرين خلاف بسبب ذلك، مثل أسماء أصحاب الكهف.

وإذا وصل لنا شيء من هذا القسم عن أحد من الصحابة بطريق صحيح، فإن كان قد جزم به فهو مقبول ولا يرد، لأنه لا يعقل أن يكون قد أخذه عن أهل الكتاب بعد ما علم من نهي رسول الله ﷺ عن تصديقهم، وإن كان لم يجزم به فالنفس أسكن إلى قبوله، لأن احتمال كون الصحابي سمعه من النبي ﷺ أو ممن سمعه منه أقوى من احتمال السماع من أهل الكتاب، ولا سيما بعد ملاحظة قلة أخذهم عن أهل الكتاب.

أما إن جاء عن بعض التابعين فهو مما يتوقف فيه ولا يحكم عليه بصدق و لاكذب، لقوة احتمال السماع من أهل الكتاب، لكثرة أخذهم عنهم، وبعد احتمال كونه مسموعا من رسول الله ﷺ. هذا إذا لم يتفق أهل الرواية من المفسرين على ذلك، أما إن اتفقوا فتسكن النفس إلى قبوله والأخذ به. انظر: مقدمة في أصول التفسير ص 42، والتفسير والمفسرون 246/1 ـ 254.

5. ما اجتهدوا فيه، وهذا فيه تفصيل:

أ- أن يتوافق اجتهادهم؛ فيكون حجة بناء على الإجماع.

ب- أن يختلف اجتهادهم؛ فيرجح بين أقوالهم بأحد المرجِّحات.

ج- أن لا يرد إلا عن أحدهم، ولا يعلم له مخالف؛ فهذا الأخذ به أولى، خاصة إذا حفَّت به قرائن القَبول، كأن يكون قولَ مشهور منهم بالتفسير أو قَبِلَهُ من جاء بعدهم وأخذ به، أو غيرها من القرائن.(1)

رابعاً: تفسير القرآن بأقوال التابعين - رحمهم الله-

و كما رجع المفسرون في تفسير كلام الله تعالى إلى أقوال الصحابة واجتهاداتهم رجعوا كذلك إلى أقوال التابعين الذين تتلمذوا على أيدي الصحابة؛ لما لهم من الفهم الدقيق وسعة الإدراك إضافة إلى أخذهم من الصحابة و قوة اجتهادهم ومعرفتهم باللغة العربية وقواعدها، وقد اشتهر أعلام منهم بتفسير كلام الله تعالى كما اشتهر من الصحابة جماعة.

والمنقول عن الرسول والصحابة من التفسير لم يتناول جميع آيات القرآن، وإنما فسروا ما غمض فهمه على معاصريهم، ثم تزايد هذا الغموض كلما بعد الناس عن عصر النبي -ﷺ- والصحابة، فاحتاج المشتغلون بالتفسير من التابعين إلى أن يكملوا بعض هذا النقص، فزادوا في التفسير بمقدار ما زاد من غموض، وقد روت لنا كتب التفسير من أقوال التابعين التي قالوها بطريق الاجتهاد فيما لم يصل إلى علمهم شئ عن رسول الله -ﷺ- أو عن الصحابة -رضي الله عنهم-.(2)

يقول الإمام ابن تيمية في تفسير القرآن بأقوال التابعين: "إذا لم تجد التفسير في القرآن ولا في السنة ولا وجدته عن الصحابة فقد رجع كثير من الأئمة إلى أقوال التابعين كمجاهد بن جبر، فإنه كان آية في التفسير، وسعيد بن جبير وعكرمة مولى بن عباس وعطاء بن أبي رباح والحسن البصري وغيرهم من التابعين.

وقال شعبة بن الحجاج(3) وغيره: أقوال التابعين في الفروع ليست حجة فكيف تكون حجة في التفسير، يعني أنها لا تكون حجة على غيرهم ممن خالفهم. وهذا صحيح. أما إذا اجتمعوا على الشيء

---

(1) انظر: فصول في أصول التفسير للدكتور مساعد الطيار ص 50-51، التفسير والمفسرون 95/1.

(2) التفسير والمفسرون 101/1 ـ 102.

(3) هو شعبة بن الحجاج بن الورد ، العتكي الأزدي أبو بسطام الواسطي ثم البصري ، كان من سادات زمانه حفظا وإتقانا وورعا وفضلا . كان الثوري يقول: هو أمير المؤمنين في الحديث . توفي سنة 160 هـ . راجع : تهذيب الكمال في أسماء الرجال للحافظ جمال الدين أبي الحجاج المزي 479/12 ـ 495. تحقيق الدكتور بشار عواد معروف ط:الأولى 1408هـ 1988م مؤسسة الرسالة بيروت.

فلا يرتاب في كونه حجة فإن اختلفوا فلا يكون قول بعضهم حجة على بعض ولا على من بعدهم، ويرجع في ذلك إلى لغة القرآن أو عموم لغة العرب أو أقوال الصحابة".(1)

و خلاصة القول في حكم تفسير التابعي هو أنه كذلك ينقسم إلى أقسام كما يلي، ولكل قسم حكمه الخاص:

1. ما يرفعه التابعي، وهذا يشمل أسباب النزول والمغيبات، وهذا لا يقبل؛ لأنه من قبيل المراسيل، والمراسيل لا تقبل في مثل هذا الانفراد.
2. ما أجمعوا عليه، وهذا يكون حجة.
3. ما رجعوا فيه إلى أهل الكتاب، وهذا له حكم الإسرائيليات.(2)
4. ما اختلفوا فيه، وهذا لا يكون قول أحدهم حجة على الآخر، ويعمل هنا بالمرجحات.
5. أن يرد عن أحدهم ولا يُعلم له مخالف، وهذا أقل في الرتبة من الوارد عن الصحابي إذا لم يعلم له مخالف، لكنه أعلى من قول من تأخر عنهم. (3)

ولما اتسعت الفتوحات الإسلامية، وانتقل كثير من أعلام الصحابة إلى الأمصار المفتوحة، ولدى كل واحد منهم علم، وعلى أيديهم تلقى التابعون علمهم، وأخذوا عنهم، ونشأت مدارس متعددة.

ففي مكة المكرمة نشأت مدرسة ابن عباس واشتهر من تلاميذه: سعيد بن جبير، ومجاهد، وعكرمة مولى ابن عباس، وطاووس بن كيسان اليماني،(4) وعطاء بن أبي رباح.

وفي المدينة المنورة اشتهر أُبَيُّ بن كعب بالتفسير، وكثر ما نُقِل عنه، واشتهر من تلاميذه من التابعين الذين أخذوا عنه مباشرة أو بالواسطة: زيد بن أسلم(5) وأبو العالية،(6) ومحمد بن كعب القرظي.(7)

---

(1) مقدمة ابن تيمية في أصول التفسير ص 44ـ45ـ46.

(2) مضى حكم الإسرائيليات في ص 106

(3) انظر: فصول في أصول التفسير ص 56-57

(4) هو أبو عبد الرحمن طاووس بن كيسان الخولاني الهمداني بالولاء، من أكابر التابعين. أصله من الفرس ونشأ باليمن. كان رأسا في العلم والعمل وشيخ أهل اليمن ومفتيهم. توفي سنة 104هـ. انظر: وفيات الأعيان 509/2 وتذكرة الحفاظ 90/1.

(5) هو الإمام الحجة القدوة أبو عبد الله زيد بن أسلم العدوي العمري المدني الفقيه، كان له حلقة للعلم في مسجد رسول الله، وكان من العلماء العاملين. توفي سنة 136هـ. انظر: سير أعلام النبلاء 124/6ـ125 وتذكرة الحفاظ. 132/1.

(6) هو أبو العالية رفيع بن مهران الرياحي البصري الإمام المقرئ الحافظ المفسر، أدرك زمان النبي وهو شاب، وأسلم في خلافة أبي بكر، حفظ القرآن وقرأه على أبي بن كعب، توفي سنة 93هـ. انظر: سير أعلام النبلاء 207/5. وتهذيب التهذيب 284/3.

(7) هو أبو حمزة محمد بن كعب بن سليم القرظي المدني الإمام العلامة الصادق من حلفاء الأوس. كان أبوه كعب من سبي بني قريظة. سكن الكوفة ثم المدينة. روى عن الصحابة وأرسل كثيراً وروى عمن لم يلقهم، كان ثقة عالما كثير الحديث ورعا. قال ابن المديني: مدني تابعي رجل صالح عالم بالقرآن. توفي سنة 120هـ.انظر: سير أعلام النبلاء 543/5.

وفي العراق نشأت مدرسة ابن مسعود وعُرف بالتفسير من أهل العراق كثير من التابعين. اشتهر منهم علقمة بن قيس،(1) ومسروق،(2) والأسود بن يزيد،(3) ومرة الهمذاني،(4) وعامر الشعبي، والحسن البصري، وقتادة بن دعامة السدوسي.(5)

المبحث الثاني

منهج الشيخ القنوجي في تفسير القرآن بالقرآن

من منهج الشيخ القنوجي في تفسيره أنه يرى تفسير القرآن للقرآن أولى و أحق بالتعويل عليه و عندما اطلعت على تفسيره وجدت فيه مواضع رجع فيها إلى تفسير القرآن حيث استفاد من الأوجه المختلفة لتفسير القرآن بالقرآن التي بيناها فيما سبق، وفيما يلي نذكر تلك الوجوه مع مثال أو مثالين، ومن ذلك:

أولاً: تفسير الآية المجملة بالآية المفصلة: سواء كان ذلك في سياق واحد أو في سياقات مختلفة، ومن أمثلتها في سياق واحد قوله تعالى: ﴿ ۞ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ ﴾ [المعارج: ١٩ – ٢١] قال الواحدي: والمفسرون يقولون تفسير الهلع ما بعده يعني قوله: ﴿ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلۡخَيۡرُ مَنُوعًا﴾ [المعارج: ١٩ – ٢١] وبه قال ابن عباس، وسأل محمد بن عبد الله بن طاهر(6) ثعلباً(7) عن الهلع فقال قد فسره الله، ولا يكون تفسير أبين من تفسيره وهو الذي إذا أصابه شر أظهر شدة

---

(1) هو علقمة بن قيس بن عبد الله بن مالك النخعي، أبو شبل الكوفي، روي عن عمر وعثمان وعلي وابن مسعود، وروى عنه إبراهيم النخعي والشعبي وابن سيرين وجماعة، ولد في حياة النبي صلى الله عليه وسلم، وهو فقيه الكوفة، وثقه أحمد وابن معين وغيرهما. توفي سنة 62، وقيل: 72 هـ، انظر: التهذيب 276/7.

(2) هو الإمام أبو عائشة مسروق ابن الأجدع ابن مالك الهمداني الوادعي الكوفي ثقة فقيه عابد مخضرم من الثانية مات سنة اثنتين ويقال سنة ثلاث وستين. انظر: تقريب التهذيب ص 528، رقم الترجمة: (6601).

(3) هو الإمام أبو عمرو أو أبو عبد الرحمن الأسود بن يزيد ابن قيس النخعي، مخضرم ثقة مكثر فقيه، مات سنة أربع أو خمس وسبعين من الهجرة. انظر: تقريب التهذيب ص 111 رقم الترجمة: (509).

(4) هو أبو إسماعيل مرة ابن شراحيل الهمداني الكوفي، وهو الذي يقال له مرة الطيب، ثقة عابد، مات سنة ست وسبعين من الهجرة، وقيل: بعد ذلك. انظر: تقريب التهذيب ص 525، رقم الترجمة: (6562).

(5) انظر: مباحث في علوم القرآن لمناع القطان 349-351

(6) هو أبو العباس محمد بن عبد الله بن طاهر الخزاعي، أمير، حازم، من الشجعان، من بيت مجد ورياسة وكان فاضلاً أديباً جواداً، ولي نيابة بغداد في أيام المتوكل العباسي، وتوفي بها سنة 253هـ. انظر: الأعلام للزركلي 222/6

(7) سبقت ترجمته في ص 89

الجزع وإذا مسه الخير بخل به ومنعه الناس. وقال أبو عبيدة(1): الهلوع هو الذي إذا مسه الخير لم يشكر، وإذا مسه الشر لم يصبر.(2)

ومن أمثلتها في سياقات مختلفة قوله تعالى: ﴿ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلۡعَظِيمِ ۝٢﴾[النبأ: ٢]] فقال: وإنما كان ذلك النبأ (أي القرآن) عظيماً؛ لأنه ينبىء عن التوحيد وتصديق الرسول، ووقوع البعث والنشور... ومما يدل على أنه القرآن قوله سبحانه: ﴿ قُلۡ هُوَ نَبَؤٌاْ عَظِيمٌ ۝٦٧ أَنتُمۡ عَنۡهُ مُعۡرِضُونَ ۝٦٨﴾ [ص: ٦٧ – ٦٨] .(3).

ثانياً: تفسير الآية العامة بالآية الخاصة: مثل قوله تعالى: ﴿وَٱلۡمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصۡنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٖ﴾ [البقرة: ٢٢٨]، يقول: تدخل تحت عمومه المطلقة قبل الدخول ثم خصّصت بقوله تعالى: ﴿فَمَا لَكُمۡ عَلَيۡهِنَّ مِنۡ عِدَّةٖ تَعۡتَدُّونَهَاۖ﴾ [الأحزاب: ٤٩] وخرجت من هذا العموم المطلقة قبل الدخول وكذلك خرجت الحامل بقوله تعالى: ﴿وَأُوْلَٰتُ ٱلۡأَحۡمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعۡنَ حَمۡلَهُنَّۚ﴾ [الطلاق: ٤] وكذلك خرجت الآية بقوله تعالى: ﴿فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشۡهُرٖ﴾ [الطلاق: ٤].(4)

وقال في آية سورة الأحزاب: ﴿ فَمَا لَكُمۡ عَلَيۡهِنَّ مِنۡ عِدَّةٖ تَعۡتَدُّونَهَاۖ﴾ [الأحزاب: ٤٩] وهذه الآية مخصصة لعموم قوله تعالى: ﴿وَٱلۡمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصۡنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٖ﴾ [البقرة: ٢٢٨]، ولقوله: ﴿وَٱلَّٰٓـِٔي يَئِسۡنَ مِنَ ٱلۡمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمۡ إِنِ ٱرۡتَبۡتُمۡ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشۡهُرٖ﴾ [الطلاق: ٤].(5)

ثالثاً: تفسير الآية المطلقة بالآية المقيدة: مثاله قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةَ وَٱلدَّمَ﴾ [البقرة: ١٧٣] فقال: وقد اتفق العلماء على أن الدم حرام، وفي الآية الأخرى: ﴿أَوۡ دَمٗا مَّسۡفُوحًا﴾ [الأنعام: ١٤٥]، فيحمل المطلق على المقيد.(6)

ومثاله أيضاً قوله تعالى: ﴿لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ [الزمر: ٦٥]، فقال: هذه الآية مقيدة بالموت على الشرك كما في الآية الأخرى: ﴿وَمَن يَرۡتَدِدۡ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتۡ وَهُوَ كَافِرٞ﴾ [البقرة: ٢١٧].(7)

---

(1) هو معمر بن المثنى التيمي بالولاء، البصري، أبو عبيدة النحوي. ولد سنة 110هـ. من أئمة العلم بالأدب واللغة. مولده و وفاته بالبصرة، توفي سنة 209هـ. له نحو مئاتا مؤلف منها: نقائض جرير والفرزدق ومجاز القرآن وأيام العرب. انظر: وفيات الأعيان 235/5. وبغية الوعاة 294/2.

(2) فتح البيان 54/10

(3) فتح البيان 28/15

(4) فتح البيان 13/2

(5) فتح البيان 109/11

(6) فتح البيان 342/1

(7) فتح البيان 141/12

رابعاً: تفسير الآية بالجمع بين الآيتين المتعارضتين -ظاهراً- توضيحاً للمشكل وإزالة للتوهم: مثاله: قوله تعالى: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ ﴿٣٩﴾﴾ [الرحمن: ٣٩] مع قوله تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾﴾ [الحجر: ٩٢] فقال عند آية سورة الرحمن: والجمع بين مثل هذه الآية وبين مثل قوله: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾﴾ [الحجر: ٩٢]:

1. أن ما هنا يكون في موقف والسؤال في موقف آخر من مواقف القيامة.
2. وقيل: قد كانت مسألة ثم ختم على أفواه القوم. وتكلمت أيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون.
3. وقيل: إنهم لا يسألون هنا سؤال استفهام عن ذنوبهم لأن الله سبحانه قد أحصى الأعمال وحفظها على العباد ولكن يسألون سؤال توبيخ وتقريع، ومثل هذه الآية قوله: ﴿وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾﴾ [القصص: ٧٨]
4. قال أبو العالية: المعنى لا يسأل غير المجرم عن ذنب المجرم.
5. وقيل إن عدم السؤال هو عند البعث، والسؤال هو في موقف الحساب.
6. وقال ابن عباس: لا يسألهم هل عملتم كذا وكذا؟ لأنه أعلم بذلك منهم؛ ولكن يقول لهم: لم عملتم كذا وكذا؟(1)

خامساً: تفسير لفظة في آية بلفظة مرادفة لها في آية أخرى: مثاله قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتْ ﴿٩﴾﴾ [المرسلات: ٩] أي فتحت وشقت، ومثله قوله تعالى : ﴿وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ أَبْوَٰبًا ﴿١٩﴾﴾ [النبأ: ١٩].(2)

سادساً: تفسير الآية بمقارنة أسلوبها بأسلوب آية أخرى: مثل قوله تعالى: ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ﴿١﴾ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢﴾﴾ [النبأ: ١ – ٢] فقال: أورده سبحانه وتعالى على طريقة الاستفهام مبهماً لتتوجه إليه أذهانهم وتلتفت إليه أفهامهم، ثم بينه بما يفيد تعظيمه وتفخيمه كأنه قيل: عن أي شيء يتساءلون هل أخبركم به ثم قيل بطريق الجواب ﴿عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢﴾﴾ [النبأ: ٢] على منهاج قوله تعالى: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ۖ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿١٦﴾﴾ [غافر: ١٦].(3)

سابعاً: تفسير الآية القرآنية بنظيرها، من ذلك تفسيره لقوله تعالى في سورة الدخان: ﴿كَذَٰلِكَ ۖ وَأَوْرَثْنَٰهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴿٢٨﴾﴾ [الدخان: ٢٨] فقال: المراد بهم بنو إسرائيل، فإن الله سبحانه ملكهم مصر، بعد أن كانوا مستعبدين فصاروا لها وارثين أي أنها وصلت إليهم كما يصل الميراث إلى الوارث، ومثل هذا قوله: ﴿

(1) فتح البيان 13/333-334

(2) فتح البيان 15/12

(3) فتح البيان 15/28

وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَـٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَـٰرِبَهَا ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا ﴾ [الأعراف: ١٣٧] وهذا قول الحسن، وقيل: إنهم لم يرجعوا إلى مصر، والقوم الآخرون غير بني إسرائيل وهو قول ضعيف جداً.(1)

ثامناً: تفسير المبهم في آية بالمبين في آية أخرى، مثاله قوله تعالى: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَـٰتٍ ﴾ [البقرة: ٣٧]، فكلمة (كلمات) مبهمة في هذه الآية مفسرة في أخرى، فقال القنوجي: واختلف السلف في تعيين هذه الكلمات فعن ابن عباس قال: هي قوله: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الأعراف: ٢٣] وعنه قال: علم شأن الحج وهي الكلمات، وعن عبد الله بن زيد(2): قال: لا إله إلا أنت سبحانك وبحمدك عملت سوءاً، وظلمت نفسي فارحمني إنك أنت أرحم الراحمين، وروي نحوه عن أنس وسعيد بن جبير.(3)

هذه أبرز الوجوه التي استفاد منها الشيخ القنوجي في تفسيره القرآن للقرآن، والأمثلة كثيرة، وفيما ذكرناها كفاية.

المبحث الثالث

منهج الشيخ القنوجي في تفسير القرآن بالسنة النبوية

إن الشيخ القنوجي علم من أعلام الحديث في شبه القارة الهندية، بل هو حامل راية السنة في زمانه وفي أهل أوانه، وهو من الدعاة إلى تفسير القرآن بالمأثور وبالسنة المشرفة، وقد صرح بذلك في مقدمة تفسير حيث قال: أن التفسير الذي ينبغي الاعتماد به والرجوع إليه هو تفسير كتاب الله جل جلاله باللغة العربية حقيقة ومجازاً.... وكذلك إذا ثبت تفسير ذلك من الرسول صلى الله عليه وسلم فهو أقدم من كل شيء بل حجة متبعة لا يسوغ مخالفتها لشيء آخر.(4)

وكذلك يرى الشيخ القنوجي -رحمه الله- أن تفسير النبي -صلى الله عليه وسلم- للقرآن الكريم يجب تقديمه على كل تفسير ويتعين على المفسر المصير إليه لكنه قليل بالنسبة إلى جميع القرآن الكريم، فقال: ولكن الثابت الصحيح من التفسير المرفوع إلى النبي وإن كان المصير إليه متعيناً. وتقديمه متحتماً، هو تفسير آيات قليلة بالنسبة إلى جميع القرآن. (5)

---

(1) فتح البيان 400/12

(2) هو عبد الله بن زيد بن ثعلبة من بني جشم بن الحارث بن الخزرج الأنصاري رائي الأذان. بدري عقبي. مات سنة 32هـ، وهو ابن 64 سنة، وصلّى عليه عثمان. وقيل: قتل يوم أحد. انظر: الإصابة لابن حجر 85/4، رقم الترجمة: (4704).

(3) فتح البيان 138/1

(4) فتح البيان 18/1

(5) فتح البيان 21/1

ونجد كتاب فتح البيان خير دليل على معتقده، فقد فسّر القرآن الكريم في ضوء الثابت من الأحاديث النبوية، و لقد اعتمد الشيخ القنوجي على السنة اعتمادا كبيراً في تفسيره الذي جمع فيه بين الرواية والدراية، فقد احتوى على ثروة ضخمة من الأحاديث النبوية، ويستشهد بها في أغلب أقواله، وفي شتى نقولاته، إذ اهتم بذكر الروايات عن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه والتابعين، ولكن الناظر يلاحظ أيضاً أن الشيخ القنوجي لم يلتزم منهجاً موحداً في سياقة الأحاديث في تفسيره، فنراه يذكر أحاديث في تفسيره ولا يتعرض لبيان مرتبتها من جهة الإسناد صحة وضعفاً، وفيما يلي أذكر خلاصة منهجه في إيراد الأحاديث في تفسيره ضمن العناصر التالية:

1. من عادة الشيخ القنوجي التحري والدقة فيما ينقل و إن ذكر حديثاً عزاه إلى راويه من غير بيان حال الإسناد اعتماداً منه على الأصول التي أخذ منه، كما صرح في مقدمة تفسيره: (وأذكر الحديث معزوا إلى راويه من غير بيان حال الإسناد لأني آخذه من الأصول).(1) و هذا هو دأبه في عامة ما يذكر في تفسيره إلا ما وقع منه نادراً.

2. و ربما أورد حديثاً تأكيداً واستشهاداً لتفسير الآية الكريمة دون عزوه إلى الراوي ومصدره الأصلي، مثل: ما أورده في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيۡرِ ٱللَّهِۖ﴾ [البقرة: ١٧٣]، فقد ذكر في تفسير هذه الآية: و قد ورد في الحديث: (**ملعون من ذبح لغير الله**)(2) سواء سمى الله عند ذبحه أو لم يسمّ.(3) فقد ذكر هذا الحديث من غير أن يعزوه إلى مصدر معين من مصادر الحديث.

3. وقد يذكر الحديث ولا يعرف مخرجه فيعلق على الإطلاع بمخرجه، و صحة سنده، فنراه يقول في أثناء كلامه في تفسيره لقول الله عز وجل: ﴿يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ أَرۡضِي وَٰسِعَةٌ﴾ [العنكبوت: ٥٦] ذكر حديثاً بصيغة التمريض قائلاً: وروي مرفوعاً: (**من فرّ بدينه من أرض إلى أرض وإن كان شبراً من الأرض استوجب** الجنة)(4) ثم قال: ولينظر في سنده وتخريجه.(1)

---

(1) فتح البيان 22/1

(2) أخرجه الإمام الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد 272/6، كتاب الحدود والديات، باب ما جاء في اللواط. و أخرجه الإمام أحمد أيضاً في مسنده عن ابن عباس 425/2، رقم الحديث: (1875)، وقال الشيخ أحمد شاكر: إسناده صحيح.

(3) فتح البيان 328/7-329

(4) لم أعثر على هذه الرواية في كتب متون الحديث، وإنما رواه الإمام الثعلبي في تفسيره مرسلاً عن الحسن فقال: أخبرنا عبد الله بن حامد قال: أخبرنا أحمد بن محمد بن شاذان، قال: حدثنا جيغويه ابن محمد الترمذي، قال: حدثنا صالح بن محمد، عن سليمان، عن عباد بن منصور الناجي، عن الحسن قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم: «من فرّ بدينه من أرض إلى أرض وإن كان شبرا من الأرض استوجب الجنة وكان رفيق إبراهيم ومحمد (عليهما السلام) ». انظر: الكشف والبيان عن تفسير القرآن للإمام أبي إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير

4. وقد يذكر الحديث و يحكم عليه بالصحة ولا يذكر من خرجه من المحدثين لشهرته، مثل ما يقول في تفسير قوله تعالى: ﴿لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا﴾ [النساء: ١١] فقد فسّر النفع بالانتفاع بدعائه وصدقته عنه من بعده وأيد رأيه هذا بقوله: وفي الحديث الصحيح: (**أو ولد صالح يدعو له**).(2)

5. كثيراً ما يعتمد على روايات الشيخين في تفسيره الآية الكريمة، ويستعين خاصة بما رواه البخاري في تفسير الآية، لكنه مع ذلك لم يقتصر على ما رواه الشيخان بل يورد الأحاديث من مصادر الأحاديث الأخرى أيضاً.(3)

6. ومن عادته أيضاً أنه لا يبين مرتبة الحديث صحة وضعفاً في أكثر الموارد لكنه قد يخالف هذا الأصل فيتكلم على الحديث إجمالاً. مثل: ما ذكر في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ﴾ [العنكبوت: ٤٥]، بعد أن ساق أكثر من حديث مرفوع، قال: قال السيوطي: وسنده ضعيف، وقال ابن كثير في تفسير: والأصح في هذا كله الموقوفات عن ابن مسعود وابن عباس والحسن وقتادة ...(4)

7. وقد يذكر الحديث و يقويه بذكر طرقه وشواهده. مثاله: ما ذكر تحت قوله تعالى: ﴿وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ﴾ [النساء: ٣٦] ذكر أقوال المفسرين وقال: قال القرطبي في تفسيره: وروي أن رجلاً جاء النبي –صلى الله عليه وسلم- فقال: إني نزلت محلة قوم وأن أقربهم إلي جواراً أشدهم أذىً... الحديث. ثم ذكر نقد الشوكاني لإيراد القرطبي هذا الحديث غير معزو إلى أحد من كتب الحديث المعروفة، وردّ الشيخ القنوجي نقد الشوكاني فقال: أقول: هذا الحديث بلفظه أخرجه الطبراني وروي في الجامع الصغير (**الجوار أربعون** داراً)(5) أخرجه البيهقي عن عائشة رضي الله عنها. قال المناوي في شرحه: وروي عن عائشة : أوصاني جبريل بالجار إلى أربعين داراً، وكلاهما ضعيف والمعروف

الساعدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى 1422، هـ، 288/7. وعنه أخذها القرطبي 5/ 347، والزمخشري 555/1، والبيضاوي 92/2 وغيرهم.

(1) فتح البيان 170/7

(2) فتح البيان 186/2، والحديث أخرجه مسلم، كتاب الوصية (25) باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته(3)، 1255/3، رقم الحديث: (1631).

(3) انظر: صديق حسن خان القنوجي وجهوده في تفسيره لموفق الدليمي ص 140-142

(4) فتح البيان 197/10، وانظر: تفسير ابن كثير 254/6

(5) مسند أبي يعلى الموصلي،385/10، مسند أبي هريرة (115)، رقم الحديث: (5982) تحقيق: حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث – دمشق، الطبعة الأولى، 1404 – 1984م. وضعفه المحقق (حسين سليم أسد) أيضاً. و أخرجه البيهقي عن عائشة رضي الله عنها قالت: يا رسول الله، ما أحق، أو قالت: ما حد الجوار؟ قال: " أربعون دارا) انظر: السنن الكبرى للإمام البيهقي 451/6، رقم الحديث: (12611)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الثالثة، 1424 هـ - 2003 م

المرسل الذي أخرجه أبو داود، ثم قال بعد ما نقل كلام الزركشي وابن حجر في الحديث: فهذا يؤيد أصل ما نقله القرطبي.(1) وهكذا روى الأحاديث بطرقه الضعيفة وأخرى مرسلة قوية يرتقي إلى درجة الاستناد به.

8. وقد يشير إلى ضعف بعض الأحاديث من حيث العموم. مثل ما أشار إلى ضعف حديث ذكره في تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ﴾ [الحجر: ٢٢] فقال: أخرج ابن جرير وابن أبي الدنيا وأبو الشيخ والدليمي بسند ضعيف، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: **ريح الجنوب من الجنة وهي الريح اللواقح التي ذكر الله في كتابه.**(2)

9. و أحياناً يشير إلى موطن الضعف في الحديث. مثل ما نقل عن ابن كثير في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ۝٧﴾ [الرعد: ٧]، وعن ابن عباس قال: لما نزلت هذه الآية وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده على صدره فقال: (**أنا المنذر**) و أومأ بيده إلى منكب علي فقال: (**أنت الهادي يا علي بك يهتدي المهتدون من** بعدي)(3) قال القنوجي: قال ابن كثير في تفسيره: وهذا الحديث فيه نكارة شديدة.(4)

10. وقد يقف موقف الناقد البصير من الروايات والأسانيد. مثل ما ذكر في تفسير قوله تعالى:﴿ وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ﴾ [العنكبوت: ٦٠] أخرج عبد بن حميد، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، والبيهقي، وابن عساكر، قال السيوطي: بسند ضعيف عن ابن عمر قال: خرجت مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حتى دخل بعض حيطان المدينة فجعل يلتقط التمر ويأكل، قال لي: مالك لا تأكل؟ قلت: لا أشتهيه يا رسول الله، قال: لكني أشتهيه، وهذه صبح رابعة منذ لم أذق طعاماً، ولم أجده، ولو شئت لدعوت ربي فأعطاني مثل ملك كسرى وقيصر فكيف بك يا ابن عمر إذا بقيت في قوم يخبئون رزق سنتهم ويضعف اليقين؟ قال: فوالله ما برحنا ولا رمنا حتى نزلت: ﴿وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا﴾ [العنكبوت: ٦٠] فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: " **إن الله لم يأمرني بكنز الدنيا**

---

(1) فتح البيان 3/114-115

(2) فتح البيان 7/160، والحديث: رواه ابن جرير الطبري في تفسيره 14/ 22، عن عبيس بن ميمون، عن أبي المهزم، عن أبي هريرة مرفوعاً. قال الشيخ الألباني: وهذا إسناد ضعيف جداً؛ عبيس بن ميمون وأبو المهزم؛ متروكان. واقتصر الحافظ ابن كثير 2/ 249 على قوله: إسناد ضعيف، انظر: سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة 8/137، رقم الحديث: (3652). للشيخ محمد ناصر الدين بن الحاج نوح الألباني، دار المعارف، الرياض - المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، 1412 هـ / 1992م

(3) رواه الطبري في تفسيره 16/ 357، رقم الحديث: (20161)، وقال المحقق (أحمد محمد شاكر): وهذا خبر هالك من نواحيه.

(4) فتح البيان 5/75

ولا باتباع الشهوات، ألا وإني لا أكنز ديناراً ولا درهماً؛ ولا أخبئ رزقاً لغد،(1) قال القنوجي: وهذا الحديث فيه نكارة شديدة لمخالفته ما كان عليه النبي - صلى الله عليه وسلم - فقد كان يعطي نساءه قوت العام كما ثبت ذلك في كتب الحديث المعتبرة، وفي إسناده أبو العطوف الجزري(2)وهو ضعيف.(3)

11. وقد يذكر الرواية ولا يشير إلى ضعفها رغم أنها تكون ضعيفة غير ثابتة. مثل قصة ثعلبة بن حاطب(4) في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ﴾ [التوبة: ٧٥] التي رواها جمع من المفسرين، وهي قصة ضعيفة، ضعفها الحافظ العراقي في تخريجه للإحياء(5) وطعن فيها ابن حزم سنداً ومتناً.(6) ولم يعقب القنوجي على هذه القصة، لا بالصحة ولا بالضعف، ولا بغير ذلك.(7)

12. وقد يسوق حديثاً ضعيفاً ولا يشير إلى ضعفه لكونه يندرج في عموم الآية. مثل تفسيره لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [التوبة: ١٨] فذكر حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **إذا رأيتم الرجل يعتاد المساجد فاشهدوا له بالإيمان**،(8) قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ ... ﴾ [التوبة: ١٨] أخرجه أحمد

---

(1) الحديث أخرجه عبد بن حميد في مسنده، وقال محققه: فيه أبو العطوف وهو متروك، وفيه رجل لم يسمّ. انظر: المنتخب من مسند عبد بن حميد، للإمام أبي محمد عبد الحميد بن حميد، تحقيق: الشيخ مصطفى العدوي، دار بلنسية للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية 1423هـ 44/2، رقم الحديث: (814).

(2) هو الجراح بن منهال روى عن الزهري قال أحمد: كان صاحب غفلة، وقال ابن المديني: لا يكتب حديثه. وقال البخاري ومسلم: منكر الحديث. وقال النسائي، والدارقطني: متروك. وقال ابن حبان: كان يكذب في الحديث ويشرب الخمر. مات سنة سبع وستين ومائة. انظر: ميزان الاعتدال للإمام الذهبي، 390/1، رقم الترجمة: (1453) تحقيق: علي محمد البجاوي، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، 1382 هـ - 1963 م.

(3) فتح البيان 214/10

(4) هو ثعلبة بن حاطب بن عمر بن عبيد، وأمه أمامة بنت الصامت، من بني أمية بن زيد، آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بينه وبين معتب بن الحمراء، وشهد بدراً وأحداً. انظر: طبقات ابن سعد 3/ 460، وسيرة ابن هشام 530/2

(5) تخريج أحاديث إحياء علوم الدين للحافظ العراقي، استِخرَاج: أبي عبد اللَّه مَحمُود بِن مُحَمّد الحَدّاد، دار العاصمة للنشر – الرياض، بدون طبع وتاريخ. 1954/4

(6) المحلى بالآثار للإمام أبي محمد علي بن أحمد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري، دار الفكر – بيروت، بدون طبع وتاريخ، 137/12

(7) فتح البيان 5/ 353

(8) رواه أحمد في مسنده عن أبي سعيد الخدري 194/18، رقم الحديث: (11651)، وضعف إسناده المحقق أحمد شاكر.

والدارمي والترمذي وحسنه وابن ماجه وابن المنذر والبيهقي وعبد بن حميد.(1) فكأنه رأى مفهوم الآية وفحواها يؤيد الحديث ويقويه.

13. وقد يورد الأحاديث في الترغيب والترهيب و لكنه يرى عدم جواز التساهل في الأحاديث الواردة في فضائل الأعمال، وقد خطأ من قال بجوازه، فقال: وقد أخطأ من قال إنه يجوز التساهل في الأحاديث الواردة في فضائل الأعمال، وذلك لأن الأحكام الشرعية متساوية الاقدام، لا فرق بين واجبها ومحرمها ومسنونها ومكروهها ومندوبها فلا يحل إثبات شيء منها إلا بما تقوم به الحجة: وإلا فهو من التقول على الله بما لم يقل ومن التجرؤ على الشريعة المطهرة بإدخال ما لم يكن منها فيها، وقد صح تواتراً أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال " **من كذب عليَّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار** "(2) فهذا الكذاب الذي كذب على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - محتسباً للناس بحصول الثواب لم يربح إلا كونه من أهل النار.(3)

14. يرى أن أحاديث فضائل القرآن سورة سورة موضوعة مكذوبة، ولذا فهو لا يوردها في المقدمات التي يضعها للسورة، قال القنوجي: وأما أحاديث فضائل القرآن سورة سورة فلا خلاف بين من يعرف الحديث إنها موضوعة مكذوبة، وقد أقرّ به واضعها -أخزاه الله- بأنه الواضع لها وليس بعد الاقرار شيء، ولا اغترار بمثل ذكر الزمخشري لها في آخر كل سورة فإنه وإن كان إمام اللغة والآلات على اختلاف أنواعها، فلا يفرق في الحديث بين أصح الصحيح وأكذب الكذب، ولا يقدح ذلك في علمه الذي بلغ فيه غاية التحقيق. ولكل علم رجال، وقد وزع الله سبحانه الفضائل بين عباده، والزمخشري نقل هذه الأحاديث عن تفسير الثعلبي، وهو مثله في عدم المعرفة بعلم السنة.(4)

15. وقد يورد بعض الأحاديث حول موضوع معين ثم يقسمها من حيث المورد صحة وضعفاً، مثل ما أورد تحت قوله تعالى: ﴿أَخۡرَجۡنَا لَهُمۡ دَآبَّةٗ مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ﴾ [النمل: ٨٢] من الأحاديث، وبعد أن أوردها قال: وفي صفتها، ومكان خروجها، وما تصنعه؟ ومتى تخرج؟ أحاديث كثيرة بعضها صحيح، وبعضها حسن، وبعضها ضعيف.(5)

---

(1) فتح البيان 77/4

(2) رواه جم غفير من الصحابة ومن المحدثين، منهم: البخاري في صحيحه، 80/2، عن المغيرة بن شعبة، رقم الحديث: (1291)، ومسلم في صحيحه عن أبي هريرة، 10/1، رقم الحديث: (3).

(3) فتح البيان 27/1

(4) فتح البيان 27/1

(5) فتح البيان 72/10-73

16. يعتمد في نقد الروايات والأسانيد على المحدثين الكبار، مثل: ابن كثير(1) والسيوطي(2) وغيرهما من الأئمة الكبار.(3)

17. ومن منهجه في ذكر الأحاديث والراوايات الاختصار غير المخل.(4)

18. و ما ينقله من الأحاديث فإنما ينقلها تارة بالنص وأخرى بالتصرف.(5)

19. وقد ينقل الأحاديث الشريفة مستشهداً بها لتفسير الآية وفي المسائل كافة كالمكي والمدني(6) وأسباب النزول (7) والأحكام (8) والناسخ والمنسوخ (9) وغيرها.

20. ورغم علو كعبه في علم الحديث فإنه من تواضعه يعترف بقصوره في علم الحديث، وترك التقول في ما لا يعلم، مثل قوله في بعض الأحاديث: والأحاديث في مشروعية الصلاة في النعل كثيرة جداً، و أما كون ذلك هو تفسير الآية كما روي هذين الحديثين فلا أدري كيف إسنادهما؟.(10)

هذه أبرز معالم منهجه في تعامله مع السنة النبوية وإيراد الأحاديث في تفسيره.

المبحث الرابع

منهج الشيخ القنوجي في تفسير القرآن الكريم بأقوال الصحابة والتابعين

إن الصحابة هم أجدر الناس بتفسير كتاب الله تعالى بعد رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، فهم الذين اختصوا بمشاهدة أنوار الوحي المحمدي و أخذوا الشريعة من الرسول صلى الله عليه وسلم، وعرفوا أسباب النزول فضلاً عن ما لهم من سلامة الفطرة وصفاء النفوس وعلو الكعب في اللغة والبيان.

ومن هنا كان تفسير القرآن الكريم بأقوال الصحابة -رضي الله عنهم- أهم طرق التفسير بعد التفسير بالقرآن وبالسنة، ولذا صرّح الإمام ابن تيمية -رحمه الله- بذلك فقال: (إذا لم نجد

---

(1) فتح البيان 197/1

(2) انظر: فتح البيان 266/1، 296/2

(3) انظر: فتح البيان 111/10

(4) انظر على سبيل المثال: فتح البيان 112/1، و 63/10.

(5) انظر على سبيل المثال: فتح البيان 286/3.

(6) انظر: فتح البيان 424/2

(7) انظر: فتح البيان 421/2

(8) انظر: فتح البيان 217/2

(9) انظر: فتح البيان 219/2

(10) انظر: فتح البيان 3/ 310

التفسير في القرآن ولا في السنة رجعنا في ذلك إلى أقوال الصحابة فإنهم أدرى بذلك لما شاهدوا من القرائن والأحوال التي اختصوا بها ...) (1)

ولذا أولى الشيخ القنوجي اهتماماً بالغاً لتفسير الصحابة والتابعين في تفسيره، واعتمد عليه اعتماداً كبيراً، كيف لا وهو من تلاميذ مدرسة الشاه ولي الله الدهلوي والإمام الشوكاني -رحمهما الله- فاجتمع فيه نزعة أثرية مع سعة اطلاعه على الأحاديث والآثار والتمسك بمذهب السلف في التفسير وغيره، فقد قال في مقدمة تفسيره: (إن التفسير الذي ينبغي الاعتداد به والرجوع إليه هو تفسير كتاب الله -جل جلاله- باللغة العربية حقيقة ومجازاً إن لم تثبت في ذلك حقيقة شرعية فإن ثبتت فهي مقدمة على غيرها، وكذلك إذا ثبت تفسير ذلك من الرسول -صلى الله عليه وآله وسلم- فهو أقدم من كل شيء بل حجة متبعة لا يسوغ مخالفتها لشيء آخر، **ثم تفاسير علماء الصحابة المختصين برسول الله** - صلى الله عليه وسلم - فإنه يبعد كل البعد أن يفسر أحدهم كتاب الله تعالى ولم يسمع في ذلك شيئاً عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، وعلى فرض عدم السماع فهو أحد العرب الذين عرفوا من اللغة دِقَّها وجلَّها).(2) هذا هو رأي الشيخ في تفسير الصحابة، وأما رأيه في تفسير التابعين فإنه أقل درجة من تفسير الصحابة وإن كان الشيخ يوليه أيضاً اهتماماً كبيراً لكنه لا يراه حجة ولا يجب التمسك به عنده، فقال -رحمه الله-: (وأما تفاسير غيرهم (الصحابة) من التابعين ومن بعدهم فإن كان من طريق الرواية نظرنا في صحتها سواء كان المروي عنه الشارع أو أهل اللغة، وإن كان بمحض الرأي فليس ذلك بشيء ولا يحل التمسك به ولا جعله حجة). (3)

وفيما يلي نذكر منهجه العام في تفسير الصحابة والتابعين وذلك باختصار شديد:

1. إنه يقدم المعنى الشرعي الوارد عن الصحابة على المعنى اللغوي كما قال: (والثابت من التفسير عن الصحابة ... إن كان من اللفظ الذي قد نقله الشرع إلى معنى مغايراً للمعنى اللغوي فهو مقدم على غيره)(4) مثاله: عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [البقرة: ٣]، قال: والصلاة أصلها في اللغة

(1) مقدمة في أصول التفسير ص 40

(2) فتح البيان 18/1

(3)فتح البيان 18/1

(4) فتح البيان 21/1

الدعاء من صلى يصلي إذا دعا، ذكر ذلك الجوهري(1) وغيره، وقال قوم: هي مأخوذة من الصلا، وهو عرق وسط الظهر ويفترق عند العجب ذكر هذا القرطبي، وهذا هو المعنى اللغوي، و أما المعنى الشرعي فهو هذه الصلاة التي ذات الأركان والأذكار، قال: ابن عباس: المراد به الصلوات الخمس).(2)

2. تفسير الصحابة للألفاظ الغريبة في القرآن التي لم ينقلها الشرع إلى معنى آخر مما يعتمد عليه ويوثق به، فقال: و إن كان من الألفاظ التي لم ينقلها الشرع فهو كواحد من أهل اللغة الموثوق بعربيتهم.(3) مثاله: عند تفسيره قوله تعالى: ﴿وَكَأْسًا دِهَاقًا ۝٣٤﴾ [النبأ: ٣٤]، قال ابن عباس: دهاقاً: ممتلئاً، وقال: وربما سمعت العباس يقول: يا غلام اسقنا و أدهق لنا.(4)

3. يرى الشيخ القنوجي أن تفسير الصحابي للفظ إذا خالف المشهور المستفيض لم تقم الحجة علينا بتفسيره.(5)

4. يرى أيضاً أن معنى الآية لا يقتصر على ما نقل عن الصحابة والتابعين فقط.قال الشيخ القنوجي: (كثيراً ما يقتصر الصحابي ومن بعده من السلف على وجه واحد مما يقتضيه النظم القرآني باعتبار المعنى اللغوي، ومعلوم أن ذلك لا يستلزم إهمال سائر المعاني التي تفيدها اللغة العربية ولا إهمال ما يستفاد من العلوم التي يتبين بها دقائق العربية وأسرارها كعلم المعاني والبيان، فإن التفسير بذلك هو تفسير اللغة لا تفسير بمحض الرأي المنهي عنه).(6)

5. و يرى أيضاً أنه لم يتيسر نقل تفسير كل تركيب من التراكيب القرآنية عن السلف رضوان الله عليهم بل قد يخلو عن ذلك كثير من القرآن.(7)

6. و يرى أيضاً أنه لاعتبار بما لا يصح نقله عنهم كالتفسير المنقول بإسناد ضعيف، ولا بتفسير من

---

(1) هو إسماعيل بن حماد الفارابي، أبو نصر. إمام في اللغة والأدب، درس على أبي علي الفارسي، سافر إلى حجاز، وأخذ اللغة مشافهة عن العرب العاربة، عكف على التدريس والتأليف حتى توفي سنة 393هـ. من مؤلفاته: الصحاح والمقدمة في النحو. معجم الأدباء 151/6. وبغية الوعاة 446/1.

(2) فتح البيان 81/1

(3) فتح البيان 21/1

(4) فتح البيان 42/15

(5) فتح البيان 21/1، وانظر: 2/ 52-53

(6) فتح البيان 21/1

(7) فتح البيان 21/1

ليس بثقة منهم وإن صح إسناده إليه. (1)

7. من عادة الشيخ رحمه الله أنه يسوق آثار الصحابة والتابعين غير معزوة إلى مصادرها، وهذا هو الغالب في تفسيره.(2)

8. و قد يعزو الآثار إلى مصادرها في مواضع من تفسيره.(3)

9. يرجّح الشيخ الصحيح من الموقوف على الضعيف المرفوع (4) في تفسيره. مثل: تفسيره لقوله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰۗ وَمَن يَقۡتَرِفۡ حَسَنَةٗ نَّزِدۡ لَهُۥ فِيهَا حُسۡنًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ شَكُورٌ ٢٣﴾ [الشورى: ٢٣]، عن ابن عباس أنه سئل عن قوله: ﴿إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰۗ﴾ فقال: " إن النبي -صلى الله عليه وسلم- لم يكن بطن من قريش إلا كان له فيهم قرابة، فقال: إلا أن تصلوا ما بيني وبينكم من القرابة "،(5) وعنه قال: قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: **لا أسألكم عليه أجراً إلا أن تودوني في نفسي لقرابتي وتحفظوا القرابة التي بيني وبينكم** " ثم ساق حديثاً مرفوعاً وفيه: قالوا: " يا رسول الله من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم؟ قال: **علي وفاطمة وولداهما**"(6) أخرجه ابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني وابن مردويه قال السيوطي بسند ضعيف. ثم قال بعد ما ساق آثاراً أخرى: والمعنى الأول هو الذي صحّ عنه ورواه عنه الجمع الجمّ من تلامذته... ولا يقوي ما روي من حملها على آل محمد -صلى الله عليه وسلم- على معارضته ما صحّ عن ابن عباس من تلك الطرق الكثيرة).(7)

---

(1) فتح البيان 21/1

(2) انظر مثلاً: فتح البيان 245/11، و 374/11 و 389/11 و 115/12 و 155/12 وغيرها

(3) انظر مثلاً: فتح البيان 133/12، و 14/ 43، و 14/ 385 وغيرها.

(4) **الحديث الصحيح:** هو ما اتصل سنده بنقل العَدْل الضابط عن مثله إلى منتهاه من غير شذوذ ولا عِلَّة. **والحديث الضعيف:** هو ما لم يجمع صفة الحسن، بفقد شرط من شروطه. **والحديث المَرْفُوع:** هو ما أُضيف إلى النبي صلي الله عليه وسلم من قول أو فعل أو تقرير أو صفة. **والحديث المَوْقوف:** هو ما أُضِيف إلى الصحابي من قول أو فعل أو تقرير. انظر: تيسير مصطلح الحديث لمحمود الطحان ص 17، 32، 68 و 69.

(5) أخرجه البخاري في صحيحه، عن ابن عباس -رضي الله عنهما-: أنه سئل عن قوله:[إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰ] فقال سعيد بن جبير: قربى آل محمد صلى الله عليه وسلم - فقال ابن عباس: عجلت، إن النبي... كتاب التفسير، باب قوله: إلا المودة في القربى، 129/6، رقم الحديث: (4818).

(6) انظر: تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم، تحقيق: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز - المملكة العربية السعودية، الطبعة الثالثة - 1419 هـ 3276/10، رقم الحديث: (18473) وضعف سنده، وانظر: الدر المنثور للإمام عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، دار الفكر – بيروت، 348/7.

(7) فتح البيان 12/ 298-299

10. يحاول الشيخ الجمع بين أقوال الصحابة والتابعين إن أمكن ذلك. مثاله: ما ذكر في تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ﴾ [النساء: ٣٦]، قال: قيل: هو الرفيق في السفر قاله ابن عباس وسعيد بن جبير وعكرمة ومجاهد والضحاك، وقال علي بن أبي طالب وابن مسعود وابن أبي ليلى(1): هو الزوجة والمرأة، وقال ابن جريج(2): هو الذي يصحبك ويلزمك رجاء نفعك. وقال زيد بن أسلم: هو جليسك في الحضر ورفيقك في السفر وامرأتك التي تضاجعك. ثم يجمع الشيخ القنوجي بين هذه الأقوال فيقول: ولا يبعد أن تتناول الآية جميع ما في هذه الأقوال مع زيادة عليها وهو كل من صدق عليه أنه صاحب بالجنب أي بجنبك كمن يقف بجنبك في تحصيل العلم أو تعلم صناعة أو مباشرة تجارة أو نحو ذلك فإنه صحبك وحصل بجنبك، ومنهم من قعد في مسجد أو مجلس أو غير ذلك مع أدنى صحبة بينك وبينه.(3)

11. يرى أن لا عبرة بقول الصحابي إذا تعارض مع القرآن والسنة، ومثال ذلك: يقول الشيخ القنوجي عند قوله تعالى: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾ [البقرة: ٢٣٨]، وقد اختلف أهل العلم في تعينها ﴿وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾ على ثمانية عشر قولاً ، أوردها الشوكاني في شرحه للمنتقى، و ذكر ما تمسك به كل طائفة، وأرجح الأقوال وأصحها ما ذهب إليه الجمهور من أنها العصر لما ثبت عند البخاري ومسلم و أهل السنن وغيرهم من حديث علي قال: (كنا نراها الفجر حتى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يوم الأحزاب: **شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر، ملأ الله قبورهم وأجوافهم ناراً**)(4) ثم يسرد الأحاديث المرفوعة تأكيداً له و يعقب أخيراً: وورد في تعيين أنها العصر من غير ذكر يوم الأحزاب أحاديث مرفوعة إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - وهذه أحاديث مصرحة بأنها العصر. وقد روى عن الصحابة في تعيين أنها العصر آثار كثيرة وفي الثابت عن النبي - صلى الله عليه وسلم - ما لا يحتاج معه إلى غيره.

وأما ما روي عن علي وابن عباس أنهما قالا: إنها صلاة الصبح كما أخرجه مالك في الموطأ

---

(1)عبد الرحمن ابن أبي ليلى الأنصاري المدني ثم الكوفي ثقة من الثانية اختلف في سماعه من عمر، مات بوقعة الجماجم سنة ثلاث وثمانين، وقيل: إنه غرق. انظر: تقريب التهذيب ص 349 رقم الترجمة: 3993

(2) هو عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج الرومي الأموي، الإمام المجتهد الحافظ، فقيه الحرم، صاحب التصانيف، كان من أوعية العلم، توفي سنة (150هـ). انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي 325/6، وذيل طبقات الحفاظ للسيوطي ص 81، تحقيق: الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلمية.

(3) فتح البيان 116/3

(4) أخرجه البخاري 213/7، كتاب الدعوات رقم 80، باب الدعاء على المشركين رقم 60، حديث رقم 6396.

عنهما،(1) وأخرجه ابن جرير عن ابن عباس وكذلك غيره عن ابن عمر وأبي أمامة فكل ذلك من أقوالهم، وليس فيها شيء من المرفوع إلى النبي - صلى الله عليه وسلم -، ولا تقوم بمثل ذلك حجة لا سيما إذا عارض ما ثبت عن النبي - صلى الله عليه وسلم - ثبوتاً يمكن أن يدعى فيه التواتر، وإذا لم تقم الحجة بأقوال الصحابة لم تقم بأقوال من بعدهم من التابعين وتابعيهم بالأولى.

وهكذا لا تقوم الحجة بما أخرجه ابن أبي حاتم بإسناد حسن(2) عن ابن عباس أنه قال صلاة الوسطى المغرب. وهكذا لا اعتبار بما ورد من قول جماعة من الصحابة أنها الظهر وغيرها من الصلوات.(3)

12. يستدل بأقوال الصحابة في المسائل العقائدية مثل: تفسيره لقوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ﴾ [الأعراف: ٥٤]، فقال: وعن أم سلمة(4) -رضي الله عنها- قالت: **الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول والإقرار به إيمان، والجحود له كفر.**(5)

13. يعتمد على أقوال الصحابة والتابعين في معرفة المكي والمدني. مثل: عند تفسيره لسورة الإخلاص،

---

(1) الموطأ للإمام مالك بن أنس الأصبحي المدني تحقيق: محمد مصطفى الأعظمي، مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان للأعمال الخيرية والإنسانية - أبو ظبي – الإمارات، الطبعة الأولى، 1425 هـ - 2004 م، 192/2، رقم الحديث: (461).

(2) انظر: تفسير القرآن العظيم للإمام ابن أبي حاتم، تحقيق: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز – السعودية، الطبعة الثالثة - 1419 هـ 448/2، رقم الحديث: (2373-2376).

(3) فتح البيان 2/ 52-53

(4) هي أم المؤمنين أم سلمة بنت أبي أميّة بن المغيرة بن عبد اللّٰه بن عمرو بن مخزوم القرشيّة المخزوميّة، اسمها هند. وكانت زوج ابن عمها أبي سلمة بن عبد الأسد بن المغيرة، فمات عنها، فتزوجها النّبيّ صلّى اللّٰه عليه وآله وسلّم سنة أربع، وقيل سنة ثلاث، وكانت ممن أسلم قديماً هي وزوجها وهاجرا إلى الحبشة، فولدت له سلمة، ثم قدما مكّة وهاجرا إلى المدينة، فولدت له عمر، ودرة، وزينب، ماتت في شوال سنة تسع وخمسين، وصلّى عليها أبو هريرة. وقيل: ماتت في آخر سنة إحدى وستين وقيل: ماتت سنة اثنتين وستين، وهي آخر أمهات المؤمنين موتا. انظر: الإصابة 404/8-407، رقم الترجمة: (12065).

(5) فتح البيان 374/4

وأما قول أم سلمة فقد أخرجه الإمام أبو القاسم اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، تحقيق: الدكتور أحمد بن سعد بن حمدان، دار طيبة للنشر والتوزيع- الرياض، الطبعة الرابعة، 1416هـ 441/2، رقم: (663)، وأورده الإمام الذهبي في العلو للعلي الغفار في إيضاح صحيح الأخبار وسقيمها، تحقيق: أبو محمد أشرف بن عبد المقصود، مكتبة أضواء السلف – الرياض، الطبعة الأولى، 1416هـ ص 177 رقم الحديث: (181). ثم قال: هذا القول محفوظ عن جماعة كربيعة الرأي ومالك الإمام وأبي جعفر الترمذي، فأما عن أم سلمة فلا يصح. وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في الفتاوى: رُوي هذا الجواب عن أم سلمة رضي الله عنها موقوفاً ومرفوعاً، ولكن ليس إسناده مما يعتمد عليه. 365/5.

وما نقل عن الإمام مالك في ذلك فثابت عنه، أخرجه البيهقي في الأسماء والصفات تحقيق: عبد الله بن محمد الحاشدي، مكتبة السوادي، جدة، الطبعة الأولى، 1413 هـ - 1993 م 304/2-305، رقم الحديث: (866-867) من طريقين، وذكره الحافظ في الفتح 406/13-407 وحكم بأن إسناده جيد.

قال: وهي مكية في قول ابن مسعود والحسن وعطاء وعكرمة وجابر، ومدنية في أحد قولي ابن عباس وقتادة والضحاك والسدي.(1)

14. يرجح ما روي عن النبي -صلى الله عليه وسلم- على ما روي عن الصحابة إذا تعارضا، مثاله: عند تفسير سورة الكوثر قال: (فالمعنى على هذا إنا أعطيناك يا محمد الخير الكثير البالغ في الكثرة إلى الغاية، وذهب أكثر المفسرين كما حكاه الواحدي إلى أن الكوثر: نهر في الجنة، وقيل: هو حوض النبي -صلى الله عليه وآله وسلم- في الموقف، قاله عطاء وقال عكرمة: الكوثر: النبوة، وقال الحسن: هو القرآن، ... وقيل: هو الإسلام، وقيل: رفعة الذكر، وقيل: نور القلب، وقيل: الشفاعة، وقيل: المعجزات، وقيل: إجابة الدعوة، وقيل: لا إله إلا الله وقيل: الفقه في الدين، وقيل: الصلوات الخمس، ... ثم ذكر الأحاديث الصحيحة المرفوعة الواردة في الكوثر... ثم قال: فهذه الأحاديث تدلّ على أن الكوثر: هو النهر الذي في الجنة فيتعين المصير إليها، وعدم التعويل على غيرها، ... و رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم- قد فسّره فيما صحّ عنه أنه النهر الذي في الجنة، وإذا جاء نهر الله بطل نهر معقل.(2)

15. قد يردّ الشيخ تفسير الصحابي عندما يترجح لديه بالقرآئن أنه مما نقل عن كتب أهل الكتاب، مثل: أثر ابن عباس الطويل(3) في تفسير قوله تعالى: ﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٤﴾﴾ [النمل: ٤٤]، ثم قال عن ذلك الأثر: هو منكر جداً، ولعله من أوهام عطاء بن السائب(4) على ابن عباس والأقرب أنها متلقاة عن أهل الكتاب.(5)

هذه أبرز معالم منهجه في تفسير الصحابه والتابعين.

المبحث الخامس

منهج الشيخ القنوجي في تفسير القرآن بالإجماع

يأتي الإجماع عند المفسرين في المرتبة الثالثة بعد تفسير القرآن والسنة، كما هو عند الفقهاء لكن الفرق في قلة استخدامه وكثرته، فإن المفسرين لم يفردوا التصانيف فيه كما أفردها الفقهاء ولم يهتموا

---

(1) فتح البيان 443/15

(2) فتح البيان 409/15-410

(3) انظر هذا الأثر الطويل عند ابن كثير في تفسيره 195/6-196

(4) هو أبو عطاء بن السائب، ويقال أبو السائب الثقفي الكوفي صدوق اختلط، من الخامسة، مات سنة ست وثلاثين. انظر: تقريب التهذيب ص 391، رقم الترجمة: (4592).

(5) فتح البيان 73/7

بها كما اهتم الفقهاء، وفيما يلي نذكر نبذة يسيرة عن الإجماع عند المفسرين ثم نذكر منهج الشيخ القنوجي في تفسير القرآن الكريم بالإجماع و أمثلته على ذلك.

أولاً: تعريف الإجماع

والإجماع في عرف الأصوليين: اتفاق مجتهدي هذه الأمة بعد النبي صلّى الله عليه وسلّم على حكم شرعي.(1) والمراد به هنا: إجماع المفسرين ـ ممن يعتبر في التفسير قولهم ـ على معنى من المعاني في تفسير آية من كتاب الله.(2)

ثانياً: فوائد الإجماع وأهميته

1. معرفة وجوه الاتفاق بين المفسرين.
2. العلم بالقضايا المجمع عليها تعطي الثقة لمن يهتم بمعرفتها.
3. أن نص الدليل يغيب عن الأذهان لكن الإجماع باق.
4. أن السند الذي يقوم عليه الإجماع ظنيٌّ؛ فيأتي الإجماع ليجعله قطعيّاً.
5. أن يحمل كلام الله تعالى على لون من أصح ألوان التفسير، وأقواها ثبوتاً.
6. أن تعرف إجماعات المفسرين فلا يجترأ على مناقضتها.(3)

ثالثاً: طرق معرفة الإجماع

لمعرفة إجماعات المفسرين طريقان، وكلاهما يعتمد على الاستقراء:

1. أن ينص أحد المحققين على حكاية الإجماع؛ كابن جرير، وابن أبي حاتم وابن عطية والبغوي وابن كثير والسيوطي في الدر المنثور وغيرهم، وحكمهم على مسألة في التفسير بالإجماع يدل على استقرائهم لأقوال السالفين لهم، ثم دور الباحث بعدهم التأكد من عدم وجود المخالف، وهذا لا يكون إلا بالاستقراء كذلك.
2. أن تَستقرئ أقوال المفسرين وتَستنبِط الإجماع من أقوالهم إذا لم يكن بينهم خلاف في الآية.(4)

رابعاً: أنواع الإجماع في التفسير

الإجماع في التفسير على نوعين:

---

(1) الأصول من علم الأصول للشيخ محمد بن صالح العثيمين، دار ابن الجوزي، الطبعة الرابعة، 1430 هـ، ص64

(2) فصول في أصول التفسير للدكتور مساعد، دار ابن الجوزي، الطبعة الثانية، 1423هـ، ص 98.

(3) انظر: الإجماع في التفسير للدكتور محمد بن عبد العزيز الخضيري، رسالة ماجستير من جامعة الإمام، دار الوطن للنشر، ص 36، وانظر أيضاً: فصول في أصول التفسير للدكتور مساعد الطيار ص 98

(4) فصول في أصول التفسير ص 99

الأول: الإجماع على لفظ: وهو الذي تتفق عبارات المفسرين فيها على اللفظ. وهذا الذي يحكيه المفسرون في الإجماع. ومثاله: قوله تعالى: ﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ [يونس: ٦٤]، قال ابن عطية: «أما بشرى الآخرة فهي الجنة قولاً واحداً».(1) وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْ﴾ [فصلت: ٤١]، قال ابن عطية: «والذِّكْر: القرآن بالإجماع».(2)

الثاني: الإجماع على معنى، وهو الذي يختلف فيه عبارات المفسرين في بيان المعنى، ومثاله: تفسير المحروم في قوله تعالى: ﴿وَفِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ﴾ [الذاريات: ١٩]. قال ابن عطية: «واختلف الناس في (المحروم) اختلافاً هو عندي تخليط من المتأخرين إذ المعنى واحد، وإنما عبَّر علماء السلف في ذلك العبارات على جهة المثلات، فجعلها المتأخرون أقوالاً»، ثم ذكر جملة من أقوالهم، ثم قال: «والمعنى الجامع لهذه الأقوال أنه الذي لا مال له لحرمان أصحابه»(3)

خامساً: تنبيهات حول الإجماع في التفسير

1. إن أصول الدين مجمع عليها وإنما الخلاف في بعض الفروع.

2. يحكي بعض المفسرين إجماعاً في اللفظ من الآية لا يتوقع فيه خلاف، وذلك لشدة ظهور المعنى؛ كقوله تعالى: ﴿ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾ [الأنعام: ١٥٤]. قال الشنقيطي: «الكتاب: هو التوراة بالإجماع»(4) وفي قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ﴾ [البقرة: ١٢٧]، قال ابن عطية: «البيت: الكعبة بالإجماع».(5)

3. يذكر المفسرون إجماعات غير داخلة في تأويل الآية وتفسيرها؛ كالإجماعات الفقهية، أو الإجماع على مسائل في علوم القرآن؛ كمكي السورة ومدنيها، وعدد الآي، وغيرها، وهذه غير داخلة في موضوع الإجماع في التفسير؛ لأن المراد الإجماع على تفسير ألفاظ الآية ومعانيها.

4. مما يجدر التنبيه عليه أن الإجماع عند بعضهم هو اتفاق الأكثر؛ كابن جرير، ولذا ينتبه لمذهب حاكي الإجماع في الإجماع.(6)

سادساً: أمثلة للإجماعات في التفسير

1. في قوله تعالى: ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ [البقرة: ٢]، قال ابن أبي حاتم(1): «الريب: الشك، وليس في هذا الحرف

---

(1) المحرر الوجيز 7/ 176

(2) المرجع السابق 13/ 121

(3) المرجع السابق 14/ 15، 16، وانظر: فصول في أصول التفسير ص 99-100

(4) أضواء البيان 1/ 148

(5) المحرر الوجيز لابن عطية 1/ 487

(6) انظر: فصول في أصول التفسير للطيار ص 98-102، وراجع كتاب: الإجماع في التفسير للخضيري

اختلاف بين المفسرين».(2)

2. قوله تعالى: ﴿ٱلشَّيۡطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلۡفَقۡرَ وَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ﴾ [البقرة: ٢٦٨]، قال ابن القيم: «الفحشاء: هو البخل إجماعاً».(3)

3. في قوله تعالى: ﴿لَا تَدۡرِي لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحۡدِثُ بَعۡدَ ذَٰلِكَ أَمۡرٗا ۝١﴾ [الطلاق: ١]، قال الماوردي: «يعني الرجعة في قول الجميع».(4)

4. في قوله تعالى: ﴿أَزِفَتِ ٱلۡأٓزِفَةُ ۝٥٧﴾ [النجم: ٥٧]، قال ابن عطية: «عبارة عن يوم القيامة بإجماع المفسرين».(5)

5. في قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلۡنَا ٱلۡقِبۡلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيۡهَآ﴾ [البقرة: ١٤٣]، قال الشنقيطي: «الخطاب له -صلّى الله عليه وسلّم- إجماعاً».(6)

وبعد هذه المقدمة الوجيزة والمسائل المهمة حول الإجماع أودّ أن أذكر نبذة يسيرة عن منهج الشيخ القنوجي في التفسير بالإجماع، فأقول:

إن الشيخ القنوجي يعتبر من المفسرين الذين لهم عناية بالغة بذكر إجماعات المفسرين، فهو يذكر إجماعات المفسرين في مجالات مختلفة مما يتعلق بالتفسير مثل: بيان معنى الآية و الأحكام الفقهية المستنبطة من الآية وأسباب نزول الآيات والمكي والمدني من السور والآيات وغيرها.

و من الصيغ التي تدل على إجماع المفسرين ما يلي:

1. أجمع المفسرون (7)
2. أجمع أهل التفسير (8)
3. بإجماع المفسرين (9)
4. إجماعاً (1)

---

(1) هو الإمام أبو محمد عبى الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي الحنظلي الرازي, حافظ الحديث، له تصانيف منها: الجرح والتعديل، والتفسير و علل الحديث، توفي سنة 327هـ. انظر: تذكرة الحفاظ 829/3، والأعلام 227/6.

(2) تفسير ابن أبي حاتم 1/ 31

(3) التفسير القيم ص168

(4) النكت والعيون 6/ 30

(5) تفسير ابن عطية 14/ 142

(6) أضواء البيان 1/ 150

(7) فتح البيان 230/1، 14/ 38، 42/9 وغيرها.

(8) فتح البيان 4/ 76، 11/ 44

(9) فتح البيان 175/1، 33/5

5. بالإجماع (2)
6. و أجمعوا (3)
7. قام الإجماع (4)
8. وقع الإجماع (5)
9. اتفق المفسرون (6)
10. باتفاق المفسرين (7)
11. اتفقوا (8)
12. قول الجميع (9)
13. لا أعلم في هذا خلافا (10)

هذه أبرز الصيغ التي يستعملها الشيخ في بيان الإجماع في تفسير ما، وبعضها ينقلها عن المفسرين السابقين، ومن منهجه في ذكر الإجماعات ما يلي:

- كثيراً ما يذكر الإجماع في الأحكام الفقهية، ومن أمثلة ذلك قوله: وقد وقع الإجماع على الفطر في سفر الطاعة، واختلفوا في الأسفار المباحة.(11) وقال في الاعتكاف: وقد وقع الإجماع على أنه ليس بواجب.(12) وقد ذكرنا آنفاً أن هذا لا يعتبر إجماعاً في التفسير.
- وكذلك يكثر ذكر الإجماع في بيان معنى الآية مثل: تفسير قوله تعالى: ﴿رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا مِنۡ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهۡلُهَا﴾ [النساء: ٧٥]. فقال: قد أجمع المفسرون على أن المراد بالقرية الظالم أهلها مكة.(13)

---

(1) فتح البيان 60/3، 397/3
(2) فتح البيان 267/11، 131/12، 325/12، 16/13، 83/13، 427/15.
(3) فتح البيان 74/8، 11/ 355، 54/15
(4) فتح البيان 15/ 310
(5) فتح البيان 15/ 162
(6) فتح البيان 140/1، 144/3
(7) فتح البيان 242/9
(8) فتح البيان 13/ 285
(9) فتح البيان 15/ 59، 73، 162، 205.
(10) فتح البيان 74/1، 2/ 39، 132/3
(11) فتح البيان 364/1
(12) فتح البيان 1/ 377
(13) فتح البيان 3/ 179

وقال أيضاً في تفسير قوله تعالى: ﴿لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ ۝١﴾ [القيامة: ١] أجمع المفسرون أن معنى ﴿لَآ أُقۡسِمُ﴾ أقسم.(1)

● ويعتني بذكر الإجماع في المكي والمدني من السور والآيات. مثل: قوله في سورة المدثر: هي خمس أو ست وخمسون آية وهي مكيّة في قول الجميع، قال ابن عباس نزلت بمكة، وعن ابن الزبير مثله.(2) و مثل قوله في سورة (عبس): وتسمى سورة السفرة وسورة الأعمى، وهي إحدى أو اثنتان وأربعون آية، وهي مكية في قول الجميع، وعن ابن عباس - رضي الله عنه - نزلت بمكة، وعن ابن الزبير - رضي الله عنه - مثله.(3)

● وقد يذكر الإجماع في أسباب النزول مثل: سبب نزول قوله تعالى: ﴿قُلۡ مَن كَانَ عَدُوّٗا لِّجِبۡرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ...﴾ [البقرة: ٩٧]، قال: هذه الآية قد أجمع المفسرون على أنها نزلت في اليهود.(4) ومثل: بيان سبب نزول بدايات سورة عبس، قال: وقد أجمع المفسرون على أن سبب نزول الآية " أن قوماً من أشراف قريش(5) كانوا عند النبي -صلى الله عليه وسلم- وقد طمع في إسلامهم، فأقبل عبد الله ابن أم مكتوم،(6) فكره رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أن يقطع عليه ابن أم مكتوم كلامه، فأعرض عنه، فنزلت".(7) وهذا، والذي قبله أيضاً خارج عن حدود الإجماع في التفسير.

● وقد يشير إلى الإجماع ولا يذكر مصدره من العلماء السابقين الذين ذكروا ذلك الإجماع. فمثلاً قال في تفسير قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَخۡرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمۡ لِأَوَّلِ ٱلۡحَشۡرِ﴾ [الحشر: ٢]وقد أجمع المفسرون على أن هؤلاء المذكورين في الآية هم بنو النضير، ولم يخالف في ذلك إلا الحسن البصري

(1) فتح البيان 433/14

(2) فتح البيان 399/14

(3) فتح البيان 15/ 73

(4) فتح البيان 1/ 230

(5) وهم: عُتبة بن ربيعة وأبو جهل بن هشام والعباس بن عبد المطلب، وقيل: أمية بن خلف، وقيل: أبي بن خلف. انظر: تفسير الطبري 24/217-218

(6) هو عمرو بن أم مكتوم القرشي، ويقال اسمه عبد اللَّه بن قيس بن زائدة، واسم أمه أم مكتوم عاتكة بنت عبد اللَّه، وهو ابن خال خديجة أم المؤمنين، أسلم قديما بمكة، وكان من المهاجرين الأولين، وكان النبيّ صلى اللَّه عليه وسلّم يستخلفه على المدينة في عامّة غزواته يصلّي بالناس. خرج إلى القادسية، فشهد القتال، واستشهد هناك، وكان معه اللواء حينئذ. وقيل: بل رجع إلى المدينة بعد القادسية فمات بها، ولم يسمع له بذكر بعد عمر بن الخطاب. روى عنه عبد اللَّه بن شداد بن الهاد، وعبد الرحمن بن أبي ليلى، وآخرون. وهو المذكور في سورة: عَبَسَ. انظر: الإصابة 4/ 494 رقم الترجمة (5780)

(7) فتح البيان 15/ 59

فقال: هم بنو قريظة وهو غلط؛ فإن بني قريظة ما حشروا، بل قتلوا بحكم سعد بن معاذ(1) لما رضوا بحكمه، فحكم عليهم بأن يقتل مقاتلتهم، وتسبى ذراريهم، وتغنم أموالهم.(2)

- وأحياناً ينقل الإجماع ممن سبقه من المفسرين فيذكره باسمه ويعزوه إليه.(3) فمثلاً يقول في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلْيَطَّوَّفُوا۟ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴿٢٩﴾﴾ [الحج: ٢٩]، هذا الطواف هو طواف الإفاضة الواجب ووقته يوم النحر بعد الرمي والحلق. قال ابن جرير: لا خلاف في ذلك بين المتأولين.(4) ومثل: ما ذكر في تفسير قوله تعالى:﴿مَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ ٱللَّهِ﴾ [العنكبوت: ٥]، الرجاء بمعنى الطمع، قاله سعيد بن جبير، وقيل: الرجاء هنا بمعنى الخوف، قال القرطبي: وأجمع أهل التفسير على أن المعنى من كان يخاف الموت، وقيل البعث والحساب.(5) ويقول في تفسير قوله تعالى: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾ [النساء: ٥٨]، بعد أن ذكر أن الخطاب يشمل جميع الناس قاطبة في جميع الأمانات، قال الواحدي: أجمع المفسرون عليه، انتهى، ويدخل الولاة في هذا الخطاب دخولاً أولياً فيجب عليهم تأدية ما لديهم من الأمانات ورد الظلامات، وتحري العدل في أحكامهم، ويدخل غيرهم من الناس في الخطاب فيجب عليهم رد ما لديهم من الأمانات والتحري في الشهادات والأخبار.(6)

- وقد يردّ على من زعم الإجماع في تفسير آية، مثل رده على ابن عطية في زعمه الإجماع على أن المراد بالسلوى هو الطائر بإجماع المفسرين، تابعاً في ذلك القرطبي -رحمهم الله-.(7)

- وقد يردّ قولاً؛ لأنه خلاف الإجماع، مثاله في تفسير قوله تعالى: ﴿لَآ أُقْسِمُ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ﴿١﴾﴾ [البلد: ١] قال: وقال الواسطي(8): إن المراد بالبلد المدينة، وهو مع كونه خلاف إجماع المفسرين هو أيضاً

---

(1) هو أبو عمرو سعد بن معاذ بن النعمان بن امرئ القيس بن زيد بن عبد الأشهل الأنصاريّ الأشهليّ، سيّد الأوس. شهد بدرا باتفاق، ورمي بسهم يوم الخندق، فعاش بعد ذلك شهرا، حتى حكم في بني قريظة، ثم مات سنة خمس من الهجرة. انظر: الإصابة 70/3، رقم الترجمة: (3212).

(2) انظر: فتح البيان 14/ 38

(3) انظر الأمثلة: فتح البيان 3/ 153، 319/7، 134/10، 11/ 109، 196/14، 14/ 433، 104/15، 15/ 237.

(4) انظر: فتح البيان 42/9

(5) فتح البيان 166/10

(6) فتح البيان 153/3

(7) فتح البيان 175/1

(8) هو أبو عبد الله شمس الدين محمد بن الحسن بن عبد الله الحسيني الواسطي، مفسر، عالم بأصول الفقه، من شيوخ الشافعية. ولد سنة 717هـ وسمع الحديث بمصر، واستقر وتوفي بدمشق سنة 776هـ. من كتبه: مجمع الأخبار في مناقب الأخيار تفسير كبير، والرد على التناقض للإسنويّ وشرح مختصر ابن الحاجب وغيرها. انظر: الأعلام 87/6

مدفوع بكون السورة مكية لا مدنية.(1) وقال في تفسير قوله: ﴿وَوَالِدٖ وَمَا وَلَدَ ۝٣﴾ [البلد: ٣]قال: وقد استدل بعض الجهال بهذه الآية على جواز الاحتفال لمولده -صلى الله عليه وسلم-، وهذا تحريف لمعاني كتاب الله لم يذهب إليه أحد من المفسرين بل هو خلاف إجماع المسلمين.(2)

هذه أهم معالم منهج الشيخ -رحمه الله- في بيان الإجماع في التفسير، ومن هنا ندرك مدى الاهتمام والعناية التي يوليه الشيخ للإجماع.

۞۞۞

(1) فتح البيان 237/15

(2) فتح البيان 240/15

الفصل الثالث

التفسير بالرأي ومنهج القنوجي فيه

ويشتمل على أربعة مباحث:

المبحث الأول:التفسير بالرأي مفهومه، أنواعه وموقف العلماء منه

المبحث الثاني:قواعد الترجيح في التفسير بالرأي

المبحث الثالث: منشأ الخطأ في التفسير بالرأي

المبحث الرابع: منهج الشيخ القنوجي في التفسير بالرأي

المبحث الأول

التفسير بالرأي مفهومه، أنواعه وموقف العلماء منه

مفهوم التفسير بالرأي

الرأي في اللغة: قال ابن فارس: الراء والهمزة والياء أصل يدل على نظر وإبصار بعين أو بصيرة. فالرأي: ما يراه الإنسان في الأمر، وجمعه: الآراء.(1)

والتفسير بالرأي: عبارة عن تفسير القرآن بالاجتهاد لا بالمأثور والمنقول، بعد معرفة اللغة العربية وعلومها، والعلوم التي يحتاج إليها المفسر، من أسباب النزول، والناسخ والمنسوخ، و غيرها المعروفة لدى علماء هذا الفن(2) وأن يُعْمِلَ المفسر عقله في فَهْمِ القرآن، والاستنباط منه، مستخدماً آلات الاجتهاد. ويقال له: التفسير العقلي، والتفسير الاجتهادي أيضاً.

لقد نقل عن السلف أقوال متضاربة حول الرأي، فتارة نرى أقوالاً منهم تدلّ على ذم الرأي، وأخرى تحثّ عليه، فلنأخذ لذلك مثلاً علمين جليلين، وهما الخليفة الراشد عمر بن الخطاب والتابعي الجليل الحسن البصري، وأقوالهم كما يلي:

1- نقل عن عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- أنه قال: (**اتقوا الرأي في دينكم**).(3) وقال: (**إياكم وأصحاب الرأي؛ فإنهم أعداء السنن. أعيتهم الأحاديث أن يحفظوها، فقالوا برأيهم، فضلّوا وأضلوا**).(4)

2- وورد عن الحسن البصري قوله: (**اتهموا أهواءكم ورأيكم على دين الله، وانتصحوا كتاب الله على أنفسكم ودينكم**).(5)

هذه أقوالهما في ذم الرأي وأهله. وقد نقل عنهما في إعمال الرأي وإجازته أيضاً:

---

(1) معجم مقاييس اللغة لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكرياء 472/2 مادة (شعب)، تحقيق وضبط: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1399هـ 1979م.

(2) التفسير والمفسرون 146/1.

(3) المدخل إلى السنن الكبرى للإمام البيهقي، تحقيق: الدكتور محمد ضياء الرحمن الأعظمي، دار الخلفاء للكتاب الإسلامي – الكويت، ص 190، وانظر، ص 192، الأثر رقم: (210 و 217).

(4) المصدر السابق، 191 رقم الأثر: (213).

(5) المصدر السابق، 196 رقم الأثر: (224).

1- قول عمر -رضي الله عنه- لشريح القاضي(1) لما بعثه على قضاء الكوفة: (**انظر ما تبيّن لك في كتاب الله؛ فلا تسأل عنه أحداً، وما لم يتبيّن لك في كتاب الله، فاتبع فيه سنة رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، وما لم يتبيّن لك فيه سنة، فاجتهد رأيك**).(2)

2- وروي أن أبا سلمة بن عبد الرحمن(3) سأل الحسن البصري فقال: أريت ما يفتى به الناس، أشيءٌ سمعته أم برأيك؟ فقال الحسن: **ما كل ما يفتي به الناس سمعناه، ولكنّ رَأْيُنا لهم خيرٌ من رأيهم لأنفسهم**).(4) ولو تأملنا هذه الأقوال المتعارضة لوجدنا أن كل قول منها تنصبّ على نوع خاص من الرأي، ولذا فقد قسّم العلماء الرأي إلى قسمين: رأي مذموم، وهو الذي وقع عليه نهيهم. ورأي محمود، وهو الذي عليه عملهم. وأما علم التفسير، فيدخله الرأيان: المحمود والمذموم، وكلاهما يسميان رأياً.

أنواع القَوْلِ بالرّأي:

سبق أن قلنا إن الرأي في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية وأقوال السلف ينقسم إلى قسمين هما: رأي مذموم، ورأي محمود، وهذان النوعان يدخلان في كثير من العلوم الدينية ومنها الفقه والتفسير، وفيما يلي نبذة يسيرة عن هذين النوعين:

أولاً: الرّأيُ المَذْمُومُ:

لقد ورد النهي عن هذا النوع من الرأي في كتاب الله تعالى وسنة نبيِّه -صلى الله عليه وسلم-، كما ورد نهي السلف عنه.

والرأي المذموم: هو أن يكون قولاً بغير علمٍ وهو نوعان: علم فاسد ينشأ عن الهوى، أو علم غير تام ينشأ عن الجهل. وهذا الحدّ مستنبط من كتاب الله وسنة رسوله -صلى الله عليه وسلم-.

أمّا من كتاب الله فما يلي:

---

(1) هو القاضي أبو أمية شريح بن الحارث بن قيس الكندي، من أشهر القضاة الفقهاء في صدر الإسلام. أصله من اليمن. ولي قضاء الكوفة، في زمن عمر وعثمان وعلي ومعاوية. واستعفى في أيام الحجاج، فأعفاه سنة 77 هـ وكان ثقة في الحديث، مأمونا في القضاء، له باع في الأدب والشعر. وعمر طويلا، ومات بالكوفة سنة 78 من الهجرة. انظر: الأعلام 3/ 161.

(2) جامع بيان العلم وفضله للإمام ابن عبد البر، تحقيق: أبي الأشبال الزهيري، دار ابن الجوزي، الرياض، الطبعة الأولى، 1414 هـ 848/2، رقم الحديث: (1598).

(3) هو أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف القرشي الزهري المدني، قيل: اسمه عبد الله، وقيل: إسماعيل، وقيل: اسمه كنيته، روى عن أبيه وعثمان وطلحة وغيرهم، وروى عنه ابنه عمر وعروة والزهري وغيرهم. انظر: تهذيب التهذيب 127/12.

(4) جامع بيان العلم، 854/2، رقم الحديث: (1619).

1- قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأعراف: ٣٣].

2- وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿١٦٨﴾ إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٦٩﴾﴾ [البقرة: ١٦٨ – ١٦٩].

3- وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴿٣٦﴾﴾ [الإسراء: ٣٦].

فهذه الآيات تدل على حرمة التقول على الله بغير علم، وأنه محرم ومنهي عنه، وهو الرأي المذموم.

والسنة النبوية كذلك تدل على حرمة الرأي المذموم المبني على غير علم، فقد روي البخاري في صحيحه عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: (**إِنَّ اللَّهَ لاَ يَقْبِضُ العِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنَ العِبَادِ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ العِلْمَ بِقَبْضِ العُلَمَاءِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِمًا اتَّخَذَ النَّاسُ رُءُوسًا جُهَّالًا، فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا**).(1)

وقد روى الترمذي عن جندب بن عبد الله رضي الله عنه- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (**مَنْ قَالَ فِي القُرْآنِ بِرَأْيِهِ فَأَصَابَ فَقَدْ أَخْطَأَ**).(2)

ولقد ذكر العلماء أن النهي عن تفسير القرآن بالرأي لا يخلو إما أن يكون المراد به الاقتصار على النقل والمسموع وترك الاستنباط، أو المراد به أمر آخر، وباطل أن يكون المراد به أن لا يتكلم أحد في تفسير القرآن إلا بما سمعه فإن الصحابة رضي الله عنهم قد فسروا القرآن واختلفوا في تفسيره على وجوه. وليس كل ما قالوه سمعوه،... وإنما النهي يحمل على وجهين:

أحدهما: أن يكون له في الشيء رأي وإليه ميل من طبعه وهواه فيتأوّل القرآن على وفق هواه ليحتج على تصحيح غرضه.

الوجه الثاني: أن يتسارع إلى تفسير القرآن بظاهر العربية من غير استظهار بالسماع والنقل فيما يتعلق بغريب القرآن وما فيه من الألفاظ المبهمة والاختصار والحذف والإضمار والتقديم والتأخير... وما عدا هذين الوجهين فلا يتطرق النهي إليه ما دام على قوانين العلوم العربية والقواعد الأصلية والفرعية.(3)

وقد ورد النهي عن الرأي المذموم عن السلف أيضاً، ومن الآثار التي وردت عنهم في ذلك:

---

(1) صحيح البخاري كتاب العلم (2) باب كيف يقبض العلم 31/1، رقم الحديث (100)، عن عبد الله بن عمرو بن العاص.

(2) رواه الترمذي في سننه، أبواب التفسير عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (44) باب ما جاء في الذي يفسر القرآن برأيه(1)، 50/5، رقم الحديث: (2952)، وقال حديث غريب. وضعفه الألباني في ضعيف سنن الترمذي ص 360، رقم الحديث: (571).

(3)انظر: تفسير النيسابوري غرائب القرآن ورغائب الفرقان 60/1-61

1- ما سبق ذكره عن عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- والحسن البصري -رحمه الله- من نهيهما عن الرأي.

2- عن مسروق قال: (**من يرغب برأيه عن أمر الله يضلّ**).(1)

3- وقال الزهري: (**إياكم وأصحاب الرأي، أعيتهم الأحاديث أن يعوها**).(2)

4- وممن نُقِل عنه ذم الرأي أو القياس ابن مسعود من الصحابة، وابن سيرين من تابعي الكوفة، وعامر الشعبي من تابعي الكوفة، وغيرهم.(3)

الرأي المذموم وصوره في التفسير:

الرأي المذموم في التفسير هو القول في القرآن بغير علم، سواءً أكان عن جهلٍ أو قصورٍ في العلم أم كان عن هوى يدفع صاحبه إلى مخالفة الحق، وقد سبق بيان ذلك مع أدلة النهي عنه.

ومن صور الرأي المذموم في التفسير ما يلي:

1- **تفسير ما لا يعلمه إلا الله:** وهو أحد أوجه التفسير التي أوردها ابن عباس، ويشتمل على أمرين:

أحدهما: تكييف المغيبات التي استأثر الله بعلمها؛ كتكييف صفاته سبحانه، أو غيرها من المغيبات.

ثانيها: تحديد زمن المغيبات التي ورد ذِكْرُ خروجها؛ كزمن خروج الدابة، أو نزول عيسى، أو غير ذلك. فهذه الأشياء لا سبيل للبشر إلى معرفتها؛ فمن زعم أنه قادرٌ على ذلك فقد أعظم الفرية على الله.

2- **من ناقض التفسير المنقول أو أعرض عنه:** يشمل التفسير المنقول: كل ما نُقل عن الرسول -صلى الله عليه وسلم- أو أصحابه أو التابعين وأتباعهم، فمن أقدم على التفسير دون الرجوع إلى التفسير المنقول فإنه سيقع في الرأي المذموم؛ لأن جُزءاً من التفسير لا يمكن معرفته إلا عن طريق النقل عنهم؛ كأسباب النزول، وقصص الآي، وناسخها... وغيرها.

3- **من فسر بمجرد اللغة دون النظر في المصادر الأخرى:** إن التسارع إلى تفسير القرآن بظاهر العربية، من غير استظهار بالسماع والنقل فيما يتعلق بغرائب القرآن وغيرها؛ مُوقِعٌ في الخطأ، فمن لم يُحكّم ظاهر التفسير وبادر إلى استنباط المعاني بمجرد فهم العربية كثر غلطه، ودخل في زمرة من قال برأيه المذموم.(4) واعتماد اللغة فقط دون غيرها من المصادر، هو أحد أسباب الخطأ الذي يقع في

---

(1) جامع بيان العلم، 1051/2.

(2) جامع بيان العلم 1052/2.

(3) انظر: جامع بيان العلم، 1043/2-1049

(4) انظر: تفسير القرطبي 34/1 .

التفسير، كما حكى ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية.(1)

4- **أن يكون له رأي فيتأول القرآن على وفق رأيه:**(2) ويكثر هذا عند أهل الأهواء والبدع، حيث أنهم يعتقدون الرأي، ثم يبحثون عن دليله، وقد يحرّفون الكلم عن مواضعه ليوافق آراءهم، ولو لم يكن لهؤلاء هذا الاعتقاد والرأي لما فسر القرآن بهذه التفسيرات المنحرفة.

فهذه بعض صور التفسير بالرأي المذموم. والله أعلم.

ثانياً: الرأي المحمود:

هذا النوع من الرأي هو الذي عَمِلَ به الصحابة والتابعون ومن بعدهم من علماء الأمّة، وهو الرأي المستند إلى علمٍ، وما كان كذلك فإنه خارج عن معنى الذمِّ الذي ذكره السلف في الرأي.

ومن أدلة جواز إعمال الرأي المحمود ما يلي:

1- مفهوم الآيات السابقة والحديث المذكور في أدلة النهي عن الرأي المذموم؛ لأنها كلها تدل على أن القول بغير علم لا يجوز، ويفهم من ذلك أن القول بعلم يجوز.

2- الآيات الآمرة بالتدبّر: وردت عدّة آيات تحثّ على التدبّر؛ كقوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾﴾ [محمد: ٢٤]، وقوله: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [ص: ٢٩]. وغيرها من الآيات. وفي حثِّ الله على التدبر ما يدلّ على أن علينا معرفة تأويل ما لم يُحجب عنا تأويله؛ لأنه محالٌ أن يقال لمن لا يفهم ما يقال له: اعتبر بما لا فهم لك به.(3)

3- إقرارُ الرسول -صلى الله عليه وسلم- اجتهادَ الصحابة في التفسير: لا يبعد أن يقال: إن تفسير القرآن بالرأي نشأ في عهد الرسول -صلى الله عليه وسلم-، وفي ذلك وقائع يمكن استنباط هذه المسألة منها، ومن هذه الوقائع ما يلي:

أ - قال عمرو بن العاص(4): بعثني رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عام ذات السّلاسِلِ،(1) فاحتلمت في ليلة باردةٍ شديدة البرد، فأشفقت إن اغتسلت أن أهلك، فتيمّمت به، ثمّ صليت

---

(1) انظر: مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية ص 33

(2) انظر: تفسير القرطبي 33/1، ومقدمة في أصول التفسير، ص 33 وما بعدها.

(3) انظر: تفسير الطبري 82/1- 83.

(4) هو أبو عبد الله أو أبو محمد عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم بن سعيد القرشي السهمي، أمير مصر، أسلم قبل الفتح في صفر سنة ثمان، وقيل بين الحديبيّة وخيبر، ولما أسلم كان النبيّ صلى اللَّه عليه وسلّم يقرّبه ويدنيه لمعرفته وشجاعته، وولّاه غزاة ذات السلاسل، ثم استعمله على عمان، وولّاه عمر فلسطين. وكذلك ولي إمرة مصر في زمن عمر، وهو الّذي افتتحها، وأبقاه عثمان قليلا ثم عزله، روى عن النبيّ صلى اللَّه عليه وسلّم أحاديث، وروى عنه ولداه: عبد اللَّه، ومحمد، وأبو سلمة بن عبد الرحمنوآخرون. مات سنة ثلاث وأربعين من الهجرة على الصحيح، وعاش نحو تسعين سنة. انظر: الإصابة 537/4-539، رقم الترجمة: (5897)

بأصحابي صلاة الصبح، فلما قدمت على رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ذكرت ذلك له، فقال: **يا عمرو، صليت بأصحابك وأنت جُنُبٌ؟** قلت: نعم يا رسول الله، إني احتلمت في ليلة باردة شديدة البرد فأشفقت إن اغتسلت أن أَهْلَكَ، وذكرتُ قول الله: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡۚ﴾ [النساء: ٢٩] فتيمّمْتُ، ثم صليت، فضحك ولم يقل شيئاً).(2)

في هذا الأثر نرى أن عَمْراً اجتهد رأيه في فهم هذه الآية، وطبّقها على نفسه، فصلى بالقوم بعد التيمم، وهو جنب، ولم ينكر عليه الرسول -صلى الله عليه وسلم- هذا الاجتهاد والرأي.

ب - وفي حديث ابن مسعود، لما نزلت آية: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ﴾ [الأنعام: 82] قلنا يا رسول الله: وأينا لم يظلم نفسه، فقال: «**إنه ليس الذي تعنون، ألم تسمعوا إلى قول العبد الصالح** ﴿يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ ١٣﴾ [لقمان: 13]».(3) ، نرى أن الصحابة فهموا الآية على العموم، وما كان ذلك إلا رأياً واجتهاداً منهم في الفهم، فلما استشكلوا ذلك سألوا رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، فأرشدهم إلى المعنى المراد، ولم ينههم عن تفهّم القرآن والقول فيه بما فهموه. والله أعلم.

4- عمل الصحابة: مما يدل على أن الصحابة قالوا بالرأي وعملوا به ما ورد عنهم من اختلافٍ في تفسير القرآن؛ إذ لو كان التفسير مسموعاً عن النبي -صلى الله عليه وسلم- لما وقع بينهم هذا الاختلاف. ومما ورد عنهم نصاً في ذلك قولُ صدِّيق الأمة أبي بكر -رضي الله عنه- لما سئل عن الكلالة، قال: (**أقول فيها برأيي؛ فإن كان صواباً فمن الله، وإن كان خطأً فمني ومن الشيطان**).(4) وكذا ما ورد عن علي -رضي الله عنه- لما سئل: هل عندكم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم شيءٌ

---

(1) يقصد سرية ذات السلاسل و كانت ضد بعض القبائل العربية في مشارف الشام، لما علم رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بموقفهم في معركة مؤتة، من اجتماعهم إلى الرومان ضد المسلمين، فأرسل إليهم عمرو بن العاص، في جمادى الآخرة سنة 8 هـ. على إثر معركة مؤتة وقبل فتح مكة في ثلاثمائة، ومعهم ثلاثون فرساً، فلما قرب من القوم بلغه أن لهم جمعاً كثيراً، فبعث إليه رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أبا عبيدة بن الجراح في مائتين وأمره أن يلحق بعمرو، وأن يكونا جميعاً ولا يختلفا، فلما لحق به أراد أبو عبيدة أن يؤم الناس، فقال عمرو: إنما قدمت عليّ مددا، وأنا الأمير، فأطاعه أبو عبيدة، فكان عمرو يصلي بالناس. فحمل عليهم المسلمون فهربوا في البلاد وتفرقوا. وذات السلاسل (بضم السين الأولى وفتحها: لغتان) بقعة وراء وادي القرى، بينها وبين المدينة عشرة أيام. انظر: الرحيق المختوم للشيخ صفي الرحمن المباركفوري ص 360-361، دار الهلال - بيروت (نفس طبعة وترقيم دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع)، الطبعة الأولى.

(2) مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، 1421هـ - 2001 م 347/29، وصححه المحقق (الأرنؤوط)، وأبو داود في سننه، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا - بيروت برقم (335)، وانظر تفسير ابن كثير، 480/2، والدر المنثور، 497/2.

(3) أخرجه البخاري في أكثر من موضع، كتاب الإيمان ح/32، أحاديث الأنبياء/3360، 3428.

(4) انظر قوله في تفسير الطبري 475/6

سوى القرآن؟ قال: (**لا، والذي فلق الحبّة، وبرأ النسمة، إلا أن يُعطِي الله عبداً فهماً في كتابه**).(1) والفهم إما هو رأي يتولّد للمرء عند تفهّم القرآن؛ ولذا يختلف في معنى الآية فهم فلان عن غيره.

5- فعل السلف وأقوالهم، ومنها:

أ - عن عبد الرحمن بن يزيد قال: أكثرَ الناس على عبد الله (يعني: ابن مسعود) يسألونه، فقال: **أيها الناس ... من ابتلي بقضاءٍ بعد اليوم فليقض بما في كتاب الله، فإن أتاه ما ليس في كتاب الله - ولم يَقُلْهُ نبيّه - فليقض بما قضى به الصالحون، فإن أتاه أمر لم يقض به الصالحون - وليس في كتاب الله، ولم يقل فيه نبيّه - فليجتهد رأيه، ولا يقول: أخاف وأرى، فإن الحلال بَيِّنٌ، والحرام بَيِّنٌ، وبَيْنَ ذلك أمورٌ مشتبهات، فدعوا ما يريبكم إلى ما لا يريبكم**).(2)

ب - وعن الشعبي قال: لما بعث عمرُ شريحاً على قضاء الكوفة قال له: **انظر ما تبيّن لك في كتاب الله فلا تسأل عنه أحداً، وما لم يتبيّن لك في كتاب الله فاتّبع فيه سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وما لم يتبين لك فيه السنة فاجتهد رأيك**).(3)

ج - وعن مسروق (ت: 63هـ) قال: سألت أُبَيّ بن كعب عن شيءٍ؛ فقال: **أكان هذا؟** قلت: لا. قال: **فأجمّنا (أي: اتركنا أو أرحنا) حتى يكون؛ فإذا كان اجتهدنا لك رأينا**).(4)

6- دعاء الرسول -صلى الله عليه وسلم- لابن عباس: دعا الرسول -صلى الله عليه وسلم- لابن عباس بقوله: (**اللهم فقِّهه في الدين، وعلِّمه التأويل**) وفي إحدى روايات البخاري: (**اللهم علمه الكتاب**).(5) فلو كان التأويل كله مسموعاً كالتنزيل، لم تكن فائدة لتخصيص ابن عباس بذلك.(6)

---

(1) رواه البخاري، 69/4، كتاب الجهاد والسير، باب فكاك الأسير، رقم الحديث: (3047، 6903، 6915).

(2) جامع بيان العلم، 847/2

(3) جامع بيان العلم، 848/2

(4) جامع بيان العلم، 851/2، وانظر غيرها من الآثار، 844/2-863

(5) صحيح البخاري 26/1، كتاب العلم، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: اللهم علمه الكتاب، رقم الحديث: (75).

(6) انظر: تفسير النيسابوري 60/1

العلوم التي يحتاج إليها المفسر:

تبيّن مما سبق أن التفسير بالرأي المحمود جائز، ولكن لا يعني ذلك أن كل من هبّ ودبّ فإنه يمكنه أن يفسّر القرآن الكريم برأيه، ورأيه هذا يكون معتبراً عند المفسرين، ومن هنا اشترط العلماء عدة علوم لمن يتصدّى لتفسير كتاب الله عز وجل، ويمكن تقسيم العلوم التي يحتاجها من فسّر القرآن الكريم برأيه إلى نظرين:

الأول: نظرٌ في علوم الآية: ويكون ذلك بالنظر إلى ما في الآية من علوم؛ كالناسخ والمنسوخ، والمطلق والمقيد، والخاص والعام، ومفردات اللغة، وأساليبها، وهكذا. وإنما يقال ذلك؛ لأنه ليس يلزم في كل آية بحث هذه العلوم؛ إذ قد توجد في آية، وتتخلّف عن آيات.

وإذا أمعنت النظر وجدت أن علم اللغة هو من أهم العلوم التي يجب على المفسر معرفتها، ذلك أنه لا تخلو آية من مبحثٍ لغوي. ومن الآثار التي وردت عن السلف في بيان أهمية اللغة، ما يلي:

1- قال ابن عباس: التفسير على أربعة أوجه: **(وجه تعرفه العرب من كلامها، وتفسير لا يُعذر أحد بجهالته، وتفسير يعلمه العلماء، وتفسير لا يعلمه إلا الله تعالى ذكره)**.(1)

2- وروي عن مجاهد أنه قال: **(لا يحل لأحدٍ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يتكلم في كتاب الله إذا لم يكن عالماً بلغات العرب)**.(2)

1- وقال مالك بن أنس: **(لا أوتى برجلٍ يفسر كتاب الله غير عالم بلغات العرب إلا جعلته نكالاً)**.(3) ولو قرأت في تفسير السلف لوجدت أثر اللغة في التفسير عندهم واضحاً.

ومن العلوم سبب النزول وقصص الآي؛ ذلك أن معرفة سبب النزول وقصص الآي يفيد في معرفة تفسير الآية، ومنها معرفة السنة النبوية، ويكون ذلك بالرجوع إلى صريح التفسير عن النبي -صلى الله عليه وسلم-، كما يكون بالرجوع إلى أقواله وأفعاله التي لها أكبر الأثر في فهم القرآن.

---

(1) تفسير الطبري 75/1.

(2) انظر: البرهان للزركشي 292/1.

(3) شعب الإيمان للإمام البيهقي، 543/3، رقم الحديث: (2090)، باب تعظيم القرآن، فصل في ترك التفسير بالظن، تحقيق: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، بإشراف: مختار أحمد الندوي، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، الطبعة: الأولى، 1423 هـ - 2003 م، وانظر أيضا: ذم الكلام وأهله لشيخ الإسلام أبي إسماعيل عبد الله بن محمد بن علي الأنصاري الهروي، تحقيق: عبد الرحمن عبد العزيز الشبل، مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة، الطبعة الأولى، 1418هـ -1998م 5/ 92، رقم الحديث: (882).

الثاني: نَظَرٌ في طبقة المفسر:

ولما كان للسلف من تقدّمٍ في العلم شهد لهم به كل من جاء بعدهم من العلماء؛ فإن الاعتماد على أقوالهم مدعاة للخروج عن الرأي المذموم، ولذا جعل ابن جرير من شروط المفسر أن لا يكون تأويله وتفسيره خارجاً عن أقوال السلف من الصحابة والأئمة والخلف من التابعين وعلماء الأمة(1) ويجب التنبه إلى أن كل من رجع إلى أقوالهم وتخيّر منها، فإنه قائل بالرأي؛ لأن تخيره معتمد على عقله كما فصل ابن جرير الطبري في تفسيره.

كتب التفسير بين الرأي والأثر:

بناءً على ما وقع من مقابلة التفسير المأثور بالتفسير بالرأي، وقع تقسيم التفاسير إلى تفاسير بالمأثور وتفاسير بالرأي، وفي هذا التقسيم نظر، وذلك في أمرين:

الأول: أنه قَلّ أن تترك التفاسير المعتبرة أقوال السلف، بل تحرص على حكايتها، ومع ذلك تجد أن بعض هذه التفاسير حُكِمَ عليه بأنه من التفسير بالمأثور والآخر من التفسير بالرأي.(2) والصواب أن يقال: إن المفسر الفلاني مكثر من الرواية عن السلف مكثر من الاعتماد على أقوالهم، والآخر مقلّ من الرواية عنهم أو الاعتماد عليهم.

الثاني: أن من حُكِمَ على تفسيره بأنه من التفسير بالمأثور قد حِيفَ عليه وتُنُوسي جهده الخاص في الموازنة والترجيح بين الأقوال التي يذكرها عن السلف، وأشهر مثالٍ لذلك إمام المفسرين ابن جرير الطبري، حيث يعدّه من يقابل بين التفاسير بالمأثور والتفسير بالرأي من المفسرين بالأثر، وهذا فيه حكم قاصرٌ على تفسير الإمام ابن جرير، وتعامٍ أو تجاهلٌ لأقواله الترجيحية المنثورة في كتابه.

وأخيراً.. هذه خلاصة ما يتعلق بالتفسير بالرأي وموقف العلماء منه، والموضوع أطول من هذا، وفيما ذكرنا كفاية، والله الموفق.

---

(1) انظر: تفسير الطبري 93/1.

(2) انظر على سبيل المثال محمد حسين الذهبي في كتابه (التفسير والمفسرون 112/1، وما بعدها) وتقسيمه التفاسير بين المأثور والرأي من غير أن يورد ضابطاً يمكن التعويل عليه في هذا التقسيم، وقد قلّده آخرون في هذا من غير استدراك ولا تعقيب.

المبحث الثاني

قواعد الترجيح في التفسير بالرأي

إن للتفسير بالرأي ضوابط وشروط ينبغي للمفسر العناية بها، وكذلك معرفة قواعد الترجيح عند المفسرين أمر متعين على كل من أراد أن يخوض في مجال التفسير، وفهم القواعد وتطبيقها مما يزيل كثيراً من الإشكالات، ويدرأ معظم التعارضات، ويدفع قدراً كبيراً من التنازعات التفسيرية. وعدم الإدراك بها وفقد الالتزام بها مدعاة إلى ظهور الخطأ والانحراف في التفسير، فلا يصح لقاصر عن تحصيلها وغافل عن معرفتها أن يقدم على التفسير، فإنه مظنة الخطأ والزلل.

وجماع القول في ذلك أن طلب أصح الأوجه و أقربها إلى الحق في تفسير كلام الله تعالى من أهم مقاصد طلب العلم وتحصيله عامة، ومن أعظم أهداف دراسة التفسير خاصة؛ لما يترتب على ذلك صحة فهم المراد من كلام الله عزوجل، فتفسير الآية بما هو راجح أمر لازم حتماً؛ لأنه أقرب إلى الصحة، ولا يسع أحداً أن يعدل عن تفسير الآية بالراجح إلى المرجوح؛ لأنه أبعد عن الصواب.(1)

قال الإمام الطبري: وكتاب الله تعالى لا توجه معانيه، وما فيه من البيان إلى الشواذ من الكلام والمعاني، وله في الفصيح من المنطق والظاهر من المعاني المفهوم، وجه صحيح موجود.(2)

وفيما يلي نذكر تلك القواعد الترجيحية المتعلقة بالتفسير بالرأي، ومن هذه القواعد ما يلي:

أولاً: قواعد الترجيح المتعلقة بالمعنى الظاهر من الآية والغالب منها:

الأصل في نصوص الكتاب والسنة أن تفسر حسب ما يقتضيه ظاهرها، ولا يجوز العدول عن الظاهر إلا لدليل يقتضيه، ولا يصح تأويل معناه ليتفق مع المذاهب والآراء؛ لأن ذلك من اتباع الهوى المذموم. والشريعة إنما تقصد تحرير الإنسان من عبوديته لأهوائه، ليكون عبداً خالصاً لله سبحانه وتعالى.

ومن القواعد في هذا الباب ما يلي:

القاعدة الأولى: ((لا يجوز العدول عن ظاهر القرآن إلا بدليل يجب الرجوع إليه)).(3) أو

---

(1) أسباب الخطأ في التفسير ص 920 رسالة الدكتوراه لشيخنا الدكتور طاهر محمود -حفظه الله- من الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، عام 1422هـ، دار ابن الجوزي –الدمام، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى 1425هـ.

(2) تفسير الطبري 100/7

(3) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ، لمحمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت – لبنان ، عام 1415 هـ/ 1995 م) ،ـ (74/3، 285/7) ، وعقود المرجان (ص/135) ، قواعد الترجيح 137/1.

بعبارة أخرى: ((يجب الحمل على الظاهر، إلا أن يقوم دليل على أن المراد هو الخفي دون الجلي، فيحمل عليه)).(1)

القاعدة الثانية: ((حمل معاني كلام الله على الغالب من أسلوب القرآن ومعهود استعماله أولى من الخروج به عن ذلك)).(2)

ثانياً: قواعد الترجيح المتعلة بالسياق:

مراعاة السياق من أهم الأسس التي اعتمدها المفسرون في الترجيح بين أقوال المفسرين، يقول الطبري رحمه الله: فغير جائز صرف الكلام عما هو في سياقه إلى غيره إلا بحجة يجب التسليم لها من دلالة ظاهر التنزيل أو خبر عن الرسول تقوم به حجة.(3) ومن هنا وضع العلماء قواعد لمراعاة السياق ومنها:

القاعدة الأولى: ((القول الذي تؤيده قرائن فى السياق مرجح على ما خالفه)).(4)

القاعدة الثانية: ((إدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أولى من الخروج به عنهما إلا بدليل يجب التسليم له)).(5)

ثالثا: قواعد الترجيح المتعلقة بلغة العرب:

اللغة من أهم ما استعمله المفسرون للترجيح بين أقوال المفسرين، وذلك انسجاماً مع الحقيقة وهي أن القرآن الكريم نزل بلسان عربي مبين، ولا يصح فهمه إلا وفق كلام العرب ولغتهم. وقد وضع العلماء قواعدة كثيرة للترجيح تتعلق بلغة العرب، ومن هذه القواعد:

القاعدة الأولى: ((كل تفسير ليس مأخوذاً من دلالة ألفاظ الآية وسياقها فهو رد على قائله)).(6)

القاعدة الثانية: ((ليس كل ما ثبت في اللغة صح حمل آيات التنزيل عليه)).(7)

القاعدة الثالثة: ((يجب حمل كلام الله تعالى على المعروف من كلام العرب دون الشاذ والضعيف والمنكر))(8).(1)

---

(1) البرهان للزركشي 308/2

(2) أضواء البيان 80/1 ، قواعد الترجيح للحربي 172/1

(3) جامع البيان 31/6

(4) مقدمة اضواء البيان 12/1، و قواعد الترجيح عند المفسرين لحسين الحربي 299/1.

(5) فتح البيان (174/6) ، وعقود المرجان في قواعد المنهج الأمثل في تفسير القرآن من خلال أضواء البيان ، لأحمد سلامة أبي الفتوح، دار الكيان الطبعة الأولى 1426هـ ، ص126، و قواعد الترجيح للحربي 125/1

(6) انظر: البحر المحيط للأندلسي 13/1، وقواعد الترجيح للحربي 21/1.

(7) انظر: الكشاف 118/3، والمحرر الوجيز 20/10، وقواعد الترجيح للحربي 363/2.

(8) يدخل تحت هذه القاعدة ، القواعد التالية :

الأولى : إذا دار الكلام بين الإضمار والزيادة ، فلإضمار أولى .

الثانية : إذا دار الكلام بين الاشتراك والمجاز ، قدم المجاز .

الثالثة : إذا دار الكلام بين المجاز والإضمار ، قدم المجاز.

القاعدة الرابعة: ((يجب حمل نصوص الوحي على الحقيقة)).(2)

القاعدة الخامسة: ((إذا اختلفت الحقيقة الشرعية والحقيقة اللغوية في تفسير كلام الله تعالى قدمت الشرعية)).(3)

القاعدة السادسة: ((إذا اختلفت الحقيقة العرفية والحقيقة اللغوية في تفسير كلام الله تعالى قدمت العرفية)).(4)

القاعدة السابعة : ((القول بالاستقلال مقدم على القول بالإضمار)).(5)

القاعدة الثامنة : ((القول بالترتيب مقدم على القول بالتقديم والتأخير)).(6)

القاعدة التاسعة : ((لا ينبغي حمل الآية على القلب ولها بدونه وجه صحيح)).(7)

القاعدة العاشرة: ((إذا دار الكلام بين التأسيس والتأكيد فحمله على التأسيس أولى)).(8)

القاعدة الحادية عشرة: ((حمل ألفاظ الوحي على التباين أرجح من حملها على الترادف)).(9)

القاعدة الثانية عشرة: ((إذا دار الكلام بين الزيادة والتأصيل فحمله على التأصيل أولى)).(10)

القاعدة الثالثة عشرة: ((إذا دار اللفظ بين أن يكون مشتركا أو مفردا، فإنه يحمل على إفراده))(11).(1)

الرابعة : إذا دار الأمر بين الاختلاف والتقدير ، كان التقدير أولى .

انظر: البحر المحيط للزركشي 244/2-245 ، وقواعد الترجيح للحربي 386/2 .

(1) انظر: الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز ص220، للعز بن عبد السلام ، الناشر : دار البشائر الإسلامية -بيروت، الطبعة الأولى :1408هـ، ، والمحرر الوجيز 275/2 ، وقواعد الترجيح لحسين الحربي 369/2.

(2) انظر: المحرر الوجيز 13/7، وفتح البيان 212/6، قواعد الترجيح للحربي 387/2 .

(3) انظر : النكت والعيون 38/1-39 ، وأضواء البيان 100/3 ، ومقدمة فتح البيان 18/1، وقواعد الترجيح للحربي 401/2.

(4) انظر: البرهان في علوم القرآن لبدر الدين للزركشي ، الناشر: دار المعرفة – بيروت ، الطبعة الثانية : 1391هـ، 167/2 ، النكت والعيون 39/1، وأضواء البيان 522/6، وقواعد الترجيح للحربي 412/2.

(5) انظر : الإشارة إلى الإيجاز ص2 ، والبرهان للزركشي 104/3، وقواعد الترجيح للحربي 421/2

(6) قال أبو جعفر النحاس: ولا يحمل الشيء على التقديم والتأخير وله معنى صحيح في غير التقديم والتأخير. انظر : القطع والائتناف، لأبي جعفر النحاس، تحقيق: د. عبد الرحمن بن إبراهيم المطرودي، دار عالم الكتب - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، 1413 هـ - 1992 م ص 684, ومفاتيح الغيب 114/12، وقواعد الترجيح للحربي 451/2

(7) انظر : مفاتيح الغيب 172/22 ، والبحر المحيط للأندلسي 370/2 ، وقواعد الترجيح للحربي 461/2 .

(8) انظر: أحكام القرآن 232/1 لأبي بكر محمد بن عبدالله المعروف بابن العربي ، دار الكتب العلمية-بيروت ، الطبعة الأولى:1408هـ، وفتح القدير للشوكاني 47/2، وفتح البيان 288/6، وقواعد الترجيح للحربي 473/2 .

(9) انظر : البرهان للزركشي 78/4 ، وقواعد الترجيح للحربي 481/2.

(10) انظر: المحرر الوجيز 279/3، وأنوار التنزيل وأسرار التأويل 44/1 ، وقواعد الترجيح للحربي 495/2.

(11) يدخل تحت هذه القاعدة ، القواعد التالية :

الأولى : إذا دار الأمر بين الإضمار والاشتراك ، فالإضمار أولى .

الثانية : إذا دار الأمر بين التخصيص والإضمار ، فالتخصيص أولى .

القاعدة الرابعة عشرة: ((القول الذي يؤيده تصريف الكلمة وأصل اشتقاقها أولى بتفسير الآية)).(2)

القاعدة الخامسة عشرة: ((يجب حمل نصوص الوحي على العموم مالم يرد نص بالتخصيص)).(3)

القاعدة السادسة عشرة: ((العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب)).(4)

القاعدة السابعة عشرة: ((إذا دار اللفظ بين أن يكون مقيدا أو مطلقا يحمل على إطلاقه)).(5)

القاعدة الثامنة عشرة : ((الأصل في الأمر أنه للوجوب، وفي النواهي أنها للتحريم)).(6)

القاعدة التاسعة عشرة: ((إذا أمكن حمل الضمير على غير الشأن فلا ينبغي الحمل عليه)).(7)

القاعدة العشرون: ((إعادة الضمير إلى المذكور أولى من إعادته إلى مقدر)).(8)

القاعدة الحادية والعشرون: ((إعادة الضمير إلى المحدث عنه أولى من إعادته إلى غيره)).(9)

القاعدة الثانية والعشرون : ((توحيد مرجع الضمائر في السياق الواحد أولى من تفريقها)).(10)

القاعدة الثالثة والعشرون: ((الأصل إعادة الضمير إلى أقرب مذكور ، مالم يرد دليل بخلافه)).(1)

الثالثة : إذا دار الأمر بين النقل والاشتراك ، فالنقل أولى .

الرابعة : إذا دار الأمر بين التواطؤ والاشتراك ، فالتواطؤ أولى . (الألفاظ المتواطئة : هي الدالة على الأعيان المتغايرة بالعدد ، المتفقة في المعني الذي وضع اللفظ له ، كدلالة لفظ الإنسان على عمرو ، وزيد ، وبكر .) البحر المحيط للزركشي 60/2. وانظر: المحصول في أصول الفقه ، لفخر الدين الرازي ، الناشر : جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية-الرياض ، الطبعة الأولى:1399ه، (1/496-503) ، والبحر المحيط في أصول الفقه ، لبدرالدين الزركشي ، الناشر: وزاة الأوقاف والشؤن الإسلامية-الكويت ، الطبعة الثانية:1413هـ ، 2/243-244 ، 2/175، وقواعد الترجيح للحربي 2/509-510.

(1) انظر : البحر المحيط في أصول الفقه للزركشي 125/2، و قواعد الترجيح للحربي 505/2.

(2) انظر : أحكام القرآن لابن العربي 448/1، ومقدمة فتح البيان 18/1، وقواعد الترجيح للحربي 511/2.

(3) انظر: جامع البيان 539/2، والتسهيل لابن جزي 9/1 ، وقواعد الترجيح للحربي 527/2.

(4) انظر: جامع البيان 165/14، فتح البيان 223/7، والقواعد الاحسان في تفسير القرآن للسعدي ، دار ابن رجب ، الطبعة الأولى : 1423هـ ص9 ، وقواعد الترجيح للحربي 545/2.

(5) انظر : أحكام القرآن لابن العربي 177/1، والتسهيل 9/1 ، وشرح الكوكب 296/1 ، وقواعد الترجيح 555/2.

(6) انظر : الناسخ والمنسوخ في كتاب الله عزوجل، لأبي جعفر أحمد بن محمد النحاس ، الناشر: مؤسسة الرسالة-بيروت الطبعة الأولى: 1412هـ ، 116/2، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي 449/1، وأضواء البيان 172/3، وقواعد الترجيح للحربي 567/2.

(7) انظر: الدر المصون 293/5، وفتح البيان 325/4، وقواعد الترجيح للحربي 585/2.

(8) انظر: أضواء البيان 265/7، وفتح البيان 113/10، و الدر المصون في علوم الكتاب المكنون للسمين الحلبي ، دار القلم – دمشق ، الطبعة الأولى :1406هـ ، 48/2 ، وقواعد الترجيح للحربي 593/2.

(9) انظر : جامع البيان 141/14، والكشاف 589/1، والبرهان في علوم القرآن ، لبدر الدين الزركشي ، الناشر : دارالمعرفة-بيروت ، الطبعة الثانية : 1391هـ ،39/4، وقواعد الترجيح للحربي 603/2.

(10) انظر :المحرر الوجيز 170/14، البرهان للزركشي 35/4، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني لمحمود شكري الألوسي، دار الفكر-بيروت:1408هـ ، 280/30، وفتح البيان 184/10، 151/8، وقواعد الترجيح للحربي 613/2.

القاعدة الرابعة والعشرون : ((يجب حمل كتاب الله على الأوجه الإعرابية اللائقة بالسياق والموافقة لأدلة الشرع)).(2)

القاعدة الخامسة والعشرون : ((يجب حمل كتاب الله على الأوجه الإعرابية القوية والمشهورة دون الضعيفة والشاذة)).(3)

فهذه هي القواعد الترجيحية في التفسير بالرأي والتي اعتمد عليها كثير من المفسرين -رحمهم الله- كما اعتمد عليها الشيخ القنوجي -رحمه الله- وإن لم ينص عليها عند ذكر ترجيحاته ، بل أحيانا أشار إليها بألفاظ متقاربة.

المبحث الثالث

منشأ الخطأ في التفسير بالرأي

يقع الخطأ كثيراً في التفسير من بعض المتصدرين للتفسير بالرأي، الذين عدلوا عن مذاهب الصحابة والتابعين، وفسروا بمجرد الرأي والهوى، غير مستندين إلى تلك الأصول التي قدمت أنها أول ما يجب على المفسر أن يعتمد عليه، ولا متذرعين بتلك العلوم التي هي في الواقع أدوات لفهم كتاب الله والكشف عن أسراره ومعانيه.

يرجع الخطأ في التفسير بسبب ترك أو إهمال بعض القواعد الكلية، والأصول الجامعة، والعدول عنها مما أدى إلى خطأ منهجي وانحراف فكري يتولد منه آثار خطيرة ونتائج فاسدة في التفسير، وهذه الأسباب متعددة ومتنوعة، أذكر أصولها وفروعها التابعة لها والناتجة عنها بالإجمال:

الأصل الأول: العدول عن مصادر التفسير الأصلية وأصوله الصحيحة الثابتة: وتحته تسعة أفرع:

الفرع الأول: الاجتهاد في تفسير الآية مع وجود النص المفسر لها.

الفرع الثاني: الاعتماد على الأحاديث الضعيفة والموضوعة.

الفرع الثالث: الأخذ بالإسرائيليات

الفرع الرابع: الاعتماد على الظنون والحكايات.

---

(1) انظر: فتح البيان 226/6، والبرهان للزركشي 39/4 ، والإحكام في أصول الأحكام لأبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري، دار الآفاق الجديدة، بيروت 445/4، وقواعد الترجيح للحربي 621/2.

(2) انظر: مشكل إعراب القرآن لأبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي مؤسسة الرسالة -بيروت ، الطبعة الثانية : 1405هـ ، 547/2، والبحر المحيط في التفسير لأبي حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر – بيروت ، الطبعة : 1420 هـ، 88/1 ، وقواعد الترجيح للحربي 635/2.

(3) انظر: البحر المحيط في التفسير 12/1، والبرهان للزركشي 304/1، المحرر الوجيز 5/9 ، وقواعد الترجيح للحربي645/2.

الفرع الخامس: الاعتماد على مجرد اللغة وتفضيلها على الأثر الصحيح.
الفرع السادس: الاعتماد على الفروض المجازية والتذرع بالتمثيل والتخييل.
الفرع السابع: الولوع بالفلسفة والكلام
الفرع الثامن: الاستناد إلى مجرد العقل وتفضيله على النقل الصحيح
الفرع التاسع: الأخذ من المبتدعة وأصحاب الأهواء

الأصل الثاني: عدم الدقة في فهم نصوص الآيات ومدلولاتها: و تحته ثلاثة أفرع:

الفرع الأول: عدم اتضاح الرؤية في الناسخ والمنسوخ
الفرع الثاني: الخلل في منهج الاستدلال بالآيات والإخلال بالأصول المأمور بها.
الفرع الثالث: الاعتماد على المنقول عن كتب التفسير بدون الاجتهاد في التمييز بين صحيحه وسقيمه

الأصل الثالث: إخضاع النصوص القرآنية للأهواء والتعصبات والبدع: وتحته سبعة أفرع:

الفرع الأول: التعصب المذهبي والسياسي
الفرع الثاني: بث الزندقة والإلحاد في الدين
الفرع الثالث: نصرة الأهواء ونشر البدع
الفرع الرابع: تأويلات الصوفية والباطنية للآيات
الفرع الخامس: دعوى التجديد والثورة على القديم
الفرع السادس: التكلف في التفسير العلمي
الفرع السابع: إنشاء معان ومعتقدات ثم التكلف في حمل ألفاظ القرآن الكريم عليها

الأصل الرابع: القصور في تطبيق بعض الشروط اللازمة للتفسير: وتحته أربعة أفرع:

الفرع الأول: القصور في تطبيق قواعد الترجيح عند المفسرين
الفرع الثاني: الإعراض عن منهج السلف الصالح في التفسير
الفرع الثالث: الجهل بقواعد اللغة العربية
الفرع الرابع: الابتعاد عن فهم مقاصد نزول القرآن الكريم وأهدافه الأصلية.(1)

هذه هي أسباب الخطأ ومنشأه في التفسير، فلا شك أن هذه الأمور أسباب خطيرة للوقوع في مزالق خطيرة في التفسير، ولم يظهر الانحراف والخطأ في التفسير إلا لأجل هذه الأسباب. نسأل الله السلامة.

(1) راجع لتفصيل هذه الأسباب وبيان أمثلتها: رسالة الدكتوراه لشيخنا الدكتور طاهر محمود -حفظه الله- من الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، عام 1422هـ، والتي هي بعنوان: أسباب الخطأ في التفسير دراسة تأصيلية، دار ابن الجوزي –الدمام، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى 1425هـ.

المبحث الرابع

منهج الشيخ القنوجي في التفسير بالرأي

لقد ذكر الشيخ القنوجي في تفسيره أقسام التفسير، ليميز بين الممدوح والمذموم فقال: إن تفسير القرآن ثلاثة أقسامٍ:

الأول: ما لم يطلع الله عليه أحدا من خلقه، وهو ما استأثر به من علوم أسرار كتابه من معرفة كنه ذاته ومعرفة حقائق أسمائه وصفاته، وهذا لا يجوز لأحد الكلام فيه.

والثاني: ما أطلع الله سبحانه نبيه عليه من أسرار الكتاب واختصه به فلا يجوز الكلام فيه إلا له - صلى الله عليه وسلم - أو لمن أذن له، قيل: وأوائل السور من هذا القسم، وقيل: من الأول وهو الراجح.

والثالث: علوم علمها الله نبيه وأمره بتعليمها، وهذا ينقسم إلى قسمين:

1- منه ما لا يجوز الكلام فيه إلا بطريق السمع كأسباب النزول والناسخ والمنسوخ واللغات والقراءات وقصص الأمم وإخبار ما هو كائن.

2- ومنه ما يؤخذ بطريق النظر والاستنباط من الألفاظ، وهو قسمان:

ألف: قسم اختلفوا في جوازه وهو تأويل الآيات المتشابهات

ب : وقسم اتفقوا عليه وهو استنباط الأحكام الأصلية والفرعية والإعرابية، وكذلك فنون البلاغة وضروب المواعظ والحكم والاشارات لا يمتنع استنباطها منه لمن له أهلية ذلك.

وما عدا هذه الأمور هو التفسير بالرأي الذي نهى عنه، وفيه خمسة أنواع:

الأول: التفسير من غير حصول العلوم التي يجوز معها التفسير.

الثاني: تفسير المتشابه الذي لا يعلمه إلا الله سبحانه وتعالى.

الثالث: التفسير المقرر للمذهب الفاسد بأن يجعل المذهب أصلاً، والتفسير تابعاً له فيرد إليه بأي طريق أمكن وإن كان ضعيفاً.

الرابع: التفسير بأن مراد الله سبحانه كذا على القطع من غير دليل.

الخامس: التفسير بالاستحسان والهوى والتقليد.

ثم قال: إن التفسير الذي ينبغي الاعتداد به والرجوع إليه هو تفسير كتاب الله جل جلاله باللغة العربية حقيقة ومجازاً إن لم تثبت في ذلك حقيقة شرعية فإن ثبتت فهي مقدمة على غيرها.

وكذلك إذا ثبت تفسير ذلك من الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فهو أقدم من كل شيء بل حجة متبعة لا يسوغ مخالفتها لشيء آخر.

ثم تفاسير علماء الصحابة المختصين برسول الله - صلى الله عليه وسلم - فإنه يبعد كل البعد أن يفسر أحدهم كتاب الله تعالى ولم يسمع في ذلك شيئاً عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، وعلى فرض عدم السماع فهو أحد العرب الذين عرفوا من اللغة دِقَّها وجلَّها.

وأما تفاسير غيرهم من التابعين ومن بعدهم فإن كان من طريق الرواية نظرنا في صحتها سواء كان المروي عنه الشارع أو أهل اللغة، وإن كان بمحض الرأي فليس ذلك بشيء ولا يحل التمسك به ولا جعله حجة، بل الحجة ما قدمناه.

ولا نظن بعالم من علماء الإسلام أن يفسر القرآن برأيه فإن ذلك مع كونه من الإقدام على ما لا يحل بما لا يحل قد ورد النهي عنه في حديث (**من فسر القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ ومن فسر القرآن برأيه فأخطأ فقد كفر**).(1) أو كما قال.(2)

هذا هو رأي الشيخ القنوجي في التفسير بالرأي والاجتهاد، لم يخالف في ذلك الأئمة المفسرين، بل وافقهم في هذه الأصول، ومن هنا ردّ الشيخ القنوجي بعض الآراء الصادرة عن قسم من المفسرين عاداً أقوالهم جزءاً من التفسير بالرأي كما في قوله تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾ [الأعراف: ١٤٥] قال: وعن سعيد بن جبير قال: كانوا يقولون: كانت الألواح من ياقوتة حمراء، وأنا أقول –أي سعيد- إنها كانت من زمرد، وكتابتها الذهب، كتبها الله بيده، فسمع أهل السماوات صريف الأقلام). فقال القنوجي: رحم الله سعيداً ما كان أغناه عن هذا الذي قاله من جهة نفسه، فمثله لا يقال بالرأي ولا بالحدس.(3)

ثم إن تفصيل آرائه في المباحث المتعلقة بالتفسير بالرأي لا يختلف كثيراً عن باقي المفسرين كابن كثير والقرطبي والألوسي وغيرهم وخاصة الشوكاني، ولذا لا نرى الحاجة ماسة بتسويد الأوراق بذكر منهجه في كل من المباحث المتعلقة بالتفسير بالرأي كموقفه من أسباب النزول

---

(1) لم أجد الحديث بهذه الألفاظ، وإنما رواه الترمذي بلفظ: (مَنْ قَالَ فِي القُرْآنِ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ). رواه الترمذي في سننه، أبواب التفسير عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (44) باب ما جاء في الذي يفسر القرآن برأيه (1)، 49/5، رقم الحديث: (2950-2951)، وقال حديث حسن. ورواه أيضاً بلفظ: (مَنْ قَالَ فِي القُرْآنِ بِرَأْيِهِ فَأَصَابَ فَقَدْ أَخْطَأَ) رواه الترمذي في سننه، أبواب التفسير عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (44) باب ما جاء في الذي يفسر القرآن برأيه (1)، 50/5، رقم الحديث: (2952)، وقال حديث غريب. وضعفه الألباني في ضعيف سنن الترمذي ص 360، رقم الحديث: (571).

(2) فتح البيان 17/1-18

(3) فتح البيان 15/5

والمكي والمدني، والناسخ والمنسوخ، والقراءات القرآنية وفضائل السور والآيات، وموقفه من التفسير الصوفي والإشاري، وموقفه من المناسبات بين الآيات والسور، واهتمامه باللغة والإعراب والبلاغة، والمسائل العقدية والفقهية وغيرها من المباحث، فقد كتبت حولها رسائل علمية،(1) فمن أراد الرجوع فليرجع إلى تلك الرسائل وهي متوفرة على الشبكة العنكبوتية.

۞۞۞

---

(1) انظر مثلاً:

1- **منهج صديق حسن خان في تفسيره فتح البيان**، رسالة ماجستير من قسم القرآن وعلومه، كلية أصول الدين، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، للباحث: أحمد محمد صالح عبد الله، سنة 1410هـ

2- **صديق حسن خان و منهجه في كتابه فتح البيان في مقاصد القرآن** رسالة دكتوراه من جامعة الإسكندرية كلية آداب اللغة العربية واللغات الشرقية، للباحث: محمود محمد محمد الحنطور.

3- **صديق حسن خان (القنوجي) وجهوده في تفسير فتح البيان في مقاصد القرآن** ، للباحث محمد شاكر عبد الله الكبيسي، جامعة صدام الإسلام، بغداد.1998م.

4- **صديق حسن خان القنوجي جهوده في تفسيره فتح البيان في مقاصد القرآن** للإستاذ الدكتور موفق عبد الرزاق الدليمي رسالة ماجستير من جامعة بغداد، مكتبة التوبة، الرياض، الطبعة الأولى 1435هـ

5- **منهج الشيخ صديق حسن خان في تفسيره فتح البيان في مقاصد القرآن** رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير من الجامعة الإسلامية العالمية بإسلام آباد، كلية أصول الدين قسم التفسير والحديث، للطالب عمرخان سنة 1415هـ الموافق 1994م.

6- **صديق حسن خان القنوجي (1248-1307هـ) بلاغياً في تفسيره فتح البيان في مقاصد القرآن**، رسالة دكتوراه في اللغة العربية وآدابها، للباحث: فلاح حسن محمد خضر الجبوري، جامعة تكريت، سنة 2009م.

7- **صديق حسن خان ومنهجه في التفسير (دراسة تحليلية لكتابه فتح البيان في مقاصد القرآن)** قسم التفسير والحديث، كلية أصول الدين جامعة السلطان الشريف قاسم الإسلامية، إندونيسيا، للطالبة: دهليا، سنة 2014م.

8- **صديق حسن خان و منهجه في تفسيره فتح البيان في مقاصد القرآن**، رسالة ماجستير من جامعة الأزهر –القاهرة، قسم التفسير وعلوم القرآن، للطالب: كوبري نور زين ب باتو انجكر انسول.

الباب الثاني

عرض و دراسة ترجيحات القنوجي في تفسيره من أول سورة الروم إلى آخر سورة الناس

ويشتمل على ثلاثة فصول:

الفصل الأول: ترجيحات الشيخ القنوجي من أول سورة الروم إلى آخر سورة الذاريات

الفصل الثاني: ترجيحات الشيخ القنوجي من أول سورة الطور إلى آخر سورة التكوير

الفصل الثالث: ترجيحات الشيخ القنوجي من أول سورة المطففين إلى آخر سورة الناس

الفصل الأول: ترجيحات الشيخ القنوجي من أول سورة الروم إلى آخر سورة الذاريات

سورة الروم

المسألة: معنى كلمة (يحبرون)

في قوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَهُمۡ فِي رَوۡضَةٖ يُحۡبَرُونَ ﴿١٥﴾ ﴾[الروم: ١٥]

أقوال المفسرين في معنى كلمة (يحبرون)

في معنى هذه الكلمة أربعة أقوال:

القول الأول: أنه من الحبور بمعنى السرور والنعيم، فيحبرون بمعنى ينعمون.

القول الثاني: يحبرون بمعنى يكرمون.

القول الثالث: يتلذذون بالسماع

القول الرابع: يفرحون.(1)

رأي القنوجي في الآية

قال الشيخ القنوجي: **(يحبرون)** الحبور والحبرة: السرور، أي فهم في رياض الجنة ينعمون وقال ابن عباس: يحبرون يكرمون. وقال النحاس: حكى الكسائي حبرته أي أكرمته ونعمته، وقيل: يحلون، **والأولى** تفسير يحبرون بالسرور، كما هو المعنى العربي، ونفس دخول الجنة يستلزم الإكرام، والنعيم، وفي السرور زيادة على ذلك، وقيل: التحبير التحسين فمعنى يحبرون يحسن إليهم، وقيل: هو السماع الذي يسمعون في الجنة، وقيل: غير ذلك، **والوجه ما ذكرناه**.(2) إذاً يختار الشيخ القنوجي القول بأن المراد بالحبور هو السرور ، وأن **(يحبرون)**: بمعنى ينعمون.

الدراسة

لقد ذهب إلى ما ذهب إليه القنوجي جماعة من المفسرين، ورجحوا ما رجحه، ومنهم:

1. الإمام الطبري: قال: ﴿فَهُمۡ فِي رَوۡضَةٖ يُحۡبَرُونَ ﴿١٥﴾﴾ يقول: فهم في الرياحين والنباتات الملتفة، وبين أنواع الزهر في الجنان يُسرون، ويلذّذون بالسماع وطيب العيش الهنيّ، .... و (الحبرة) عند العرب: السرور والغبطة.(3)

2. الماوردي: قال: والحبرة عند العرب السرور والفرح. (4)

---

(1) النكت والعيون 302/4

(2) فتح البيان 233/10

(3) جامع البيان 81/20

(4) النكت والعيون 302/4

3. الزمخشري: قال: يُحْبَرُونَ يسرون. يقال: حبره إذا سرّه سرورا تهلل له وجهه وظهر فيه أثره.(1)

4. ابن عطية: قال: ويُحْبَرُونَ معناه ينعمون، قاله مجاهد، والحبرة والحبور السرور والتنعم. (2)

5. الرازي: قال: أي في جنة يسرون بكل مسرة.(3)

6. ابن جزي: قال: تُحْبَرُونَ تنعمون من الحبور وهو السرور والنعيم. (4)

7. الشوكاني: قال: وَالْأَوْلَى تَفْسِيرُ يُحْبَرُونَ: بِالسُّرُورِ كَمَا هُوَ الْمَعْنَى الْعَرَبِيُّ. (5)

8. ابن عاشور: قال: ويحبرون: يسرون من الحبور، وهو السرور الشديد. يقال: حبره، إذا سره سرورا تهلل له وجهه وظهر فيه أثره. (6)

و اختار بعض المفسرون غير ما اختاره القنوجي، ومنهم:

1. القرطبي: قال: (يحبرون) قال الضحاك وابن عباس: يكرمون.(7)

2. الخازن: قال: يُحْبَرُونَ قال ابن عباس يكرمون وقيل يتنعمون ويسرون والحبرة السرور. وقيل في معنى يحبرون: هو السماع في الجنة. (8)

3. الواحدي: قال: أَي: يسمعون في الجنَّة.(9)

التعليق

ويبدو أن الراجح هو العموم؛ لأنه ليس هناك تعارض بين تلك المعاني المحتملة، فالاختلاف لفظي، وهو من اختلاف التنوع لا التضاد، والقول بأنه السرور لازم للكرامة والكرامة تلزم السرور، كما أن السماع والتلذذ نوع من نعيم الآخرة، والقاعدة تقول: (**إذا كان اللفظ محتملاً لأكثر من معنى، ولم يمتنع إرادة الجميع، فإنه يحمل عليها**). وقاعدة: (**العموم أولى من التخصيص**).

❁❁❁

(1) الكشاف 471/3

(2) المحرر الوجيز 331/4

(3) مفاتيح الغيب للرازي 85/25

(4) التسهيل لابن جزي 131/2

(5) فتح القدير 4/ 251

(6) التحرير والتنوير 64/21

(7) تفسير القرطبي 12/14، ذكر هذا القول بالجزم وباقي الأقوال بالتمريض.

(8) تفسير الخازن 388/3

(9) الوجيز للواحدي 840

المسألة: المراد بالتسبيح والتحميد في قوله تعالى:

﴿ فَسُبْحَانَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴾

[الروم: ١٧ – ١٨]

أقوال المفسرين في المراد بالتسبيح والتحميد في هذه الآية

فيه قولان:

1- المراد من التسبيح والتحميد، هو الذكر والثناء والحمد على آلائه.

2- المراد من التسبيح والتحميد، هو الصلاة ، وعلى هذا هاتان الآيتان يجمعان أوقات الصلوات المكتوبة الخمس.(1)

رأي القنوجي في الآية

قال الشيخ القنوجي: (فَسُبْحَانَ ٱللَّهِ) الفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها أي فإذا عملتم ذلك فسبحوا الله، أي نزهوه عما لا يليق به، وصفوه بصفات الكمال، **وهذا أولى**، وقيل: صلوا كما سيأتي (حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ) أي في وقت الصباح والمساء، وفي العشي، وفي وقت الظهيرة، وعلى أن المراد بالتسبيح هنا الصلوات الخمس، فقوله " حين تمسون " صلاة المغرب والعشاء، وقوله حين تصبحون صلاة الفجر. (وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ) معترضة مسوقة للإرشاد إلى الحمد والإيذان بمشروعية الجمع بينه وبين التسبيح، كما في قوله سبحانه: فسبح بحمد ربك وقوله: ونحن نسبح بحمدك، وقيل: معنى وله الحمد الاختصاص له بالصلاة التي يقرأ فيها الحمد **والأول أولى**.(2)

إذاً، يرى الشيخ القنوجي أن الراجح هو عموم معنى التسبيح والتحميد، وتنزيه الله تعالى والثناء عليه.

الدراسة

لقد رجح جماعة من المفسرين ما رجحه القنوجي، ومنهم:

1- ابن كثير: قال: هذا تسبيح منه تعالى لنفسه المقدسة، وإرشاد لعباده إلى تسبيحه وتحميده في هذه الأوقات المتعاقبة الدالة على كمال قدرته وعظيم سلطانه عند المساء، وهو إقبال الليل بظلامه، وعند الصباح وهو إسفار النهار عن ضيائه. (3)

---

(1) النكت والعيون 303/4

(2) فتح البيان 234/10

(3) تفسير ابن كثير 3/ 227

2- ابن جزي: قال: هذا تعليم للعباد، أي قولوا: سبحان الله حين تمسون و حين تصبحون، وحين تدخلون في الظهيرة. (1)

3- ابن عاشور: قال: وليست الصلوات الخمس وأوقاتها هي المراد من الآية، ولكن نسجت على نسج صالح لشموله الصلوات الخمس وأوقاتها. (2)

وخالفه في ذلك بعض المفسرين الذين رأوا أن المراد منهما الصلوات الخمس، منهم:

الإمام الطبري: قال: يقول تعالى ذكره: فسبحوا الله أيها الناس: أي صلوا له (**حِينَ تُمْسُونَ**) ، وذلك صلاة المغرب، (**وَحِينَ تُصْبِحُونَ**) ، وذلك صلاة الصبح (**وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ**) يقول: وله الحمد من جميع خلقه دون غيره (**فِي السَّمَوَاتِ**) من سكانها من الملائكة، (**وَالأَرْضِ**) من أهلها، من جميع أصناف خلقه فيها، (**وَعَشِيًّا**) يقول: وسَبِّحوه أيضا عشيا، وذلك صلاة العصر (**وَحِينَ تُظْهِرُونَ**) يقول: وحين تَدْخلون في وقت الظهر. (3)

و ذكر نحوه البغوي (4) والزمخشري (5) وابن عطية (6) وابن الجوزي(7) عن ابن عباس و نقله الماوردي(8) والقرطبي(9) عن ابن عباس وابن جبير والضحاك.

التعليق

يظهر لي –والله أعلم- أن القول بالعموم كما ذهب إليه القنوجي هو الأولى؛ لأن الآية محتملة لكلا المعنيين، والقول الأول داخل في الثاني، لأن الأمر بالتسبيح داخل ضمن الصلوات الخمس، **والحمل على العموم أولى** كما هو مقرر في قواعد الترجيح. (**واللفظ إذا كان محتملا لأكثر من معنى ولم يمتنع إرادة الجميع فإنه يحمل عليها**).

❁❁❁

(1) التسهيل لابن جزي ص 537

(2) التحرير والتنوير 66/21

(3) تفسير الطبري 83/20

(4) تفسير البغوي 3/ 479

(5) الكشاف 477/3

(6) المحرر الوجيز 4/ 332

(7) زاد المسير 294/6

(8) النكت والعيون 303/4

(9) تفسير القرطبي 14/14

المسألة: معنى الفطرة في قوله تعالى: ﴿ فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَاۚ ﴾ [الروم: ٣٠]

أقوال المفسرين في الآية

لكلمة الفطرة معنيين عند المفسرين:

أحدهما: صنعة الله التي خلق الناس عليها **الثاني:** دين الله الذي فطر خلقه عليه.(1)

رأي القنوجي في الآية

قال القنوجي: ﴿ فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَاۚ ﴾ الفطرة في الأصل الخلقة، والمراد بها هنا الملة وهي الإسلام والتوحيد، (ثم ذكر الأحاديث التي تؤيد ذلك) ثم قال: وهذا قول جماعة من الصحابة ومن بعدهم وقول جماعة من المفسرين، **وهو الحق**... والقول بأن المراد بالفطرة هنا الإسلام هو مذهب جمهور السلف، قال آخرون: هي البداءة التي ابتدأهم عليها فإنه ابتدأهم للحياة والموت والسعادة والشقاوة، والفاطر في كلام العرب: هو المبتدئ، وهذا مصير من القائلين به إلى معنى الفطرة لغة. وإهمال معناها شرعاً، والمعنى الشرعي مقدم على المعنى اللغوي باتفاق أهل الشرع.(2) إذاً، تقرر رأي الشيخ القنوجي أن المراد من الفطرة في هذه الآية هي دين الإسلام، والملة الإسلامية.

الدراسة

لقد وافق الشيخ القنوجي في هذه المسألة جماعة من المفسرين، منهم:

1- الخازن: قال: والمراد بالفطرة الدين وهو الإسلام. (3)

2- البغوي: قال: فطرت الله، دين الله وهو نصب على الإغراء أي إلزم فطرة الله، التي فطر الناس عليها، أي خلق الناس عليها وهذا قول ابن عباس وجماعة من المفسرين أن المراد بالفطرة الدين وهو الإسلام وذهب قوم إلى أن الآية خاصة في المؤمنين وهم الذين فطرهم الله على الإسلام.(4)

3- القرطبي: قال: واختلف العلماء في معنى الفطرة المذكورة في الكتاب والسنة على أقوال متعددة، منها الإسلام، قاله أبو هريرة وابن شهاب وغيرهما، قالوا: وهو المعروف عند عامة السلف من أهل التأويل.(5)

4- الشوكاني: قال: والقول بأن المراد بالفطرة هنا: الإسلام هو مذهب جمهور السلف. (6)

---

(1) النكت والعيون 312/4

(2) فتح البيان 10/ 246

(3) تفسير الخازن 391/3

(4) تفسير البغوي 577/3

(5) تفسير القرطبي 25/14

(6) فتح القدير 4/ 258

5- وبهذا قال ابن كثير (1) وغيرهم.

وخالفهم في ذلك بعض المفسرين:

1- الإمام الطبري: قال: (فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ...) يقول: صنعة الله التي خلق الناس عليها.(2)

2- الواحدي: قال: فطرة الله أَيْ: خِلقة الله التي خلق النَّاس عليها. (3)

3- الزمخشري: قال: والفطرة: الخلقة. ألا ترى إلى قوله لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ. (4)

4 – وإلى هذا ذهب ابن عطية (5) والمحلي (6) وغيرهم أيضاً.

التعليق

يظهر لي –والله أعلم بالصواب- أن ما ذهب إليه القنوجي وجمهور المفسرين من أن المراد بالفطرة: الدين، هو الراجح، وذلك لأمور:

أ- أن هذا هو مدلول السياق، إذ أن الآية بكلمة الدين، وذكرت في آخرها أيضاً كلمة الدين، والقاعدة الترجيحية تقول: (**القول الذي تؤيده قرائن في السياق مرجح على ما خالفه**) وتقول: (**إدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أولى من الخروج به عنهما إلا بدليل**). وتقول: (**قرائن السياق مرجحة على ما خالفه**).

ب- يدل الحديث المشهور: (**كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه..**).(7) على المعنى الذي ذكره الجمهور، والقاعدة تقول: (**إذا ثبت الحديث وكان في معنى أحد الأقوال فهو مرجح له على ما خالفه**).

ج- أن معنى الفطرة قد عرفها الشارع بالدين في الحديث المذكور، وما عرفه الشارع مقدم على المعنى اللغوي. والقاعدة تقول: (**الحقيقة الشرعية مقدمة على الحقيقة اللغوية**).

والله أعلم بالصواب

(1) تفسير ابن كثير 314/6

(2) تفسير الطبري 97/20

(3) الوجيز للواحدي ص 842

(4) الكشاف للزمخشري 479/3

(5) المحرر الوجيز 336/4

(6) الجلالين ص 535

(7) أخرجه البخاري 5/ 182

المسألة: المراد بالفساد في قوله تعالى: ﴿ظَهَرَ ٱلۡفَسَادُ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ بِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِي ٱلنَّاسِ﴾ [الروم: ٤١]

أقوال المفسرين في معنى (الفساد) في هذه الآية

في المراد بالفساد خمسة أقاويل:

أحدها: الشرك **الثاني:** ارتكاب المعاصي **الثالث:** قحط المطر

الرابع: فساد البر: قتل ابن آدم أخاه، وفساد البحر: أخذ السفينة غصباً.

الخامس: ظهور الفساد ولاة السوء.(1)

وهناك أقوال أخرى ذكرها المفسرون ومنهم القنوجي، على ما سيأتي.

رأي القنوجي

قال الشيخ القنوجي: واختلف في معنى ظهور الفساد المذكور، فقيل: هو القحط وعدم النبات ونقصان الرزق، وكثرة الخوف، ونحو ذلك، وقال مجاهد وعكرمة: فساد البر قتل ابن آدم أخاه. يعني قتل قابيل لهابيل، وفساد البحر الملك الذي يأخذ كل سفينة غصباً. وليت شعري أي دليل دلهم على هذا التخصيص البعيد والتعيين الغريب؟ فإن الآية نزلت على محمد - صلى الله عليه وسلم -، والتعريف في الفساد يدل على الجنس، فيعم كل فساد واقع في حيز البر والبحر.

وقال السدي: الفساد الشرك، وهو أعظم الفساد، ويمكن أن يقال: إن الشرك وإن كان الفرد الكامل في أنواع المعاصي، ولكن لا دليل على أنه المراد بخصوصه وقيل: الفساد كساد الأسعار وقلة المعاش، وقيل: قطع السبل والظلم وقيل: نقصان البركة بأعمال العباد كي يتوبوا، قال النحاس: وهو أحسن ما قيل في الآية. وعنه أن الفساد في البحر انقطاع صيده بذنوب بني آدم. قال ابن عطية: فإذا قل المطر قل الغوص فيه، وعميت دواب البحر. وقيل غير ذلك مما هو تخصيص لا دليل عليه، **والظاهر من الآية** ظهور ما يصح إطلاق اسم الفساد عليه، سواء كان راجعاً إلى أفعال بني آدم من معاصيهم واقترافهم السيئات، وتقاطعهم وتظالمهم، وتقاتلهم، أو راجعاً إلى ما هو من جهة الله سبحانه، بسبب ذنوبهم، كالقحط وكثرة الخوف، والموتان ونقصان الزرائع والثمار، وكثرة الحرق والغرق ومحق البركات من كل شيء،(2) فالراجح عند الشيخ القنوجي هو القول بالعموم، وكل يحمله لفظ الفساد عليه يمكن أن يراد.

---

(1) النكت والعيون 317/4

(2) فتح البيان 256/10

الدراسة

لقد اختار المفسرون أقوالاً متباينة في المراد بالفساد في هذه الآية، فذهب السدي(1) وقتادة إلى أن المراد به الشرك. قال قتادة: هو الشرك امتلأت الأرض ضلالة وظلماً.(2)

وإلى هذا القول ذهب الإمام الرازي واستدل له بأن الآية التي سبقت هذه الآية تنتهي بذكر الشرك: ﴿هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَيْءٍ ۚ سُبْحَانَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الروم: ٤٠]، ثم ذكر أن الشرك هو سبب الفساد فقال: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ﴾.(3)

ومنهم من ذهب إلى أن المراد بفساد البر قتل ابن آدم أخاه، وفي البحر بالملك الذي كان يأخذ كل سفينة غصباً، وهذا منسوب إلى ابن عباس وعكرمة ومجاهد.(4)

ومنهم من قال بأن المراد بالفساد القحط وقلة النبات وذهاب البركة، وفي البحر انقطاع صيده بذنوب بني آدم. وهذا القول أيضاً منقول عن ابن عباس وعكرمة ومجاهد وغيرهم.(5)

واختار بعضهم القول بأن ظهور الفساد هو المعاصي والذنوب، وهذا منقول عن ابن زيد والحسن وأبو العالية، واختاره الطبري،(6) وأبو حيان،(7) وابن القيم.

قال ابن القيم: والظاهر –والله أعلم- أن الفساد المراد به الذنوب وموجباتها ويدل عليه قوله تعالى: ﴿لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟﴾ [الروم: ٤١]، فهذا حالنا، وإنما أذاقنا الله الشيء اليسير من أعمالنا، فلو أذاقنا كل أعمالنا لما ترك على ظهرها من دابة.(8)

التعليق

والراجح –والله أعلم- أنه لا تعارض بين الأقوال، فالفساد يشمل كل هذا، وأن هذا الاختلاف من اختلاف التنوع لا التضاد، والأفضل أن يأخذ بالعموم كما قال القنوجي، والقاعدة الترجيحية تقول: **(يجب حمل نصوص الوحي على العموم ما لم يرد نص بالتخصيص)**. والقاعدة الأخرى تقول: **(إذا احتمل اللفظ معاني عدة ولم يمتنع إرادة الجميع حمل عليها)**.

---

(1) النكت والعيون 317/4، زاد المسير 305/6

(2) تفسير القرآن الكريم المعروف بتفسير الصنعاني 104/3، للإمام أبي بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني، دار الكتب العلمية - بيروت. ، الطبعة الأولى: سنة 1419هـ.

(3) مفاتيح الغيب 112/25

(4) انظر: تفسير الطبري 109/20، والكشف والبيان 305/7

(5) مفاتيح الغيب 112/25

(6) انظر: تفسير الطبري 108/20، وانظر معه: تفسير ابن كثير 320/6

(7) البحر المحيط 395/8

(8) الجواب الكافي ص 71، للإمام ابن قيم الجوزية، دار المعرفة – المغرب، الطبعة: الأولى، 1418هـ - 1997م

والله أعلم بالصواب

❁❁❁

المسألة: المراد بالبر والبحر في قوله تعالى: ﴿ظَهَرَ ٱلۡفَسَادُ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ﴾ [الروم: ٤١]

أقوال المفسرين في المراد بـ (البر والبحر) في هذه الآية

للمفسرين في المراد بالبر والبحر عدة أقوال منها:

أحدها: أن البر الفيافي والبحر القرى

الثاني: البر أهل العمود والبحر أهل القرى والريف

الثالث: أن البر بادية الأعراب، والبحر الجزائر

الرابع: أن البر ما كان من المدن والقرى على غير نهر، والبحر ما كان على شط نهر.

الخامس: أن البر النفس والبحر القلب

السادس: أن البر اللسان والبحر القلب.(1)

رأي القنوجي

قال القنوجي: والبر والبحر هما المعروفان المشهوران، وقيل: البر الفيافي، والبحر القرى التي على ماء، قاله عكرمة، والعرب تسمي الأمصار البحار. قال مجاهد: البر ما كان من المدن والقرى على غير نهر، والبحر ما كان على شط نهر، وعن ابن عباس نحوه، **والأول أولى**، ويكون معنى البر مدن البر، ومعنى البحر مدن البحر، وما يتصل بالمدن من مزارعها ومراعيها.(2) فالراجح عند الشيخ القنوجي هو أن لفظ البر والبحر على حقيقتهما ويراد بهما مدن البر والبحر وما يتصل بها من المزارع والمراعي.

الدراسة

لقد اختلف المفسرون في المراد بالبر والبحر في الآية المذكورة، فمنهم من ذهب إلى أن المراد بالبر البلاد البعيدة من البحر، وبالبحر ما كان على ساحل البحر.

قال ابن جرير الطبري: عنى بالبر الفلوات وبالبحر: الأمصار والقرى التي على المياه والأنهار، ثم روى عن مجاهد أنه قال: أما والله ما هو بحركم هذا، ولكن كل قرية على ماء جار فهو بحر، وعن الحسن قال: أفسدهم الله بذنوبهم، في بحر الأرض وبرها بأعمالهم الخبيثة.(3)

(1) النكت والعيون 318/4

(2) فتح البيان 257/10

(3) انظر: تفسير الطبري 108/20

وروى ابن أبي حاتم عن السدي أنه قال: البر: كل قرية نائية عن البحر مثل مكة والمدينة، والبحر: كل قرية على البحر مثل الكوفة والبصرة والشام.(1) ونقل الماوردي(2) وابن الجوزي(3) والقرطبي(4) نحو ذلك عن ابن عباس.

وممن ذكر هذا المعنى من المفسرين: البغوي(5) والزمخشري(6) وابن عطية(7) وابن كثير(8) وابن عاشور.(9)

وذهب البعض إلى أن المراد بالبر: اللسان بالبحر: القلب، قال الماوردي: لظهور ما على اللسان وخفاء ما في القلب، وهو بعيد،(10) ونقل ذلك ابن عطية عن بعض العباد،(11) وكذا القرطبي.(12)

وذهب آخرون بأن المراد هو البر والبحر المعروفان، وهو الذي رجحه الطبري،(13) وصححه ابن عطية،(14) ورجحه ابن جزي(15) وقدمه القرطبي على الأقوال الأخرى.(16) كما رجحه الشوكاني(17) والقنوجي أيضاً.

التعليق

والراجح –والله أعلم- هو ما رجحه القنوجي من أن المراد هو البر والبحر المعروف عند العرب، وذلك لما يلي:

1. أن القاعدة تقول: (**تحمل نصوص الكتاب على معهود الأميين من الخطاب**).

---

(1) تفسير ابن أبي حاتم 3092/9، رقم الحديث: (17505)

(2) النكت والعيون 318/4

(3) زاد المسير 304/6

(4) تفسير القرطبي 40/14

(5) تفسير البغوي 479/3

(6) الكشاف 488/3

(7) المحرر الوجيز 340/4

(8) تفسير ابن كثير 320/6

(9) التحرير والتنوير 101/25

(10) النكت والعيون 318/4

(11) المحرر الوجيز 340/4

(12) تفسير القرطبي 40/14

(13) تفسير الطبري 109/20

(14) المحرر الوجيز 340/4

(15) التسهيل لابن جزي 134/2

(16) تفسير القرطبي 40/14

(17) فتح القدير 4/ 228

2. أن الغالب في استعمال القرآن للبر والبحر إنما يراد به ما ذكرنا، وهو أول ما يتبادر إلى الذهن عند الورود، فمن قواعد التفسير: (**أن اللفظ إذا احتمل معان عدة، وأحدها هو الغالب في القرآن استعمالاً فإنه يقدّم**).(1)

3. أن هذا هو اختيار المحققين من أهل العلم كابن جرير وابن عطية وابن جزي والقرطبي والشوكاني والقنوجي وغيرهم.

والله أعلم بالصواب

۞۞۞

سورة لقمان

المسألة: المراد من (لهو الحديث) في قوله تعالى:

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡتَرِي لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا ﴾ [لقمان: ٦]

أقوال المفسرين في معنى (لهو الحديث) فيه سبعة أقوال:

أحدها: شراء المغنيات — الثاني: الغناء

الثالث: أنه الطبل، والمزمار — الرابع: أنه الباطل

الخامس: أنه الشرك بالله — السادس: ما ألهى عن الله سبحانه

السابع: أنه الجدال في الدين والخوض في الباطل.(2)

رأي القنوجي في معنى لهو الحديث

قال القنوجي: (**لهو الحديث**) هو كل باطل يلهي، ويشغل عن الخير، من الغناء والملاهي، والأحاديث المكذوبة، والأضاحيك، والسمر بالأساطير التي لا أصل لها، والخرافات، والقصص المختلفة، والمعازف والمزامير، وكل ما هو منكر... وقيل: المراد شراء القينات المغنيات، والمغنين. فيكون التقدير من يشتري أهل لهو الحديث، قال الحسن: لهو الحديث: المعازف والغناء. وروي عنه أنه قال: هو الكفر والشرك. وفيه بعد. (3)

رأي الشيخ القنوجي -كما يظهر من قوله- أنه يرجح العموم في معنى الآية.

الدراسة

---

(1) انظر: مختصر قواعد التفسير لخالد السبت ص 5، 26.

(2) النكت والعيون 4/ 328

(3) فتح البيان 274/10

لقد وافق الشيخ القنوجي بعض المفسرين في معنى لهو الحديث في الآية المذكورة، ومن هؤلاء:

1. **الطبري:** والصواب من القول في ذلك أن يقال: عنى به كلّ ما كان من الحديث ملهياً عن سبيل الله مما نهى الله عن استماعه أو رسوله؛ لأن الله تعالى عمّ بقوله: (**لَهْوَ الحَدِيثِ**) ولم يخصص بعضاً دون بعض، فذلك على عمومه حتى يأتي ما يدلّ على خصوصه، والغناء والشرك من ذلك.(1)
2. **المحلّي:** قال: أَيْ مَا يُلْهِي مِنْهُ عَمَّا يَعْنِي.(2)
3. **الشوكاني:** قال: ولهو الحديث كل ما يلهي عن الخير من الغناء، والملاهي، والأحاديث المكذوبة، وكل ما هو منكر.(3)
4. **الألوسي:** قال: والأحسن تفسيره بما يعم كل ذلك كما ذكرناه. (4)

وخالفه آخرون فذهبوا إلى معاني أخرى لكلمة (**لهو الحديث**)، فمنهم من رأى أنه الغناء، ومنهم من يرى أنه غيره، وأقوالهم كمايلي:

1. **ابن عطية:** قال: والذي يترجح أن الآية نزلت في لهو حديث منضاف إلى كفر فلذلك اشتدت ألفاظ الآية بقوله:﴿ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا ﴾، والتوعد بالعذاب المهين، ... **وَلَهْوَ الْحَدِيثِ**: كل ما يلهي من غناء وخنى ونحوه.(5)
2. **القرطبي:** قال: و" **لهو الحديث**": الغناء، في قول ابن مسعود وابن عباس وغيرهما.... ثم ذكر الروايات ثم قال: قلت: هذا أعلى ما قيل في هذه الآية، وحلف على ذلك ابن مسعود بالله الذي لا إله إلا هو، ثلاث مرات إنه الغناء.(6)
3. **ابن جزي:** قال: هو الغناء. (7) وإليه مال الإمام ابن كثير أيضاً.(8)

التعليق

(1) تفسير الطبري 130/20
(2) تفسير الجلالين ص 540
(3) فتح القدير للشوكاني 270/4
(4) تفسير الألوسي 67/11
(5) المحرر الوجيز 346/4
(6) تفسير القرطبي 52/14
(7) التسهيل لابن جزي 137/2
(8) تفسير ابن كثير 331/6

والراجح –والله أعلم- هو ما رجحه الشيخ القنوجي، من أن لفظ الآية يعم كل لهو من الحديث الذي من شأنه أن يصدّ عن سبيل الله فهو داخل ضمن مفهوم الآية، والغناء أيضاً داخل في الآية، ويؤيد هذا ما أخرجه البخاري في الأدب المفرد عن ابن عباس أنه قال:(**لَهْوَ الْحَدِيثِ هو الغناء، وأشباهه**).(1)

وأيضاً أن القواعد الترجيحية تدل على ترجيح ما ذهب إليه القنوجي، منها: قاعدة: (**إذا احتمل اللفظ معاني عدة، ولم يمتنع إرادة الجميع حمل عليها**). وقاعدة: (**لا يجوز إخراج ما احتمله ظاهر الآية من حكمها إلا بحجة يجب التسليم لها**). وأيضاً: إن في ما رجحه القنوجي جمع بين أقوال المفسرين وعدم إهمال شيء منها.

❁❁❁

المسألة: هل لقمان كان نبياً ؟

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا لُقۡمَٰنَ ٱلۡحِكۡمَةَ أَنِ ٱشۡكُرۡ لِلَّهِ﴾ [لقمان: ١٢]

أقوال المفسرين في نبوة لقمان

اختلف في نبوته على قولين:

أحدهما: أنه نبي الثاني: أنه حكيم وليس بنبي.(2)

رأي القنوجي

قال القنوجي: واختلفوا أيضاً هل هو نبي؟ أم رجل صالح؟ فذهب أكثر أهل العلم إلى أنه ليس بنبي. وحكى الواحدي عن عكرمة والسدي، والشعبي، أنه كان نبياً، **والأول أرجح** لما سيأتي، وقيل: لم يقل بنبوته إلا عكرمة فقط، مع أن الراوي لذلك عنه جابر الجعفي،(3) وهو ضعيف جداً وقيل: خير بين النبوة والحكمة فاختار الحكمة.(4) فالراجح عند القنوجي هو ما ذهب إليه الجمهور من أنه ليس بنبي.

الدراسة

(1) صحيح الأدب المفرد للإمام البخاري، رقم الحديث: 960/1265، ص 487، والحديث صححه الألباني. دار الصديق للنشر والتوزيع، الطبعة: الرابعة، 1418 هـ - 1997 م

(2) النكت والعيون للماوردي 331/4، زاد المسير 431/3

(3) هو جابر ابن يزيد ابن الحارث الجعفي أبو عبد الله الكوفي ضعيف رافضي من الخامسة مات سنة سبع وعشرين ومائة وقيل سنة اثنتين وثلاثين. انظر: تقريب التهذيب لابن حجر ص 137، رقم الترجمة (878).

(4) فتح البيان 281/10

في المسألة قولان كما ذكرنا: **الأول:** أنه كان حكيمًا ولم يكن نبيًا. روي ذلك عن ابن عباس(1) ومجاهد(2) وقتادة(3) وسعيد بن المسيب(4) وغيرهم.

وإليه مال الطبري،(5) وهو قول الإمام البغوي(6) وابن عطية(7) والرازي(8) وأبي حيان(9) والقرطبي(10) وابن كثير(11) والألوسي(12) والشوكاني(13) وصحح هذا القول ابن الجوزي، وحكى أنه قول الأكثرين.(14)

قال القرطبي: والصواب أنه كان رجلاً حكيماً بحكمة الله تعالى.(15)

وقال ابن كثير: اختلف السلف في لقمان هل كان نبيًا أو عبدًاصالحًا من غير نبوة ؟ على قولين، الأكثرون على الثاني (ثم ذكر جملة من أقوال السلف وأعقبها بقوله) : فهذه الآثار منها ما هو مصرح فيه بنفي كونه نبياً، ومنها ما هو مشعر بذلك؛ لأن كونه عبداً قد مسه الرقّ ينافي كونه نبيًا؛ لأن الرسل كانت تبعث في أحساب قومها؛ ولهذا كان جمهور السلف على أنه لم يكن نبيًا، وإنما ينقل كونه نبيًا عن عكرمة- إن صح السند إليه، فإنه رواه ابن جرير، وابن أبي حاتم من حديث وكيع عن إسرائيل، عن جابر، عن عكرمة فقال :كان لقمان نبيّاً .وجابر هذا هو ابن يزيد الجعفي، وهو ضعيف، والله أعلم.(16)

الثاني: أنه كان نبيًا. وبه قال عكرمة،(1) وقاله الشعبي والسدي.(2) وجوّز ابن العربي أن يكون نبيّاً، فقال: وجائز أن يكون نبيّاً، وجائز أن يكون عالماً أي: أوتي الحكمة وهي العمل بالعلم.(3)

---

(1) الدر المنثور للسيوطي 510/6

(2) تفسير الطبري 134/20

(3) تفسير الطبري 134/20

(4) تفسير الطبري 135/20

(5) انظر: تفسير الطبري 135/20

(6) معالم التنزيل 286/6

(7) المحرر الوجيز 347/4

(8) مفاتيح الغيب 127/25

(9) البحر المحيط 412/8

(10) الجامع لأحكام القرآن 59/14

(11) تفسير ابن كثير 333/6

(12) روح المعاني 83/21

(13) فتح القدير 237/4

(14) زاد المسير 317/6

(15) الجامع لأحكام القرآن 59/14

(16) تفسير ابن كثير 334/6

وإليه مال ابن عاشور فقال: وإذا درجنا على أن لقمان كان نبيًا فهذا الكلام مما أبلغه لقمان لابنه وهو مما أوتيه من الوحي ويكون قد حكي بالأسلوب الذي أوحي به إليه على نحو أسلوب قوله تعالى: ﴿أَنِ ٱشۡكُرۡ لِلَّهِۚ﴾ [لقمان: ١٢]، وهذا الاحتمال أنسب بسياق الكلام، ويرجحه اختلاف الأسلوب بينها وبين آيتي سورة العنكبوت وسورة الأحقاف؛ لأن ما هنا حكاية ما سبق في أمة أخرى والأخريين خطاب أنف لهذه الأمة. والحكمة درجات أعلاها النبوة كما قال تعـــــالى: ﴿وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحِكۡمَةَ وَفَصۡلَ ٱلۡخِطَابِ﴾ [ص: ٢٠] (4)

التعليق

الراجح -والله أعلم- أنه لم يكن نبيًا كما ذهب إليه الجمهور ومنهم القنوجي، وذلك لما يلي:

- ما ورد عن الصحابة والسلف أنه كان حكيمًا وليس نبيًا ، ومنها قول مجاهد، و الذي ورد بسند صحيح.
- أنه قول جمهور المفسرين.
- لم يرد في كونه نبيًا خبر صحيح عن الرسول صلى الله عليه وسلم .ولذا : (**لا يصح حمل الآية على تفسيرات وتفصيلات لأمور مغيبة لا دليل عليها من القرآن والسنة**)
- القول بأنه كان نبيًا ورد بسند ضعيف عن عكرمة.
- ومما يتنافى مع كونه نبيًا ما ذكر أنه كان عبدًا والرسل كانت تبعث في أحساب قومها

والله أعلم بالصواب

(1) انظر: تفسير الطبري 20/ 136، وتفسير ابن كثير 334/6

(2) التفسير الوسيط للواحدي 442/3

(3) زاد المسير 317/6

(4) التحرير والتنوير 156/21-157

سورة السجدة

مسألة: المراد بالمؤمن والفاسق في قوله تعالى:

﴿ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا ۚ لَّا يَسْتَوُۥنَ ﴿١٨﴾ ﴾ [السجدة: ١٨]

أقوال المفسرين في الآية

في المراد بالمؤمن والفاسق في الآية قولان:

أحدهما: أنه يراد به العموم، أي كل مؤمن وفاسق.

الثاني: أنه يراد بكل واحد منهما شخصاً معيناً، وفيه قولان:

الأول: أن المراد من المؤمن: علي بن أبي طالب، ومن الكافر: الوليد بن عقبة بن أبي مُعَيط.

الثاني: أن المراد بالمؤمن: عمر بن الخطاب و بالكافر: أبو جهل.(1)

رأي القنوجي

قال القنوجي: وقيل أراد الجنس منهما، ولم يرد مؤمناً واحداً، ولا فاسقاً واحداً، **وهذا أولى،** فإن الاعتبار بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.(2) فرأي الشيخ القنوجي أن المراد جنس المؤمن وجنس الكافر.

الدراسة

وقد ذهب جمهور المفسرين إلى أن المراد بالآية العموم، ومنهم:

1. **الطبري:** قال: أفهذا الكافر المكذّب بوعد الله ووعيده، المخالف أمر الله ونهيه، كهذا المؤمن بالله، والمصدّق بوعده ووعيد، المطيع له في أمره ونهيه، كلا، لا يستوون عند الله، يقول: لا يعتدل الكفَّار بالله، والمؤمنون به عنده، فيما هو فاعل بهم يوم القيامة. وقال: (**لا يَسْتَوُونَ**) فجمع، وإنما ذكر قبل ذلك اثنين: مؤمنا وفاسقا؛ لأنه لم يرد بالمؤمن: مؤمنا واحدا، وبالفاسق: فاسقا واحدا، وإنما أريد به جميع الفسَّاق، وجميع المؤمنين بالله. فإذا كان الاثنان غير مصمود لهما ذهبت لهما العرب مذهب الجمع.(3)
2. **البغوي:** قال: ولم يقل (لايستويان) لأنه لم يرد مؤمناً واحداً وفاسقاً واحداً، بل المراد جميع

---

(1) انظر: زاد المسير 3/ 442

(2) فتح البيان 28/11

(3) تفسير الطبري 188/20

المؤمنين وجميع الفاسقين.(1)

3. **ابن كثير:** قال: يخبر تعالى عن عدله [وكرمه] أنه لا يساوي في حكمه يوم القيامة من كان مؤمنا بآياته متبعا لرسله، بمن كان فاسقا، أي: خارجا عن طاعة ربه مكذبا لرسله إليه، كما قال تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ...﴾ [الجاثية: 21]، وقال تعالى: ﴿ أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ... ﴾ [ص: 28] ، وقال تعالى: ﴿ لَا يَسْتَوِىٓ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ ... ﴾ [الحشر: 20] ؛ ولهذا قال تعالى هاهنا: ﴿ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا ۚ لَّا يَسْتَوُۥنَ ﴾ [السجدة: ١٨] أي: عند الله يوم القيامة.(2) **وإلى هذا ذهب جمهور المفسرين.**

وذهب بعض المفسرين إلى تخصيص الآية بأفراد معينين، منهم: الماوردي: قال: والمؤمن هنا: علي بن أبي طالب، والفاسق عقبة بن أبي معيط.(3) وهو الذي ذهب إليه ابن عطية.(4) وهكذا ابن الجوزي لم يذكر قول العموم في تفسيره.(5)

التعليق

والرجح –والله أعلم- هو ما ذهب إليه القنوجي -رحمه الله-، وهو القول بالعموم، حتى وإن كانت الآية نزلت في واقعة معينة، **فالعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب،** كما هو مقرر في قواعد التفسير، وهذا ما صرّح به الشيخ القنوجي أيضاً في ترجيحه،و أيضاً كلمة (**لا يستوون**) و (**فأما الذين آمنوا... وأما الذين فسقوا...**) بالجمع يدل على أن الحمل على العموم هو المراد. و يؤيد ذلك أيضاً قوله تعالى في آية أخرى: ﴿ أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ﴾ [القلم: ٣٥] وقوله:﴿ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ ﴾ [الجاثية: ٢١].

والله أعلم بالصواب

❁❁❁

(1) تفسير البغوي 502/3

(2) تفسير ابن كثير 369/6

(3) النكت والعيون 365/4، وعقبة هو أبو الوليد عقبة بن أبان بن ذكوان بن أمية بن عبد شمس، من مقدّمي قريش في الجاهلية. كان شديد الأذى للمسلمين عند ظهور الدعوة، فأسروه يوم بدر وقتلوه ثم صلبوه، وهو أول مصلوب في الاسلام، هلك سنة 624 ميلادية. انظر: الأعلام للزركلي 240/4

(4) المحرر الوجيز 363/4

(5) زاد المسير 3/ 442

سورة الأحزاب

المسألة: المراد بأهل البيت في قوله تعالى:

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرًا ﴿٣٣﴾﴾ [سورة الأحزاب: 33].

أقوال المفسرين في المسألة

اختلف المفسرون في المراد بأهل بيت النبي ﷺ على أقوال:

1- إن المراد بـ (أهل البيت) أزواج النبي ﷺ. (1)

2- إن المراد بـ (أهل البيت): عليّ وفاطمة والحسن والحسين رضي الله عنهم جميعاً. (2)

3- إن الآية تشملهم جميعاً، يعني شاملة لزوجات النبي ﷺ ولعليّ وفاطمة والحسن والحسين رضي الله عنهم جميعاً.(3)

4- إن أهل البيت في الآية هم من تحرم عليهم الصدقة بعده.(4)

رأي الشيخ القنوجي في المسألة

ذكر الشيخ القنوجي أقوال المفسرين -المذكورة-في المسألة ثم رجح ما رآه راجحاً بأدلته، فقال: وقد اختلف أهل العلم في أهل البيت المذكورين في الآية.... ثم قال: وقد توسطت طائفة ثالثة بين الطائفتين فجعلت هذه الآية شاملة للزوجات ولعلي وفاطمة والحسن والحسين، أما الزوجات فلكَونهن المرادات في سياق هذه الآيات كما قدمنا، ولكونهنَ الساكنات في بيوته (- صلى الله عليه وسلم -) النازلات في منازله، ويعضد ذلك ما تقدم عن ابن عباس وغيره،(5) وأما دخول علي وفاطمة والحسن والحسين فلكونهم قرابته وأهل بيته في النسب، ويؤيد ذلك ما ذكرناه من الأحاديث المصرحة بأنهم سبب النزول،... وقد رجح هذا القول جماعة من المحققين منهم القرطبي وابن كثير وغيرهما.(6) وما ذكره القنوجي واضح في اختياره القول بأن الآية شاملة لزوجات النبي ﷺ- ولعلي

---

(1) جامع البيان للطبري 7/22، فتح القدير للشوكاني 270/4،أضواء البيان للشنقيطي 579/6.

(2) جامع البيان للطبري 5/22، أحكام القرآن لابن العربي 1538/3، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي 182/14.

(3) التفسير الكبير للفخر الرازي 168/9، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي 183/14، فتح القدير للشوكاني 272/4، روح المعاني للألوسي 19/21.

(4) فتح القدير للشوكاني 273/4، أضواء البيان للشنقيطي 579/6.

(5) وهو ما ذكره القنوجي مما أخرجه ابن أبي حاتم وابن عساكر من طريق عكرمة عن ابن عباس في الآية قال: نزلت في نساء النبي (- صلى الله عليه وسلم -) خاصة. فتح البيان 85/11

(6) فتح البيان 85/11-88

وفاطمة والحسن والحسين –رضي الله عنهم جميعاً. ويعضد ذلك ما تقدم عن ابن عباس وغيره، ويؤيد ذلك ما ذكرناه من الأحاديث المصرحة بأنهم سبب النزول، فمن جعل الآية خاصة بأحد الفريقين أعمل بعض ما يجب إعماله وأهمل ما لا يجوز إهماله، وقد رجح هذا القول جماعة من المحققين منهم القرطبي وابن كثير وغيرهما.

الدراسة

لقد اختار القول الذي ذهب إليه الشيخ القنوجي عدد كبير من المفسرين، منهم:

1- الإمام الواحدي، قال: « أهل البيت، يعني نساء النبي ﷺ ورجال أهل بيته ».(1)

2- الفخر الرازي، قال: « ثم إن الله تعالى ترك خطاب المؤنثات وخاطب بخطاب المذكرين بقــوله: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ ﴾ ليدخل فيه نساء أهل بيته ورجالهم، واختلفت الأقوال في أهل البيت، والأوْلى أن يقال: هم أولاده وأزواجه والحسن والحسين منهم وعليّ منهم لأنه كان من أهل بيته بسبب معاشرته ببنت النبي -عليها السلام- وملازمته للنبي ﷺ »(2).

3- القرطبي، قال: « والذي يظهر من الآية أنها عامة في جميع أهل البيت من الأزواج وغيرهم. وإنما قال: (**ويطهركم**) لأن رسول الله ﷺ وعليًّا وحسناً وحسيناً كان فيهم، وإذا اجتمع المذكر والمؤنث غُلّب المذكر، فاقتضت الآية أن الزوجات من أهل البيت؛ لأن الآية فيهن والمخاطبة لهن، يدل عليه سياق الكلام، والله أعلم»(3).

4- ابن جزي، قال: « وأهل بيت النبي ﷺ هم أزواجه وذريته وأقاربه كالعباس وعليّ وكل من حرمت عليه الصدقة »(4).

5- ابن كثير، قال: « وقوله تعالى ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ ﴾ هذا نص في دخول أزواج النبي ﷺ في أهل البيت ههنا لأنهن سبب نزول هذه الآية، وسبب النزول داخل فيه قولاً واحداً، إما وحده على قول أو مع غيره على الصحيح »(5).

6- الشوكاني، ذكر أقوال العلماء في الآية واستدلال كل طائفة على قولها، ثم قال: « وقد توسطت طائفة فجعلت الآية شاملة للزوجات ولعلي وفاطمة والحسن والحسين. أما الزوجات فلكونهن المرادات في

---

(1) الوجيز للواحدي 865/2

(2) التفسير الكبير للفخر الرازي 168/9

(3) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي 183/14

(4) التسهيل لابن جزي 299/3

(5) تفسير القرآن العظيم لابن كثير 483/3.

سياق الآيات؛ ولكونهن الساكنات في بيوته ﷺ النازلات في منازله. وأما دخول عليّ وفاطمة والحسن والحسين فلكونهن قرابته وأهل بيته في النسب. فمن جعل الآية خاصة بأحد الفريقين فقد أعمل بعض ما يجب إعماله وأهمل ما لا يجوز إهماله. وقد رجح هذا القول جماعة من المحققين منهم القرطبي وابن كثير وغيرهما »(1).

7-الشنقيطي، قال: «وبما ذكرنا من دلالة القرآن والسنة: تعلم أن الصواب شمول الآية الكريمة لأزواج النبي ﷺ، ولعلي وفاطمة والحسن والحسين -رضي الله عنهم- كلهم ».(2)

وممن رجح هذا القول أيضاً غير مَنْ ذكرت من أئمة التفسير، النسفي(3)، والزمخشري(4)، وأبي السعود(5)، والألوسي(6)، والقاسمي(7)، وابن عاشور(8)، وغيرهم.

وخالف هذا القول جماعة من المفسرين و اختاروا قولاً واحداً من الأقوال التي تحتملها الآية كمن يجعلها خاصة بأزواج النبي ﷺ فقط أو من يجعلها خاصة بعلي وفاطمة والحسن والحسين فقط. أو من يجعلها خاصة بمن حرموا الصدقة:

1. روي عن ابن عباس وعطاء(9) وعكرمة قالوا: هم زوجاته خاصة، لا رجل معهن؛ كما نقل ذلك عنهم الإمام القرطبي(10). بل إن عكرمة كان ينادي في السوق إن هذه الآية نزلت في نساء النبي ﷺ خاصة؛ كما نقل ذلك عنه الإمام الطبري.(11) وكان عكرمة يقول أيضاً: من شاء باهلته أنها نزلت في شأن نساء النبي ﷺ؛ نقل ذلك عنه الإمام ابن كثير.(12)

2. وردت روايات عن بعض الصحابة منهم أمهات المؤمنين أم سلمة وعائشة -رضي الله عنهما- وأبي

---

(1) فتح القدير للشوكاني 272/4، وبنصه ذكر القنوجي.

(2) أضواء البيان للشنقيطي 578/6

(3) مدارك التنزيل للنسفي 522/3

(4) الكشاف للزمخشري 522/3

(5) إرشاد العقل السليم لأبي السعود 417/4، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

(6) روح المعاني للألوسي 19/21

(7) محاسن التأويل للقاسمي 4854/13

(8) التحرير والتنوير لابن عاشور 16/22

(9) عطاء بن أبي رباح، أبومحمد القرشي مولاهم، من كبار التابعين، مفتي الحرم، قال عن نفسه: أدركت مئتين من أصحاب رسول الله ﷺ. توفي سنة (114هـ). نزهة الفضلاء 470/1

(10) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي 182/14

(11) جامع البيان للطبري 7/22

(12) تفسير القرآن العظيم لابن كثير 483/3

سعيد الخدري(1) وأنس بن مالك(2) وواثلة بن الأسقع(3) وغيرهم تدل على أن المراد بـ (أهل البيت) عليّ وفاطمة والحسن والحسين -ﷺ- جميعاً ، منها: ما روي عن أم المؤمنين أم سلمة -رضي الله عنها- قالت: «في بيتي نزلت ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ﴾ وفي البيت فاطمة وعلي والحسن والحسين، فجلّلهم رسول الله ﷺ بكساء كان عليه، ثم قال: « **هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً** ».(4)

3. وأما مَنْ قال إن أهل البيت هم من تحرم عليهم الصدقة؛ فقد روي عن زيد بن أرقم(5): أن رسول الله ﷺ قال: « **أذكركم الله في أهل بيتي** » فقيل لزيد: ومن أهل بيته؟ أليس نساؤه من أهل بيته؟ قال: نساؤه من أهل بيته، ولكن أهل بيته من حرم الصدقة بعده: آل علي وآل عقيل وآل جعفر وآل عباس.(6)

قال الإمام ابن كثير: « والأولى (أي الرواية) أولى والأخذ بها أحرى، والثانية تحتمل أنه أراد تفسير الأهل المذكورين في الحديث الذي رواه إنما المراد بهم آله الذين حرموا الصدقة، أو أنه ليس المراد بالأهل الأزواج فقط، بل هم مع آله؛ وهذا الاحتمال أرجح جمعاً بينها وبين الرواية التي قبلها وجمعاً أيضاً بين القرآن والأحاديث المتقدمة [يعني الأحاديث التي ذكرت أن أهل البيت هم علي وفاطمة والحسن والحسين -ﷺ-] إن صحّت فإن في بعض أسانيدها نظراً والله أعلم، ثم الذي لا يشك فيه من

---

(1) هو أبو سعيد سعد بن مالك بن سنان الخزرجي الأنصاري الخدري، كَانَ من حفاظ الحديث المكثرين منه، ومن العلماء الفضلاء العقلاء، وكان يلازم النبي صلى الله عليه وسلّم، روى عنه أحاديث كثيرة. وله في كتب السنة 1170 حديثاً، وغزا اثنتي عشرة غزوة، توفي في المدينة سنة 74 من الهجرة. انظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير. 6/ 138 والأعلام للزركلي. 87/3.

(2) هو أنس بن مالك الأنصاري، صحابي جليل، خادم النبي صلى الله عليه وسلم، توفي سنة 93 من الهجرة. انظر: الاستيعاب 109/1، وأسد الغابة 192/1، والإصابة 126/1.

(3) هو واثلة بن الأسقع بن كعب بن عامر، من بني ليث بن عبد مناة، أسلم قبل تبوك، وشهدها. وروى عن النبيّ صلّى اللَّه عليه وآله وسلّم، وأبي هريرة، وأم سلمة، وعنه ابنته فسيلة، وأبو إدريس الخولانيّ، ومكحول، وآخرون. وكان من أهل الصّفة، ثم نزل الشّام. وشهد فتح دمشق وحمص وغيرهما. مات في خلافة عبد الملك سنة ثلاث وثمانين، وكان ابن مائة وخمس وستّين سنة. انظر: الإصابة 462/6، رقم الترجمة: (9107).

(4) أخرجه الطبري في تفسيره 20/ 267

(5) زيد بن أرقم بن زيد الخزرجي الأنصاري، أول مشاهده الخندق، واستصغر يوم أحد، غزا مع النبي ﷺ سبع عشرة غزوة. توفي سنة (66هـ). الإصابة 560/1.

(6) أخرجه الإمام أحمد في مسنده 11/32، رقم الحديث: (19265)، وقال محققه: إسناده على شرط مسلم.

تدبّر القرآن أن نساء النبي ﷺ داخلات في قولـه تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ فإن سياق الكلام معهن »(1).

التعليق

الذي يظهر لي -والله أعلم- أن ما ذهب إليه القنوجي ومن اختار الرأي الموافق لما ذهب إليه من أن الآية شاملة لأزواج النبي ﷺ ولعلي وفاطمة والحسن والحسين-رضي الله عنهم- أجمعين، هو الراجح؛ لأمور:

1- كون سياق الآيات في أزواج النبي ﷺ يدل على أن الآيات نازلة فيهن، والقاعدة الترجيحية تقول: (**القول الذي تؤيده قرائن في السياق مرجح على ما خالفه**) (2)

2- وقد أجمع جمهور علماء الأصول على أن صورة سبب النزول قطعية الدخول فلا يصح إخراجها بمخصص،(3) وأشار إلى أنهن سبب النزول الإمام ابن كثير،(4) بل إن الشيخ الشنقيطي وهو من علماء الأصول اتبع هذه القاعدة من الترجيح في عدد من آيات القرآن الكريم.(5)

3- عبّر في الآية بضمير الذكور في (عنكم - يطهركم) مع أن ما قبلها وما بعدها ضمائر مؤنثة وخطاب لزوجات النبي ﷺ، وفي هذا دليل على شمول الآية لزوجات النبي ﷺ ولعلي ولفاطمة والحسن والحسين من وجوه:

أ- أنه أجمع أهل اللسان العربي على تغليب الذكور على الإناث في الجموع.(6)

ب- أن من أساليب اللغة العربية التي نزل بها القرآن أن زوجة الرجل يطلق عليها اسم الأهل، وباعتبار لفظ الأهل تخاطب مخاطبة الجمع المذكر، ومنه قولـه تعالى في موسى ﴿ فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ ﴾ [سورة طه: 10]. وقوله ﴿ سَغَاتِيكُم ﴾ [سورة النمل: 7]، وقوله: ﴿ لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم ﴾ [القصص:29] والمخاطب امرأته.(7)

---

(1) تفسير القرآن العظيم لابن كثير 486/3

(2) انظر: مقدمة أضواء البيان 12/1، و الجامع لأحكام القرآن 291/3، وقواعد الترجيح للحربي299/1

(3) أضواء البيان للشنقيطي 577/6

(4) تفسير القرآن العظيم لابن كثير 483/3

(5) أضواء البيان للشنقيطي124/1، 588/3، 209/5، 77/6

(6) أضواء البيان للشنقيطي 578/6

(7) أضواء البيان للشنقيطي 579/6

4- قال الإمام ابن كثير -بعد أن أورد الرواية الواردة عن عكرمة -رحمه الله- « فإن كان المراد أنهن كن سبب النزول دون غيرهم فصحيح، وإن أريد أنهن المراد فقط دون غيرهن ففي هذا نظر، فإنه قد وردت أحاديث تدل على أن المراد أعم من ذلك ».(1)

5- الحديث الوارد عن أم سلمة بروايات متعددة وألفاظ متقاربة، والتي منها على سبيل المثال أن أم سلمة قالت: لما نزلت هذه الآية ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ ﴾ دعا رسول الله ﷺ علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً فجعل عليهم كساء خيبرياً، فقال **اللهم هؤلاء أهل بيتي اللهم أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً**، قالت أم سلمة ألست منهم، قال أنت إلى خير.(2) فهذا الحديث وأمثاله جمع العلماء بينه وبين الآية، من ذلك:

أ- قال الألوسي: « ما أجاب به النبي ﷺ أم سلمة وعدم إدخالها في بعض المرات تحت الكساء ليس لأنها ليست من أهل البيت أصلاً بل لظهور أنها منهم، حيث كانت من الأزواج اللاتي يقتضي سياق الآية دخولهن فيهم».(3)

ب- قال ابن عاشور بعد أن أورد الحديث المذكور بروايتين عن أم سلمة، وعن عائشة -رضي الله عنهما-: « فمجمله أن النبي ﷺ ألحق أهل الكساء بحكم هذه الآية وجعلهم أهل بيته كما ألحق المدينة بمكة في حكم الحرمية بقوله: « **إن إبراهيم حرّم مكة وإني أحرّم ما بين لابتيها**»(4)، ثم يتابع ابن عاشور كلامه إلى أن يقول: « وبهذا يتضح أن أزواج النبي ﷺ هن آل بيته بصريح الآية، وأن فاطمة وابنيها وزوجها مجعولون أهل بيته بدعائه أو بتأويل الآية على محاملها. ولذلك هم أهل بيته بدليل السنة »(5).

والله أعلم بالصواب.

۞ ۞ ۞

---

(1) ثم سرد بعد ذلك الروايات بمختلف طرقها الدالة على دخول علي وفاطمة والحسن والحسين -ﷺ- في (أهل البيت)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير 3/483-486

(2) جامع البيان للطبري 22/5-7

(3) روح المعاني للألوسي 21/15

(4) أخرجه البخاري، فتح الباري 6/407 رقم الحديث (3367)، ومسلم في صحيحه بشرح النووي 9/135 في كتاب الحج، باب فضل المدينة ودعاء النبي ﷺ فيها بالبركة.

(5) التحرير والتنوير لابن عاشور 22/15-16. بتصرف.

المسألة: المراد بقوله ﴿ وَتُخۡفِي فِي نَفۡسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبۡدِيهِ ﴾

قولـه تعالى: ﴿ وَتُخۡفِي فِي نَفۡسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبۡدِيهِ ﴾ [سورة الأحزاب: 37].

أقوال المفسرين في معنى الآية

1- أن ما أخفاه الرسول ﷺ هو محبة فراق زيد بن حارثة(1) لزينب بنت جحش ليتزوجها هو ﷺ إن فارقها زيد(2).

2- أن ما أخفاه الرسول ﷺ هو ما أعلمه الله ﷻ به من أن زيداً سيطلقها ويتزوجها هو ﷺ بتزويج الله ﷻ إياها لـه ﷺ(3).

رأي الشيخ القنوجي

وأصح ما في هذا الباب... إن الله قد أعلمه أنها ستكون من أزواجه، وإن زيداً سيطلقها؛ فلما جاء زيد وقال: إني أريد أن أطلقها، قال له: أمسك عليك زوجك، فعاتبه الله تعالى، وقال: لم قلت أمسك عليك زوجك؟ وقد أعلمتك أنها ستكون زوجتك.... **وهذا هو الأولى والأليق بحال الأنبياء وهو مطابق للتلاوة.**(4) إذاً، الراجح عند القنوجي هو القول الثاني الذي يقول إن ما أخفاه الرسول ﷺ هو ما أعلمه الله ﷻ به من أن زيداً سيطلقها ويتزوجها هو ﷺ.

الدراسة

لقد وافق الشيخ القنوجي في هذا القول جماعة من المفسرين منهم:

1- الإمام البغوي بعد أن أورد رواية على بن الحسين في بيان معنى الآية، قال: «وهذا هو الأولى والأليق بحال الأنبياء وهو مطابق للتلاوة؛ لأن الله علم أنه يبدي ويظهر ما أخفاه، ولم يظهر غير تزويجها منه، فقال (**زوجناكها**)، فلو كان الذي أضمره رسول الله ﷺ محبتها أو إرادة طلاقها لأظهر ذلك لأنه لا يجوز أن يخبر أنه يظهره ثم يكتمه فلا يظهره، فدل على أنه إنما عوتب على إخفاء ما أعلمه الله أنها ستكون زوجة لـه ».(5)

---

(1) هو زيد بن حارثة بن شراحيل الكعبي، زوّجه النبي صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش، وهي بنت عمته، وزوّجه قبل ذلك مولاته أم أيمن، فولدت له أسامة، وهو أول من أسلم من الموالي، شهد بدرا وما بعدها، واستشهد في غزوة مؤتة وهو ابن خمس وخمسين سنة، وكان أميراً، ولم يقع في القرآن تسمية أحد باسمه إلا هو. انظر: الإصابة 494/2، رقم الترجمة: (2897).

(2) جامع البيان للطبري 10/22، الوجيز للواحدي 866/2، الكشاف للزمخشري 524/3

(3) أحكام القرآن للجصاص 472/3، أحكام القرآن لابن العربي 1541/3، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي 190/14

(4) فتح البيان 95/11

(5) مختصر البغوي 748/2

2- ابن العربي، قال في المسألة الثالثة تحت تفسيره للآية: « يعني من نكاحك لها، فقد كان الله ﷻ أعلمه بأنها تكون من أزواجه ».(1)

3- القاسمي، قال: « **(وتخفي)** أي تضمر **(في نفسك ما الله مبديه)** أي من الحكم الذي شرعه. أي تقول ذلك وأنت تعلم أن الطلاق لابد منه، وأن لا منتدح عن امتثال أمر الله ﷻ بنفسك، لتكون أسوة لمن معك ولمن يأتي بعدك ».(2)

4-الشنقيطي، قال: أن المراد به زواجه ﷺ زينب بنت جحش -رضي الله عنها-، حيث أوحي إليه ذلك وهي في ذلك الوقت تحت زيد بن حارثة؛ لأن زواجه إياها هو الذي أبداه الله تعالى بقوله: ﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا ﴾ [سورة الأحزاب: 37]، وهذا هو التحقيق في معنى الآية الذي دل عليه القرآن،وهو اللائق بجنابه ﷺ.(3)

وممن اختار هذا القول أيضاً الإمام الجصاص(4)، والمراغي(5)، ابن عاشور(6) وغيرهم، و نسبه الإمام القرطبي إلى عدد من أعلام أئمة التفسير،(7) بل قد عزاه الألوسي(8) إلى الجمهور.

و خالفهم في ذلك آخرون، منهم:

1- الطبري -بعد أن أورد الآية- قال: «وتخفي في نفسك محبة فراقه إياها لتتزوجها إن هو فارقها».(9)

2- الزمخشري، قال: « فإن قلت: ما الذي أخفى في نفسه؟ قلت: تعلق قلبه بها »(10).

وممن قال به أيضاً من أئمة التفسير الواحدي(11)، وأبوالسعود(12)، والبيضاوي(1)، والسعدي(2).

---

(1) أحكام القرآن لابن العربي 1541/3

(2) محاسن التأويل للقاسمي 4865/13

(3) أضواء البيان للشنقيطي 580/6-583

(4) أحكام القرآن للجصاص 472/3

(5) تفسير المراغي 14/22 وهو: أحمد بن مصطفى المراغي، مفسّر من علماء مصر، من كتبه: (تفسير المراغي). توفي سنة (1371هـ). الأعلام 258/1

(6) التحرير والتنوير لابن عاشور 31/22

(7) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي 190/14-191

(8) روح المعاني للألوسي 24/11

(9) جامع البيان للطبري 10/22

(10) الكشاف للزمخشري 524/3

(11) الوجيز للواحدي 866/2

(12) إرشاد العقل السليم لأبي السعود 420/4

التعليق

الذي يظهر أن الراجح في معنى الآية هو ما ذهب إليه الشيخ القنوجي ومن اختار القول الموافق لـه، من أن ما أخفاه ﷺ هو ما أعلمه الله ﷻ أن زيداً سيطلق زينباً ثم تكون إحدى نسائه بتزويج الله -جل وعلا- إياها لـه ﷺ. وذلك لوجوه:

1- أنه من باب تفسير القرآن بالقرآن، الذي هو أحسن طرق التفسير وأعلاها،(3) وقد دلّ سياق الآية على هذا المعنى، والترجيح بدلالة السياق من القواعد المهمة في الترجيح عند المفسرين.(4)

2- أن هذا القول هو اختيار الجمهور، كما حكاه الألوسي أن هذا هو قول الجمهور.

3- أن اختيار هذا المعنى هو الأولى والأليق بحال النبي ﷺ وحال الأنبياء عموماً عليهم صلوات الله وسلامه،(5) وذلك لأن القول الذي يعظّم مقام النبوة ولا ينسب إليها ما لا يليق بها أولى بتفسير الآية، وهذه قاعدة مهمة قررها وعمل بها عدد من أئمة التفسير؛ منهم: الإمام القرطبي(6)، والطبري(7)، والشنقيطي(8)، وغيرهم(9).

4- أن تزويج النبي ﷺ زينب بنت جحش لم يكن لقضاء شهوة النبي ﷺ بل « لبيان الشريعة بفعله، فإن الشرع يستفاد من فعل النبي ﷺ وقوله »(10)، « ولقد شاء الله ﷻ أن يحمل نبيه ﷺ -فيما يحمل من أعباء الرسالة- مؤنة إزالة آثار نظام التبني، فيتزوج من مطلقة متبناه زيد بن حارثة، ويواجه المجتمع بهذا العمل، الذي لا يستطيع أحد أن يواجه المجتمع به على الرغم من إبطال عادة التبني في ذاتها، فكان زواج النبي ﷺ بأمر من الله ﷻ هو الذي قرر هذه القاعدة

---

(1) أنوار التنزيل للبيضاوي 132/2

(2) تيسير الكريم الرحمن ص 665 للعلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى 1420هـ -2000 م

(3) شرح مقدمة التفسير لابن عثيمين ص127، دار الوطن، الرياض، الطبعة الأولى، 1415 هـ - 1995 م

(4) قواعد الترجيح عند المفسرين لحسين الحربي 125/1: المبحث الثاني قواعد الترجيح المتعلقة بالسياق القرآني، المطلب الأول: إدخال في معاني ما قبله وما بعده أولى من الخروج به عنهما إلا بدليل يجب التسليم لـه. وكذلك قواعد التفسير لخالد السبت 110/1 دار ابن عفان، الطبعة الأولى، 1421هـ، أقسام البيان من جهة الاتصال وعدمه، الأول: البيان المتصل.

(5) مختصر البغوي 748/2، أضواء البيان للشنقيطي 580/6

(6) الجامع لأحكام القرآن 191/14

(7) جامع البيان للطبري 63/17

(8) أضواء البيان للشنقيطي 538/4

(9) قواعد الترجيح عند المفسرين لحسين الحربي 328/1-343

(10) التفسير الكبير للفخر الرازي 170/9

»(1)، وبهذا يتبين « أن الذي كان يخفيه في نفسه ﷺ هو ذلك الأمر الإلهي الصادر إليه، بأن يهدم تلك العادة المتأصلة في نفوس العرب، وأن يتناول المِعْوَل لهدمها بنفسه، كما قدر لـه أن يهدم أصنامهم بيده لأول مرة عند فتح مكة »(2).

۞ ۞ ۞

المسألة: المراد بالأمانة في قوله تعالى:

﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ ﴾ [الأحزاب: ٧٢]

الأقوال الواردة في معنى الأمانة في الآية

فيها عدة أقوال للمفسرين منها:

1. أن هذه الأمانة هي ما أمر الله سبحانه من طاعته ونهى عن معصيته.
2. هي ائتمان الرجال والنساء على الفروج.
3. أن المراد بها: غسل الجنابة.
4. أنها الأمانات التي يأتمن الناس بعضهم بعضاً.
5. أن المراد منها: العقل.
6. أن هذه الأمانة هي ما أودعه الله في السموات والأرض والجبال والخلق من الدلائل على ربوبيته أن يظهرونها فأظهروها إلا الإنسان فإنه كتمها وجحدها.(3)

رأي القنوجي

قال القنوجي: واختلف في تفسير الأمانة المذكورة هنا، فقال الواحدي: معنى الأمانة ههنا في قول جميع المفسرين: الطاعة والفرائض التي يتعلق بأدائها الثواب وبتضييعها العقاب، قال القرطبي: الأمانة تعم جميع وظائف الدين على الصحيح من الأقوال وهو قول الجمهور، ثم ذكر أقوالاً أخرى ونقل الروايات الواردة فيها عن الصحابة والتابعين ثم قال: **والراجح ما قدمناه** عن الجمهور وما عداه فلا يخلو عن ضعف لعدم وروده على المعنى العربي، ولا انطباقه على ما يقتضيه الشرع، ولا موافقته

---

(1) في ظلال القرآن لسيد قطب 2868/5

(2) محاسن التأويل للقاسمي 4875/13 نقلاً عن مقالة للشيخ الأستاذ/ محمد عبده، مفتي مصر في وقته، والمقال مطبوع ضمن كتاب بعنوان: تفسير سورة الفاتحة وست سور من خواتيم القرآن، تأليف السيد: محمد رشيد رضا. والمقال المعني موجود تحت فصل بعنوان: أثارات للأستاذ الإمام، الإثارة الرابعة: مسألة زيد وزينب - أو إبطال التبني وتفسير الآيات في ذلك، ص145-152

(3) النكت والعيون 428/4، وانظر أيضاً: فتح البيان 11/ 153-155

لما تقتضيه التعريف بالأمانة.(1) إذاً، يرى الشيخ القنوجي أن المراد بالأمانة في هذه الآية هو: الطاعة والفرائض التي يتعلق بها الثواب والعقاب، وما تعم جميع وظائف الدين.

الدراسة

1. ذهب جمهور المفسرين –كما ذكر القنوجي- إلى ما ذهب إليه القنوجي، ومن المفسرين الذين قالوا بمثل ما قاله القنوجي:

2. الطبري: قال: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب ما قاله الذين قالوا: إنه عُنِي بالأمانة في هذا الموضع: جميع معاني الأمانات في الدين وأمانات الناس وذلك أن الله لم يخص بقوله (**عَرَضْنَا الأَمَانَةَ**) بعض معاني الأمانات لما وصفنا.(2)

3. القرطبي: قال: والأمانة تعم جميع وظائف الدين على الصحيح من الأقوال، وهو قول الجمهور.(3)

4. ابن جزي: قال: الأمانة هي التكاليف الشرعية من التزام الطاعات وترك المعاصي، وقيل: هي الأمانة في الأموال، وقيل: غسل الجنابة، والصحيح العموم في التكاليف. (4)

5. الواحدي: قال: {**إنا عرضنا الأمانة**} الفرائض التي افترض الله سبحانه على العباد وشرط عليهم أن من أداها جوزي بالإحسان ومن خان فيها عوقب. (5)

6. أبو حيان: قال: الظاهر أنها كل ما يؤتمن عليه من أمر ونهي وشأن دين ودنيا. والشرع كله أمانة، وهذا قول الجمهور. (6)

7. البغوي: قال: وأراد بالأمانة الطاعة والفرائض التي فرضها الله على عباده، عرضها على السماوات والأرض والجبال على أنهم إن أدوها أثابهم وإن ضيعوها عذبهم.... ثم قال: وهو الأصح.(7)

8. الخازن: ذكر هذا القول أولاً ثم ذكر بقية الأول ثم قال: والقول الأول أصح وهو قول العلماء.(8)

9. الألوسي: قال: وأقرب الأقوال المذكورة للقبول القول بأنها الفرائض أي من فعل وترك.(9)

---

(1) فتح البيان 11/ 153-155

(2) تفسير الطبري 342/20

(3) تفسير القرطبي 253/14

(4) التسهيل لابن جزي 160/2

(5) الوجيز للواحدي ص 875

(6) البحر المحيط 509/8

(7) تفسير البغوي 668/3

(8) تفسير الخازن 439/3

(9) تفسير الألوسي 272/11

10. وبنصه ذكر الشوكاني،(1) وهو قول جمهور المفسرين كما نقل الإمام القرطبي وابن عطية(2) والقنوجي وغيرهم.

ولم أعثر على أحد ممن كتب في التفسير أنه رجح غير ما رجحه القنوجي، غير أن بعض المفسرين ذكروا الأقوال من غير أن يرجحوا قولاً من الأقوال مثل الماوردي(3) وابن الجوزي.(4) رحمهم الله جميعاً.

التعليق

والراجح هو ما ذهب إليه الجمهور –ومنهم القنوجي-وذلك أنه أعم الأقوال وأوسعها، وهو المناسب بالآية، والأقوال الأخرى كلها تدخل تحت هذا القول، والقاعدة الترجيحية تقول: **إن العام يبقى على عمومه ما لم يرد ما يخصصه**، و (ال) في لفظ (الأمانة) تستغرق جميع أنوع الأمانات بلا استثناء.

والله أعلم بالصواب

۞۞۞

سورة سبأ

المسألة: المراد بقوله: ﴿أَرُونِيَ﴾

قولـه تعالى: ﴿ قُلۡ أَرُونِيَ ٱلَّذِينَ أَلۡحَقۡتُم بِهِۦ شُرَكَآءَ كَلَّاۚ ﴾ [سورة سبأ: 27].

الأقوال الواردة في معنى الآية

1- المراد بالرؤية في لفظ (**أروني**) رؤية بصرية.(5)

2- أن يراد بها رؤية عِلْمية (6)، وقيل: قلبية(7)، وهما بمعنى واحد.

---

(1) فتح القدير 354/4

(2) المحرر الوجيز 4/ 402

(3) النكت والعيون 428/4

(4) زاد المسير 3/ 487

(5) أضواء البيان للشنقيطي 622/6

(6) مختصر البغوي 762/2، والمحرر الوجيز لابن عطية 187/12

(7) أضواء البيان الشنقيطي 622/6

رأي القنوجي

قال القنوجي: وهذه الرؤية هي القلبية فيكون شركاء هو المفعول الثالث.(1) فقد رجح القنوجي القول الثاني على أن الرؤية قلبية.

الدراسة

وممن رجّح القول بأن الرؤية (عِلْمية قلبية)، يعني: أروني بالحجة والبرهان ماذا خلقت هذه الأصنام وكيف استحقت عبادتكم لها، قال بذلك من المفسرين:

1- الإمام البغوي: ﴿ قُلۡ أَرُونِيَ ٱلَّذِينَ أَلۡحَقۡتُم بِهِۦ شُرَكَآءَ ﴾ أي أعلموني الذين ألحقتموهم به أي بالله ﷻ شركاء في العبادة معه هل يخلقون ويرزقون.(2)

2- ابن عطية: «وقوله تعالى (**قل أروني**) يحتمل أن تكون رؤية قلب، فيكون قولـه (**شركاء**) مفعولاً ثالثاً، وهذا هو الصحيح، أي أروني بالحجة والدليل كيف وجه الشركة »(3).

3- القرطبي: «يكون (**أروني**) هنا من رؤية القلب، فيكون (**شركاء**) المفعول الثالث، أي عرفوني الأصنام والأوثان التي جعلتموها شركاء لله ﷻ، وهل شاركت في خلق شيء، فبينوا ما هو؟ وإلا فلِمَ تعبدونها »(4).

4- أبوحيان: «... الظاهر أن أرى هنا بمعنى أعلم، فيتعدى إلى ثلاثة: الضمير للمتكلم هو الأول، والذين الثاني، وشركاء الثالث، أي أروني بالحجة والدليل كيف وجه الشركة، وهل يملكون مثقال ذرة أو يرزقونكم؟ »(5).

5- المحلي: « (**قل أروني**) أعلموني (**الذين ألحقتم به شركاء**) في العبادة »(6).

6- الشوكاني: « ﴿ قُلۡ أَرُونِيَ ٱلَّذِينَ أَلۡحَقۡتُم بِهِۦ شُرَكَآءَ ﴾ أي أروني الذي ألحقتموهم بالله ﷻ شركاء لـه،وهذه الرؤية هي القلبية، فيكون (شركاء) هو المفعول الثالث؛ لأن الفعل تعدّى بالهمزة إلى ثلاثة: الأول: الياء في (**أروني**)، والثاني: الموصول، والثالث: (**شركاء**) »(7).

---

(1) فتح البيان 193/11

(2) مختصر البغوي 762/2

(3) المحرر الوجيز لابن عطية 187/12

(4) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي 300/14

(5) البحر المحيط لأبي حيان 548/8

(6) تفسير الجلالين ص 361

(7) فتح القدير للشوكاني 316/4

وبألفاظ ومعانٍ مقاربة للأقوال المذكورة جاء كلام كل من الإمام ابن الجوزي(1)، وابن جزي(2)،والبيضاوي(3)، والبقاعي(4)، والمراغي(5)، والسعدي(6).

وخالفهم في ذلك آخرون فقالوا إن المراد من الرؤية هي البصرية، ومنهم:

1- الإمام الطبري: « ﴿ قُلۡ أَرُونِيَ ٱلَّذِينَ أَلۡحَقۡتُم بِهِۦ شُرَكَآءَ كَلَّاۚ ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيّه ﷺ، قل يا محمد لهؤلاء المشركين بالله الآلهة والأصنام أروني أيها القوم الذين ألحقتموهم بالله فصيرتموهم لـه شركاء في عبادتكم إياها »(7).

1- النسفي: « ومعنى قولـه (**أروني**) وكان يراهم؛ أن يريهم الخطأ العظيم في إلحاق الشركاء بالله وأن يطلعهم على حالة الإشراك به ». (8)

3- ابن كثير: « ﴿ قُلۡ أَرُونِيَ ٱلَّذِينَ أَلۡحَقۡتُم بِهِۦ شُرَكَآءَ كَلَّاۚ ﴾ أي: أروني هذه الآلهة التي جعلتموها لله أنداداً وصيرتموها لـه عدلا (**كلا**) أي ليس لـه نظير ولا نديد ولا شريك ولا عديل (**بل هو الله**) أي الواحد الأحد الذي لا شريك لـه ».(9)

4- ابن عاشور: « والأمر في قولـه (**أروني**) مستعمل في التعجيز، وهو تعجيز للمشركين عن إبداء حجة لإشراكهم... والإراءة هنا من الرؤية البصرية فيتعدى إلى مفعولين: أحدهما بالأصالة والثاني بهمزة التعدية. والمقصود: أروني شخوصهم لنبصر هل عليها ما يناسب صفة الإلهية، أي أن كل من يشاهد الأصنام بادئ مرة يتبيّن لـه أنها خليّة عن صفات الإلهية إذ يرى حجارة لا تسمع ولا تبصر ولا تفقه؛ لأن انتفاء الإلهية عن الأصنام بديهي ولا يحتاج إلى أكثر من رؤية حالها ».(10)

---

(1) زاد المسير لابن الجوزي 236/6

(2) التسهيل لابن جزي 328/3

(3) أنوار التنزيل للبيضاوي 1409/2

(4) نظم الدرر للبقاعي 502/15

(5) تفسير المراغي 82/22

(6) تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص680

(7) جامع البيان للطبري 66/22

(8) مدارك التنزيل للنسفي 246/3

(9) تفسير القرآن العظيم لابن كثير 538/3

(10) التحرير والتنوير لابن عاشور 196/22

5- الشنقيطي، قال: والأظهر في قولـه ﴿ قُلۡ أَرُونِيَ ٱلَّذِينَ أَلۡحَقۡتُم بِهِۦ شُرَكَآءَ ﴾ في هذه الآية هو ما ذكرنا من أن الرؤية بصرية، وعليه فقوله (**شركاء**) حال. وقال بعض أهل العلم: إنها من: رأى؛ العِلْمية، وعليه (**شركاء**) مفعول ثالث لأروني ».(1)

وبنحو عبارة من ذكرت جاء قول كل من الواحدي(2)، والزمخشري.(3)

التعليق

الذي يظهر -والله أعلم- صحة حمل لفظ (**أروني**) على كلا المعنيين المذكورين عن المفسرين، فإن كل فريق رجّح ما رجّحه في ضوء الحكمة المستنبطة من المعنى الذي ذهب إليه، وتوضيح ذلك:

1- أن المرجحين لكون الرؤية يراد بها العلم والمعرفة القلبية؛ ذكروا أنه لا داعي لرؤية الأصنام والأوثان بحاسة البصر؛ لأنها معروفة عند النبي ﷺ وكان يشاهدها، فلابد أن يراد بـ (**أروني**) -حسب ترجيحهم- أي أعلموني ماذا خلقت هذه الأصنام والأوثان في هذه الحياة، وبأي شيءٍ وصفةٍ استحقت منكم أن تعبدوها، فإن هذه الأصنام نكرة لا تعرف بقلب ولا تدل عليها فطرة وهذا فيه زيادة تبكيت لهم، كما ذكر ذلك البقاعي.(4)

2- والمرجحين لكون الرؤية بالبصر، ذكروا أن الحكمة من هذه الإراءة أن يريهم الخطأ الشنيع الذين وقعوا فيه بإلحاق الشركاء بالله ﷻ، فإنهم عندما يُحضروا الأصنام ويشاهدها الجمع؛ يفتضح أمر المشركين ويظهر لكل عاقل برؤيتها بطلان عبادة ما لا ينفع ولا يضر، فإحضارها والكلام فيها وهي مشاهدة أبلغ من الكلام فيها وهي غائبة.(5)

3- ردّ الشهاب في حاشيته على البيضاوي على تضعيف ابن عطية للرؤية البصرية، بأن الرؤية ليست لمجرد الرؤية، إنما من أجل توبيخ المشركين على فعلهم، واعتبر أن الصحيح حمل الرؤية على كلا المعنيين، البصرية والعِلْمية، وقال بأن « من قصره على أحدهما فقد قصّر ».(6)

---

(1) أضواء البيان الشنقيطي 622/6

(2) الوجيز للواحدي 884/2

(3) الكشاف للزمخشري 565/3

(4) نظم الدرر للبقاعي 502/15

(5) فتح البيان للقنوجي 193/11، أضواء البيان للشنقيطي 622/6

(6) حاشية الشهاب 202/7

4- ثم إن جمهور الأصوليين قالوا بتجويز عموم المشترك،(1) ويمكن حمل هذه الآية عليه أيضاً. والله أعلم بالصواب.

۞ ۞ ۞

المسألة: المراد بقوله تعالى: ﴿وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ﴾

قولـه تعالى: ﴿ وَقَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦ وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾ ﴾ [سورة سبأ: 52].

الأقوال الواردة في معنى الآية

1- (وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ) أي كيف لهم تناول ما بَعدُ عنهم وهو الإيمان والتوبة، وقد كان قريباً في الدنيا فضيعوه (2).

2- (وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ) الرجوع إلى الدنيا(3).

رأي القنوجي

قال القنوجي: والمعنى: كيف لهم أن يتناولوا الإيمان من بعد يعني في الآخرة، وقد تركوه في الدنيا. (4) هنا وإن لم يصرح القنوجي بأنه هو الراجح لكنه ذكره أولاً وبصيغة الجزم، وذكر الأقوال الأخرى بصيغة التمريض.

الدراسة

و وافق الشيخ القنوجي جماعة من المفسرين في ذلك، ومنهم:

1- الإمام النيسابوري: « (وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ) التناول. ناوشته: أخذته من بعيد، والمراد: الإيمان والتوبة. أي كيف التناول من بعيد لما كان قريباً فلم يتناولوه »(5).

2- القرطبي: « قولـه تعالى (وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ) يقول: أنى لهم تناول الإيمان في الآخرة وقد كفروا في الدنيا »(6).

---

(1) الوجيز في أصول الفقه للدكتور محمد مصطفى الزحيلي 81/2، دار الخير للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق – سوريا الطبعة: الثانية، 1427 هـ - 2006 م

(2) مختصر البغوي 765/2

(3) البحر المحيط لأبي حيان 566/8 نقله عن ابن عباس -رضي الله عنهما-

(4) فتح البيان 212/11

(5) إيجاز البيان للنيسابوري 135/2

(6) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي 316/14

3- الخازن: « (وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ)أي والمعنى كيف لهم تناول ما بَعُد عنهم وهو الإيمان والتوبة وقد كان قريباً منهم في الدنيا فضيعوه »(1).

4- ابن كثير: « ﴿ وَقَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦ ﴾ أي يوم القيامة يقولون آمنا بالله وملائكته وكتبه ورسله، كما قال تعالى: ﴿ وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلۡمُجۡرِمُونَ نَاكِسُواْ رُءُوسِهِمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ رَبَّنَآ أَبۡصَرۡنَا وَسَمِعۡنَا فَٱرۡجِعۡنَا نَعۡمَلۡ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿١٢﴾ ﴾[سورة السجدة: 12]، ولهذا قال تعالى: (وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ) أي كيف لهم تعاطي الإيمان وقد بعدوا عن محل قبوله منهم وصاروا إلى الدار الآخرة وهي دار الجزاء لا دار الابتلاء، فلو كانوا آمنوا في الدنيا لكان ذلك نافعهم ولكن بعد مصيرهم إلى الدار الآخرة لا سبيل لهم إلى قبول الإيمان؛ كما لا سبيل إلى حصول الشيء لمن يتناوله من بعيد »(2).

5- أبوالسعود: « (وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ) التناوش التناول السهل أي ومن أين لهم أن يتناولوا الإيمان تناولاً سهلاً ﴿ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴾ فإنه في حيز التكليف وهم منه بمعزل بعيد، وهو تمثيل حالهم في الاستخلاص بالإيمان بعد ما فات عنهم وبَعُد بحال من يريد أن يتناول الشيء من غلوة(3) تناوله من ذراع في الاستحالة »(4).

6- الشوكاني: « والمعنى كيف لهم أن يتناولوا الإيمان من بعد، يعني في الآخرة وقد تركوه في الدنيا »(5).

7- السعدي: « ﴿ وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ ﴾ أي: تناول الإيمان (مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ) قد حيل بينهم وبينه، وصار من الأمور المحالة في هذه الحالة، فلو أنهم آمنوا وقت الإمكان، لكان إيمانهم مقبولاً »(6).

8- سيد قطب: « (وَقَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦ).. الآن بعد فوات الأوان.. (وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ). وكيف يتناولون الإيمان من مكانهم هذا. ومكان الإيمان بعيد عنهم فقد كان ذلك في الدنيا، فضيّعوه. ﴿وَقَدۡ كَفَرُواْ بِهِۦ مِن قَبۡلُ﴾ [سبأ: ٥٣]،... فانتهى الأمر، ولم يعد لهم أن يحاولوه اليوم »(7).

---

(1) لباب التأويل للخازن 245/5.

(2) تفسير القرآن العظيم لابن كثير 544/3.

(3) غلوة: يراد بها مرمي السهم، القاموس المحيط ص 1700 باب الواو والياء - فصل الغين.

(4) إرشاد العقل السليم لأبي السعود 467/4

(5) فتح القدير للشوكاني 325/4

(6) تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص684

(7) في ظلال القرآن لسيد قطب 2916/5

9-الشنقيطي، قال: والمعنى:أنه يستبعد كل الاستبعاد ويبعد كل البعد أن يتناول الكفار الإيمان النافع في الآخرة بعدما ضيعوا ذلك وقت إمكانه في دار الدنيا. وقيل: الاستبعاد لردهم إلى الدنيا مرة أخرى ليؤمنوا، والأول أظهر، »(1).

وبنحو ذلك قال كل من الإمام ابن الجوزي(2) وأبي حيان(3)، والمحلي(4)، والألوسي(5).

ولم أجد أحداً من المفسرين رجّح قولاً مخالفاً إلا أن من المفسرين من جعل القولين مترابطين بشدة، واعتبرهما بمجموعهما بياناً لمعنى الآية؛ كالإمام الطبري... حيث قال: « وقالوا آمنا بالله في حين لا ينفعهم قيلُ ذلك، فقال الله ﴿ وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ ﴾ أي وأين لهم التوبة والرجعة أي قد بعدت عنهم فصاروا منها كموضع بعيد أن يتناولوها، وإنما وصف ذلك الموضع بالبعيد لأنهم قالوا ذلك في القيامة، فقال الله أنى لهم بالتوبة المقبولة، والتوبة المقبولة إنما كانت في الدنيا، وقد ذهبت الدنيا فصارت بعيداً من الآخرة »(6).

أما النسفي(7)، وابن جزي(8) فقد جعلا القولين محتملان على التخيير بلفظ (أو) و (قيل).

التعليق

يظهر من خلال ما سبق -والله أعلم- أن الراجح هو ما ذهب إليه الشيخ القنوجي ومن قال بنحو قولـه، يدل على ذلك ما يأتي:

1- ما تضمنته هذه الآية الكريمة من أن الكفار يؤمنون يوم القيامة عند معاينتهم العذاب وأن هذا الإيمان لا ينفعهم لفوات وقته وقد كان وقته في الدنيا؛ هذا المعنى قد دلت عليه آيات أخرى من القرآن الكريم... منها قولـه تعالى: ﴿ يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُواْ لَنَآ أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ قَدْ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ﴾ [سورة الأعراف: 53]، فهذه الآية دلت على أن الكفار يؤمنون يوم القيامة بأن ما جاءت به الرسل حق، ولكن

---

(1) أضواء البيان للشنقيطي 629/6

(2) زاد المسير لابن الجوزي 243/6

(3) البحر المحيط لأبي حيان 566/8

(4) تفسير الجلالين ص 363

(5) روح المعاني للألوسي 158/22

(6) جامع البيان للطبري 74/22

(7) مدارك التنزيل للنسفي 253/3

(8) التسهيل لابن جزي 334/3

هذا لا ينفعهم ﴿ قَدْ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾.. ومنها قولـه تعالى: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُواْ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ [سورة السجدة: 12]، الكفار يوم القيامة يبصروا بأعينهم ويسمعوا بآذانهم فيعلنوا بأنهم (مُوقِنُونَ)، ولكن لا فائدة من يقينهم هذا، فلقد (**حق القول**) وكان بإمكانهم أن يؤمنوا ويوقنوا وهم في الدنيا.. ومنها قولـه تعالى: ﴿ قَالُواْ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ﴿١١﴾ ﴾ [سورة غافر: 11] يعترف الكفار يوم القيامة بأنهم كانوا في الدنيا مخطئين مذنبين، ولكن لا ينفعهم هذا الاعتراف.. فهذه الآيات وغيرها دلت على ما تضمنه قولـه تعالى: ﴿ وَقَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦ وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾ ﴾ [سورة سبأ: 52] وهو من قبيل تفسير القرآن بالقرآن(1).

2- سياق الآية يدل على المعنى الراجح، ففي بداية الآية قولـه تعالى (وَقَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦ) فإنهم لما عاينوا العذاب ورأوه بأعينهم وسمعوه بآذانهم؛ آمنوا وأعلنوا استسلامهم وتصديقهم، فناسب أن يكون ختام الآية رداً عليهم بأن إيمانهم هذا لا ينفعهم لأنه جاء في غير وقته، وقد كان وقته في الدنيا فضيّعوه. والاستدلال بسياق الآية قاعدة متبعة في الترجيح بين الأقوال عند المفسرين. (**القول الذي تؤيده قرائن في السياق مرجح على ما خالفه**) وتقول: (**إدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أولى من الخروج به عنهما إلا بدليل**). وتقول: (**قرائن السياق مرجحة على ما خالفه**).(2)

3- كون هذا القول قد اختاره جمهور المفسرين، وقد مرّ ما قاله عدد منهم، مع ندرة بل عدم وجود مخالف لما اختاروه. والقاعدة تقول: (**تفسير جمهور السلف مقدم على كل تفسير شاذ**).

والله أعلم بالصواب.

۞ ۞ ۞

(**1**) شرح مقدمة التفسير لابن عثيمين ص127، وقواعد التفسير لخالد السبت 109/1

(**2**) انظر: قواعد الترجيح عند المفسرين لحسين الحربي 125/1

سورة فاطر

المسألة: المراد بالعزة في قوله تعالى: ﴿فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾

قولـه تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ [سورة فاطر: 10].

الأقوال الواردة في معنى العزة في الآية

1- من كان يريد العزة فليتعزز بطاعة الله ﷻ (1).

2- من كان يريد أن يعلم لمن العزة فلله العزة جميعاً(2).

3- من كان يريد العزة بعبادة الآلهة والأوثان فإن العزة لله جميعاً(3).

4- من كان يريد العزة بمغالبة الإسلام فلله العزة جميعاً؛ فالمغالب لـه مغلوب(4).

رأي القنوجي

قال القنوجي: والظاهر في معنى الآية أن من كان يريد العزة ويطلبها فليطلبها من الله عزوجل فلله العزة جميعاً ليس لغيره منها شيء.(5) وهو الموافق مع القول الأول.

الدراسة

وقد اختار المعنى الموافق لما اختاره القنوجي عدد من أئمة التفسير؛ منهم:

1. الإمام الطبري، قال: « والذي هو أولى الأقوال بالصواب عندي قول من قال: من كان يريد العزة فبالله فليتعزز فلله العزة جميعاً دون كل ما دونه من الآلهة والأوثان »(6).

2. ابن جزي؛ ذكر الآية وبعدها قال: « تحتمل ثلاثة معانٍ: أحدها -وهو الأظهر-: من كان يريد نيل العزة فليطلبها من عند الله؛ فإن العزة كلها لله... »(7).

3. ابن كثير -بعد ذكر الآية- قال: « أي من كان يحب أن يكون عزيزاً في الدنيا والآخرة فليلزم طاعة الله تعالى فإنه يحصل لـه مقصوده، لأن الله تعالى مالك الدنيا والآخرة وله العزة جميعاً »(8).

---

(1) جامع البيان للطبري 79/22، وحكاه عن قتادة، مختصر البغوي 767/2، فتح القدير للشوكاني 330/4

(2)جامع البيان للطبري 80/22، مختصر البغوي 767/2، وحكاه عن الفراء، فتح القدير للشوكاني330/4

(3) جامع البيان للطبري 79/22 وحكاه عن مجاهد.

(4) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي 338/3 المعنى الثاني الذي ذكره ولم يرجّحه.

(5) فتح البيان 227/11

(6) تفسير الطبري 80/22

(7) التسهيل لابن جزي 338/3

(8) تفسير القرآن العظيم لابن كثير 549/3

4. الشوكاني، قال: « والظاهر في معنى الآية: أن من كان يريد العزة ويطلبها فليطلبها من الله ﷻ، فلله العزة جميعاً، ليس لغيره منها شيء، فتشمل الآية كل من طلب العزة، ويكون المقصود بها: التنبيه لذوي الأقدار والهمم من أين تنال العزة، ومن أي جهة تطلب »(1).

5. السعدي، قال: « أي يا من يريد العزة؛ اطلبها ممن هي بيده، فإن العزة بيد الله، ولا تنال إلا بطاعته »(2)

6. سيد قطب: « هذه حقيقة؛ إن العزة كلها لله. وليس شيء منها عند أحد سواه. فمن كان يريد العزة فليطلبها من مصدرها الذي ليس لها مصدر غيره، ليطلبها عند الله. ليأخذ من الأصل الذي يملك وحده كل العزة، ولا يذهب يطلب قمامة الناس وفضلاتهم.﴿ إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥۚ ﴾ [سورة فاطر: 10] ».(3)

7. الشنقيطي، قال: « بيّن جل وعلا في هذه الآية الكريمة: أن من كان يريد العزة فإنها جميعها لله وحده، فليطلبها منه وليتسبب لنيلها بطاعته جل وعلا.»(4)

ولم أجد فيما وقفت عليه من أقوال المفسرين أحداً رجّح قولاً آخر، غير أن البعض منهم يستعرض الأقوال الواردة في معنى الآية، ثم يرجح القول الذي ذهب إليه القنوجي ومن وافقه، وممن جمع الأقوال أو معظمها في تفسيره: الإمام الطبري والبغوي وابن جزي والشوكاني. (5)

التعليق

الذي يظهر -والله أعلم- أن القول الذي اختاره القنوجي ومن وافقه هو الراجح باعتبار إجماع المفسرين عليه، والقاعدة تقول: (**كل تفسير خالف القرآن أو السنة أو الإجماع فهو رد**)، والقاعدة الأخرى: (**تفسير جمهور السلف مقدم على كل تفسير شاذ**).ولم أجد أحداً اختار ورجّح قولاً آخر غيره.

وقد ذكر الإمام الطبري سبب ترجيحه للقول المختار فقال: « وإنما قلت ذلك أولى بالصواب لأن الآيات التي قبل هذه الآية جرت بتقريع الله ﷻ المشركين على عبادتهم الأوثان وتوبيخه إياهم ووعيده لهم عليها؛ فأولى بهذه أيضاً أن تكون من جنس الحث على فراق ذلك فكانت قصتها شبيهة بقصتها

---

(1) فتح القدير للشوكاني 330/4

(2) تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص 685

(3) في ظلال القرآن لسيد قطب 2931/5 بتصرف.

(4) أضواء البيان للشنقيطي 638/6

(5) جامع البيان للطبري 79/22-80، مختصر البغوي 767/2، التسهيل لابن جزي 338/3، فتح القدير للشوكاني 330/4

وكانت في سياقها ».(1) والترجيح بمدلول سياق الآيات قاعدة مهمة من قواعد الترجيح عند المفسرين، وهي: (**إدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أولى من الخروج به عنهما. إلا بدليل يجب التسليم لـه**).(2)

والله تعالى أعلم بالصواب

۞ ۞ ۞

سورة يس

المسألة: المراد بـ (يس) في قوله: ﴿يسٓ ۝١﴾ [يس: ١]

الأقوال الواردة في المراد بـ (يس)

1. المراد به يا إنسان، أو يا رجل.
2. أنه قسم أقسم الله به.
3. أن المراد به يا محمد
4. أنه اسم من أسماء القرآن الكريم
5. أنه اسم من أسماء الرسول صلي الله عليه وسلم.
6. أنه افتتاح للسورة.
7. الله أعلم بمراده.(3)

رأي القنوجي

لقد ذكر القنوجي الأقوال المذكورة ثم قال: **والأولى أن يقال: الله أعلم بمراده به**.(4) فالراجح عند الشيخ القنوجي هو تفويض معناه إلى الله تعالى، وهو القول الأخير في الأقوال الواردة في الآية.

---

(1) جامع البيان للطبري 419/20

(2) انظر: قواعد الترجيح عند المفسرين لحسين الحربي 125/1،

(3) انظر لهذه الأقوال: تفسير الطبري 419/20، وتفسير القرطبي 407/17-408 وتفسير الماوردي 5/5، وفتح البيان 270/11

(4) فتح البيان 270/11

الدراسة

لقد اختار المفسرون أقوالاً مختلفة في المراد بلفظ (يس) فمنهم من اختار بأن المراد به (يا إنسان)، وهذا القول قال ابن عباس وعكرمة.(1) وهو الذي رجحه القرطبي(2) والسمعاني(3) ومنهم من قال إنه قسم من الأقسام. وهذا القول منقول أيضاً عن ابن عباس.(4)

وبعضهم ذهب إلى أن المراد به يا محمد.(5) وقيل إن اسم من أسماء القرآن، قاله قتادة، وقيل: إنه اسم من أسماء الرسول صلى الله عليه وسلم، و دليل هذا القول الآية التي بعدهـــا: ﴿إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٣﴾ [يس: ٣]،(6) والأكثرون ذهبوا إلى أن الله تعالى أعلم بمراده بذلك.(7)

التعليق

والراجح –والله أعلم- أن (يس) كغيره من الحروف المقطعات التي لا يعرف معناها إلا الله سبحانه وتعالى، وأنها نزلت للتحدي والإعجاز، بأن هذا القرآن الكريم مركب من هذه الحروف التي تتركبون منها كلامكم وتتألفون منها أشعاركم وقصائدكم، فإن استطعتم أن تأتوا بحديث مثل هذا القرآن فأتوا به.

ولذا قال الطبري -رحمه الله- بعد ذكر بعض هذه الأقوال: وقد بيَّنا القول فيما مضى في نظائر ذلك من حروف الهجاء بما أغنى عن إعادته وتكريره في هذا الموضع.(8) وبهذا، ما ذهب إليه القنوجي وغيره هو الراجح؛ لأن الأقوال الأخرى لا دليل عليها من القرآن الكريم ولا من السنة النبوية وليس لها محمل قوي من اللغة، وأما ما نقل عن بعض الصحابة والتابعين من الأقوال الواردة فهي من اجتهاداتهم التي لا تستند إلى دليل صريح صحيح.

والله أعلم بالصواب.

۞ ۞ ۞

---

(1) تفسير الطبري 419/20، وانظر: تفسير الماوردي 5/5

(2) تفسير القرطبي 407/17-408

(3) تفسير السمعاني 366/4

(4) تفسير الطبري 419/20

(5) نقله عن محمد بن الحنفية الماوردي 5/5 وابن الجوزي 3/7، والسيوطي في الدر المنثور 41/7. ورجحه الزجاج. انظر: فتح القدير للشوكاني 413/4

(6) انظر: التفسير الكبير للرازي 40/25، والتسهيل لابن جزي 160/3

(7) انظر: الجلالين ص 578، والفتوحات الإلهية 502/3، وفتح البيان 270/11.

(8) تفسير الطبري 419/20، وبمثله قال ابن كثير 563/6.

المسألة: الاختلاف في لفظة (ما) في قوله تعالى: ﴿مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمۡ﴾

قولـه تعالى: ﴿لِتُنذِرَ قَوۡمٗا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمۡ فَهُمۡ غَٰفِلُونَ ۝٦﴾ [سورة يس: 6].

الأقوال الواردة في الآية

1- أن لفظة (ما) في الآية نافية؛ وعليه يكون المعنى: لم ينذر آباؤهم(1).

2- أن تكون موصولة أو موصوفة؛ وعليه يكون المعنى: لتنذر قوماً الذي أنذره آباؤهم، أو لتنذرهم عذاباً أنذره آباؤهم(2).

3- أن تكون مصدرية؛ وعليه يكون المعنى: إنذار آبائهم(3).

رأي القنوجي

قال القنوجي: ما: هي النافية أي لم تنذر (ءَابَآؤُهُم) ويجوز أن تكون ما موصولة أو موصوفة أي: لتنذر قوماً الذي أنذر آباؤهم، أو لتنذرهم عذاباً أنذره آباؤهم، أو مصدرية أي إنذار آبائهم، وعلى القول بأنها نافية المعنى ما أنذر آباؤهم برسول من أنفسهم، ويجوز أن يراد ما أنذر آباؤهم الأقربون لتطاول مدة الفترة، وإلا فآباؤهم الأبعدون قد أنذروا بإسماعيل وبعيسى ومن قبلهما. (فَهُم غَٰفِلُونَ) أي فهم بسبب ذلك غافلون أو فهم غافلون عما أنذرنا به آباءهم، قال أبو السعود: الضمير للفريقين أي فهم جميعاً غافلون وقد ذهب أكثر أهل التفسير إلى أن المعنى على النفي، **وهو الظاهر** من النظم القرآني لترتيب فهم غافلون على ما قبله.(4) فالراجح عند القنوجي هو أن (ما) ههنا للنفي.

الدراسة

ووافق الشيخ القنوجي في رأيه هذا جماعة من المفسرين الذين ذكروا أن لفظه (ما) في الآية يراد بها النفي، ويكون المعنى: لم ينذر آباؤهم، ومنهم:

1- الإمام الواحدي: «﴿لِتُنذِرَ قَوۡمٗا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمۡ﴾ في الفترة (فَهُم غَٰفِلُونَ) عن الإيمان والرشد ». (5)

---

(1) أضواء البيان للشنقيطي 649/6

(2) فتح القدير للشوكاني 349/4

(3) أنوار التنزيل للبيضاوي 149/2

(4) فتح البيان 271/11

(5) الوجيز للواحدي 896/2

2- ابن جزي: « (لِتُنذِرَ قَوْمًا) هم قريش، ويحتمل أن يدخل معهم سائر العرب وسائر الأمم، (مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ) (ما) نافية، والمعنى: لم يرسل إليهم ولا لآبائهم رسول ينذرهم. وقيل: المعنى لتنذر قوماً مثل ما أنذر آباؤهم، فـ (ما) على هذا موصولة بمعنى الذي، أو مصدرية. والأول أرجح؛ لقوله (فَهُم غَـٰفِلُونَ) يعني قولـه: ﴿ مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ ﴾ [القصص: 46، السجدة: 3]، ولا يعارض هذا بعث الأنبياء المتقدمين فإن هؤلاء القوم لم يدركوهم ولا آباؤهم الأقربون »(1).

3- ابن كثير: « ﴿ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَـٰفِلُونَ ﴾ يعني بهم العرب فإنه ما أتاهم من نذير من قبله، وذكرهم وحدهم لا ينفي من عداهم، كما أن ذكر بعض الأفراد لا ينفي العموم. وقد تقدم(2) ذكر الآيات والأحاديث المتواترة في عموم بعثته ﷺ عند قولـه تعالى: ﴿ قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ [سورة الأعراف: 158] ».(3)

4- المحلي: « (لِتُنذِر) به (قَوْمًا) متعلق بتنزيل (مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ) أي لم ينذروا في زمن الفترة (فَهُم) أي القوم (غَـٰفِلُونَ) عن الإيمان والرشد ».(4)

1- الشوكاني: « و (ما) في (مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ) هي النافية، أي: لم ينذر آباؤهم [ثم ذكر بقية الأوجه، إلى أن قال:] وقد ذهب أكثر أهل التفسير إلى أن المعنى على النفي، وهو الظاهر من النظم، لترتيب (فَهُم غَـٰفِلُونَ) على ما قبله ».(5)

2- القاسمي: « ﴿ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ ﴾ أي برسول ولا كتاب (فَهُم غَـٰفِلُونَ) أي عن أمر حق الخالق والمخلوق، بالكفر والفساد ونكران البعث والمعاد ».(6)

3- السعدي: « ﴿ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَـٰفِلُونَ ﴾ وهم العرب الأمّيون، الذين لم يزالوا خالين من الكتب، عادمين الرسل، قد عمتهم الجهالة وغمرتهم الضلالة، وأضحكوا عليهم وعلى سفههم عقول العالمين، فأرسل الله إليهم رسولاً من أنفسهم، يزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة، وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين، فينذر العرب الأميين، ويذكّر أهل الكتاب بما عندهم من الكتب،

---

(1) التسهيل لابن جزي 350/3

(2) تفسير القرآن العظيم لابن كثير 255/2

(3) تفسير القرآن العظيم لابن كثير 564/3

(4) تفسير الجلالين ص369

(5) فتح القدير للشوكاني 349/4

(6) محاسن التأويل للقاسمي 4992/14

فنعمة الله ﷻ به على العرب خصوصاً، وعلى غيرهم عموماً ».(1)

4- الشنقيطي، قال: لفظة (ما) من قولـه تعالى (مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمۡ) قيل نافية وهو الصحيح»(2).

وقال بمثل هذا أيضاً من المفسرين: المراغي(3)،وسيد قطب(4)، وابن عاشور(5).

أما من خالف هذا الرأي فلم أجد في ما وقفت عليه من أقوال المفسرين أحداً رجّح قولاً مخالفاً لما ذهب إليه القنوجي، وإنما غاية من وجدت -غير الموافقين- جمعوا الأقوال كلها أو بعضها عند بيانهم لمعنى الآية، أذكر أقوال بعضهم وأشير إلى البقية، فمنهم:

1- الإمام الماوردي: « ﴿لِتُنذِرَ قَوۡمٗا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمۡ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أنهم قريش أنذروا بنبوة محمد ﷺ ولم ينذر آباؤهم من قبلهم.

الثاني: أنه عام، ومعناه: لتنذر قوماً كما أنذر آباؤهم »(6).

2- البغوي: « ﴿لِتُنذِرَ قَوۡمٗا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمۡ﴾ قيل: (ما) للنفي أي لم تنذر آباؤهم لأن قريشاً لم يأتهم نبي قبل محمد ﷺ. وقيل: (ما) بمعنى الذي لتنذر قوماً بالذي آنذر آباؤهم))(7).

3- النيسابوري: « ﴿مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمۡ﴾ يجوز (ما) نافية، ويجوز بمعنى الذي، أي لتخوّفنهم الذي خوِّف آباؤهم؛ لأن الأرض لا تخلو من حجة »(8).

4- البيضاوي: « ﴿مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمۡ﴾ قوماً غير منذر آباؤهم يعني آباءهم الأقربين لتطاول مدة الفترة، فيكون صفة مبينة لشدة حاجتهم إلى إرساله، أو الذي أنذر به أو شيئاً أنذر به آباؤهم الأبعدون فيكون مفعولاً ثانياً لتنذر، أو إنذار آبائهم على المصدر »(9).

---

(1) تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص693

(2) أضواء البيان للشنقيطي 649/6-650

(3) تفسير المراغي 146/22

(4) في ظلال القرآن لسيد قطب 2959/5

(5) التحرير والتنوير لابن عاشور 374/22

(6) النكت والعيون للماوردي 6/5

وهو: أبوالحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي، كان ثقة من وجوه الفقهاء الشافعيين، وليَّ القضاء، ولـه مصنفات كثيرة في الفقه وأصوله والتفسير والأدب. توفي سنة (450هـ). طبقات المفسرين 423/1

(7) مختصر البغوي 774/2

(8) إيجاز البيان للنيسابوري 139/2

(9) أنوار التنزيل للبيضاوي 149/2

5- البقاعي: « ولما ذكر المرسل والمرسَل به والمرسِل؛ ذكر المرسَل لـه، فقال (لِتُنذِرَ قَوْمًا) أي ذوي بأس وقوة وذكاء وفطنة (مَّا أُنذِرَ) أي لم ينذر أصلاً (ءَابَآؤُهُم) أي الذين غيَّروا دين أعظم آبائهم إبراهيم -عليه السلام- ومن أتى بعدهم عند فترة الرسل. ولما كان عدم الإنذار موجباً للاستيلاء الحظوظ والشهوات على العقل فيحصل على ذلك الغفلة عن طريق النجاة؛ قال (فَهُم) أي بسبب زمان الفترة (غَـٰفِلُونَ). أو المعنى على أن (ما) مفعول ثان لتنذر: أي لتنذرهم الذي أنذره آباؤهم الذين كانوا قبل التغيير، فإن هؤلاء غافلون عن ذلك لطول الزمان وحدوث النسيان »(1).

وبكلام يشبه أقوال من ذكرت جاء تفسير كل من: الإمام النسفي(2)، وابن عطية(3)، وابن الجوزي(4)، والرازي(5)، والقرطبي(6)، وأبي حيان(7)، وأبي السعود(8)، والألوسي(9) وغيرهم.

التعليق

الذي يظهر -والله أعلم- أن الأرجح في معنى هذه الآية ﴿ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَـٰفِلُونَ ﴾ هو ما ذهب إليه الشيخ القنوجي ومن قال بمثل قولـه من أن لفظة ((ما)) في الآية يراد بها النفي، ويكون معنى الآية: لم ينذر آباؤهم، يؤيد ذلك أمور:

1- كون هذا القول هو قول الجمهور، يدل على ذلك تصريح عدد من المفسرين بذلك كالإمام النسفي(10)، وابن الجوزي(11)، والقرطبي(12)، والشوكاني(13)، والشنقيطي. (14) والقاعدة تقول: (**تفسير جمهور السلف مقدم على كل تفسير شاذ**).

---

(1) نظم الدرر للبقاعي 94/16

(2) مدارك التنزيل للنسفي 3/4

(3) المحرر الوجيز لابن عطية 273/12

(4) زاد المسير لابن الجوزي 262/6

(5) التفسير الكبير للفخر الرازي 253/9

(6) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي 7/15

(7) البحر المحيط لأبي حيان 49/9

(8) إرشاد العقل السليم لأبي السعود 493/4

(9) روح المعاني للألوسي 213/22

(10) مدارك التنزيل للنسفي 3/4

(11) زاد المسير لابن الجوزي 262/6

(12) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي 7/15

(13) فتح القدير للشوكاني 349/4

(14) أضواء البيان للشنقيطي 649/6-650

2- بالرغم من وجود أقوال أخرى، إلاّ أنه لم يوجد قديماً ولا حديثاً من رجّح قولاً مخالفاً لما ذهب إليه الجمهور.

3- وقبل هذا كله بل هو الأساس في ترجيح هذا القول الراجح؛ دلالة السياق(1)، فإن سياق الآية يدل عليه، فبداية الآية قولـه تعالى (لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ) وختامها (فَهُم غَـٰفِلُونَ) فكونهم غافلون يناسبه عدم الإنذار لا الإنذار(2).

4- كذلك دلالة آيات أخرى على المعنى الراجح(3) في آية سورة يس هذه، وهو كون آبائهم لم يأتهم نذير قبل النبي محمد ﷺ -﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۚ بَلْ هُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [السجدة: ٣]، ومن الآيات الدالة بوضوح أيضاً على كون آبائهم ضالين؛ قولـه تعالى: ﴿إِنَّهُمْ أَلْفَوْا۟ ءَابَآءَهُمْ ضَآلِّينَ﴾ [سورة الصافات: 69] فكون الآباء ضالين معناه أنهم لم يأتهم نذير يزيح عنهم هذا الضلال وتلك الغفلة.

والله أعلم بالصواب.

۞ ۞ ۞

المسألة: المراد بقوله تعالى﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَـٰقِهِمْ أَغْلَـٰلًا..﴾

في قوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَـٰقِهِمْ أَغْلَـٰلًا فَهِىَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ ۝٨﴾ [سورة يس: 8].

الأقوال الواردة في معنى الآية

1- أن معنى هذه الآية على الاستعارة والتمثيل وذلك عبارة عن تماديهم على الكفر ومنع الله ﷻ لهم من الإيمان، فشبههم بمن جعل في عنقه غل يمنعه من الالتفات، وغطّى على بصره فصار لا يرى.(4)

2- أن المعنى أيضاً على التمثيل ويراد به: أمسكنا أيديهم عن النفقة في سبيل الله ﷻ بموانع كالأغلال.(5) أو يكون المنع شاملاً لمنعهم عن كل خير.(6)

3- أن هذه الآية على الحقيقة لا الاستعارة وهي أنه لمّا أخبر تعالى أنهم لا يؤمنون، أخبر عن شيء من أحوالهم في الآخرة إذا دخلوا النار من وضع الأغلال في أعناقهم.(1)

---

(1) قواعد الترجيح عند المفسرين لحسين الحربي125/1

(2) أضواء البيان للشنقيطي 649/6

(3) قواعد الترجيح عند المفسرين لحسين الحربي 312/1

(4) المحرر الوجيز لابن عطية 275/12، التسهيل لابن جزي 351/3.

(5) الوجيز للواحدي 897/2.

(6) زاد المسير لابن الجوزي 263/6

4- أن هذه الأغلال موانع حسية منعت كما يمنع الغُلُّ، ونزلت هذه الآية في أبي جهل ومن معه حين حاولوا إيذاء رسول الله ﷺ فمنعه الله ﷻ منهم وأعماهم عنه.(2)

رأي القنوجي

قال الشيخ القنوجي: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا فِيٓ أَعْنَـٰقِهِمْ أَغْلَـٰلًا ﴾ تقرير لما قبلها مثلت حالهم بحال الذين غلت أعناقهم. (فَهِى) أي الأغلال منتهية (إِلَى ٱلْأَذْقَانِ) جمع ذقن. وهو أسفل اللحيين لأن الغل يجمع اليد إلى العنق فلا يقدرون عند ذلك على الالتفات، ولا يتمكنون من عطفها لأن طوق الغل الذي في عنق المغلول يكون في ملتقى طرفيه تحت الذقن، حلقة فيها رأس العمود، خارجاً من الحلقة إلى الذقن، فلا يخليه يطأطىء رأسه فلا يزال مقمحاً وهو معنى قوله: (فَهُم مُّقْمَحُونَ) أي رافعون رؤوسهم غاضون أبصارهم، (ثم ذكر الأقوال الأخرى ثم قال): **والأول أولى**.(3) فظهر أن الشيخ القنوجي رجح القول الأول.

الدراسة

وقد وافق الشيخ القنوجي في تفسيره لهذه الآية عدد كثير من المفسرين، منهم:

1- الإمام ابن عطية -بعد أن ذكر الآية وذكر بعدها عدداً من الأقوال الواردة فيها- قال: « وقالت فرقة: الآية مستعارة المعنى من منع الله ﷻ إياهم من الإيمان وحوله بينه وبينهم، وهذا أرجح الأقوال؛ لأنه لمّا ذكر أنهم لا يؤمنون لِمَا سبق لهم في الأزل عقَّب ذلك بأن جعل لهم من المنع وإحاطة الشقاوة ما حالهم معه حال المغلوبين »(4).

2- ابن جزي: « ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا فِيٓ أَعْنَـٰقِهِمْ أَغْلَـٰلًا ﴾ فيها ثلاثة أقوال: الأول: أنها عبارة عن تماديهم على الكفر ومنع الله ﷻ لهم من الإيمان، فشبههم بمن جعل في عنقه غلّ يمنعه من الالتفات، وغطي على بصره فصار لا يرى. والثاني: أنها عبارة عن كفهم عن إذاية النبي ﷺ حين أراد أبوجهل أن يرميه بحجر؛ فرجع عنه فزعاً مرعوباً. والثالث: أن ذلك حقيقة في حالهم في جهنم. **والأول أظهر وأرجح**

---

(1) البحر المحيط لأبي حيان 49/9، فتح القدير للشوكاني 350/4

(2) لباب النقول في أسباب النزول للإمام جلال الدين السيوطي تحقيق: الاستاذ أحمد عبد الشافي، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، ص 166، زاد المسير لابن الجوزي 263/6، لباب التأويل للخازن 3/6.

(3) فتح البيان 272/11

(4) المحرر الوجيز لابن عطية 275/12

لقوله قبلها ﴿ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [سورة يس: 7]. وقوله بعدها ﴿ وَسَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [سورة يس: 10] »(1).

3- ابن كثير -بعد ذكر الآيات- قال: « يقول تعالى إنا جعلنا هؤلاء المحتوم عليهم بالشقاء نسبتهم إلى الوصول إلى الهدى كنسبة من جعل في عنقه غل فجمع يديه مع عنقه تحت ذقنه فارتفع رأسه فصار مقمحاً [إلى أن قال:] وقوله تعالى (**فأغشيناهم**) أي أغشينا أبصارهم عن الحق (**فهم لا يبصرون**) أي لا ينتفعون بخير ولا يهتدون إليه »(2).

4- المحلي: « ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا فِيٓ أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَٰلًا ﴾ بأن تضم إليها الأيدي لأن الغل يجمع اليد إلى العنق (**فهي**) أي الأيدي مجموعة (**إلى الأذقان**) جمع ذقن وهي مجتمع اللحيين (**فهم مقمحون**) رافعون رؤوسهم لا يستطيعون خفضها،وهذا تمثيل والمراد أنهم لا يذعنون للإيمان ولا يخفضون رؤوسهم لهم »(3).

5- القاسمي قال عن الوجه الذي اختاره -والذي جاء موافقاً لاختيار القنوجي-: «وإنما اختير هذا؛ لأن ما قبله وما بعده في ذكر أحوالهم في الدنيا » ثم وصفه في آخر كلامه بأنه « أدقّ، وبالقبول أحقّ »(4).

6- السعدي: « ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا فِيٓ أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَٰلًا ﴾ وهي جمع (غل) والغل: ما يُغل به العنق، فهو للعنق بمنزلة القيد للرجل، وهذه الأغلال التي في الأعناق؛ عظيمة قد وصلت إلى أذقانهم ورفعت رؤوسهم إلى فوق (**فهم مقمحون**) أي: رافعوا رؤوسهم من شدة الغِل الذي في أعناقهم فلا يستطيعون أن يخفضوها».(5)

7- الشنقيطي، قال: المراد بجعل الأغلال في أعناقهم وما ذكر معه في الآية هو صرفهم عن الإيمان والهدى في دار الدنيا كما أوضحنا.(6)

وبعبارات متقاربة جاء تفسير كل من: الفخر الرازي(7)، والبيضاوي(8)، والثعالبي(1)، وأبي السعود(2)، والمراغي(3)، وسيد قطب(4).

---

(1) التسهيل لابن جزي 351/3

(2) تفسير القرآن العظيم لابن كثير 564/3

(3) تفسير الجلالين ص 369

(4) محاسن التأويل للقاسمي 4994/14

(5) تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص693

(6) أضواء البيان للشنقيطي 651/6

(7) التفسير الكبير للفخر الرازي 254/9

(8) أنوار التنزيل للبيضاوي 149/2

وقد وجدتُ قلةً من المفسرين رجّحوا غير ما رجَحه القنوجي، وهم:

1- الإمام الطبري -بعد ذكر الآية- قال: « يقول تعالى ذكره إنا جعلنا أيمان هؤلاء الكفار مغلولة إلى أعناقهم بالأغلال فلا تبسط بشيء من الخيرات.. [ثم استدل برواية عن ابن عباس -رضي الله عنهما- أنه قال:] قولـه: ﴿ إِنَّا جَعَلۡنَا فِيٓ أَعۡنَٰقِهِمۡ أَغۡلَٰلٗا فَهِيَ إِلَى ٱلۡأَذۡقَانِ فَهُم مُّقۡمَحُونَ ۝٨ ﴾ قال هو كقول الله ﷻ: ﴿ وَلَا تَجۡعَلۡ يَدَكَ مَغۡلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ ﴾ [سورة الإسراء: 29] يعني بذلك أن أيديهم موثقة إلى أعناقهم لا يستطيعون أن يبسطوها بخير »(5).

2- الواحدي: « ﴿ إِنَّا جَعَلۡنَا فِيٓ أَعۡنَٰقِهِمۡ أَغۡلَٰلٗا.. ﴾ أراد: في أعناقهم وأيديهم؛ لأن الغلّ لا يكون في العنق دون اليد (فَهِيَ إِلَى ٱلۡأَذۡقَانِ) أي: فأيديهم مجموعة إلى أذقانهم؛ لأن الغل يجعل في اليد مما يلي الذقن (فَهُم مُّقۡمَحُونَ) رافعوا رؤوسهم لا يستطيعون الإطراق؛ لأن من غُلَّت يده إلى ذقنه ارتفع رأسه، وهذا مثل؛ معناه: أمسكنا أيديهم عن النفقة في سبيل الله بموانع كالأغلال »(6).

3- أبوحيان: « والظاهر أن قولـه ﴿ إِنَّا جَعَلۡنَا فِيٓ أَعۡنَٰقِهِمۡ أَغۡلَٰلٗا.. ﴾ هو حقيقة لا استعارة. لمّا أخبر تعالى أنهم لا يؤمنون، أخبر عن شيء من أحوالهم في الآخرة إذا دخلوا النار »(7).

وهناك بعض المفسرين جمعوا الأقوال أو معظمها أو بعضها تحت تفسير كل واحد منهم للآية، وإليك أمثلة منهم:

1- الإمام البغوي: « ﴿ إِنَّا جَعَلۡنَا فِيٓ أَعۡنَٰقِهِمۡ أَغۡلَٰلٗا.. ﴾ قال أهل المعاني: هذا على طريق المثل، ولم يكن هناك غل، أراد: منعناهم عن الإيمان بموانع، فجعل الأغلال مثلاً لذلك. قال الفراء: معناه إنا حبسناهم عن الإنفاق في سبيل الله، كقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَجۡعَلۡ يَدَكَ مَغۡلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ ﴾ [سورة الإسراء: 29] معناه لا تمسكها عن النفقة... ﴿ وَجَعَلۡنَا مِنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ سَدّٗا وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ سَدّٗا فَأَغۡشَيۡنَٰهُمۡ ﴾

---

(1) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 3/4، للإمام أبي زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي، تحقيق: الشيخ محمد علي معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الأولى - 1418 هـ

وهو: أبوزيد عبدالرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي، مفسر، من أعيان الجزائر، توفي سنة (875هـ). الأعلام 331/3

(2) إرشاد العقل السليم لأبي السعود 494/4

(3) تفسير المراغي 146/22

(4) في ظلال القرآن لسيد قطب 2960/5

(5) جامع البيان للطبري 98/22

(6) الوجيز للواحدي 897/2

(7) البحر المحيط لأبي حيان 49/9

فأعميناهم من التغشية وهي التغطية ﴿فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ سبيل الهدى » (1).

2- ابن الجوزي: « ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِيٓ أَعْنَـٰقِهِمْ أَغْلَـٰلًا..﴾ فيه ثلاثة أقوال:

القول الأول: أنها مثل، وليس هناك غُلٌّ على حقيقة، قاله أكثر المحققين. ثم لهم فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: أنها مثل لمنعهم عن كل خير.

والثاني: لحبسهم عن الإنفاق في سبيل الله بموانع كالأغلال.

والثالث: لمنعهم من الإيمان بالله ﷻ .

والقول الثاني: أنها موانع حِسّية منعت كما يمنع الغلّ؛ قال مقاتل بن سليمان(2): حلف أبوجهل لئن رأى النبي ﷺ يصلّي ليَدْمَغَنَّه، فجاءه وهو يصلّي، فرفع حجراً فيبست يده والتصق الحجر بيده، فرجع إلى أصحابه فأخبرهم الخبر، فقام رجل منهم فأخذ الحجر، فلما دنا من رسول الله ﷺ طمس الله ﷻ على بصره فلم يره، فرجع إلى أصحابه فلم يبصرهم حتى نادوه، فنزل في أبي جهل(3): ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِيٓ أَعْنَـٰقِهِمْ أَغْلَـٰلًا..﴾.

والقول الثالث: أنه على حقيقته، إلاّ أنه وصف لما سينزله الله تعالى بهم في النار»(4).

3- الخازن: ذكر قصة أبي جهل ومَنْ معه وأن الآية نزلت فيهم-وقد مرّت القصة آنفاً- ثم قال: «... قيل: هذا على وجه التمثيل ولم يكن هناك غل، أراد منعناهم عن الإيمان بموانع، فجعل الأغلال مَثَل لذلك. وقيل: حبسناهم عن الإنفاق في سبيل الله ﷻ بموانع كالأغلال. وقيل: إنها موانع حسية منعت كما يمنع الغل. وقيل: إنها وصف في الحقيقة وهي ما سينزله الله ﷻ بهم في النار »(5).

وبنحو ذلك وقريب منه جاء تفسير الآية لدى كلٍّ من: الإمام الماوردي(6)، والنسفي(1)، والنيسابوري(2)، والقرطبي(3)، وابن عاشور(4)، وغيرهم.

---

(1) مختصر البغوي 774/2

(2) هو أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخي الخراساني، نزيل مرو، يروي عن مجاهد، والضحاك وابن سيرين والزهري وغيرهم، وعنه بقية وعبد الرزاق، قال البخاري: لاشيء، وقال الذهبي: أجمعوا على تركه. انظر: تهذيب الكمال 434/28، و سير أعلام النبلاء 201/7، وتقريب التهذيب ص 545.

(3) هو أبو الحكم عمرو بن هشام المخزومي، كان من أشد الناس عداوة للنبي صلى الله عليه وسلم، وأكثرهم أذى له ولأصحابه، سماه المسلمون بأبي جهل، قتل سمية أم عمار، وقتل يوم بدر بيد ابني عفراء. انظر: الكامل في التاريخ 48/2، وتهذيب الأسماء 206/1.

(4) زاد المسير لابن الجوزي 263/6

(5) لباب التأويل للخازن 3/6

(6) النكت والعيون للماوردي 7/5

التعليق

الذي يظهر رجحانه -والله أعلم- هو ما ذهب إليه القنوجي ومن قال بمثل ذلك، ويؤيد هذا الترجيح عدة أمور:

1- دلالة سياق الآيات عليه، فإنه « لما ذكر أنهم لا يؤمنون لِمَا سبق لهم في الأزل، عقّب ذلك بأن جعل لهم من المنع وإحاطة الشقاوة ما حالهم معه حال المغلوبين »(5)، فالآية التي « قبلها ﴿ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [سورة يس: 7] وأما التي بعدها ﴿ وَسَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ [سورة يس: 10] »(6).

وبناء على القاعدة الترجيحية عند المفسرين: (**إدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أوْلى من الخروج عنهما**](7)، فإن هذا المعنى الراجح يعتبر هو « الأشد مناسبة»(8). وهو « الأدق، وبالقبول أحق »(9).

2- كون هذا المعنى الراجح قد دلت عليه آيات أخرى كثيرة في القرآن الكريم، مثل: قولــه تعالى: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ﴾ [الكهف:57]، وقوله تعالى: ﴿ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ ﴾ [البقرة: 7]، وقوله تعالى: ﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً ﴾ [الجاثية: 23]، وقوله تعالى: ﴿ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ﴾ [الأنعام: 125]، وقوله تعالى: ﴿ مَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِىَ لَهُۥ ﴾ [الأعراف: 186]، وقوله تعالى: ﴿ وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ ۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ

---

(1) مدارك التنزيل للنسفي 3/4

(2) إيجاز البيان للنيسابوري 139/2

(3) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي 8/15

(4) التحرير والتنوير لابن عاشور 349/22

(5) المحرر الوجيز لابن عطية 275/12

(6) التسهيل لابن جزي 351/3

(7) قواعد الترجيح عند المفسرين لحسين الحربي 125/1 ، قواعد التفسير لخالد السبت 249/1

(8) التفسير الكبير للفخر الرازي 254/9

(9) محاسن التأويل للقاسمي 4994/14

عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [المائدة: 41]، وقوله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَسَمۡعِهِمۡ وَأَبۡصَٰرِهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡغَٰفِلُونَ ﴾ [النحل: 108]، وقوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنۡ أَوۡلِيَآءَۘ يُضَٰعَفُ لَهُمُ ٱلۡعَذَابُۚ مَا كَانُواْ يَسۡتَطِيعُونَ ٱلسَّمۡعَ وَمَا كَانُواْ يُبۡصِرُونَ ﴾ [هود: 20]، وقوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ كَانَتۡ أَعۡيُنُهُمۡ فِي غِطَآءٍ عَن ذِكۡرِي وَكَانُواْ لَا يَسۡتَطِيعُونَ سَمۡعًا ﴿١٠١﴾ ﴾ [الكهف: 101]، والآيات بمثل ذلك كثيرة. ومن المعلوم أن تفسير القرآن بالقرآن هو أفضل وأقوى وأحسن أنواع التفسير، وهي قاعدة راسخة متبعة لدى أئمة التفسير.(1)

3- من المرجحات لهذا المعنى أيضاً: إجماع جمهور المفسرين عليه، يدل على ذلك كثرة المختارين لـه، وتصريح بعض المفسرين كابن الجوزي(2)، وأبي حيان(3) بأنه اختيار الجمهور، ووصفه ابن جزي(4)، والثعالبي(5) بأنه « أرجح الأقوال»، وقال عنه الفخر الرازي: إنه « الأقوى »(6).

4- لقد استدل ابن عطية بقرينة في السياق ردَّ بها قول من قال إن الآية يراد بها بيان حال الذين لا يؤمنون في يوم القيامة، وهي قولـه تعالى: (**فأغشيناهم**) وقد قال الله ﷻ: ﴿ فَبَصَرُكَ ٱلۡيَوۡمَ حَدِيدٞ ﴾ [ق: 22] وعليه رجّح أن الآية تمثيل لحالهم في الدنيا(7).

والله أعلم بالصواب

۞ ۞ ۞

المسألة : المراد بإحياء الموتى في قوله تعالى : ﴿ إِنَّا نَحۡنُ نُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ ﴾ [يس: ١٢]

أقوال المفسرين في المراد بالإحياء في هذه الآية

فيه وجهان:

أحدهما: نحييهم بالإيمان بعد الكفر **الثاني:** بالبعث للجزاء.(8)

---

(1) شرح مقدمة التفسير لابن عثيمين ص 127، قواعد الترجيح عند المفسرين لحسين الحربي 312/1، قواعد التفسير لخالد السبت 109/1

(2) زاد المسير لابن الجوزي 263/6

(3) البحر المحيط لأبي حيان 49/9

(4) التسهيل لابن جزي 351/3

(5) جواهر الحسان للثعالبي 3/4

(6) مفاتيح الغيب للرازي 254/9

(7) المحرر الوجيز لابن عطية 275/12

(8) تفسير الماوردي 9/5

رأي القنوجي

قال القنوجي: (﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ الْمَوْتَىٰ﴾ أي نبعثهم بعد الموت، وقال الحسن والضحاك: أي نحييهم بالإيمان بعد الجهل، **والأول أولى**.(1) فالراجح عند القنوجي هو إحياؤهم بعد الموت يوم البعث.

الدراسة

اختلف المفسرون في المراد بالإحياء في هذه الآية على قولين ذكرهما القنوجي وغيره:

الأول: أن المراد إحياؤهم بعد الموت وبعثهم من قبورهم، وهذا القول رجحه القرطبي(2) والسمرقندي(3) والواحدي(4) والبغوي(5) وابن عطية(6) وابن الجوزي(7) والرازي(8) وابن جزي(9) وأبو حيان(10) والمحلي(11) وغيرهم.(12)

والثاني: المراد بالإحياء إحياؤهم بالإيمان بعد الكفر والجهل، قاله الضحاك والحسن.(13)

قال ابن كثير –رحمه الله-: فيه إشارة إلى أن الله تعالي يحيي قلب من يشاء من الكفار الذين قد ماتت قلوبهم بالضلالة، فيهديهم بعد ذلك إلى الحق، كما قال بعد ذكر القسوة: ﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [الحديد: ١٧](14)

و ذكر بعض المفسرين القولين معاً ولم يرجح، منهم السمعاني(15) والزمخشري(16) والبيضاوي(1) والنسفي(2) وأبو السعود.(3)

---

(1) فتح البيان 275/11

(2) تفسير القرطبي 419/17

(3) بحر العلوم 117/3، لأبي الليث نصر بن محمد السمرقندي، دار الكتب العلمية-بيروت.

(4) الوجيز للواحدي 897/2

(5) معالم التنزيل 7/4

(6) المحرر الوجيز 191/13

(7) زاد المسير 8/7

(8) التفسير الكبير 48/25

(9) التسهيل لابن جزي 161/3

(10) البحر المحيط 352/7

(11) الجلالين ص 579

(12) كالشوكاني في فتح القدير 918/3، والقاسمي في محاسن التأويل 55/14 والشنقيطي في أضواء البيان 290/6

(13) تفسير الماوردي 9/5

(14) تفسير القرآن العظيم 687/3

(15) تفسير السمعاني 369/4

(16) الكشاف 3/ 316

التعليق

والراجح –والله أعلم- هو القول الأول وهو أن المراد به إحياؤهم من قبورهم بعد الموت وبعثهم يوم القيامة، وذلك لما يلي:

1- إن السورة مكية، وأن إثبات البعث من موضوعات السور المكية، وخاصة هذه السورة، وكان الخطاب مع منكري البعث والنشور.

2- أن الأية السابقة تتحدث عن خشية الله تعالي وخـــوفـه: ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكۡرَ وَخَشِيَ ٱلرَّحۡمَٰنَ بِٱلۡغَيۡبِۖ﴾ [يس: ١١]، ومما يؤكد الخشية إحياء الموتى بعد الموت، والقاعدة أيضاً تقول: **(إدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أولى من الخروج به عنهما، إلا بدليل يجب التسليم له).**

والله أعلم بالصواب

❁❁❁

المسألة: المراد بمستقر الشمس في قوله تعالى: ﴿وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ﴾ [يس: ٣٨]

أقوال المفسرين في المراد بمستقر الشمس في هذه الآية

فيه خمسة أقوال:

أحدها: إلى موضع قرارها.

الثاني: أَنَّ مُسْتَقَرَّها مغربها لا تجاوزُه ولا تقصر عنه

الثالث: لِوقت واحدٍ لا تعدُوه، أو لِوقت لها إلى يوم القيامة.

الرابع: تسير في منازلها حتى تنتهيَ إلى مُسْتَقَرِّها الذي لا تجاوزُه.

الخامس: أن مستقرها تحت العرش.(4)

رأي القنوجي

قال القنوجي: قيل: والمراد بالمستقر يوم القيامة فعنده تستقر فلا تبقى لها حركة، وقيل: مستقرها هو أبعد ما تنتهي إليه ولا تجاوزه، وقيل: نهاية ارتفاعها في الصيف، ونهاية هبوطها في الشتاء، وقيل: مستقرها تحت العرش لأنها تذهب إلى هنالك فتسجد فتستأذن في الرجوع فيؤذن لها،

---

(1) أنوار التنزيل 264/4

(2) مدارك التنزيل 3/4

(3) إرشاد العقل السليم 378/4

(4) انظر: زاد المسير 524/3 و تفسير الماوردي 17/5

وهذا هو الراجح.(1) إذا، فالراجح عند القنوجي هو أن المراد بمستقر الشمس ما تحت العرش، ثم ذكر الشيخ القنوجي الأحاديث الدالة على هذا القول.

الدراسة

للمفسرين في المراد بهذا المستقر أقوال، فذهب السمرقندي(2) والزمخشري(3) وابن عطية(4) والنسفي(5) وأبو السعود(6) إلى أن المراد أنها تذهب إلى أبعد منازلها في الغروب، ثم ترجع إلى أدنى منازلها.

وذهب الواحدي(7) والسمعاني(8) والبغوي(9) والرازي(10) إلى أن المراد انتهاء أمدها عند انقضاء الدنيا، فالشمس تجري في منازلها إلى انتهاء وقتها يوم القيامة، حيث تكور، ويذهب ضوؤها.

وذهب الجمهور من المفسرين إلى أن مستقرها تحت العرش، كما دلت الأحاديث على ذلك، منها ما روي عن أبي ذر رضي الله عنه قال: (كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم في المسجد عند غروب الشمس فقال: يا أبا ذر، أتدري أين تغرب الشمس؟ قلت: الله ورسوله أعلم، قال: **فإنها تذهب، حتى تسجد تحت العرش, فذلك قوله تعالى:** ﴿وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ﴾).(11)

وعن أبي ذر رضي الله عنه أيضاً قال: (سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قول الله تعالى: ﴿وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ﴾ قال: **مستقرها تحت العرش**). (12)

فبناء على هذه الآحاديث ذهب الجمهور إلى أن مستقرها تحت العرش، ومنهم: أبو حيان(1) والثعالبي(2) والقرطبي(3) وابن جزي(4) والشوكاني(5) والقنوجي. (6)

---

(1) فتح البيان 292/11

(2) بحر العلوم 123/3

(3) الكشاف 322/3

(4) المحرر الوجيز 300/13

(5) مدارك التنزيل 8/4

(6) إرشاد العقل السليم 45/4

(7) الوجيز للواحدي 900/2

(8) تفسير السمعاني 377/4

(9) معالم التنزيل 13/4

(10) مفاتيح الغيب 25/ 71

(11) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب التفسير، باب﴿وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ﴾ 1515/3، رقم الحديث: (4802) وكتاب بدء الخلق، باب صفة الشمس والقمر 989/2، رقم الحديث: (3199).

(12) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب التفسير، باب تفسير سورة يس 1515/3، رقم الحديث: (4803)، ومسلم في صحيحه: كتاب الإيمان، باب بيان الزمن الذي لا يقبل فيه الإيمان ص 76.

قال ابن كثير –رحمه الله-: في معنى قوله: (لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا) قولان: أحدهما: أن المراد: مستقرها المكاني، وهو تحت العرش مما يلي الأرض في ذلك الجانب، وهي أينما كانت فهي تحت العرش وجميع المخلوقات...كما جاءت بذلك الأحاديث. ثم قال: والقول الثاني: أن المراد بمستقرها هو: منتهى سيرها، وهو يوم القيامة، يبطل سيرها وتسكن حركتها وتكور، وينتهي هذا العالم إلى غايته، وهذا هو مستقرها الزماني.(7)

التعليق

والراجح –والله أعلم- هو ما ذهب إليه الجمهور –ومنهم القنوجي- من أن مستقر الشمس تحت العرش و ذلك لما يلي:

1. أنه دلت الأحاديث السابقة على أن مستقر الشمس تحت العرش، فيجب المصير إليها، ولا يلتفت معها إلى قول أحد، والقاعدة الترجيحية تقول: (**إذا ثبت الحديث، وكان نصاً في تفسير الآية فلا يصار إلى غيره**).

2. أن هذا هو قول جمهور المفسرين، وما رجحه جمهور المفسرين مقدم على غيره. والقاعدة تقول: (**تفسير جمهور السلف مقدم على كل تفسير شاذ**).

والله أعلم بالصواب

❁❁❁

المسألة : إلى من يعود الضمير في كلمة (ذريتهم) في قوله تعالى :

﴿وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿٤١﴾﴾ [يس: ٤١]

أقوال المفسرين في من يعود إليه الضمير في ذريتهم

فيه أربعة أقوال:

أحدها: أن الذرية الآباء حملهم الله تعالى في سفينة نوح عليه السلام

الثاني: أن الذرية الأبناء والنساء لأنهم ذرء الآباء حملوا في السفن

---

(1) البحر المحيط 7/ 336

(2) الجواهر الحسان 13/5

(3) الجامع لأحكام القرآن 17/ 445

(4)التسهيل لابن جزي 163/3

(5)فتح القدير 457/4

(6)فتح البيان 292/11

(7) تفسير ابن كثير 576/6

الثالث: أن الذرية النطف حملها الله تعالى في بطون النساء تشبيهاً بالفلك المشحون.(1)

الرابع: المراد القرون الماضية.(2)

رأي القنوجي

قال القنوجي: الضمير يرجع إلى القرون الماضية، والمعنى: أن الله حمل ذرية القرون الماضية... وقيل: الضميران لكفار مكة ونحوهم، والمعنى: أن الله حمل ذرياتهم من أولادهم وضعفائهم على الفلك فامتن الله عليهم بذلك، أي أنهم يحملونهم معهم في السفن إذا سافروا أو يبعثون أولادهم للتجارة لهم فيها....وقيل: الذرية الآباء والأجداد، والفلك: هو سفينة نوح أي أن الله حمل آباء هؤلاء وأجدادهم في سفينة نوح.... وقيل الذرية النطف الكائنة في بطون النساء، وشبه البطون بالفلك المشحون. قاله علي بن أبي طالب، ذكره الماوردي **والراجح القول الثاني** ثم الأول ثم الثالث، وأما الرابع: ففي غاية البعد والنكارة.(3) فالراجح عند القنوجي أن الضمير يرجع إلى أهل مكة.

الدراسة

اختلف المفسرون في من يعود إليه الضمير على أقوال فمنهم من ذهب إلى أن الضمير يرجع إلى القرون الماضية، وبهذا قال الفراء(4) والزجاج(5) والنحاس،(6) والسمين الحلبي. (7)وذهب آخرون إلى أن المراد بالذرية الآباء والأجداد لأهل مكة، و رجحه القرطبي،(8) وبه قال السمرقندي(9) والواحدي(10) والسمعاني(11) والبغوي(12) وابن الجوزي(13) والرازي(14) والنسفي(1) وابن جزي(2) والمحلي(3) واختاره ابن كثير ولم يذكر سواه.(4)

---

(1) تفسير الماوردي 19/5

(2) فتح البيان 298/11

(3) فتح البيان 298/11

(4) معاني القرآن 379/2

(5) معاني القرآن وإعرابه 288/4

(6) إعراب القرآن 723/2

(7) الدر المصون 486/5

(8) تفسير القرطبي 453/17

(9) بحر العلوم 124/3

(10) الوجيز للواحدي 900/2

(11) تفسير السمعاني 380/4

(12) معالم التنزيل 15/4

(13) زاد المسير 23/7

(14) مفاتيح الغيب 78/25

وذهب البعض إلى أن المراد بهم ذريات أهل مكة من أولادهم وضعفائهم، وهو ما رجحه الزمخشري(5) والبيضاوي(6) والشوكاني(7) والقنوجي(8) وابن عاشور(9) وغيرهم.

وأما القول بأن المراد بالذرية النطف و بالفلك البطون، فمنسوب إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه كما ذكر القنوجي، نقلاً عن الماوردي، وهو خلاف الأصل؛ لأنه خلاف الظاهر. وقال الألوسي: والظاهر أنه لم يصح عن علي رضي الله عنه وفي الآية ما يبعده وهو أشبه شيء بتأويلات الباطنية.(10)

التعليق

والراجح –والله أعلم- صحة القول بأن الضمير راجع إلى أهل مكة، سواء كان المراد من الذرية الآباء والأجداد أو المراد بها الأولاد والضعفاء، وإن كان ابن عطية –رحمه الله- غلط من زعم أن الذرية تطلق على الأباء فقال: إن هذا لا يعرف لغة.(11) ولكن نظراً لتوحيد الضمائر، وتنسيق الآيات وارتباطها مع بعض، يرجح القول بأن الضمائر كلها راجعة إلى أهل مكة. والقاعدة تقول: (**توحيد مرجع الضمائر في السياق الواحد أولى من تفريقها**).

وأما القول بأنه الضمير يعود إلى القرون الماضية -كما رجح البعض-، فإنه أيضاً خلاف قاعدة: (**إعادة الضمير إلى المذكور أولى من إعادته إلى مقدر**)، فلذا يرجح قول القنوجي ومن وافقه بأن المراد أهل مكة.

والله أعلم بالصواب

❁❁❁

---

(1) مدارك التنزيل 9/4

(2) التسهيل لابن جزي 164/3

(3) الجلالين ص 583

(4) تفسير ابن كثير 579/6

(5) الكشاف 3/ 324

(6) أنوار التنزيل 269/4

(7) فتح القدير 469/4

(8) فتح البيان 198/11

(9) التحرير والتنوير 27/23

(10) روح المعاني 26/12

(11) المحرر الوجيز 455/4

المسألة : المراد بـ (المثل المخلوق)

في قوله تعالى: ﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿٤١﴾ وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِۦ مَا يَرْكَبُونَ ﴾ [يس : 41-42].

أقوال المفسرين في المراد بالمثل

فيه ثلاثة أقوال:

الأول: المراد بالمثل هو الإبل، وتسمى سفن البر.

الثاني: المراد السفن التي تجري على الماء.(1)

الثالث: المراد كل ما يركب سواء السفن أو الإبل أو غيرهما من المركوبات.(2) كالعجلات والطائرات وغيرها.

رأي القنوجي

قال القنوجي: أي وخلقنا لهم مما يماثل الفلك ما يركبونه على أن (ما) هي الموصولة ومن زائدة وقال مجاهد وقتادة وجماعة من أهل العلم من المفسرين وهي الإبل خلقها لهم للركوب في البر مثل السفن المركوبة في البحر، والعرب تسمي الإبل سفائن البر، وقيل: المعنى وخلقنا لهم سفناً أمثال تلك السفن يركبونها، قاله الحسن والضحاك وأبو مالك، وقال النحاس: وهذا أصح لأنه متصل الإسناد عن ابن عباس، وقيل: هي السفن المتخذة بعد سفينة نوح. قلت: **والعموم أولى ولا وجه للتخصيص**، فيشمل كل ما يركب حيواناً كان أو جماداً دخاناً كان أو ريحاً، كالعجلات الحادثة في هذا الزمان، وما سيحدث في المستقبل بتلاحق الأفكار وتعامل الأيدي والأنظار.(3) فالراجح عند القنوجي هو القول الثالث والأخير.

الدراسة

اختار أكثر المفسرين أن المراد بالمثل في الآية المذكور هي السفن، وممن ذهب إلى هذا القول:

1. **الإمام الطبري:** قال: وأشبه القولين بتأويل ذلك قول من قال: عُنِي بذلك السفن، وذلك لدلالة قوله ﴿وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنقَذُونَ﴾ [يس: ٤٣]، على أن ذلك كذلك، وذلك أن الغرق معلوم

(1) زاد المسير 3/ 525

(2) تفسير القرطبي 15/ 35

(3) فتح البيان 299/11

أن لا يكون إلا في الماء، ولا غرق في البرّ.(1)

2. **الإمام ابن جزي:** قال: ﴿وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِۦ مَا يَرْكَبُونَ﴾ إن أراد بالفلك سفينة نوح فيعني بقوله: من مثله سائر السفن التي يركبها سائر الناس، وإن أراد بالفلك جنس السفن فيعني بقوله من مثله الإبل وسائر المركوبات، فتكون المماثلة على هذا في أنه مركوب لا غير، **والأول أظهر**، لقوله ﴿وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ﴾، ولا يتصور هذا في المركوبات غير السفن.(2)

3. **الإمام ابن عطية:** قال: وأما معنى الآية فيحتمل تأويلين: أحدهما قاله ابن عباس وجماعة، وهو أن يريد بـالذريات المحمولين: أصحاب نوح في السفينة، ويريد بقوله (مِنْ مِثْلِهِ) السفن الموجودة في جنس بني آدم إلى يوم القيامة، وإياها أراد الله تعالى بقوله ﴿وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ﴾، والتأويل الثاني قاله مجاهد والسدي وروي عن ابن عباس أيضا هو أن يريد بقوله ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ﴾ السفن الموجودة في بني آدم إلى يوم القيامة ويريد بقوله وَخَلَقْنا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ ما يَرْكَبُونَ الإبل وسائر ما يركب فتكون المماثلة في أنه مركوب مبلغ إلى الأقطار فقط، ويعود قوله ﴿وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ﴾ على السفن الموجودة في الناس، وأما من خلط القولين فجعل الذرية في الفلك في قوم نوح في سفينة وجعل مِنْ مِثْلِهِ في الإبل فإن هذا نظر فاسد يقطع به قوله تعالى: ﴿وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ﴾ فتأمله.(3)

ومنهم من ذهب إلى أن المراد بالمثل: الإبل، وهذا القول نقله الطبري عن ابن عباس وعكرمة ومجاهد و الحسن.(4)

التعليق

والراجح –والله أعلم- هو ما ذهب إليه أكثر المفسرين من أن المراد بالمثل هو السفن، وذلك لما يلي:

1. أن الإبل ليس مثلاً للسفن لا لغة ولا حقيقة.

2. لو كان المراد منه الإبل لكان قوله: ﴿وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِۦ مَا يَرْكَبُونَ﴾ [يس : 42] فاصلاً بين متصلين وهما قوله تعالى: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ﴾ [يس : 41] وقولـــه : ﴿وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنقَذُونَ﴾ [يس : 43].(5) وهذا مناف لنظم القرآن.

---

(1) تفسير الطبري 525/20

(2) التسهيل لابن جزي 183/2

(3) المحرر الوجيز 455/4

(4) تفسير الطبري 524/20

(5) تفسير الرازي 81/25

3. أن ما بعدها تدل على أن المراد هي السفن وهي قوله: ﴿ وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنقَذُونَ﴾ [يس : 43] فالغرق لا يكون إلا في الماء، ولا غرق في البر حتى يكون المراد بالآية: الإبل.

4. وهذا هو الأليق والأوفق مع السياق.

و أما ما ذهب إليه الشيخ القنوجي من أن المراد به العموم، فظاهره يخالف السياق، وإدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أولى من الخروج به عنهما إلا بدليل. و قرائن السياق مرجحة على ما خالفه. كما في القواعد الترجيحية.

والله أعلم بالصواب

❁❁❁

سورة الصافات

المسألة : المراد بالصافات والزاجرات والتاليات

قوله تعالى: ﴿ وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفًّا ۝١ فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجْرًا ۝٢ فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكْرًا ۝٣ ﴾ [سورة الصافات: 1-3].

الأقوال الواردة في معنى هذه الكلمات

اختلف العلماء في المراد بالصافات والزاجرات والتاليات المذكورة في بداية سورة الصافات؛ على أقوال منها:

1- أن المراد بها جميعاً الملائكة التي تصف في السماء صفوفاً لعبادة الله ﷻ (1).

2- أن المراد بالصافات الطير تصفّ أجنحتها في الهواء.

3- أن المراد بالصافات جماعات المسلمين يصفون في مساجدهم للصلاة، ويصفّون في غزوهم عند لقاء العدو.

4- المراد بالزاجرات: الملائكة التي تزجر السحاب أو التي تزجر عن المعاصي، والتاليات: الملائكة التي تتلو القرآن.

5- ويراد بالزاجرات زجراً، والتاليات ذكراً: جماعات العلماء العاملين يلقون آيات الله على الناس، ويزجرون عن معاص الله ﷻ بآياته ومواعظه التي أنزلها على رسله.

6- أو يراد بالزاجرات زجراً: جماعات الغزاة يزجرون الخيل، لتسرع إلى الأعداء.(2)

---

(1) التسهيل لابن جزي 366/3

(2) الأقوال من 2 إلى 5 ذكرها بالترتيب المذكور الشنقيطي في أضواء البيان 672/6، وانظر: فتح البيان 68/11

رأي القنوجي

قال القنوجي: (وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفًّا) الواو للقسم، والمقسم به الملائكة، والمراد بالصافات التي تصف في السماء من الملائكة كصفوف الخلق في الدنيا... ثم ذكر أقوالاً أخرى ثم قال: **والأولى، هو الأول**... (فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجْرًا) أي الفاعلات للزجر من الملائكة إما لأنها تزجر السحاب كما قال السدي، وإما لأنها تزجر عن المعاصي بالمواعظ والنصائح،... وذكر الأقوال الأخرى في الآية ثم قال: **والأول أولى**،... (فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكْرًا) أي الملائكة التي تتلو القرآن كما قال ابن مسعود وابن عباس والحسن ومجاهد وابن جبير والسدي.(1) إذاً الشيخ القنوجي يرى أن المراد بالصافات والزاجرات والتاليات هنا في سورة الصافات؛ جماعات الملائكة.

الدراسة

لقد وافق الشيخ القنوجي في رأيه الجمهور من أئمة التفسير من السلف والخلف حيث فسّروا الصافات والزاجرات والتاليات بأنه يراد بها الملائكة عليهم السلام، وعلى سبيل المثال:

1- الإمام الطبري: «... والذي هو أولى بتأويل الآية عندنا ما قال مجاهد ومن قال هم الملائكة، لأن الله تعالى ذكره ابتدأ القسم بنوع من الملائكة وهم الصافون بإجماع من أهل التأويل، فلأن يكون الذي بعده قسماً بسائر أصنافهم أشبه »(2).

2- ابن جزي: « (وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفًّا) تقديره والجماعات الصافات، ثم اختلف فيها؛ فقيل: هي الملائكة التي تصفّ في السماء صفوفاً لعبادة الله. وقيل: هو من يصفّ من بني آدم في الصلوات والجهاد. والأول أرجح؛ لقوله -حكاية عن الملائكة- ﴿ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ ﴾ [سورة الصافات: 165]. (فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجْرًا) هي الملائكة تزجر السحاب وغيرها... (فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكْرًا) هي الملائكة تتلو القرآن والذكر... ».(3)

---

(1) فتح البيان 68/11

(2) جامع البيان للطبري 23/23

(3) التسهيل لابن جزي 366/3

3- المحلي: « (وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفًّا) الملائكة تصفّ نفوسها في العبادة، أو أجنحتها في الهواء تنتظر ما تؤمر به: (فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجْرًا) الملائكة تزجر السحاب أي تسوقه. (فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكْرًا) أي قراءة القرآن يتلونه (ذِكْرًا) مصدر من معنى التاليات».(1)

4- الشوكاني: « والمراد بـ ﴿وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ﴾ التي تصفّ في السماء من الملائكة كصفوف الخلق في الدنيا... وقيل: المراد بالصافات هنا الطير؛ كما في قولـه: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ إِلَى ٱلطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَٰٓفَّٰتٍ﴾ [سورة الملك: 19]. والأول أولى.. والمراد بـ (فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجْرًا) فاعلات للزجر من الملائكة.. وقال قتادة: المراد بالزاجرات الزواجر من القرآن... والأول أولى... والمراد بـ (فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكْرًا) الملائكة التي تتلو القرآن»(2).

5- المراغي: « ﴿وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ﴾: هم الملائكة يقفون صفوفاً لكل واحد منهم مرتبة معينة في الشرف والفضيلة. والزاجرات زجراً: أصل الزجر الدفع عن الشيء بتسلط وصياح ثم استعمل في السَّوْق والحث على الشيء، وفي المنع والنهي، والمراد بها هنا الملائكة لأن لهم تأثيراً في قلوب بني آدم بزجرهم عن المعاصي وإلهامهم فعل الخير. والتاليات ذكراً: هم الملائكة يجيئون بالكتب من عند الله ﷻ إلى أنبيائه».(3)

6- السعدي -بعد ذكر الآيات- قال: « هذا قسم منه تعالى بالملائكة الكرام، في حال عبادتهم وتدبيرها ما تدبره بإذن ربها، على ألوهيته تعالى وربوبيته، فقال (وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفًّا) أي: صفوفاً في خدمة ربهم، وهم الملائكة. (فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجْرًا) وهم الملائكة، يزجرون السحاب وغيره بأمر الله ﷻ. (فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكْرًا) وهم الملائكة الذي يتلون كلام الله تعالى »(4).

7- الشنقيطي، قال: « أكثر أهل العلم على أن المراد بالصافات هنا، والزاجرات والتاليات: جماعات الملائكة».(5).

---

(1) تفسير الجلالين ص 374

(2) فتح القدير للشوكاني 4/373-374

(3) تفسير المراغي 23/42

(4) تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص 700

(5) أضواء البيان للشنقيطي 6/671-673

وكذلك فسّرها بأن المراد الملائكة كل من: الإمام النيسابوري(1)، وابن كثير(2)، والألوسي(3)، وسيد قطب(4). رحمهم الله جميعاً.

ولا يوجد من المفسرين قديماً ولا حديثاً من رجّح قولاً مخالفاً لما ذهب إليه الموافقون، أمّا منْ لم يرجح بأن المراد الملائكة؛ ربما جمع الأقوال كلها أو بعضها عند تفسيره للآية فمن هؤلاء المفسرين:

1- الماوردي(5). 2- البغوي(6). 3- النسفي(7).

4- الزمخشري(8). 5- ابن عطية(9). 6- ابن الجوزي(10).

7- القرطبي(11). 8- الخازن(12). 9- أبوحيان(13).

10- البيضاوي(14). 11- القاسمي(15).

التعليق

بالنظر في ما قاله المفسرون في بيان المراد بالصافات والزاجرات والتاليات؛ يظهر -والله أعلم- أن الراجح هو أن يراد بها جميعاً: الملائكة عليهم السلام، وذلك لأمور:

1- إجماع الجمهور على أن المراد بالصافات والزاجرات والتاليات الملائكة عليهم السلام، وقد ذكرتُ عدداً من أئمة التفسير الذين رجّحوا هذا القول. وقد حكى الإمام ابن الجوزي إجماع الجمهور

---

(1) إيجاز البيان للنيسابوري 147/2

(2) تفسير القرآن العظيم لابن كثير 2/4

(3) روح لمعاني للألوسي 65/23

(4) في ظلال القرآن لسيد قطب 2982/5

(5) النكت والعيون للماوردي 36/5

(6) مختصر البغوي 783/2

(7) مدارك التنـزيل للنسفي 13/4

(8) الكشاف للزمخشري 32/4

(9) المحرر الوجيز لابن عطية 333/12

(10) زاد المسير لابن الجوزي 286/6

(11) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي 62/15

(12) لباب التأويل للخازن 15/6

(13) البحر المحيط لأبي حيان 90/9

(14) أنوار التنـزيل للبيضاوي 155/2

(15) محاسن التأويل للقاسمي 5025/14

عليه(1)، كما أن المفسرين ذكروا عدداً غير قليل من الصحابة والتابعين وأئمة التفسير قالوا به.(2) والقاعدة تقول: (**كل تفسير خالف القرآن أو السنة أو الإجماع فهو رد**).

2- عدم وجود مخالف إطلاقاً، فإنه لم يوجد أحد من المفسرين رجح قولاً مخالفاً لما ذهب إليه الجمهور، وإنما من لم يرجح جمع الأقوال كلها أو بعضها عند تفسير الآيات -وقد مرّ معنا قريباً ذكر عدد منهم-.

3- إنه الموافق لتفسير القرآن، وقد جاء وصف الملائكة بأنهم صافون، في قولـه تعالى عنهم: ﴿ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ ﴿١٦٦﴾ ﴾ [سورة الصافات: 165-166]، وكذلك الآيات التي تدل على أنهم يلقون الذكر على الأنبياء؛ لأجل الإعذار والإنذار به، كقوله تعالى: ﴿ فَٱلْمُلْقِيَٰتِ ذِكْرًا ﴿٥﴾ عُذْرًا أَوْ نُذْرًا ﴿٦﴾ ﴾ [سورة المرسلات: 5-6]، وهو أولى أقسام التفسير وأحسنه. والقاعدة تقول: (**ما تأيد بآيات قرآنية مقدم على ما عدم ذلك**).

5- استناداً على قاعدة توحيد مرجع الضمائر في السياق الواحد(3)، حيث تقول القاعدة: (**توحيد مرجع الضمائر في السياق الواحد أولى من تفريقها**). فإن الأولى والأفضل والأحسن في سياق الآيات أن يراد بها جميعها الملائكة، وهذا أوْلى من جعل كل صفة تكون لموصوف معين، وقد صرح الإمام الطبري بهذا حيث قال: «... والذي هو أولى بتأويل الآية عندنا ما قاله مجاهد ومن قال هم الملائكة، لأن الله تعالى ذكره ابتدأ القسم بنوع من الملائكة وهم الصافون بإجماع من أهل التأويل، فلأن يكون الذي بعده قسماً بسائر أصنافهم أشبه ».(4)

والله أعلم بالصواب.

۞ ۞ ۞

(1) زاد المسير لابن الجوزي 286/6

(2) أضواء البيان للشنقيطي 672/6

(3) الإتقان للسيوطي 509/1، وقواعد الترجيح عند المفسرين لحسين الحربي 613/2

(4) جامع البيان للطبري 23/23

المسألة : مرجع الضمير في شيعته من قوله تعالى :

﴿ ۞ وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبۡرَٰهِيمَ ﴿٨٣﴾ ﴾ [الصافات: ٨٣]

أقوال المفسرين في مرجع الضمير في شيعته

فيه قولان:

أحدهما: إن من شيعة محمد لإبراهيم عليهما السلام **الثاني:** من شيعة نوح لإبراهيم.(1)

رأي القنوجي

قال القنوجي: والمعنى كان من أتباعه في أصل الدين وإن اختلفت فروع شرائعهما أو كان بين شريعتهما اتفاق كلي أو أكثري، وإن طال الزمان، وقال الفراء: المعنى وإن من شيعة محمد لإبراهيم، فالهاء على هذا في شيعته لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم وكذا قال الكلبي، ولا يخفى ما في هذا من الضعف والمخالفة للسياق.(2) فالراجح عند الشيخ القنوجي أن الضمير راجع إلى نوح عليه السلام المذكور في الآيات السابقة، وضعف القول الآخر.

الدراسة

اختلف المفسرون في مرجع الضمير في قوله تعالى: ﴿ ۞ وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ ﴾ على قولين كما ذكرنا، فذهب جمهور المفسرين إلى أن الضمير راجع إلى نوح عليه السلام، ومنهم مجاهد(3) ومقاتل(4) ورجحه الطبري(5) ورجحه القرطبي وقال: وهو الأظهر؛ لأنه هو المذكور أولاً.(6) والرازي وقال: تقدم ذكر نوح ولم يتقدم ذكر النبي محمد صلى الله عليه وسلم، فعود الضمير إلى نوح أولى؛ لأنه أقرب مذكور.(7) ورجحه الشوكاني (8) والقنوجي (9) وآخرون.

وذهب الكلبي(10) والفراء(1) إلى أنه يعود إلى الرسول محمد صلى الله عليه وسلم.

---

(1) تفسير الماوردي 54/5، زاد المسير 3/ 544

(2) فتح البيان 400/11

(3) تفسير الطبري 61/21

(4) حكاه عنه السمرقندي في بحر العلوم 144/3

(5) تفسير الطبري 62/21

(6) تفسير القرطبي 49/18

(7) مفاتيح الغيب 146/25

(8) فتح القدير 496/4

(9) فتح البيان 400/11

(10) حكاه عنه السمرقندي 144/3، و انظر: تفسير الماوردي 54/5، وزاد المسير 3/ 544

وقد ضعف جماعة من المفسرين هذا القول، فقال عنه الطبري: أنه زعم من بعض أهل العربية،(2) وقال عنه الشوكاني والقنوجي: ولا يخفى ما في هذا من الضعف والمخالفة للسياق.(3) و حكاه السمعاني بصيغة التمريض.(4)

التعليق

والراجح –والله أعلم- هو القول بأن الضمير راجع إلى نوح عليه السلام وذلك لما يلي:

1. القرب الزمني بين نوح وإبراهيم عليهما السلام يؤيد القول ذلك، وذلك أنه لما فرغ من ذكر نوح عليه السلام شرع في ذكر إبراهيم عليه السلام، وكأنه جعل الرابط بينهما وحدة الملة والدين.
2. أن نوح عليه السلام أقرب مذكور، و الأصل أن يعود الضمير إليه، ومن القواعد الترجيحية: (**إعادة الضمير إلى المحدث عنه أولى من إعادته إلى غيره**). وتقول: (**إعادة الضمير إلى المذكور أولى من إعادته إلى مقدر**).
3. أنه قول جمهور المفسرين، وما قال به الجمهور مقدم على الأقوال الشاذة، والقاعدة تقول: (**تفسير جمهور السلف مقدم على كل تفسير شاذ**).

والله أعلم بالصواب

۞۞۞

المسألة : المراد باليمين في قوله تعالى : ﴿فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ ۝٩٣﴾ [الصافات: ٩٣]

أقوال المفسرين في المراد باليمين في هذه الآية

فيه أربعة أقوال:

أحدها: يده اليمنى.

الثاني: باليمين التي حلفها حين قال ﴿وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ﴾ [الأنبياء: ٥٧].

الثالث: يعني بالقوة , وقوة النبوة أشد.(5)

الرابع: أن اليمين كناية عن العدل كما أن الشمال كناية عن الجور.(6)

---

(1) معاني القرآن للفراء 388/2

(2) تفسير الطبري 62/21

(3) فتح القدير 496/4، وفتح البيان 400/11

(4) تفسير السمعاني 403/4

(5) تفسير الماوردي 57/5

(6) فتح البيان 402/11

رأي القنوجي

قال القنوجي: (فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ) أي فمال عليهم ضربهم ضرباً، مصدر مؤكد لفعل محذوف، أو هو مصدر لراغ لأنه بمعنى ضرب، قال الواحدي: قال المفسرون يعني بيده اليمنى يضربهم بها: وقال السدي: بالقوة والقدرة لأن اليمين أقوى اليدين، قال الفراء وثعلب: ضرباً بالقوة واليمين القوة، وقال الضحاك والربيع ابن أنس: المراد باليمين اليمين التي حلفها حين قال: ﴿وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ﴾ [الأنبياء: ٥٧] وقيل: المراد باليمين هنا العدل كما في قوله: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ ۝٤٤ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ۝٤٥﴾ [الحاقة: ٤٤ – ٤٥]، أي بالعدل، واليمين كناية عن العدل كما أن الشمال كناية عن الجور، **وأولى هذه الأقوال أُولاها**.(1) فالراجح عنده أن المراد باليمين: اليد اليمنى.

الدراسة

للمفسرين في المراد باليمين في هذه الآية أقوال، فمنهم من رجح أن المراد به يمين اليدين؛ لأنها أقوى اليدين والضرب بها أشد. وهذا القول يعتبر قول جمهور المفسرين، ونسب إلى ابن عباس، (2) وإلى هذا القول ذهب الطبري وقدمه على الأقوال الأخرى وكأنه ضعفها، (3) ورجحه القرطبي حيث ذكره بالجزم وذكر الأقوال الأخرى بالتمريض (4) ولم يذكر الواحدي سواه (5) وكذا ابن كثير(6) وقال عنه ابن جزي: وهو أظهر وأليق بالضرب.(7) وهو الراجح عند الشوكاني والقنوجي أيضاً.(8)

وأما القول بأن المراد به القوة والقدرة، فقد ذكره جماعة من المفسرين و رجحه البيضاوي.(9) والمحلي،(10) وابن عاشور(11) وغيرهم.

وثمة قول آخر وهو أن المراد باليمين العدل، فقد ذكره الشوكاني والقنوجي ولم يرجحاه.(12)

---

(1) فتح البيان 402/11

(2) المحرر الوجيز 479/4

(3) تفسير الطبري 67/21

(4) تفسير القرطبي 54/18-55

(5) الوجيز للواحدي ص 912

(6) تفسير ابن كثير 26/7

(7) التسهيل لابن جزي 194/2

(8) فتح القدير 498/4، وفتح البيان 402/11

(9) أنوار التنزيل 14/5

(10) الجلالين ص 593

(11) التحرير والتنوير 498/23

(12) فتح القدير 498/4، وفتح البيان 402/11

التعليق

والظاهر –والله أعلم- هو قول الجمهور، ومنهم القنوجي، وهو أن المراد باليمين اليد اليمنى، وذلك لما يلي:

1. أنه الغالب، وأن أكثر الناس يمارسون أداء الأعمال باليد اليمنى، قال أبو السعود: اليمين أقوى الجارحتين، وأشدهما، وقوة الآلة تقتضي قوة الفعل وشدته.(1)

2. أن استعمال اليمين في اليد اليمنى حقيقة، وفي غيره مجاز والأصل في الكلام حمله على الحقيقة، والقاعدة الترجيحية تقول: (**الأصل حمل نصوص الوحي على ظواهرها إلا لدليل**). وتقول: (**لا يجوز العدول عن ظاهر القرآن إلا بدليل يجب الرجوع إليه**).

3. أنه قول جمهور المفسرين من الصحابة والتابعين، وما رجحه جمهور المفسرين مقدم على غيره. والقاعدة تقول: (**تفسير جمهور السلف مقدم على كل تفسير شاذ**).

والله أعلم بالصواب

❁❁❁

المسألة: القول في (ما) في قوله تعالى:

﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ ٩٦ ﴾ [الصافات: ٩٦]

أقوال المفسرين في الآية

في (ما) في هذه الآية أربعة أقوال:

1- أنها مصدرية.

2- أنها موصولة بمعنى (الذي)

3- أنها استفهامية

4- أنها نافية. (2)

رأي القنوجي

قال القنوجي: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ﴾ أي وخلق الذي تصنعونه على العموم ويدخل فيها الأصنام التي تنحتونها دخولاً أولياً ويكون معنى العمل هنا التصوير والنحت ونحوهما نحو عمل الصائغ السوار، أي صاغه ويرجحه ما قبله، أي أتعبدون الذي تنحتون، أو خلقكم وخلق عملكم، وجعلها

(1) إرشاد العقل السليم 414/4

(2) المحرر الوجيز 479/4

الأشعرية دليلاً على خلق أفعال العباد لله تعالى **وهو الحق**، فإن فعلهم كان بخلق الله فيهم فكان مفعولهم المتوقف على فعلهم أولى بذلك، ويرجح على الأول بعدم الحذف، ويجوز أن تكون (ما) استفهامية أي أيُّ شيء تعملون، ومعنى الاستفهام التوبيخ والتقريع، ويجوز أن تكون نافية، أي أن العمل في الحقيقة ليس لكم فأنتم لا تعملون شيئاً وقد طول صاحب الكشاف الكلام في رد قول من قال إنها مصدرية، ولكن بما لا طائل تحته، **وجعلها موصولة أولى بالمقام وأوفق بسياق الكلام**.(1) إذاً، يرجح القنوجي القول بأنها موصولة، وهو القول الثاني.

الدراسة

لقد ذهب بعض المفسرين إلى أن (ما) هنا موصولة موافقا للقنوجي ومنهم:

1. **السمين الحلبي:** قال: أنها بمعنى الذي، أي وخلق الذي تصنعونه، والعمل هنا التصوير والنحت، ويرجح كونها بمعنى الذي تنحتون، والله خلقكم وخلق ذلك الذي تعملونه بالنحت.(2)

2. **ابن جزي** فقال: وقيل: إنها موصولة بمعنى الذي والمعنى: الله خلقكم وخلق أصنامكم التي تعملونها، وهذا أليق بسياق الكلام.(3)

3. **أبو حيان**، فقال: الظاهر أن ما موصولة بمعنى الذي معطوفة على الضمير في خلقكم، أي أنشأ ذواتكم وذوات ما تعملون من الأصنام، والعمل هنا هو التصوير والتشكيل.(4) وغيرهم من المفسرين.

وخالفهم آخرون فرجحوا القول بأن (ما) مصدرية في هذه الآية، وممن رجح كونها مصدرية:

1. **القرطبي:** قال: والأحسن أن تكون" ما" مع الفعل مصدرا، والتقدير والله خلقكم وعملكم وهذا مذهب أهل السنة.(5)

2. ابن عطية: قال: واختلف المتأولون في قوله وَما تَعْمَلُونَ، فمذهب جماعة من المفسرين أن ما مصدرية والمعنى أن الله خلقكم وأعمالكم، وهذه الآية عندهم قاعدة في خلق أفعال العباد وذلك موافق لمذهب أهل السنة في ذلك، وقالت ما بمعنى الذي، وقالت فرقة ما استفهام، وقالت فرقة هي نفي بمعنى وأنتم لا تعملون شيئا في وقت خلقكم ولا قبله، ولا تقدرون على شيء.(6)

---

(1) فتح البيان 404/11

(2) الدر المصون 509/5

(3) التسهيل لابن جزي 192/2

(4) البحر المحيط 112/9

(5) تفسير القرطبي 96/15

(6) المحرر الوجيز 4/ 479

3. **ابن كثير:** قال: يحتمل أن تكون "ما" مصدرية، فيكون تقدير الكلام: والله خلقكم وعملكم. ويحتمل أن تكون بمعنى "الذي" تقديره: والله خلقكم والذي تعملونه، وكلا القولين متلازم، **والأول أظهر**.(1)

التعليق

أرى –والله أعلم- أن ما ذهب إليه القنوجي ومن معه من المفسرين هو الراجح؛ لأنه يدل عليه السياق في الآية السابقة ﴿ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴾ [الصافات: ٩٥]، فـ (ما) موصولة في تلك الآية، وفيه إشارة إلى نحت الأصنام التي ينحتونها وتدخل في الآية دخولاً أولياً. والقاعدة الترجيحية تقول: (**القول الذي تؤيده قرائن في السياق مرجح على ما خالفه**) وتقول: (**إدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أولى من الخروج به عنهما إلا بدليل**). وتقول: (**قرائن السياق مرجحة على ما خالفه**)، وإن كنت أرى أنه ليس ثمة فرق كبير في المعنى بين كونها مصدرية وموصولة، فهو كما قال ابن كثير: كلا القولين متلازمان.(2)

والله أعلم بالصواب

❁❁❁

المسألة: المراد بالحين في قوله تعالى: ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٤﴾﴾ [الصافات: ١٧٤]

أقوال المفسرين في المراد بالحين في هذه الآية

فيه أربعة أقاويل:

أحدها: يوم بدر **الثاني:** فتح مكة **الثالث:** الموت **الرابع:** يوم القيامة.(3)

رأي القنوجي

قال القنوجي: (فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ) أي أعرض عنهم إلى مدة معلومة عند الله سبحانه وهي مدة الكف عن القتال، قال السدي ومجاهد: حتى نأمرك بالقتال وقال قتادة: إلى الموت. وقيل: إلى يوم بدر، وقيل: إلى يوم فتح مكة. قيل هذه الآية منسوخة بآية السيف **والأول أولى**.(4) فالراجح عند الشيخ القنوجي هو الكف عن القتال مدة معلومة، إلى أن يأتي الحكم بالقتال.

---

(1) تفسير ابن كثير 26/7

(2) تفسير ابن كثير 26/7

(3) تفسير الماوردي 73/5

(4) فتح البيان 435/11

الدراسة

لقد اختار المفسرون أقوالاً متباينة في المراد بالحين في هذه الآية، فذهب السدي إلى أن المراد يوم بدر، وروي مثله عن ابن عباس،(1) وهو الذي رجحه الطبري أيضاً.

قال الطبري: وهذا القول أشبه بما دلّ عليه ظاهر التنزيل، وذلك أن الله توعدهم بالعذاب الذي كانوا يستعجلونه، فقال: ﴿أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ۝١٧٦﴾[الصافات: ١٧٦]، وأمر نبيه صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم أن يُعْرِض عليهم إلى مجيء حينه. فتأويل الكلام: فتول عنهم يا محمد إلى حين مجيء عذابنا، ونزوله بهم.(2)

وروي عن قتادة أن المراد به الموت،(3) ومثله روي عن ابن عباس ومجاهد.(4)

كما روي أن المراد به يوم القيامة، روى ذلك الطبري عن ابن زيد،(5) ونقله الماوردي عن زيد بن أسلم(6) وذكره الزمخشري في الكشاف.(7)

التعليق

والراجح –والله أعلم- هذه الأقوال كلها قريبة من بعض، فالقول بأن المراد هو الموت قريب إلى القول بأن المراد يوم القيامة، والقول بأن المراد به يوم بدر أو يوم فتح مكة فإنه أيضاً مؤذن بموتهم وهلاكهم، والقول بأن المراد هو مدة الكف عن قتالهم وذلك يبدأ أيضاً تقريباً بيوم بدر. فجميع الأقوال محتملة.

وبما أن سياق الآية في خطاب النبي صلى الله عليه وسلم وتوجيهه بأن يعرض عن المشركين إلى حين، فكان السياق فيهم، وهذا مما يرجح القول بأن الغاية هي مدة الكف عن القتال، وهي مدة معلومة عند الله تعالى، وقد يكون المراد يوم بدر أو غيره من الأيام التي كسر الله تعالي فيها شوكة أهل الشرك.

والله أعلم بالصواب

❁❁❁

---

(1) تفسير القرطبي 139/15

(2) تفسير الطبري 132/21

(3) المصدر السابق 132/21

(4) ذكره البغوي عن ابن عباس 45/4، وابن الجوزي عن مجاهد 86/7

(5) تفسير الطبري 131/21

(6) تفسير الماوردي 73/5

(7) الكشاف 69/4

سورة ص

المراد بالعزة في قوله تعالى: ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي عِزَّةٍ...﴾

قولـه تعالى: ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ۝٢﴾ [سورة ص: 2].

الأقوال الواردة في معنى العزة في هذه الآية

وردت عن المفسرين عدة أقوال في بيان المراد بالعزة في هذه الآية، منها:

1- العزة: الحمية والاستكبار عن قبول الحق(1).

2- العزة: التكبر(2).

3- عزة: منعة(3).

4- عزة: المعازة والمغالبة(4).

5- عزة: امتناع من الدين(5).

6- عزة: التعظيم وما يعتقده الإنسان في نفسه من الأحوال التي تمنعه من متابعة الغير(6).

7- عزة: إباء من الحق وإعجاب بالنفس(7).

رأي القنوجي

قال الشيخ القنوجي: ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ۝٢﴾ فأضرب عن ذلك وكأنه قال لا ريب فيه قطعاً، ولم يكن عدم قبول المشركين له لريب فيه، بل هم في عزة عن قبول الحق أي تكبر وتجبر وشقاق، أي امتناع عن قبول الحق، يعني ليس الحامل لهم عليه الدليل، بل مجرد الحمية والخصام، والتقليد، والعزة عند العرب الغلبة والقهر، يقال: من عَزَّ بَزَّ أي من غلب أخذ السلب، ومنه ﴿وَعَزَّنِي فِي ٱلۡخِطَابِ ۝٢٣﴾[ص: ٢٣]، أي غلبني، والشقاق مأخوذ من الشق وهو الخلاف والعداوة،

(1) أضواء البيان للشنقيطي 13/7

(2) التسهيل لابن جزي 389/3

(3) إيجاز البيان للنيسابوري 156/2

(4) المحرر الوجيز لابن عطية 416/12

(5) الوجيز للواحدي 918/2

(6) التفسير الكبير للفخر الرازي 366/9

(7) التحرير والتنوير لابن عاشور 205/23

وقد تقدم بيانه، والتنكير فيهما للدلالة على شدتهما وتفاقمهما، وقرىء في غرة أي في غفله عما يجب عليهم من النظر، واتباع الحق، **والأول أولى**). (1)

الدراسة

ونرى جماعة من المفسرين الذين فسّروا العزة بنفس الألفاظ التي ذكرها القنوجي أو ما يقرب منها جداً، منهم:

1- الإمام الطبري: « وقولـه ﴿ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ۝٢ ﴾ يقول تعالى ذكره بل الذين كفروا بالله ﷻ من مشركي قريش في حمية ومشاقة وفراق لمحمد ﷺ وعداوة »(2).

2- ابن الجوزي: « العزة: الحميّة والتكبر عن الحق. والشقاق: الخلاف والعداوة لرسول الله ﷺ »(3).

3- القرطبي: « قولـه تعالى: ﴿ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي عِزَّةٍ ﴾ أي في تكبر وامتناع من قبول الحق؛ كما قال جل وعز: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ ۚ ﴾ [سورة البقرة: 206] »(4).

4- ابن كثير: « وقولـه تبارك وتعالى ﴿ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ۝٢ ﴾ أي إن هذا القرآن لذكر لمن يتذكر وعبرة لمن يعتبر، وإنما لم ينتفع به الكافرون لأنهم (فِي عِزَّةٍ) أي استكبار عنه وحمية (وَشِقَاق) أي ومخالفة لـه ومعاندة ومفارقة»(5).

5- الشوكاني: « ﴿ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ﴾ فاضرب عن ذلك وكأنه قال: لا ريب فيه قطعاً [يعني القرآن]، ولم يكن عدم قبول المشركين لـه لريب فيه. بل هم في عزة عن قبول الحق، أي تكبّر وتجبّر. وشقاق: أي وامتناع عن قبول الحق »(6).

6- السعدي: « (فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ) عزة وامتناع عن الإيمان به، واستكبار وشقاق لـه، أي مشاقة ومخاصمة في ردّه وإبطاله، وفي القدح بمن جاء به (7).

7-الشنقيطي، قال: « وقولـه تعالى هنا (فِي عِزَّةٍ) أي في حمية واستكبار عن قبول الحق» (8)

---

(1) فتح البيان 11/12

(2) جامع البيان للطبري 76/23

(3) زاد المسير لابن الجوزي 318/6

(4) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي 145/15

(5) تفسير القرآن العظيم لابن كثير 26/4

(6) فتح القدير للشوكاني 405/4

(7) تسير الكريم الرحمن للسعدي ص 709

(8) أضواء البيان للشنقيطي 13/7

وبنحو ذلك وقريب منه جاءت عبارات كل من: الإمام النسفي(1)، والزمخشري(2)، والخازن(3)، والنيسابوري(4)، والبيضاوي (5)، والمحلي(6)، وأبي السعود(7)، والألوسي(8)، والمراغي(9).

و خالفه في ذلك بعض المفسرين الذين فسروا العزة بأي قول آخر من الأقوال التي ذكرتها في مجمل الأقوال، منهم:

1- الإمام الواحدي: « ﴿ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ۝٢ ﴾ امتناع من الدين (وَشِقَاق) خلاف وعداوة »(10).

2- ابن عطية: « و (العزة) هنا: المعازّة والمغالبة، والشقاق نحوه، أي هم في شِقّ والحق في شِقّ »(11).

3- الفخر الرازي: «... والعزة ههنا التعظيم وما يعتقده الإنسان في نفسه من الأحوال التي تمنعه من متابعة الغير؛ لقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ ﴾ [سورة البقرة: 206]. والشقاق هو إظهار المخالفة على جهة المساواة للمخالف أو على جهة الفضيلة عليه، وهو مأخوذ من الشق كأنه يرتفع عن أن يلزمه الانقياد لـه بل يجعل نفسه في شق وخصمه في شق، فيريد أن يكون في شقة نفسه ولا يجري عليه حكم خصمه »(12).

4- ابن جزي: «... والعزة: التكبر، والشقاق: العداوة وقصد المخالفة »(13).

---

(1) مدارك التنـزيل للنسفي 26/4

(2) الكشاف للزمخشري 68/4

(3) لباب التأويل للخازن 34/6

(4) غرائب القرآن لنظام الدين النيسابوري 76/23

وهو: نظام الدين الحسن بن محمد بن الحسين النيسابوري، مفسر، لـه اشتغال بالحكمة والرياضيات، من مصنفاته (غرائب القرآن ورغائب الفرقان). توفي سنة (850هـ). الأعلام 216/2

(5) أنوار التنـزيل للبيضاوي 162/2

(6) تفسير الجلالين ص 380

(7) إرشاد العقل السليم لأبي السعود 559/4

(8) روح المعاني للألوسي 163/23

(9) تفسير المراغي 96/23

(10) الوجيز للواحدي 918/2

(11) المحرر الوجيز لابن عطية 416/12

(12) التفسير الكبير للفخر الرازي 366/9

(13) التسهيل لابن جزي 389/3

5- ابن عاشور: « والعزة تحوم إطلاقاتها في الكلام حول معاني المَنَعَة والغلبة والتكبر، فإن كان ذلك جارياً على أسباب واقعة فهي العزة الحقيقية، وإن كان من غرور وإعجاب بالنفس فهي عزة مزورة، وهي هنا عزة باطلة أيضاً لأنها إباء من الحق وإعجاب بالنفس »(1).

وكلام النيسابوري(2) والثعالبي(3)، والقاسمي(4) يشبه كلام بعض من ذكرت.

التعليق

بمقارنة أقوال المفسرين في بيان المراد بالعزة هنا في سورة ص؛ يظهر -والله أعلم- أنه لا يوجد خلاف جوهري بينهم، حيث إن الخلاف فقط في الألفاظ التي عبّروا بها، وهو اختلاف تنوع، وإلاّ فإن كلامهم كله ينصبّ في معنى واحد، وهو أن الكفار أخذتهم حميّة الجاهلية واستكبروا عن قبول الحق الذي جاء به النبي ﷺ متمثلاً في هذا القرآن الكريم، وبالطبع تكبرهم هذا ليس عن دوافع حقيقية تدعوهم إلى هذا التعزز والتكبر وإنما عن دوافع باطلة؛ لأن العزة الحقيقية لا تكون للكفار أبداً بدليل قولـه تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [سورة المنافقون: 8]. فلذلك أقول: إن جميع الأقوال الواردة عن المفسرين في بيان قولـه تعالى: ﴿ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِى عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ۝٢ ﴾ يصح حمل الآية عليها جميعها؛ لأن الخلاف بينهم في الألفاظ وكلهم يقصد نفس المعنى، فهو من اختلاف التنوع لا التضاد. والله أعلم بالصواب.

۞ ۞ ۞

المسألة: المراد باليد في قوله تعالى:

﴿ قَالَ يَـٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ ﴾ [سورة ص : 75] .

أقوال المفسرين في المراد باليد في الآية

في المراد باليد في الآية قولان:

1. المراد باليد: النعمة أو القدرة.

2. المراد باليد: صفة من صفات ذات الله عز وجل على المعنى اللائق به سبحانه.(5)

---

(1) التحرير والتنوير لابن عاشور 205/23

(2) إيجاز البيان للنيسابوري 156/2

(3) جواهر الحسان للثعالبي 30/4

(4) محاسن التأويل للقاسمي 5076/14

(5) ذكره القنوجي وغيره من المفسرين، انظر: فتح البيان 68/12

رأي القنوجي

قال القنوجي: وأضاف خلقه إلى نفسه تكريماً له وتشريفاً، مع أنه سبحانه خالق كل شيء، كما أضاف إلى نفسه الروح والبيت والناقة والمساجد. قال مجاهد: اليد هنا لمعنى التأكيد والصلة مجازاً، كقوله: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ﴾ [الرحمن: ٢٧] وقيل أراد باليد القدرة، يقال: ما لي بهذا الأمر يد، وما لي به يدان، أي قدرة، وقيل: التثنية في اليد للدلالة على أنها ليست بمعنى القوة والقدرة، بل للدلالة على أنهما صفتان من صفات ذاته سبحانه، **وهو الأولى.**(1)

الدراسة

لقد ذهب بعض المفسرين إلى تأويل اليد بالقدرة أو النعمة، وهم المتأولة، وخالفوا مذهب السلف، ومنهم:

1. **ابن عطية** حيث قال: وهذه كلها عبارة عن القدرة والقوة، وعبر عن هذا المعنى بذكر اليد تقريبا على السامعين، إذ المعتاد عند البشر أن القوه والبطش والاقتدار إنما هو باليد، وقد كانت جهالة العرب بالله تعالى تقتضي أن تنكر نفوسها أن يكون خلق بغير مماسة، ونحو هذا من المعاني المعقولة، وذهب القاضي ابن الطيب(2) إلى أن اليد والعين والوجه صفات ذات زائدة على القدرة والعلم وغير ذلك من متقرر صفاته تعالى، وذلك قول مرغوب عنه ويسميها الصفات الخبرية.(3)

2. الزمخشري أيضاً قال: فإن قلت: ما وجه قوله خَلَقْتُ بِيَدَيَّ: قلت: قد سبق لنا أنّ ذا اليدين يباشر أكثر أعماله بيديه، فغلب العمل باليدين على سائر الأعمال التي تباشر بغيرهما، حتى قيل في عمل القلب: هو مما عملت يداك.(4)

3. البيضاوي قال: والتثنية لما في خلقه من مزيد القدرة.(5)

4. وإلى هذا ذهب النسفي(6) وغيره.

---

(1) فتح البيان 68/12

(2) هو الإمام القاضي أبي بكر محمد بن الطيب الباقلاني، من كبار علماء الكلام. انتهت اليه الرياسه في مذهب الأشاعرة. ولد في البصرة، وسكن بغداد فتوفي فيها. كان جيد الاستنباط، سريع الجواب. من كتبه: إعجاز القرآن والملل والنحل و هداية المرشدين، وغيرها. توفي سنة 403هـ. انظر: الأعلام للزركلي 176/6

(3) المحرر الوجيز 515/4

(4) الكشاف 4/ 105

(5) تفسير البيضاوي 5/ 34

(6) مدارك التنزيل للنسفي 165/3

و أما الذين قالوا بأن اليد هنا صفة من صفات الله تعالى كما تليق بجلاله فكثيرون، منهم: الإمام القرطبي(1) وابن جزي(2) وابن القيم(3) وغيرهم. وهو الذي رجحه القنوجي.

التعليق

والرجح – والله أعلم- هو ما ذهب إليه القنوجي من أنه صفة من صفات الله تعالى كما تليق بجلاله، وذلك لما يلي:

1. أن هذا هو مذهب السلف،(4) والقاعدة التفسيرية تقول: (**إن تفسير جمهور السلف مقدم على كل تفسير شاذ**)، وتقول: (**تفسير السلف وفهمهم لنصوص الوحي حجة على من بعدهم**).

2. أن ورود لفظ (اليد) مفرداً تارة ومثنى تارة وذكر (اليمني) تارة أخرى يمنع المجاز كما في قوله تعالى : ﴿ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾ [ص : 75] وقوله : ﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾ [المائدة : 64] وقوله: ﴿ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ ﴾ [الزمر : 67] فلو كان لفظ (اليد) مجازاً في القدرة والنعمة لم يستعمل منه لفظ (يمين). فهذا من نوع تفسير القرآن بالقرآن، فما أبهم منه في موضع يفسره موضع آخر.

3. أن القرآن الكريم نزل بلسان عربي مبين، والعرب لا يثبتون اليد بمعنى القدرة والنعمة إلا لمن كان له يد حقيقية، فلا يقال: للنار يد على الحرق، وللهواء يد على إسقاط الأشجار، وهكذا.

4. أن الله تعالى وصف نفسه بهذه الصفة، فلا يجوز لنا تأويل هذه الصفة بالقدرة والنعمة، ما دام الله سبحانه وتعالى وصف بها نفسه. فلا تبديل لكلمات الله.

والله أعلم بالصواب.

❁❁❁

(1) تفسير القرطبي 228/15

(2) التسهيل لابن جزي 213/2

(3) التفسير القيم ص 455

(4) كما نقله غير واحد. انظر: روح المعاني للألوسي 225/23

سورة الزمر

المسألة: المراد بأرض الله وسعتها في قوله تعالى: ﴿ وَأَرۡضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ ﴾ [سورة الزمر: 10].

الأقوال الواردة في الآية

1- أن المراد بالآية حث على الهجرة إذا كان المسلم في مكانه لا يتمكن من إقامة شرائع الدين(1).

2- أن المراد بالأرض الواسعة: الجنة(2).

3- أو يراد بسعة الأرض سعة الأرزاق(3).

رأي القنوجي

قال الشيخ القنوجي: ﴿ وَأَرۡضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ ﴾ وبلاده كثيرة، فليهاجر إلى حيث تمكنه طاعة الله والعمل بما أمر به، والترك لما نهى عنه، كما هو سنة الأنبياء والصالحين، فإنه لا عذر له في التفريط أصلاً؛ ومثل ذلك قوله سبحانه ﴿أَلَمۡ تَكُنۡ أَرۡضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا﴾ [النساء: ٩٧] وقد مضى الكلام في الهجرة مستوفى في سورة النساء. وقيل المراد بالأرض الواسعة هنا أرض الجنة، رغبهم في سعتها وسعة نعيمها كما في قوله: ﴿وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ﴾ [آل عمران: ١٣٣] والجنة قد تسمى أرضاً. قال تعالى ﴿وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي صَدَقَنَا وَعۡدَهُۥ وَأَوۡرَثَنَا ٱلۡأَرۡضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلۡجَنَّةِ حَيۡثُ نَشَآءُ﴾ [الزمر: ٧٤] **والأول أولى.**(4) فتبيّن أن الراجح عند الشيخ القنوجي هو القول الأول وهو أن المراد بالآية هو الحث على الهجرة.

الدراسة

جمهور المفسرين ذهبوا إلى أن هذه الآية يراد بها الحث على الهجرة من المكان الذي لا يتمكن فيه المسلم من إقامة شرائع الدين إلى حيث يمكنه ذلك، وهو ما ذهب إليه الشيخ القنوجي، أذكر كلام البعض وأشير إلى البقية، فمنهم:

1- الإمام الطبري: « وقولـه: ﴿ وَأَرۡضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ ﴾ يقول تعالى ذكره: وأرض الله فسيحة واسعة فهاجروا من أرض الشرك إلى دار السلام »(5).

---

(1) فتح القدير للشوكاني 437/4

(2) زاد المسير لابن الجوزي 8/7

(3) النكت والعيون للماوردي 118/5

(4) فتح البيان 90/12

(5) جامع البيان للطبري 130/23

2- الواحدي: « ﴿ وَأَرۡضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ ﴾ فهاجروا فيها، واخرجوا من بين الكفار »(1).

3- النسفي: « ﴿ وَأَرۡضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ ﴾ أي لا عذر للمفرطين في الإحسان ألبتة حتى إن اعتلوا بأنهم لا يتمكنون في أوطانهم من التوفر على الإحسان، قيل لهم: فإن أرض الله واسعة وبلاده كثيرة فتحولوا إلى بلاد أخر، واقتدوا بالأنبياء والصالحين في مهاجرتهم إلى غير بلادهم ليزدادوا إحساناً إلى إحسانهم وطاعة إلى طاعتهم»(2).

4- ابن عطية: « ﴿ وَأَرۡضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ ﴾ يريد بها البلاد المجاورة التي تقتضيها القصة التي الكلام فيها، وهذا حضٌّ على الهجرة، ولذلك وصف الله ﷻ الأرض بالسَّعة »(3).

5- البقاعي: «... ولما كان ربما عرض للإنسان في أرض من يمنعه الإحسان، ويحمله على العصيان، حث سبحانه على الهجرة إلى حيث يزول عنه ذلك المانع، تنبيهاً على أن مثل هذا ليس عذراً في التقصير... »(4).

6- السعدي: « ﴿ وَأَرۡضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ ﴾ إذا منعتم من عبادته في أرض فهاجروا إلى غيرها، تعبدون فيها ربكم وتتمكنون من إقامة دينكم »(5).

7- سيد قطب: « ﴿ وَأَرۡضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ ﴾ فلا يقعد بكم حب الأرض، وإلف المكان، وأواصر النسب والقربي والصحبة في دارٍ عن الهجرة منها إذا ضاقت بكم في دينكم، وأعجزكم فيها الإحسان. فإن الالتصاق بالأرض في هذه الحالة مدخل من مداخل الشيطان، ولون من اتخاذ الأنداد لله في قلب الإنسان. وهذه لفتة قرآنية لطيفة إلى مداخل الشرك الخفية في القلب البشري.. »(6)

8-الشنقيطي: « الظاهر أن معنى الآية، أن الإنسان إذا كان في محل لا يتمكن فيه من إقامة دينه على الوجه المطلوب، فعليه أن يهاجر منه في مناكب أرض الله الواسعة حتى يجد محلاً يمكنه فيه إقامة دينه».(7)

---

(1) الوجيز للواحدي 930/2

(2) مدارك التنـزيل للنسفي 41/4

(3) المحرر الوجيز لابن عطية 515/12 . وكان قد ذكر قبل قليل من كلامه المذكور أن هذه الآية نزلت في جعفر بن أبي طالب وأصحابه حين عزموا على الهجرة إلى أرض الحبشة.

(4) نظم الدرر للبقاعي 472/16

(5) تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص 720

(6) في ظلال القرآن لسيد قطب 3043/5

(7) أضواء البيان للشنقيطي 47/7

وبنحو ألفاظ من ذكرتُ جاء كلام كل من: الإمام البغوي(1) والزمخشري(2) والفخر الرازي(3) والقرطبي(4) والخازن(5) وابن جزي(6) وأبي حيان(7) وابن كثير(8) والبيضاوي(9) والمحلي(10) والثعالبي (11) وغيرهم.(12)

وخالفهم في ذلك مقاتل حيث فسر أرض الله بالجنة، وقدمه الإمام السمرقندي على القول الثاني في تفسيره.(13)

التعليق

يظهر -والله أعلم- أن الآية يراد بها الحث على الهجرة إذا كان المسلم بمكان لا يتمكن فيه من إقامة شرائع الدين، وهو ما رجحه جمهور المفسرين ومنهم الشيخ القنوجي، يدل على ذلك أمور:

5- 1- أن سياق الآيات يدل على إرادة هذا المعنى الراجح، وقد صرح بدلالة السياق عليه الإمام ابن عطية بقولـه: «﴿ وَأَرۡضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌۚ ﴾ يريد بها البلاد المجاورة التي تقتضيها القصة التي الكلام فيها».(14) والقاعدة تقول: **(قرائن السياق مرجحة على ما خالفه)**.

2- كذلك دلالة آيات أخرى من القرآن الكريم عليه تؤيد المعنى الراجح المراد من هذه الآية، منها قولـه تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمۡ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمۡۖ قَالُواْ كُنَّا مُسۡتَضۡعَفِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ قَالُوٓاْ أَلَمۡ تَكُنۡ أَرۡضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَاۚ ﴾ [سورة النساء: 97]. وقوله تعالى: ﴿ يَٰعِبَادِيَ

(1) مختصر البغوي 808/2

(2) الكشاف للزمخشري 113/4

(3) التفسير الكبير للفخر الرازي 431/9

(4) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي 240/15

(5) لباب التأويل للخازن 58/6

(6) التسهيل لابن جزي 419/3

(7) البحر المحيط لأبي حيان 190/9

(8) تفسير القرآن العظيم لابن كثير 48/4

(9) أنوار التنـزيل للبيضاوي 168/2

(10) تفسير الجلالين ص 386

(11) جواهر الحسان للثعالبي 51/4

(12) كأبي السعود في إرشاد العقل السليم 603/4 ، والشوكاني في فتح القدير 437/4، والألوسي في روح المعاني 248/23، والقاسمي في محاسن التأويل 5132/14، والمراغي في تفسيره 153/23، وابن عاشور في التحرير والتنوير 354/23.

(**13**) انظر: بحر العلوم للسمرقندي 171/3

(14) المحرر الوجيز لابن عطية 515/012.

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ أَرۡضِي وَٰسِعَةٞ فَإِيَّٰيَ فَٱعۡبُدُونِ ٥٦﴾ [سورة العنكبوت: 56]، وقد أشار إلى هذا الزمخشري(1) ونظام الدين النيسابوري(2)، وأبوحيان(3)، وابن كثير(4)، والشوكاني(5)،والشنقيطي(6). والقاعدة تقول: (**ما تأيد بآيات قرآنية مقدم على ما عدم ذلك**).

3- كونه اختيار جمهور المفسرين، بدلالة كثرة القائلين به قديماً وحديثاً. وإجماع الجمهور على تفسير يقدمه على غيره(7). والقاعدة تقول: (**تفسير جمهور السلف مقدم على كل تفسير شاذ**). وتقول: (**كل تفسير خالف القرآن أو السنة أو الإجماع فهو رد**).

4- عدم وجود من رجّح قولاً آخر غيره، فإنه مع ورود أقوال أخرى إلا أنه لم يجزم أحد باعتبارها معنى للآية، بل إن بعض من يذكر القول الراجح ومعه القول المرجوح، يصرحون بترجيحهم للراجح بقولـه: « والأول أولى » ونحو ذلك، كالفخر الرازي(8)، والقرطبي(9)، والشوكاني(10).

5- القول بأن الأرض الواسعة يراد بها الجنة، لم يرجحه أحد، سوى ما روي عن مقاتل وقدمه السمرقندي على القول الآخر، وردّ عليه الإمام ابن عطية بقولـه: «... وقال قوم: أراد بالأرض هنا الجنة، وفي هذا القول تحكم لا دليل عليه »(11). أما القول بأنه يراد بسعة الأرض سعة الرزق؛ فقد ذكره الماوردي(12) وتبعه القرطبي(13) وقالا عنه: (يحتمل) ولم يرجحه أحد.

والله أعلم بالصواب.

۞ ۞ ۞

---

(1) الكشاف للزمخشري 113/4

(2) غرائب القرآن لنظام الدين النيسابوري 119/23

(3) البحر المحيط لأبي حيان 190/9

(4) تفسير القرآن العظيم لابن كثير 48/4

(5) فتح القدير للشوكاني 437/4

(6) أضواء البيان للشنقيطي 46/7

(7) قواعد الترجيح عند المفسرين لحسين الحربي 288/1

(8) التفسير الكبير للفخر الرازي 431/9

(9) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي 240/15

(10) فتح القدير للشوكاني 437/4

(**11**) المحرر الوجيز لابن عطية 515/12

(**12**) النكت والعيون للماوردي 118/5

(**13**) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي 240/15

سورة غافر

المسألة: معنى الإماتتين والإحياءتين في قوله تعالى:

﴿ قَالُواْ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثۡنَتَيۡنِ وَأَحۡيَيۡتَنَا ٱثۡنَتَيۡنِ ﴾ [سورة غافر: 11].

الأقوال الواردة في الآية

1- أنه خلقهم أمواتاً في أصلاب آبائهم , ثم أحياهم بإخراجهم ثم أماتهم عند انقضاء آجالهم , ثم أحياهم للبعث , فهما ميتتان إحداهما في أصلاب الرجال , الثانية في الدنيا , وحياتان: إحداهما في الدنيا والثانية في الآخرة , قاله ابن مسعود وقتادة.

2- أن الله أحياهم حين أخذ عليهم الميثاق في ظهر آدم قولـــه: ﴿وَإِذۡ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ﴾ [الأعراف: ١٧٢]،ثم إن اللَّه أماتهم بعد أخذ الميثاق عليهم، ثم أحياهم حين أخرجهم، ثم أماتهم عند انقضاء آجالهم، ثم أحياهم للبعث فتكون حياتان وموتتان في الدنيا وحياة في الآخرة، قاله عبد الرحمن بن زيد بن أسلم.(1)

3- أن الله أحياهم حين خلقهم في الدنيا، ثم أماتهم فيها عند انقضاء أجالهم، ثم أحياهم في قبورهم للمساءلة، ثم أماتهم إلى وقت البعث، ثم أحياهم للعبث، قاله السدي.(2)

رأي القنوجي

قال الشيخ القنوجي: والمراد بالإماتتين أنهم كانوا نطفاً لا حياة لها في أصلاب آبائهم، ثم أماتهم بعد أن صاروا أحياء في الدنيا والمراد بالإحياءتين أنه أحياهم الحياة الأولى في الدنيا، ثم أحياهم عند البعث، ومثل هذه الآية قوله: ﴿وَكُنتُمۡ أَمۡوَٰتٗا فَأَحۡيَٰكُمۡۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمۡ ثُمَّ يُحۡيِيكُمۡ﴾ [البقرة: ٢٨] قاله ابن مسعود، أي كانوا أمواتاً في صلب آبائهم، ثم أخرجهم فأحياهم، ثم أماتهم، ثم يحييهم بعد الموت. وقيل: معنى الآية أنهم أميتوا في الدنيا عند انقضاء آجالهم ثم أحياهم الله في قبورهم للسؤال، ثم أميتوا ثم أحياهم الله في الآخرة.

ووجه هذا القول أن الموت سلب الحياة، ولا حياة للنطفة، ووجه القول الأول أن الموت قد يطلق على عادم الحياة من الأصل، **وقد ذهب إلى التفسير الأول جمهور السلف**، وقال ابن زيد: المراد بالآية

---

(1) هو عبد الرحمن بن زيد بن أسلم العمري المدني، كان صاحب قرآن وتفسير، روى عن أبيه وعن ابن المنكدر، وروى عنه قتيبة وهاشم، وغيرهما، من مصنفاته: التفسير والناسخ والمنسوخ، توفي سنة 182 من الهجرة. انظر: طبقات المفسرين لمحمد بن علي بن أحمد، شمس الدين الداوودي، دار الكتب العلمية – بيروت، ص 271 وطبقات المفسرين ل أحمد بن محمد الأدنه وي، تحقيق: سليمان بن صالح الخزي، مكتبة العلوم والحكم، السعودية، الطبعة الأولى 1417هـ، ص 11.

(2) انظر للأقوال الثلاثة: تفسير الماوردي 146/5

أنه خلقهم في ظهر آدم واستخرجهم، وأحياهم، وأخذ عليهم الميثاق، ثم أماتهم، ثم أحياهم في الدنيا، ثم أماتهم.(1) إذاً الشيخ القنوجي رجح القول الأول واعتبره قول جمهور المفسرين.

الدراسة

لقد ذهب إلى مثل ما ذهب إليه القنوجي في بيان المراد بالإماتتين والإحياءتين جمهور من المفسرين معتبرين الإماتتين؛ الأولى: كونهم نطفاً وعلقاَ ومضغاً قبل نفخ الروح، والثانية: الموت بعد انقضاء الأجل. وأما الإحياءتين؛ فالأولى: حياتهم في دار الدنيا، والثانية: حياتهم في الآخرة بعد البعث، وترجيح من رجّح هذا القول جاء على أشكال متنوعة:

أ- التصريح بأنه هو الراجح في الآية أو الصواب ونحو ذلك.

ب- الردّ على القولين الآخرين بأنهما ضعيفان أو خلاف ظاهر القرآن ونحو ذلك.

جـ- أو بذكر الراجح وحده فقط دون التطرق لغيره من الأقوال. وهاكم نماذج من أقوال الموافقين:

1- الإمام الواحدي: « ﴿ قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ ﴾ وذلك أنهم كانوا أمواتاً نطفاً فأحيوا ثم أميتوا في الدنيا ثم أحيوا للبعث »(2).

2- الزمخشري: « (ٱثْنَتَيْنِ) إماتتين وإحياءتين، أو موتتين وحياتين. وأراد بالإماتتين: خلقهم أمواتاً أولاً، وإماتتهم عند انقضاء آجالهم، وبالإحياءة الإحياءة الأولى وإحياءة البعث. وناهيك تفسيراً لذلك قولـه تعالى: ﴿ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ﴾ [سورة البقرة: 28] [وذكر بعد ذلك أحد الأقوال الأخرى وعلّق بأنه:] خلاف ما في القرآن »(3).

3- ابن كثير: « وقولـه ﴿ قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ ﴾: هذه الآية كقوله تعالى: ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ﴾ [سورة البقرة: 28]. وهذا هو الصواب الذي لا شك فيه ولا مرية. [ثم ذكر القولين الآخرين وقال عنهما] إنهما ضعيفان »(4).

4- الثعالبي: « واختلف في معنى قولهم أمتنا اثنتين... فقال ابن عباس وغيره: أرادوا موتة كونهم في الأصلاب ثم إحياءهم في الدنيا ثم إماتتهم الموت المعروف، ثم إحياءهم يوم القيامة، وهي كالتي في سورة البقرة: ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا ﴾ [سورة البقرة: 28] [وذكر قولاً آخر ثم قال

(1) فتح البيان 167/12

(2) الوجيز للواحدي 942/2

(3) الكشاف للزمخشري 154/4

(4) تفسير القرآن العظيم لابن كثير 74/4

بعده:] والأول أثبت »(1).

5- القاسمي: « ﴿ قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ ﴾ أي أنشأتنا أمواتاً مرتين، وأحييتنا في النشأتين كما قال تعالى: ﴿ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَىٰكُمْ ۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ﴾ [سورة البقرة: 28] قال قتادة: كانوا أمواتاً في أصلاب آبائهم، فأحياهم الله ﷻ في الدنيا، ثم أماتهم الموتة التي لابد منها، ثم أحياهم للبعث يوم القيامة. فهما حياتان وموتتان »(2).

6- الشنقيطي: « التحقيق الذي لا ينبغي العدول عنه؛ أن المراد بالإماتتين في هذه الآية الكريمة: الإماتة الأولى التي هي كونهم في بطون أمهاتهم نطفاً وعلقاً ومضغاً، قبل نفخ الروح فيهم، فهم قبل نفخ الروح فيهم لا حياة لهم، فأطلق عليهم بذلك الاعتبار اسم الموت. والإماتة الثانية هي إماتتهم وصيرورتهم إلى قبورهم عند انقضاء آجالهم في دار الدنيا. وأن المراد بالإحياءتين: الإحياءة الأولى في دار الدنيا، والإحياء الثانية التي هي البعث من القبور إلى الحساب والجزاء والخلود الأبدي الذي لا موت، إما في الجنة وإما في النار. والدليل من القرآن على أن هذا القول في الآية هو التحقيق؛ أن الله ﷻ صرح به واضحاً في قولـه جل وعلا: ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَىٰكُمْ ۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [سورة البقرة: 28]. وبذلك تعلم أن ما سواه من الأقوال في الآية لا معوّل عليه »(3).

ونحو ذلك جاء كلام الإمام ابن الجوزي(4)، وابن جزي(5)، وأبي حيان(6)، والمحلي(7)، والبقاعي(8)، والمراغي(9)، وابن عاشور(10).

ولم يخالف أحد هنا، فالقولان الآخران لم يجزم أحد بترجيحهما، بل هناك من ردّ عليهما وضعّفهما، وسيأتي في التعليق إن شاء الله.

---

(1) جواهر الحسان للثعالبي 68/4

(2) محاسن التأويل للقاسمي 5158/14

(3) أضواء البيان للشنقيطي 72/7

(4) زاد المسير لابن الجوزي 35/7

(5) التسهيل لابن جزي 5/4

(6) البحر المحيط لأبي حيان 241/9

(7) تفسير الجلالين ص 393

(8) نظم الدرر للبقاعي 19/17

(9) تفسير المراغي 51/24

(10) التحرير والتنوير لابن عاشور 97/24

التعليق

يظهر -والله أعلم- أن الراجح في تحديد الإماتتين والإحياءتين هو ما ذهب إليه الجمهور ومنهم الشيخ القنوجي، يدل لذلك أمور:

1- إن أقوى وأحسن وأفضل أنواع التفسير تفسير القرآن بالقرآن(1)، وإن آية سورة غافر التي نحن بصددها قد أجمع المفسرون على تفسيرها بآية سورة البقرة: ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [سورة البقرة: 28] ففي سورة غافر ذكر الإماتتين والإحياءتين بإجمال، وفي آية سورة البقرة ذكرت بتفصيل وترتيب.

فممّن ذكر آية البقرة تفسيراً لآية غافر؛ الإمام البغوي(2)، والنسفي(3)، والزمخشري(4)، وابن الجوزي(5)، والقرطبي(6)، والنيسابوري(7)، وابن جزي(8)، وأبوحيان(9)، وابن كثير(10)، والثعالبي(11)، والبقاعي(12)، والشوكاني(13)، والقاسمي(14)، والمراغي(15).

والقاعدة تقول: **(ما تأيد بآيات قرآنية مقدم على ما عدم ذلك)**.

2- إجماع جمهور السلف على اختيار هذا المعنى الراجح، وقد حكى إجماع الجمهور الإمام الشوكاني(16). والقاعدة تقول: **(كل تفسير خالف القرآن أو السنة أو الإجماع فهو رد)**.

---

(1) شرح مقدمة التفسير لابن عثيمين ص127، قواعد التفسير لخالد السبت 109/1

(2) مختصر البغوي 818/2

(3) مدارك التنـزيل للنسفي 56/4

(4) الكشاف للزمخشري 150/4

(5) زاد المسير لابن الجوزي 35/7

(6) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي 297/15

(7) غرائب القرآن لنظام الدين النيسابوري 30/24

(8) التسهيل لابن جزي 5/4

(9) البحر المحيط لأبي حيان 241/9

(10) تفسير القرآن العظيم لابن كثير 73/4

(11) جواهر الحسان للثعالبي 68/4

(12) نظم الدرر للبقاعي 19/17

(13) فتح القدير للشوكاني 466/4

(14) محاسن التأويل للقاسمي 5158/14

(15) تفسير المراغي 51/24

(16) فتح القدير للشوكاني 466/4

3- كذلك عدم وجود مخالف على الإطلاق يدل على قوة ترجيح المعنى المختار. وليس فقط عدم وجود مخالف، بل هناك من المفسرين من ردّ على الأقوال الأخرى؛ من ذلك:

أ- الزمخشري، بعد القول الراجح ذكر القول المرجوح وقال عنه بأنه « خلاف ما في القرآن »(1).

ب- ابن جزي، قال بعد القول المرجوح إنه « قول فاسد »(2).

ج- أبوحيان، قال عن المرجوح إنه « خلاف القرآن »(3).

د- ابن كثير، بعد القولين المرجوحين قال: « إنهما ضعيفان »(4).

5- مما يؤيد القول الراجح أيضاً -استناداً على آية سورة البقرة- أنه بدأ بذكر الإماتة أولاً(5) ثم الحياة الدنيا ثم الموت بعد انقضاء الأجل ثم البعث في الآخرة، في حين أن كلا القولين المرجوحين يُبدأ فيها بالحياة -أوضحتهما في مجمل الأقوال- وهذا خلاف ما ورد في القرآن الكريم.

6- لقد قال المفسرون عن الاختيار الراجح إنه هو الأصح(6)، وهو الصواب(7)، وهو الأثبت(8)، مما يدل على أن ما سواه ليس بصحيح أو باطل.

والله أعلم بالصواب.

۞ ۞ ۞

المسألة : المراد بالرجل المؤمن في قوله تعالى:

﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَـٰنَهُۥٓ ﴾ [سورة غافر: 28].

الأقوال الواردة في المراد بالمؤمن في هذه الآية

اختلف المفسرون في المراد بهذا الرجل المؤمن على أقوال:

1- أنه كان ابن عم فرعون بمنزلة وليّ العهد وكان يخفي إيمانه من فرعون وقومه خوفاً على نفسه(9).

2- أنه كان قبطياً من جنسه ولم يكن من أهله(10).

---

(1) الكشاف للزمخشري 150/4

(2) التسهيل لابن جزي 5/4

(3) البحر المحيط لأبي حيان 241/9

(4) تفسير القرآن العظيم لابن كثير 73/4

(5) غرائب القرآن لنظام الدين النيسابوري 30/24

(6) زاد المسير لابن الجوزي 35/7

(7) تفسير القرآن العظيم لابن كثير 73/4

(8) جواهر الحسان للثعالبي 68/4

(9) جامع البيان للطبري 38/24، النكت والعيون للماوردي 152/5، إيجاز البيان للنيسابوري 173/2

(10) النكت والعيون للماوردي 152/5

3- أنه كان إسرائيلياً ولكنه كان يكتم إيمانه من آل فرعون(1).

والقولان الأول والثاني متداخلان ومتشابهان جداً بل يكادان يكونان قولاً واحداً في ثنايا كلام المفسرين.

رأي القنوجي

قال الشيخ القنوجي: قال الحسن ومقاتل والسدي: كان قبطياً وهو ابن عم فرعون، وهو الذي نجا مع موسى، وهو المراد بقوله ﴿وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ﴾ [القصص: ٢٠]، وقيل: كان من بني إسرائيل ولم يكن من آل فرعون وهو خلاف ما في الآية وقد تمحل لذلك بأن في الآية تقديماً وتأخيراً، والتقدير وقال رجل من بني إسرائيل يكتم إيمانه من آل فرعون، قال القشيري: **ومن جعله إسرائيلياً ففيه بعد** لأنه يقال: كتمه أمر كذا ولا يقال كتم منه كما قال سبحانه: ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٤٢]، وأيضاً ما كان فرعون يحتمل من بني إسرائيل مثل هذا القول.(2) يبدو من كلام القنوجي أنه ردّ القول الأخير وبهذا رجح القول الأول أنه كان من آل فرعون قبطياً.

الدراسة

جمع غفير من المفسرين متفقون على أن الرجل المؤمن كان من آل فرعون، وهو هو ما رجحه الشيخ القنوجي -رحمة الله عليهم جميعاً- فمنهم:

1- الإمام الطبري، بعد أن ذكر القول الأول بأن الرجل من آل فرعون، ثم ذكر القول الثاني وأن الرجل إسرائيلي، قال: « وأولى القولين في ذلك بالصواب عندي أن الرجل المؤمن كان من آل فرعون قد أصغى لكلامه واستمع منه ما قاله وتوقف عن قتل موسى عند نهيه عن قتله وقيله ما قاله، وقال لـه ما أريكم إلا ما أرى وما أهديكم إلا سبيل الرشاد، ولو كان إسرائيلياً لكان حرياً أن يعاجل هذا القائل لـه ولملئه ما قال بالعقوبة على قولـه لأنه لم يكن يستنصح بني إسرائيل لاعتداده إياهم أعداء لـه فيكف بقولـه عن قتل موسى لو وجد إليه سبيلا، ولكنه لما كان من ملأ قومه استمع قولـه وكف عما كان هم به في موسى -عليه السلام- ».(3)

2- ابن جزي: « ﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَـٰنَهُۥٓ ﴾ روي أن هذا الرجل المؤمن كان ابن عم فرعون، فقوله من آل فرعون صفة للمؤمن. وقيل: كان من بني إسرائيل، فقوله من آل فرعون على هذا يتعلق بقولـه يكتم إيمانه. والأول أرجح؛ لأنه لا يحتاج فيه إلى تقديم وتأخير، ولقوله: ﴿ فَمَن

(1) جامع البيان للطبري 38/24

(2) فتح البيان 181/12

(3) جامع البيان للطبري 38/24

يَنصُرُنَا مِنۢ بَأۡسِ ٱللَّهِ﴾ [سورة غافر: 29]؛ لأن هذا كلام قريب شفيق، ولأن بني إسرائيل حينئذٍ كانوا أذلاء بحيث لا يتكلم أحد منهم بمثل هذا الكلام »(1).

3- ابن كثير: « المشهور أن هذا الرجل المؤمن كان قبطياً »(2). ثم تكلم عن ترجيح الطبري لهذا القول وردّه للقول الآخر. وقد مرّ معنا كلام الطبري قريباً.

4- البقاعي: « (وَقَالَ رَجُلٌ) أي كامل في رجوليته (مُّؤۡمِنٞ) أي راسخ الإيمان فيما جاء به موسى -عليه السلام- . ولما كان للإنسان، إذا عم الطغيان، أن يسكن بين أهل العدوان، إذا نصح بحسب الإمكان، أفاد ذلك بقولـه (مِّنۡ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ) أي وجوههم ورؤسائهم (يَكۡتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ) أي يخفيه إخفاء شديداً خوفاً على نفسه؛ لأن الواحد إذا شذ عن قبيلة يطمع فيه ما لا يطمع إذا كان واحداً من جماعة مختلفة، مخيلاً لهم بما يوقفهم عن الإقدام على قتله من غير تصريح بالإيمان »(3).

5- المراغي: « الرجل المؤمن هو ابن عم فرعون ووليّ عهده وصاحب شرطته، وهو الذي نجا مع موسى، وهو المراد بقولـه ﴿وَجَآءَ رَجُلٞ مِّنۡ أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ يَسۡعَىٰ﴾ [سورة القصص: 20] »(4).

6- السعدي: « هذا الرجل المؤمن، الذي من آل فرعون، من بيت المملكة، لا بد أن يكون لـه كلمة مسموعة، وخصوصاً إذا كان يظهر موافقتهم ويكتم إيمانه، فإنهم يراعونه في الغالب ما لا يراعونه لو خالفهم في الظاهر... قال ذلك الرجل المؤمن الموفق العاقل الحازم ، مقبحاً فعل قومه، وشناعة ما عزموا عليه (أَتَقۡتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ)».(5)

7- سيد قطب « ... هنا انتدب رجل من آل فرعون، وقع الحق في قلبه، ولكنه كتم إيمانه انتدب يدفع عن موسى -عليه السلام-، ويحتال لدفع القوم عنه، ويسلك في خطابه لفرعون وملئه مسالك شتى، ويتدسس إلى قلوبهم بالنصيحة، ويثير حساسيتها بالتخويف والإقناع »(6).

8- قال الشنقيطي: « والتحقيق أن الرجل المؤمن المذكور في هذه الآية من جماعة فرعون كما هو ظاهر قولـه تعالى: (مِّنۡ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ).»(7).

---

(1) التسهيل لابن جزي 8/4

(2) تفسير القرآن العظيم لابن كثير 77/4

(3) نظم الدرر للبقاعي 53/17

(4) تفسير المراغي 58/24

(5) تيسير الكريم الرحمن لسعدي ص 736

(6) في ظلال القرآن لسيد قطب 3078/5

(7) أضواء البيان للشنقيطي 85/7

وبمثل ذلك وبعبارات مقاربة رجح كل من: الإمام النسفي(1) والزمخشري(2) والنيسابوري(3) والفخر الرازي(4) والنيسابوري(5) والمحلي(6) والألوسي(7) وابن عاشور.(8)

والقول بأنه كان إسرائيلياً ذكره المفسرون ولم ينسبوه إلى أحد -حسب اطلاعي-.

التعليق

الراجح في هذه الآية حسب ما يظهر -والله أعلم- أن الرجل المؤمن من أشد قرابة فرعون وخاصته وجلسائه، يؤيد هذا الترجيح أمور عدة، منها:

1- من قواعد الترجيح المؤيدة لهذا القول، قاعدة: [**لا يجوز العدول عن ظاهر القرآن الكريم إلا بدليل يجب الرجوع إليه**](9)، فإن ما يدل عليه ظاهر ألفاظ الآية أن الرجل من (ءَالِ فِرْعَوْنَ) يعني من قرابته وعشيرته، فلا يصح أن يقال إن الرجل من بني إسرائيل وقد صرّح القرآن الكريم أن الرجل من آل فرعون.

2- كذلك قاعدة أخرى في الترجيح تؤيده هي قاعدة: القول بالترتيب مقدم على القول بالتقديم والتأخير، [**إذا اختلف المفسرون في تفسير آية من كتاب الله ﷻ وكان خلافهم دائراً بين مدعٍ للتقديم والتأخير في الآية ومبقٍ لها على ترتيبها، فأولى القولين بالصواب قول من قال بالترتيب؛ لأنه الأصل في الكلام**]، ولا ينتقل عن الأصل إلا بدليل واضح، وقرينة بيّنة، لاسيما إذا استقام المعنى بدونه، فإذا احتمل الأمر وعُدم الدليل والقرينة فالقول الحق أن يبقى الكلام على ترتيبه»(10) وهذا ينطبق على الترجيح في هذه الآية، فإن من يقول إن الرجل كان إسرائيلياً يبنونه على اعتبار أن في الآية تقديماً وتأخيراً، كأنها: (وقال رجل مؤمن يكتم إيمانه من آل فرعون)، بتقديم (يَكْتُمُ إِيمَـٰنَهُۥ) وتأخير

---

(1) مدارك التنـزيل للنسفي 58/4

(2) الكشاف للزمخشري 158/4

(3) إيجاز البيان للنيسابوري 173/2

(4) التفسير الكبير للفخر الرازي 509/9

(5) غرائب القرآن لنظام الدين النيسابوري 40/24

(6) تفسير الجلالين ص 295

(7) روح المعاني للألوسي 63/24

(8) التحرير والتنوير لابن عاشور 128/24

(9) قواعد الترجيح عند المفسرين لحسين الحربي 137/1

(10) المرجع السابق 451/2

(مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ)، وأما المرجحون لكونه من آل فرعون؛ فالمعنى عندهم مبني على بقاء ألفاظ الآية على تريبها، وقولهم هو الراجح بناء على القاعدة المذكورة.

3- إن المتأمل في الآيات يجد أن طريقة مخاطبة هذا الرجل المؤمن لفرعون تشمل على ما يدل أنه فعلاً من قرابة فرعون، فهو يستخدم لفظة (يَـٰقَوْمِ) عدة مرات، فلن يكون الرجل من بني إسرائيل ويخاطب فرعون ومن معه بلفظ (يَـٰقَوْمِ)، من ذلك ﴿ يَـٰقَوْمِ لَكُمُ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ظَـٰهِرِينَ فِى ٱلْأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأْسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَا ﴾ [سورة غافر: 29]، ﴿ يَـٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ ٱلْأَحْزَابِ﴾ [سورة غافر: 30]، ﴿ يَـٰقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴾ [غافر: 38] وغيرها(1).

4- يلاحظ أن فرعون « أصغى لكلام هذا الرجل واستمع إلى ما قاله وتوقف عن قتل موسى -عليه السلام- عند نهيه عن قتله »(2)، مما يدل على أن الرجل ذو مكانة اجتماعية ومنصب رفيع عند فرعون، ولو كان هذا الرجل إسرائيلياً لكان أسرع ما يكون إليه هو نفسه القتل، هذا لمجرد كونه إسرائيلياً، فكيف لو تكلم بمثل هذا الكلام، وقد جاء على لسان فرعون -فيما حكاه القرآن عنه- ﴿ ٱقْتُلُوٓا۟ أَبْنَآءَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ ﴾ [غافر: 25] ففي هذا أيضاً دليل على أن الرجل من قوم فرعون وليس من بني إسرائيل.

5- إن الدلالة اللغوية للفظ (آل) ترجح كون الرجل من قرابة فرعون « لأن لفظ الآل يقع على القرابة والعشيرة، قال تعالى ﴿ إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ ۖ نَّجَّيْنَـٰهُم بِسَحَرٍ﴾ [القمر: 34] »(3).

6- « وقد ردّ على من علّق (من آل فرعون) بـ (يكتم)؛ فإنه لا يقال: كتمت من فلان كذا، إنما يقال: كتمت فلاناً كذا، قال تعالى ﴿ وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا ﴾ [النساء: 42] »(4).

9- صرّح بعض المفسرين بالرد على القول إن الرجل كان إسرائيلياً؛ بأنه « فيه بُعد»(5) « وهو خلاف ما في الآية »(6).

والله أعلم بالصواب.

۞ ۞ ۞

(1) انظر الآيات 28-45 من سورة غافر.

(2) جامع البيان للطبري 38/24

(3) التفسير الكبير للفخر الرازي 509/9

(4) البحر المحيط لأبي حيان 251/9

(5) المرجع السابق 251/9

(6) فتح القدير للشوكاني 470/4، و فتح البيان للقنوجي 181/12

المسألة: المراد بالعرض على النار في قوله تعالى:

﴿ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ ٤٦﴾ [غافر: ٤٦]

أقوال المفسرين في المراد بالعرض على النار:

فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه يعرض عليهم مقاعدهم من النار غدوة وعشية.

الثاني: أن أرواحهم في أجواف طير سود تغدو على جهنم وتروح فذلك عرضها.

الثالث: أنهم يعذبون بالنار في قبرهم غدواً وعشياً.(1)

الرابع: أن في الكلام تقديم وتأخير والمعنى: أدخلوا آل فرعون أشد العذاب، النار يعرضون عليها غدواً وعشياً.

رأي القنوجي

قال القنوجي: (ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ) أي تعرض أرواحهم من حين موتهم إلى قيام الساعة (عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ) أي صباحاً ومساء، ... وأخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (**إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار، يقال له: هذا مقعدك حين يبعثك الله إليه يوم القيامة**)(2) ... وعرضهم عليها: إحراقهم بها، يقال عرض الإمام الأساري على السيف إذا قتلهم به، أي في هذين الوقتين يعذبون بالنار، وفيما بين ذلك إما أن يعذبوا بجنس آخر أو ينفس عنهم، ويجوز أن يكون غدواً وعشياً عبارة عن الدوام.

واحتج بعض أهل العلم على إثبات عذاب القبر بهذه الآية أعاذنا الله تعالى منه بمنه وكرمه، وبه قال مجاهد وعكرمة ومحمد بن كعب كلهم، .... ثم ذهب الجمهور إلى أن هذا العرض هو في البرزخ وقيل هو في الآخرة. قال الفراء: ويكون في الآية تقديم وتأخير، أي: أدخلوا آل فرعون أشد العذاب، النار يعرضون عليها غدواً وعشياً، ولا ملجىء إلى هذا التكلف فإن قوله: (وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ) الخ يدل دلالة واضحة على أن ذلك العرض هو في البرزخ.(3) فالراجح من بين هذه الأقوال عند الشيخ القنوجي هو القول بأن هذا العرض إنما يكون في البرزخ، والعرض يكون على شكل العذاب بالإحراق بالنار في هذين الوقتين، أو على الدوام.

---

(1) تفسير الماوردي 159/5

(2) أخرجه البخاري كتاب الجنائز (23) باب الميت يعرض عليه مقعده بالغداة والعشي، 99/2، رقم الحديث: (1379).

(3) فتح البيان 196/12-197

الدراسة

لقد أسلفنا أن للمفسرين في المراد بهذا العرض و زمنه أقوال، فذهب الجمهور إلى أن المراد بالعرض على النار هو إحراقهم بها في القبر والبرزخ، وإلى هذا ذهب مجاهد،(1) والسمعاني(2) والقرطبي(3) والشوكاني(4) وهو الذي رجحه القنوجي أيضاً.(5) وروي عن ابن مسعود **أن أرواحهم في جوف طير سود تغدو على جهنم وتروح فذلك عرضها**.(6) ورجح الإمام الطبري القولين معاً، وجعلهما محتملين.(7) وأكثر المفسرين من أهل السنة والجماعة أثبتوا عذاب القبر من هذه الآية.(8)

وخالفهم الفراء حيث جعل في الآية تقديماً وتأخيراً بأن جعل العرض في الآخرة، وهو خلاف ما ذهب إليه الجمهور، وردّ عليه جماعة من المفسرين، منهم السمعاني حيث قال: وهذا قول فاسد،(9) ومنهم القنوجي فقال: ولا ملجىء إلى هذا التكلف.(10)

التعليق

والراجح –والله أعلم- هو ما ذهب إليه القنوجي ومن معه من الجمهور، من أن المراد بالعرض هو ما يكون في البرزخ، وذلك على شكل العذاب بالإحراق بالنار وذلك لما يلي:

1. لأنه الموافق لظاهر القرآن وليس فيه تقديم ولا تأخير، والقاعدة تنص على: (**لا يجوز العدول عن ظاهر القرآن إلا بدليل**).
2. أنه يؤيده الأحاديث الدالة على وجود عذاب القبر، كما نقل عند بيان رأي القنوجي، والقاعدة تقول: (**إذا ثبت الحديث وكان في معنى أحد الأقوال فهو مرجح له على ما خالفه**).
3. إنه قول جمهور المفسرين، والقاعدة تقول: (**تفسير جمهور السلف مقدم على كل تفسير شاذ**).
4. السياق أيضاً يدل على ترجيح ذلك القول، فإن الله عز وجل ذكر عن آل فرعون أنهم يعرضون على النار، ثم عقب ذلك بعقوبة يوم القيامة، فدل على أن العذاب الأول في غير يوم القيامة، والقاعدة تقول:

---

(1) انظر: تفسير الماوردي 159/5

(2) تفسير السمعاني 24/5

(3) تفسير القرطبي 364/18

(4) فتح القدير 495/4

(5)فتح البيان 197/12

(6) انظر: تفسير السمعاني 23/5، وتفسير الماوردي 159/5

(7) انظر: تفسير الطبري 397/21

(8) انظر: تفسير السمعاني 23/5، وبحر العلوم 199/3

(9) تفسير السمعاني 24/5

(10) فتح البيان 197/12

(القول الذي تؤيده قرائن في السياق مرجح على ما خالفه) وتقول: **(إدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أولى من الخروج به عنهما إلا بدليل)**. وتقول: **(قرائن السياق مرجحة على ما خالفه)**.

والله أعلم بالصواب

❁❁❁

سورة فصلت

المسألة : المراد بـالجلود في قوله تعالى :

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيۡهِمۡ سَمۡعُهُمۡ وَأَبۡصَٰرُهُمۡ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٢٠﴾ [فصلت: ٢٠]

أقوال المفسرين في المراد بـالجلود في هذه الآية فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: الفروج. **الثاني:** الجلود المعروفة. **الثالث:** الأيدي والأرجل.(1)

رأي القنوجي

قال القنوجي: والمراد بالجلود هي جلودهم المعروفة في قول أكثر المفسرين. وقيل: المراد بها الجوارح مطلقاً، فالعطف من قبيل عطف العام على الخاص. وقال السدي وعبيد الله بن أبي جعفر والفراء: أراد بالجلود الفروج وهو من باب الكنايات... **والأول أولى.**(2) فالراجح عند الشيخ القنوجي أن المراد هي الجلود المعروفة.

الدراسة

لقد وافق قول القنوجي قول أكثر المفسرين كالطبري(3) وابن جزي(4) وابن عطية(5) والقرطبي(6) والمحلي(7) والشوكاني(8) والألوسي(9) والطاهر بن عاشور.(10)

---

(1) تفسير الماوردي 176/5

(2) فتح البيان 239/12

(3) تفسير الطبري 451/21

(4) التسهيل لابن جزي 13/4

(5) المحرر الوجيز 11/5

(6) تفسير القرطبي 405/18

(7) الجلالين ص 632

(8) فتح القدير 511/4

(9) روح المعاني 115/24

(10) التحرير والتنوير 267/11

قال الإمام ابن عطية: واختلف الناس، ما المـــراد بالجلود؟ فقال جمهـــور الناس: هي الجلود المعروفة.(1)

وقال الشوكاني: والمراد بالجلود: هي جلودهم المعروفة في قول أكثر المفسرين.(2)

وذهب ابن عباس والسدي والفراء وأبو السعود إلى أن المراد بالجلود الفروج.(3)

وقال الطبري عن هذا القول: وهذا القول الذي ذكرناه عمن ذكرنا عنه في معنى الجلود، وإن كان معنى يحتمله التأويل، فليس بالأغلب على معنى الجلود ولا بالأشهر، وغير جائز نقل معنى ذلك المعروف على الشيء الأقرب إلى غيره إلا بحجة يجب التسليم لها.(4)

التعليق

والراجح –والله أعلم- هو ما ذهب إليه الجمهور -ومنهم القنوجي- من أن المراد بالجلود في هذه الآية هي الجلود المعروفة وذلك بأن الجلود لفظ معروف وشائع في الجلود المعروفة، ولا يجوز العدول عن المتبادر إلى الذهن إلى غيره إلا بدليل يجب التسليم له –كما قال الطبري-، والقاعدة تقول: **أن اللفظ إذا احتمل معان عدة، وأحدها هو الغالب في القرآن استعمالاً فإنه يقدّم**.(5) وتقول: **(لا يجوز العدول عن ظاهر القرآن إلا بدليل)**.

والله أعلم بالصواب

❁❁❁

المسألة: المراد بالظن في قوله تعالى:

﴿ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَدْعُونَ مِن قَبْلُ ۖ وَظَنُّواْ مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ ﴿٤٨﴾ ﴾ [سورة فصلت: 48].

الأقوال الواردة في المراد بالظن في هذه الآية

1- أن الظن هنا بمعنى العلم واليقين، أي أيقنوا حينئذٍ أنه لا مهرب لهم من العذاب(6).

2- أن يكون الظن على معناه الحقيقي، وليس ببعيد أن يكون لهم ظن ورجاء(7).

رأي القنوجي

---

(1) المحرر الوجيز 11/5

(2) فتح القدير 511/4

(3) ينظر لأقوالهم: تفسير القرطبي 405/18، وإرشاد العقل السليم لأبي السعود 10/8، وفتح القدير للشوكاني 511/4

(4) تفسير الطبري 451/21

(5) انظر: مختصر قواعد التفسير لخالد السبت ص 5، 26.

(6) جامع البيان للطبري 3/25

(7) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي 372/15، فتح القدير للشوكاني 501/4

قال الشيخ القنوجي: (وَظَنُّواْ مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ) أي أيقنوا وعلموا أنه لا مهرب لهم من العذاب، يقال: حاص يحيص حيصاً إذا هرب وقيل، الظن على معناه الحقيقي لأنه بقي لهم في تلك الحال ظن ورجاء، **والأول أولى**.(1) فالذي رجحه القنوجي هو أن الظن هنا بمعنى اليقين والعلم.

الدراسة

جمهور من المفسرين -ومعهم الشيخ القنوجي- ذهبوا إلى أن المراد بالظن هنا: العلم واليقين، منهم:

1- الإمام الطبري: « وقولـه (وَظَنُّواْ مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ) يقول وأيقنوا حينئذٍ ما لهم من ملجأ أي ليس لهم ملجأ يلجئون إليه من عذاب الله ﷻ (2).

2- الواحدي: « (وَظَنُّوا) علموا (مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ) مهرب »(3). وبمثل هذا ونحوه قال.

3- البغوي (4). 4- النسفي(5). 5- الزمخشري(6).

6- ابن الجوزي(7). 7- نظام الدين النيسابوري(8). 8- ابن جزي(9).

9- أبوحيان(10). 10- البيضاوي(11). 11- المحلي(12).

12- الثعالبي(13). 13- الشوكاني(14). 14- القاسمي(15).

15- السعدي(16). 16- الشنقيطي (17)

---

(1) فتح البيان 264/12

(2) جامع البيان للطبري 3/25

(3) الوجيز للواحدي 958/2

(4) مختصر البغوي 832/2

(5) مدارك التنـزيل للنسفي 75/4

(6) الكشاف للزمخشري 199/4

(7) زاد المسير لابن الجوزي 67/7

(8) غرائب القرآن لنظام الدين النيسابوري 13/25

(9) التسهيل لابن جزي 27/4

(10) البحر المحيط لأبي حيان 315/9

(11) أنوار التنـزيل للبيضاوي 191/2

(12) تفسير الجلالين ص 405

(13) جواهر الحسان للثعالبي 98/4

(14) فتح القدير للشوكاني 501/4

(15) محاسن التأويل للقاسمي 5215/14

(16) تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص752

(17) أضواء البيان للشنقيطي 143/7-144

و خالفهم –وإن لم يكن- مخالفته صريحة الإمام البقاعي فقط –حسب علمي- اعتبر أن الظن هنا على معناه المعروف من الشك والتخمين، فعند بيانه لمعنى الآية قال: « ... وكأنهم لما هم عريقون فيه من الجهل وسوء الطبع يتوقعون أن يظفروا بهم فيشفعوا لهم، فلذلك عبر بالظن في قولـه (ظنوا) أي في ذلك الحال... »(1).

التعليق

الظاهر-والله أعلم- أن الراجح تفسير الظن هنا في سورة فصلت بأنه العلم واليقين، وأن الكفار يوم القيامة يعلموا ويتيقنوا أنه لا مفر لهم ولا ملجأ من عذاب الله ﷻ وقد شاهدوا الحقائق أمام أعينهم، وهو ما رجحه الشيخ القنوجي، يؤيد ذلك أمور:

1- إجماع الجمهور من السلف والخلف على أنه هو الراجح في بيان معنى الآية، وقد ذكرت أن عدداً كبيراً من المفسرين رجّحوا هذا المعنى، فإنه « **إذا انفرد مفسر في تفسير آية من كتاب الله تعالى بقول خالف عامّة المفسرين، ولم يكن لقوله هذا دلالة واضحة قوية فهو قول شاذ،** وقول الجماعة أولى بالصواب، وهم إلى الحق أقرب، ومن الخطأ أبعد »(2).

2- أن الظن في كثير من الآيات القرآنية ورد بمعنى اليقين، مثل قوله: تعالى: ﴿ وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا ﴾ [الكهف: 53] أي أيقنوا ذلك وعلموه، وقوله تعالى: ﴿ قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ [البقرة: 249]، وقوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُواْ كِتَٰبِيَهْ ۝ إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴾ [الحاقة: 19-20] فالظن في الآيات المذكورة كلها بمعنى اليقين »(3)

3- إن حمل الظن في الآية على معناه الحقيقي من الشك والتخمين، بمعنى أنهم « ظنوا أن هذه المقالة ﴿ مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ ﴾ [فصلت: 47]، منجاة لهم أو أمر يموِّهون به »(4)،

4- قد صرّح بعض المفسرين بالرد عليه بأنه « ضعيف »(5)، وأنه « بعيد جداً »(6).

والله أعلم بالصواب.

۞ ۞ ۞

(1) نظم الدرر للبقاعي 216/17

(2) قواعد الترجيح عند المفسرين لحسين الحربي 288/1

(3) أضواء البيان للشنقيطي 143/7-144

(4) المحرر الوجيز لابن عطية 129/13

(5) التسهيل لابن جزي 27/4

(6) جواهر الحسان للثعالبي 98/4

سورة الزخرف

المسألة: المراد بالجزء في قوله تعالى:

﴿ وَجَعَلُواْ لَهُۥ مِنۡ عِبَادِهِۦ جُزۡءًاۚ ﴾ [الزخرف: 15].

الأقوال الواردة في المراد بالجزء في الآية

1- أن المراد بالجزء: الولد عموماً.

2- أن المراد بالجزء: البنات خصوصاً.

وهذان القولان متداخلان جداً، فيدخل القول الثاني في الأول، وذلك أن لفظ الولد في اللغة شامل للأبناء والبنات(1)، ومن ناحية أخرى أن البنات أحد النوعين اللذين يولدان.

3- أن (جزءاً) تعني نصيباً، أي جعلوا لـه من عباده نصيباً. مع العلم أن المفسرين الذين فسروا الجزء بأنه النصيب، فسروه بأنه قول المشركين: الملائكة بنات الله، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

4- أن (جزءاً) تعني عدلاً ونظيراً، يعني الأصنام وغيرها من المعبودات من دون الله ﷻ(2).

رأي القنوجي

قال الشيخ القنوجي: (مِنۡ عِبَادِهِۦ جُزۡءًا) أي ولداً وسماه جزءاً دلالة على استحالته على الواحد في ذاته، لأن المركب لا يكون واحد الذات، قال قتادة جزءاً أي عدلاً يعني ما عبد من دون الله، وقال الزجاج والمبرد الجزء هنا البنات، والجزء عند أهل العربية البنات، يقال: قد أجزأت المرأة إذا ولدت البنات. وقد جعل صاحب الكشاف تفسير الجزء بالبنات من بدع التفسير، وصرح بأنه مكذوب على العرب ويجاب عنه بأنه قد رواه الزجاج والمبرد وهما إماما اللغة العربية وحافظاها ومن إليهما المنتهى في معرفتها، ويؤيد تفسير الجزء بالبنات ما سيأتي من قوله ﴿أَمِ ٱتَّخَذَ مِمَّا يَخۡلُقُ بَنَاتٖ﴾ [الزخرف: ١٦]، وقوله: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحۡمَٰنِ مَثَلٗا﴾ [الزخرف: ١٧]، وقوله: ﴿وَجَعَلُواْ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمۡ عِبَٰدُ ٱلرَّحۡمَٰنِ إِنَٰثًاۚ﴾ [الزخرف: ١٩]، وقيل: المراد بالجزء هنا الملائكة فإنهم جعلوهم أولاداً لله سبحانه قاله مجاهد والحسن قال الأزهري، ومعنى الآية أنهم جعلوا لله من عباده نصيباً على معنى أنهم جعلوا نصيب الله من الولدان.(3)

---

(1) القاموس المحيط للفيروز آبادي ص 417 ، باب الدال، فصل الواو.

(2) الأقوال الأربعة كلها ذكرها الماوردي في النكت والعيون 219/5.

(3) فتح البيان 334/12

فأنت ترى أن الشيخ القنوجي رجح تفسير الجزء بالولد، وكيف ردّ على من ضعّف قول من قال إن المراد به البنات.

الدراسة

لقد وافق جمع من المفسرين الشيخ القنوجي وأعني بالموافقين كل الذين فسّروا الآية أنه يراد بها ما ادّعاه المشركون: أن الملائكة بنات الله، سواء فسّر الجزء بالولد أو البنت أو النصيب، فإن كل من ذكر أن الآية تشير إلى ادعاء المشركين أن الملائكة بنات الله، فهو قد وافق القنوجي في تحديد المراد بالآية. وعليه يلاحظ اجتماع الأقوال الثلاثة الأول في مجمل الأقوال واعتبار من قال ولو بواحد منها موافقاً للقنوجي، فمنهم:

1- الإمام الطبري -بعد ذكر الآيات- قال: « يقول تعالى ذكره وجعل هؤلاء المشركون لله ﷻ من خلقه نصيباً وذلك قولهم للملائكة بنات الله. [ثم ذكر القول الآخر وأن المراد بـ (جزءاً) عدلاً، وقال:] وإنما اخترنا القول الذي اخترناه في تأويل ذلك لأن الله جل ثناؤه أتبع ذلك قولـه ﴿أَمِ ٱتَّخَذَ مِمَّا يَخۡلُقُ بَنَاتٖ﴾ توبيخاً لهم على قولهم ذلك، فكان معلوماً أن توبيخه إياهم بذلك إنما هو عما أخبر عنهم من قيلهم ما قالوا في إضافة البنات إلى الله جل ثناؤه »(1).

2- الواحدي: « ﴿ وَجَعَلُواْ لَهُۥ مِنۡ عِبَادِهِۦ جُزۡءًاۚ ﴾ أي الذين جعلوا الملائكة بنات الله»(2).

3- النسفي: « ﴿ وَجَعَلُواْ لَهُۥ مِنۡ عِبَادِهِۦ جُزۡءًاۚ ﴾ متصل بقولـه: ﴿ وَلَئِن سَأَلۡتَهُم ﴾ [سورة الزخرف: 9] أي: ولئن سألتهم عن خالق السماوات والأرض ليعترفن به وقد جعلوا لـه مع ذلك الاعتراف من عباده جزءاً، أي قالوا الملائكة بنات الله، فجعلوهم جزءاً لـه وبعضاً منه، كما يكون الولد جزءاً لوالده »(3).

4- ابن الجوزي: « قولـه تعالى ﴿ وَجَعَلُواْ لَهُۥ مِنۡ عِبَادِهِۦ جُزۡءًاۚ ﴾ أما الجعل هاهنا فمعناه: الحكم بالشيء، وهم الذين زعموا أن الملائكة بنات الله، والمعنى جعلوا لـه نصيباً من الولد »(4).

5- البقاعي: «... (مِنۡ عِبَادِهِۦ) الذين أبدعهم كما أبدع غيرهم (جُزۡءًا) أي ولداً هو لحصرهم إياه في الأنثى أحد قسميْ الأولاد، وكل ولد فهو جزء من والده. ومن كان لـه جزء كان محتاجاً فلم يكن إلها. وذلك لقولهم: الملائكة بنات الله. فثبت بذلك طيش عقولهم، وسخافة آرائهم »(1).

---

(1) جامع البيان للطبري 34/25

(2) الوجيز للواحدي 971/2

(3) مدارك التنـزيل للنسفي 87/4

(4) زاد المسير لابن الجوزي 92/7

6- السعدي: « يخبر تعالى عن شناعة قول المشركين، الذين جعلوا لله تعالى ولداً، وهو الواحد الأحد، الفرد الصمد، الذي لم يتخذ صاحبة ولا ولداً، ولم يكن لـه كفواً أحد، وإن ذلك باطل من عدة أوجه:

منها:أن الخلق كلهم عباده، والعبودية تنافي الولادة.

ومنها: أن الولد جزء من والده، والله تعالى بائن من خلقه، مباين لهم في صفاته ونعوت جلاله، والولد جزء من الوالد، فمحال أن يكون لله تعالى ولداً.

ومنها: أنهم يزعمون أن الملائكة بنات الله، ومن المعلوم أن البنات أدون الصنفين، فكيف يكون لله البنات، ويصطفيهم بالبنين، ويفضلهم بها؟! فإذا يكونون أفضل من الله، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

ومنها: الصنف الذي نسبوه لله، وهو البنات، أدون الصنفين، وأكرههما لهم، حتى إنهم من كراهتهم لذلك ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَٰنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا ﴾ [سورة الزخرف: 17] من كراهته وشدة بغضه، فكيف يجعلون لله ما يكرهون؟

ومنها: أن الأنثى ناقصة في وصفها، وفي منطقها وبيانها، ولهذا قال تعالى: ﴿ أَوَمَن يُنَشَّؤُا۟ فِى ٱلْحِلْيَةِ ﴾ أي:يجمل فيها، لنقص جماله، فيجمل بأمر خارج عنه؟ ﴿ وَهُوَ فِى ٱلْخِصَامِ ﴾ أي: عند الخصام الموجب لإظهار ما عند الشخص من الكلام، ﴿ غَيْرُ مُبِينٍ ﴾ أي: غير مبين لحجته، ولا مفصح عما احتوى عليه ضميره، فكيف ينسبونهن لله تعالى؟

ومنها: أنهم جعلوا الملائكة الذين هم عباد الله إناثاً، فتجرؤوا على الملائكة، العباد المقربين، ورقوهم عن مرتبة العبادة والذل، إلى مرتبة المشاركة لله، في شيء من خواصه، ثم نزلوا بهم عن مرتبة الذكورية إلى مرتبة الأنوثية، فسبحان من أظهر تناقض من كذب عليه وعاند رسله »(2).

7- سيد قطب: « ﴿ وَجَعَلُوا۟ لَهُۥ مِنْ عِبَادِهِۦ جُزْءًا ۚ ﴾ فالملائكة عباد الله، ونسبة بنوتهم لـه معناها عزلهم من صفة العبودية، وتخصيصهم بقرابة خاصة بالله؛ وهم عباد كسائر العباد، لا مقتضى لتخصيصهم بصفة غير صفة العبودية في علاقتهم بربهم وخالقهم. وكل خلق الله ﷻ عباد لـه خالصو العبودية. وادعاء الإنسان هذا الادعاء يدمغه بالكفر الذي لا شبه فيه: ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ

(1) نظم الدرر للبقاعي 399/17

(2) تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص 763

﴿١٥﴾ [الزخرف: ١٥]، ثم يحاجهم بمنطقهم وعرفهم، ويسخر من سخف دعواهم أن الملائكة إناث ثم نسبتهم إلى الله ﷻ : ﴿أَمِ ٱتَّخَذَ مِمَّا يَخۡلُقُ بَنَاتٖ وَأَصۡفَىٰكُم بِٱلۡبَنِينَ ١٦﴾ [الزخرف: ١٦].

فإذا كان -سبحانه- متخذاً أبناء، فما لـه يتخذ البنات ويصفيهم هم بالبنين؛ وهل يليق أن يزعموا هذا الزعم بينما هم يستنكفون من ولادة البنات لهم ويستاءون: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحۡمَٰنِ مَثَلٗا ظَلَّ وَجۡهُهُۥ مُسۡوَدّٗا وَهُوَ كَظِيمٌ ١٧﴾ [الزخرف: ١٧].

أفما كان من اللياقة والأدب ألاّ ينسبوا إلى الله من يستاءون هم إذا بشروا به، حتى ليسود وجه أحدهم من السوء الذي يبلغ حداً يجل عن التصريح به، فيكظمه ويكتمه وهو يكاد يتميز من السوء؟! أفما كان من اللياقة والأدب ألا يخصوا الله ﷻ بمن ينشأ في الحلية والدعة والنعومة، فلا يقدر على جدال ولا قتال؛ بينما هم -في بيئتهم- يحتفلون بالفرسان والمقاويل من الرجال؟!.

إنه يأخذهم في هذا بمنطقهم، ويخجلهم من انتقاء ما يكرهون ونسبته إلى الله ﷻ. فهلا اختاروا ما يستحسنونه وما يسرون لـه فنسبوه إلى ربهم، إن كانوا لابد فاعلين؟!.

ثم يحاصرهم هم وأسطورتهم من ناحية أخرى. فهم يدعون أن الملائكة إناث. فعلام يقيمون هذا الادعاء؟ ﴿وَجَعَلُواْ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمۡ عِبَٰدُ ٱلرَّحۡمَٰنِ إِنَٰثًا أَشَهِدُواْ خَلۡقَهُمۡۚ سَتُكۡتَبُ شَهَٰدَتُهُمۡ وَيُسۡـَٔلُونَ ١٩﴾ [الزخرف: ١٩]. أشهدوا خلقهم؟ فعلموا أنهم إناث؟ فالرؤية حجة ودليل يليق بصاحب الدعوى أن يرتكن إليه. وما يملكون أن يزعموا أنهم شهدوا خلقهم. ولكنهم يشهدون بهذه ويدعونه، فليحتملوا تبعة هذه الشهادة بغير ما كانوا حاضريه: (سَتُكۡتَبُ شَهَٰدَتُهُمۡ وَيُسۡـَٔلُونَ).. »(1).

8- الشنقيطي، قال: أما كون المراد بالجزء في الآية الولد، وكون المراد بالولد خصوص الإناث؛ فهذا هو التحقيق في الآية. وإطلاق الجزء على الولد يوجه بأمرين:

أحدهما: ما ذكره بعض علماء العربية من أن العرب تطلق الجزء مراداً به البنات، ويقولون: أجزأت المرأة إذا ولدت البنات، وامرأة مجزئة أي تلد البنات (2)،

الثاني: وهو التحقيق إن شاء الله أن المراد بالجزء في الآية الولد، وأنه أطلق عليه اسم الجزء؛ لأن الفرع كأنه جزء من أصله والولد كأنه بضعة من الوالد كما لا يخفى. (3)

---

(1) في ظلال القرآن لسيد قطب 3181/5

(2) القاموس المحيط للفيروز آبادي ص45، باب الهمزة، فصل الجيم.

(3) أضواء البيان للشنقيطي 214/7-217

وهكذا أيضاً قال كل من: الإمام البغوي(1)، والنيسابوري(2)، والقرطبي(3)، والخازن(4)، ونظام الدين النيسابوري(5)، وابن جزي(6)، وابن كثير(7)، والبيضاوي(8)، والمحلي(9)، والثعالبي(10)، والقاسمي(11)، وابن عاشور(12).

أما القول بأن الجزء يراد به العدل والنظير فلم يجزم أحد بترجيحه معنى للآية، فبالتالي لا يوجد مخالف للموافقين في هذا الموضع.

التعليق

من النظر في أقوال المفسرين، يظهر -والله أعلم- أن الراجح هو ما ذهب إليه القنوجي ومن قال بمثل ما قاله، وأن الآية فيها حكاية ما ادّعاه المشركون من جعل (جزء) نصيب من عباد الله ﷻ الذين خلقهم، جعلوهم أولاداً لله، بل خصوصاً هم من البنات، على أن كلمة (جزء) تحمل على المعاني الثلاثة (ولد - بنت - نصيب)، يؤيد هذا الترجيح أمور؛ منها:

1- ما صرح به عدد من المفسرين من دلالة السياق على هذا المعنى(13)، وأن يراد بـ (الجزء) خصوص البنات قد دل عليه سياق الآيات، فلقد أنكر الله ﷻ على المشركين قسمتهم الجائرة هذه، وأنه لو -جدلاً- أرادوا أن يجعلوا ولداً لله ﷻ، أيجعلونه مما هم لا يحبونه ولا يريدونه، تعالى الله ﷻ عن قولهم علواً كبيراً، ولا شك أن دلالة السياق من المرجحات القوية بين الأقوال لدى المفسرين(14). والقاعد تقول: **(القول الذي تؤيده قرائن في السياق مرجح على ما خالفه)**.

---

(1) مختصر البغوي843/2

(2) إيجاز البيان للنيسابوري 183/2

(3) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي 69/16

(4) لباب التأويل للخازن 110/6

(5) غرائب القرآن لنظام الدين النيسابوري 44/25

(6) التسهيل لابن جزي 46/4

(7) تفسير القرآن العظيم لابن كثير 125/4

(8) أنوار التنـزيل للبيضاوي 199/2

(9) تفسير الجلالين ص 412

(10) جواهر الحسان للثعالبي 123/4

(11) محاسن التأويل للقاسمي 5261/14

(12) التحرير والتنوير لابن عاشور 177/25

(13) جامع البيان للطبري 34/25، والتسهيل لابن جزي 46/4، وأنوار التنـزيل للبيضاوي 199/2، جواهر الحسان للثعالبي 123/4.

(14) قواعد الترجيح عند المفسرين لحسين الحربي 125/1

2- دلالة اللغة والعرف على صحة حمل كلمة (جزء) على (الولد عموماً-والبنت خصوصاً- والنصيب من أي نوع قد يحدد)، قال في معجم مقاييس اللغة: «والجزء: الطائفة من الشيء»(1)، قال في القاموس المحيط: «الجزء: البعض... وجَزَأَه، كجَعَلَه: قسَّمه أجزاء... وأجزأت الأم: ولدت الإناث »(2). وقال في رائد الطلاب: « الجزء من الشيء: القطعة، النصيب. والجزء ما يتركّب الكلّ منه ومن غيره »(3). وأما دلالة العرف المبنية على دلالة اللغة: أن الولد جزء من الوالد، والولد كالفرع من الأصل الذي هو والده(4). والقاعدة تقول: **(يحمل كلام الله على المعروف من كلام العرب دون الشاذ والضعيف والمنكر)**.

3- لقد قالوا عن هذا القول الراجح إنه « قول الأكثرين »(5)، وإنه هو «المشهور»(6).

4- ومن المرجحات أيضاً، التوجيه اللطيف الآتي: « أن حواء خلقت من جزء آدم فاستعير لكل الإناث »(7).

والله أعلم بالصواب.

۞ ۞ ۞

المسألة: المراد بكلمة ﴿ سُخۡرِيًّا ﴾

قولـه تعالى: ﴿ نَحۡنُ قَسَمۡنَا بَيۡنَهُم مَّعِيشَتَهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ وَرَفَعۡنَا بَعۡضَهُمۡ فَوۡقَ بَعۡضٖ دَرَجَٰتٖ لِّيَتَّخِذَ بَعۡضُهُم بَعۡضٗا سُخۡرِيّٗاۗ ﴾ [سورة الزخرف: 32].

الأقوال الواردة في معنى كلمة سخريا

1- أن معنى (سُخۡرِيًّا) أي ليسخر بعضهم بعضاً في الأعمال(8)، فجعل البعض محتاجاً إلى البعض لتحصل المواساة بينهم في متاع الدنيا، ويحتاج هذا إلى هذا، ويصنع هذا لهذا، ويعطي هذا هذا.(9)

---

(1) معجم مقاييس اللغة لابن فارس 455/1باب الجيم والزاي وما يثلثهما.

(2) القاموس المحيط للفيروز آبادي ص 45 باب الهمزة، فصل الجيم.

(3) رائد الطلاب لجبران مسعود ص 326

(4) لباب التأويل للخازن 110/6، أنوار التنـزيل للبيضاوي 199/2، تفسير الجلالين ص 412، نظم الدرر للبقاعي 399/17

(5) المحرر الوجيز لابن عطية 206/13، جواهر الحسان للثعالبي 123/4

(6) التفسير الكريم للفخر الرازي 623/9

(7) حاشية الشهاب على البيضاوي 436/7

(8) تفسير القرآن العظيم لابن كثير 127/4

(9) فتح القدير للشوكاني 532/4

2- أو يكون معنى (سُخْرِيًّا) أي ليملك بعضهم بعضاً بالأموال فيتخذوهم عبيداً(1). قال ابن كثير عن القول الثاني: « هو راجع إلى الأول »(2).

3- وقيل: هو من السخرية التي بمعنى الاستهزاء، أي ليستهزيء الغني بالفقير(3).

رأي القنوجي

قال الشيخ القنوجي: (لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا) أي ليستخدم بعضهم بعضاً فيستخدم الغني الفقير، والرئيس المرؤوس والقوي الضعيف، والحر العبد، والعاقل من دونه في العقل والعالم الجاهل وهذا في غالب أحوال أهل الدنيا، وبه تتم مصالحهم وينتظم معاشهم، ويصل كل واحد منهم إلى مطلوبه، فإن كل صناعة دنيوية يحسنها قوم دون آخرين فجعل البعض محتاجاً إلى البعض لتحصل المواساة بينهم في متاع الدنيا ويحتاج هذا إلى هذا ويصنع هذا لهذا ويعطي هذا هذا.

وقال السدي وابن زيد: سخرياً: خولاً وخدماً، يسخر الأغنياء الفقراء، فيكون بعضهم سبباً لمعاش بعض، وقال قتادة والضحاك: ليملك بعضهم بعضاً، وقيل هو من السخرية التي بمعنى الاستهزاء، قال الأخفش سخرت به، وسخرت منه، وضحكت به، وضحكت منه، وهزأت به، وهزأت منه، وهذا **وإن كان مطابقاً للمعنى اللغوي لكنه بعيد من معنى القرآن، ومناف لما هو مقصود السياق.** (4) فالراجح عند القنوجي هو المعنى الأول.

الدراسة

لقد وافق الشيخ القنوجي جماعة من المفسرين، ويمكن تقسيمهم إلى فئتين:

أ- الذين وافقوا القنوجي تماماً، يعني تدور عباراتهم في بيان معنى (سُخْرِيًّا) حول تسخير الناس بعضهم بعضاً في الأعمال، بجعل البعض محتاجاً إلى البعض لتحصل المواساة بينهم في متاع الدنيا، ويحتاج هذا إلى هذا، ويصنع هذا لهذا، ويعطي هذا هذا، يدخل تحت هذه الفئة:

1- الإمام الطبري: « وقولـه (لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا) يقول ليستسخر هذا هذا في خدمته إياه وفي عود هذا على هذا بما في يديه من فضل، يقول جعل تعالى ذكره بعضاً لبعض سبباً في المعاش في الدنيا »(5).

---

(1) زاد المسير لابن الجوزي 96/7

(2) تفسير القرآن العظيم لابن كثير 127/4

(3) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي 83/16

(4) فتح البيان 350/12

(5) جامع البيان للطبري 41/25

2- الواحدي: « (لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا) ليسخّر الأغنياء بأموالهم الفقراء ويستخدموهم، فيكون بعضهم لبعض سبب المعاش في الدنيا، هذا بمالـه وهذا بأعماله... »(1)

3- النسفي: « (لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا) ليصرف بعضهم بعضاً في حوائجهم ويستخدموهم في مهنهم ويتسخروهم في أشغالهم حتى يتعايشوا ويصلوا إلى منافعهم، هذا بمالـه وهذا بأعماله »(2).

4- الشنقيطي: (التحقيق إن شاء الله أنه من التسخير. ومعنى تسخير بعضهم لبعض، خدمة بعضهم البعض، وعمل بعضهم لبعض؛ لأن نظام العالم في الدنيا يتوقف قيامه على ذلك»(3).

وبمثل هذا القول قال كل من:

4- الزمخشري(4).	5- ابن عطية(5).	6- الفخر الرازي(6).
7- ابن جزي(7).	8- أبوحيان(8).	9- البيضاوي(9).
10- المحلي(10).	11- الثعالبي(11).	12- البقاعي(12).
13- القاسمي(13).	14- السعدي(14).	15- سيد قطب(15).

ولم أذكر كلام البقية اختصاراً ولأنه يشبه كلام من ذكرت.

ب- وهم الذين ذكروا القولين الأول والثاني من مجمل الأقوال عند بيانهم لمعنى (سُخْرِيًّا)، وذلك لأن القول الثاني راجع إلى القول الأول ويدخل تحته دخولاً كاملاً فإن من أنواع تسخير الناس بعضهم بعضاً أن يشتري الأغنياء بأموالهم عبيداً يخدمونهم. ومن فئة الذين ذكروا القولين:

---

(1) الوجيز للواحدي 973/2

(2) مدارك التنـزيل للنسفي 90/4

(3) أضواء البيان للشنقيطي 243/7

(4) الكشاف للزمخشري 242/4

(5) المحرر الوجيز لابن عطية 218/13

(6) التفسير الكبير للفخر الرازي 630/9

(7) التسهيل لابن جزي 50/4

(8) البحر المحيط لأبي حيان 370/9

(9) أنوار التنـزيل للبيضاوي 200/2

(10) تفسير الجلالين ص 413

(11) جواهر الحسان للثعالبي 126/4

(12) نظم الدرر للبقاعي 423/17

(13) محاسن التأويل للقاسمي 5269/14

(14) تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص 765

(15) في ظلال القرآن لسيد قطب 3187/5

1- الماوردي(1). 2- البغوي(2).

3- ابن الجوزي: « (سُخْرِيًّا).. فيه قولان: أحدهما: يستخدم الأغنياء الفقراء بأموالهم، فيلتئم قوام العالم. الثاني: ليملك بعضهم بعضاً بالأموال فيخذوهم عبيداً»(3).

4- ابن كثير: « وقوله جلت عظمته (لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا) قيل: معناه ليسخر بعضهم بعضاً في الأعمال لاحتياج هذا إلى هذا، وهذا إلى هذا، قاله السدي وغيره. وقال قتادة والضحاك: ليملك بعضهم بعضاً. وهو راجع إلى الأول »(4). ذكرت عبارات ابن الجوزي وابن كثير لوضوح كلامهما، وكلام البقية يشبهه.

أما القول الثالث في مجمل الأقوال وهو أن يكون من السخرية والاستهزاء لم يرجحه أحد من المفسرين معنى للآية، و إنما ذكره البعض من غير الترجيح، وعليه فلا يوجد مخالف.

التعليق

الظاهر -والله أعلم- حمل (سُخْرِيًّا) على المعنَيَيْن (القول الأول والثاني من مجمل الأقوال) واعتبارهما معنى واحداً، وهذا ما اتضح من تقسيم الموافقين والمخالفين، فإن من رجّح القول الأول فقط فهو موافق تماماً للقنوجي، ومن ذكر القولين فإنه موافق أيضاً لأن القول الثاني: « راجع إلى الأول » تماماً، فشراء الأغنياء بأموالهم عبيداً يخدمونهم هو نوع من أنواع أن يسخر الله ﷻ الناس بعضهم لبعض، وإذا كان ذلك كذلك فإن الراجح هو ما ذكرته من أن (سُخْرِيًّا) تعني خدمة الناس بعضهم بعضاً لتحصل المواساة بينهم في متاع الدنيا، ويحتاج هذا إلى هذا، ويصنع هذا لهذا، ويعطي هذا هذا.

أما القول بأن (سُخْرِيًّا) تعني الاستهزاء؛ فلم يقل به أحد من المفسرين بأنه يصح معنى للآية، بل لقد اتفق عدد غير قليل منهم على التصريح بردّه وإبعاد أن يكون لـه طريق إلى الآية، فقال ابن عطية: « ولا مدخل لمعنى الهزء في هذه الآية»(5)، ومثله قال الثعالبي(6). وقال أبوحيان « ويبعد أن يكون (سُخْرِيًّا) هنا من الهزء »(7). وقال البقاعي عن الهزء بأنه « لا يليق التعليل به »(1).

---

(1) النكت والعيوب للماوردي 224/5

(2) مختصر البغوي 845/2

(3) زاد المسير لابن الجوزي 96/7

(4) تفسير القرآن العظيم لابن كثير 127/4

(5) المحرر الوجيز لابن عطية 218/13

(6) جواهر الحسان للثعالبي 126/4

(7) البحر المحيط لأبي حيان 370/9

وقال الشوكاني ردّاً على القول بأن (سُخْرِيًّا) يراد به الاستهزاء: « وهذا وإن كان مطابقاً للمعنى اللغوي، ولكنه بعيد من معنى القرآن ومنافٍ لما هو مقصود السياق »(2)

أما سيد قطب فقد ردّ معنى الاستهزاء بعبارة أشمل وأوسع، وذلك أن من بواعث الاستهزاء؛ استعلاء طبقة على طبقة، أو فرد على فرد، فقال ردًا على المعنى المرجوح ومرجحاً ما رجحه الجمهور: « وليس التسخير هو الاستعلاء.. استعلاء طبقة على طبقة، أو استعلاء فرد على فرد.. كلا! إن هذا معنى قريب ساذج، لا يرتفع إلى مستوى القول الإلهي الخالد. كلا! إن مدلول هذا القول أبقى من كل تغير أو تطور في أوضاع الجماعة البشرية، وأبعد مدى من ظرف يذهب وظرف يجيء.. إن كل البشر مسخر بعضهم لبعض. ودولاب الحياة يدور بالجميع، ويسخر بعضهم لبعض في كل وضع وفي كل ظرف. المقدر عليه في الرزق مسخر للمبسوط لـه في الرزق. والعكس كذلك صحيح. فهذا مسخر ليجمع المال، فيأكل منه ويرتزق ذاك. وكلاهما مسخر للآخر سواء بسواء. والتفاوت في الرزق هو الذي يسخر هذا لذاك، ويسخر ذاك لهذا في دورة الحياة.. العامل مسخر للمهندس ومسخر لصاحب العمل. والمهندس مسخر للعامل ولصاحب العمل. وصاحب العمل مسخر للمهندس وللعامل على السواء.. وكلهم مسخرون للخلافة في الأرض بهذا التفاوت في المواهب والاستعدادات، والتفاوت في الأعمال والأرزاق.. »(3).

والله أعلم بالصواب.

(1) نظم الدرر للبقاعي 423/17 .

(2) فتح القدير للشوكاني 532/4

(3) في ظلال القرآن لسيد قطب 3187/5

سورة الأحقاف

المسألة: المراد بـ ﴿ ٱلَّذِى ﴾ في قوله: ﴿ وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيۡهِ ﴾

قولـه تعالى: ﴿ وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيۡهِ أُفٍّ لَّكُمَآ أَتَعِدَانِنِىٓ أَنۡ أُخۡرَجَ وَقَدۡ خَلَتِ ٱلۡقُرُونُ مِن قَبۡلِى وَهُمَا يَسۡتَغِيثَانِ ٱللَّهَ وَيۡلَكَ ءَامِنۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿١٧﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَوۡلُ ﴾ [سورة الأحقاف: 17-18].

الأقوال الواردة في المراد بالذي في الآية

1- أن لفظ (ٱلَّذِى) يراد به الجنس، فالآية عامة في كلّ عاقّ لوالديه مكذب بالبعث.

2- أن المراد شخص بعينه، وقيل: هو عبدالرحمن(1) بن أبي بكر -رضي الله عنهما-(2).

رأي القنوجي

قال القنوجي: **والصحيح** أنه ليس المراد من الآية شخصاً معيناً، بل المراد كل شخص كان موصوفاً بهذه الصفة، وهو كل من دعاه أبواه إلى الدين الصحيح والإيمان بالبعث، فأبى وأنكر وقيل نزلت في كل كافر عاق لوالديه.(3)

الدراسة

الجمع الغفير من المفسرين ذهبوا إلى مثل ما ذهب إليه القنوجي، منهم:

1- **الإمام الطبري:** «... وهذا نعت من الله تعالى ذكره نعت ضالّ به كافر وبوالديه عاق، وهما مجتهدان في نصيحته ودعائه إلى الله ﷻ، فلا يزيده دعاؤهما إياه إلى الحق ونصيحتهما لـه إلا عتوًّا وتمردًا على الله ﷻ وتمادياً في جهله، يقول جل ثناؤه (وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيۡهِ) أن دعواه إلى الإيمان بالله ﷻ والإقرار ببعث الله ﷻ خلقه من قبورهم ومجازاته إياهم بأعمالهم (أُفٍّ لَّكُمَآ) يقول قذراً لكما ونتناً أَتَعِدَانِنِىٓ أَنۡ أُخۡرَجَ... »(4).

---

(1) هو عبدالرحمن بن أبي بكر الصديق القرشي، وأمه أم رومان والدة عائشة... كان اسمه عبد الكعبة فغيره النبي ﷺ. وتأخر إسلامه إلى أيام الهدنة فأسلم وحسن إسلامه، مات سنة ثلاث وخمسين من الهجرة. انظر: الإصابة 407/2

(2) ذكر القولين الإمام النسفي في مدارك التنزيل 109/4

(3) فتح البيان 27/13

(4) جامع البيان للطبري 13/26

2- النسفي: « (وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيۡهِ) مبتدأ، خبره (أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَوۡلُ) والمراد بـ (وَٱلَّذِى قَالَ) الجنس القائل ذلك القول، ولذلك وقوع الخبر مجموعاً »(1).

3- الخازن: «... والقول الصحيح أنه ليس المراد من الآية شخص معين، بل المراد كل شخص كان موصوفاً بهذه الصفة وهو كل من دعاه أبواه إلى الدين الصحيح والإيمان بالبعث فأبى وأنكر »(2).

4- ابن كثير: «... لما ذكر تعالى حال الداعين للوالدين البارين بهما وما لهم عنده من الفوز والنجاة، عطف بحال الأشقياء العاقّين للوالدين؛ فقال: (وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيۡهِ) وهذا عام في كل من قال هذا. ومن زعم أنها نزلت في عبدالرحمن بن أبي بكر -رضي الله عنهما-؛ فقوله ضعيف؛ لأن عبدالرحمن بن أبي بكر -رضي الله عنهما- أسلم بعد ذلك وحسن إسلامه وكان من خيار أهل زمانه [إلى أن قال:] وقوله (أُوْلَٰٓئِك) بعد قولـه (وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيۡهِ) دليل على ما ذكرنا من أنه جنس يعم كل من كان كذلك »(3).

5- البقاعي: «... ولما ذكر سبحانه هذا المحسن بادئاً به لكون المقام للإحسان، اتبعه المسيء المناسب لمقصود السورة المذكور صريحاً في مطلعها فقال تعالى (وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيۡهِ) مع اجتماعهما كافراً لنعمهما نابذاً لوصيتنا بهما، فكان كافراً بنعمة أعظم منعم محسوس بعد الكفر بنعمة أعظم منعم مطلقاً، والتثنية مشيرة إلى أنه أغلظ الناس كبداً؛ لأن العادة جرت بقبول الإنسان كلام أصله ولو كان واحداً، وأن الاجتماع مطلقاً لـه تأثير، فكيف إذا كان والداً... »(4).

6- الشوكاني: « لما ذكر سبحانه من شكر نعمة الله سبحانه عليه وعلى والديه، ذكر من قال لهما قولاً يدل على التضجر منهما عند دعوتهما لـه إلى الإيمان، فقال: (وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيۡهِ)، الموصول عبارة عن الجنس القائل ذلك القول، ولهذا أخبر عنه بالجمع »(5).

7- السعدي: « لما ذكر تعالى حال الصالح البار لوالديه، ذكر حال العاق، وأنها شر الحالات، فقال (وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيۡهِ) إذ دعواه إلى الإيمان بالله واليوم الآخر، وخوّفاه الجزاء. وهذا أعظم إحسان

---

(1) مدارك التنزيل للنسفي 109/4

(2) لباب التأويل للخازن 135/6

(3) تفسير القرآن العظيم لابن كثير 159/4

(4) نظم الدرر للبقاعي 152/18

(5) فتح القدير للشوكاني 21/5

يصدر من الوالدين لولدهما، أن يدعواه إلى ما فيه سعادته الأبدية، وفلاحه السرمدي، فقابلهما بأقبح مقابلة، فقال (أُفٍّ لَّكُمَآ) أي تبًّا لكما ولما جئتما به »(1).

8-الشنقيطي: « التحقيق إن شاء الله أن (ٱلَّذِى) في قولـه (وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ) بمعنى الذين، وأن الآية عامة في كل عاق لوالديه مكذب بالبعث.

والدليل من القرآن على أن (ٱلَّذِى) بمعنى الذين وأن المراد به العموم، أن (ٱلَّذِى) في قولـه (وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ) مبتدأ خبره قولـه تعالى (أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ). والإخبار عن لفظة (ٱلَّذِى) في قولـه (أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ) بصيغة الجمع، صريح في أن المراد بالذي العموم لا الإفراد. وخير ما يفسر به القرآن القرآن.

وبهذا الدليل القرآني تعلم أن قول من قال في هذه الآية الكريمة إنها نازلة في عبدالرحمن بن أبي بكر الصديق -رضي الله عنهما- ليس بصحيح، كما جزمت عائشة -رضي الله عنهما- ببطلانه.

وفي نفس آية الأحقاف هذه دليل آخر واضح على بطلانه، وهو أن الله ﷻ صرّح بأن الذين قالوا تلك المقالة حق عليهم القول، وهو قولـه ﴿ وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾ [سورة السجدة: 13] ومعلوم أن عبدالرحمن بن أبي بكر -رضي الله عنهما- أسلم وحسن إسلامه، وهو من خيار المسلمين وأفاضل الصحابة -رضي الله عنهم- »(2).

ويُشبه كلام من ذكرت كلامُ كل من الواحدي(3)، والزمخشري(4)، وابن عطية(5)، والفخر الرازي(6)، ونظام الدين النيسابوري(7)، وابن جزي(8)، وأبي حيان(9)، والبيضاوي(10)، والقاسمي(11)، وسيد قطب(1)، وابن عاشور(2).

---

(1) تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص 781

(2) أضواء البيان للشنقيطي 387/7

(3) الوجيز للواحدي 996/2

(4) الكشاف للزمخشري 295/4

(5) المحرر الوجيز لابن عطية 351/13

(6) التفسير الكبير للفخر الرازي 21/10

(7) غرائب القرآن لنظام الدين النيسابوري 11/26

(8) التسهيل لابن جزي 77/4

(9) البحر المحيط لأبي حيان 441/9

(10) أنوار التنزيل للبيضاوي 213/2

(11) محاسن التأويل للقاسمي 5349/15

ولا يوجد مخالف هنا، فإن أحداً من المفسرين على مرّ العصور لم يرجح أن يكون المراد بالآية الصحابي عبدالرحمن بن أبي بكر الصديق -رضي الله عنهما-.

التعليق

الظاهر -والله أعلم- أن الراجح كون لفظ (ٱلَّذِى) في الآية يراد به الجنس، يعني جنس القائلين ذلك القول، وأن الآية عامة في كل عاق لوالديه مكذب بالبعث، يدل على ذلك:

1- سباق الآية ولحاقها(3) يدل على إرادة هذا المعنى، فإنه -ﷻ- « وصف الولد البار بأبويه في الآية المتقدمة، ووصف الولد العاق لأبويه في هذه الآية، وذكر من صفات ذلك الولد أنه بلغ في العقوق إلى حيث لما دعاه أبواه إلى الدين الحق، وهو الإقرار بالبعث والقيامة أصر على الإنكار وأبى واستكبر، وعول في ذلك الإنكار على شبهات خسيسة وكلمات واهية، وإذا كان كذلك، كان المراد كل ولد اتصف بالصفات المذكورة، ولا حاجة ألبتة إلى تخصيص اللفظ المطلق بشخص معين »(4). والقاعدة الترجيحية تقول: **(القول الذي تؤيده قرائن في السياق مرجح على ما خالفه).**

ودلالة سياق الآيات على هذا المعنى الراجح أشار إليها أيضاً من المفسرين: ابن كثير(5)، والبقاعي(6)، والشوكاني(7)، والسعدي(8)، وغيرهم(9).

6-2- وجود قرينة في الآيات تؤيد القول الراجح، قاعدة مهمة في الترجيح بين الأقوال عند المفسرين(10)، فإن هذه الآية فيها « ما يدل على أنها عامة؛ قولـه تعالى: (أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَوۡلُ) بصيغة الجمع، ولو أراد واحداً بعينه لقال ذلك الذي حق عليه القول »(11). والقاعدة تصرح بـ: **(قرائن السياق مرجحة على ما خالفه).**

---

(1) في ظلال القرآن لسيد قطب 3263/6

(2) التحرير والتنوير لابن عاشور 37/26

(3) قاعدة: إدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعد أولى.. قواعد الترجيح عند المفسرين لحسين الحربي 125/1، قواعد التفسير لخالد السبت 249/1

(4) التفسير الكبير للفخر الرازي 22/10

(5) تفسير القرآن العظيم لابن كثير 159/4

(6) نظم الدرر للبقاعي 152/18

(7) فتح القدير للشوكاني 21/5

(8) تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص 781

(9) المحرر الوجيز لابن عطية 352/13 ، البحر المحيط لأبي حيان 441/9، التحرير والتنوير لابن عاشور 37/26

(10) قواعد الترجيح عند المفسرين لحسين الحربي 299/1

(11) التسهيل لابن جزي 77/4

أشار إلى هذه الناحية الترجيحية من المفسرين: النسفي(1)، والزمخشري(2)، وأبوحيان(3)، والشنقيطي(4)، وغيرهم(5).

3- قرينة أخرى أيضاً في الآيات يترجح بها كون الآية عامة ولا يراد بها شخص بعينه، وهي « أن الله ﷻ صرح بأن الذين قالوا تلك المقالة حق عليهم القول، وهو قولـه: ﴿ وَلَكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾ [سورة السجدة: 13] »(6). وعليه فإن « الأصوب أن تكون عامّة في أهل هذه الصفات، ولم يقصد بها عبدالرحمن ولا غيره من المؤمنين، والدليل القاطع على ذلك قولـه تعالى: (أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ)، وكان عبدالرحمن -رضي الله عنه- من أفضل الصحابة، ومن الأبطال، وممن لـه في الإسلام غناء ».(7)

4- القول بأن المراد بالآية عبدالرحمن بن أبي بكر -رضي الله عنهما-؛ بُني على ما قاله مروان بن الحكم(8)، وذلك أنه « لما كتب معاوية إلى مروان يبايع الناس ليزيد، قال عبدالرحمن بن أبي بكر: لقد جئتم بها هرقلية، أتبايعون لأبنائكم؟ فقال مروان: يا أيها الناس، هو الذي قال الله فيه (وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ)(9) »، وهذا القول مردود بوجوه:

أ- أنه « إن صح نزولها في عبدالرحمن بن أبي بكر قبل إسلامه، فإن خصوص السبب لا يوجب التخصيص»(10). وكيف وقد أجمع المفسرون على بطلانه، منهم: النسفي(11)،

---

(1) مدارك التنزيل للنسفي 109/4

(2) الكشاف للزمخشري 295/4

(3) البحر المحيط لأبي حيان 441/9

(4) أضواء البيان للشنقيطي 387/7

(5) غرائب القرآن لنظام الدين النيسابوري 11/26 ، فتح القدير للشوكاني 21/5 ، التحرير والتنوير لابن عاشور 37/26

(6) أضواء البيان للشنقيطي 387/7

(7) المحرر الوجيز لابن عطية 352/13

(8) مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية، يقال ولد بعد الهجرة بسنتين، ولي إمرة المدينة المنورة لمعاوية - لما مات معاوية بن يزيد بن معاوية بايعه بعض أهل الشام في قصة طويلة، فكانت مدته في الخلافة قدر نصف سنة، مات سنة خمس وستين من الهجرة. الإصابة 478/3

(9) انظر: التفسير الكبير للفخر الرازي 21/10 ، هكذا ذكر المفسرون، وأصل الرواة كما سيأتي في صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب قوله تعالى: والذي قال لوالديه... 133/6، رقم الحديث: (4827).

(10) أنوار التنزيل للبيضاوي 213/2

(11) مدارك التنزيل للنسفي 109/4

والزمخشري(1) وابن عطية(2) والفخر الرازي(3) والنيسابوري(4) وابن جزي(5) وأبوحيان(6) والقنوجي(7) والشنقيطي(8) وابن عاشور.(9)

ب- أنه لو كان المراد بقوله (وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيۡهِ) عبدالرحمن بن أبي بكر -رضي الله عنهما- قبل إسلامه بأنه «روي أنه لما دعاه أبواه إلى الإسلام وأخبراه بالبعث بعد الموت، قال (أَتَعِدَانِنِيٓ أَنۡ أُخۡرَجَ) من القبر، يعني أبعث بعد الموت (وَقَد خَلَتِ ٱلۡقُرُونُ مِن قَبۡلِى) يعني الأمم الخالية، فلم أر أحداً منهم بعث ... إذا عرفت هذا فنقول: قولـه (أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَوۡلُ) المراد هؤلاء الذين ذكرهم عبدالرحمن من المشركين الذين ماتوا قبله، وهم الذين حق عليهم القول، وبالجملة فهو عائد إلى المشار إليهم بقوله (وَقَد خَلَتِ ٱلۡقُرُونُ مِن قَبۡلِى) لا إلى المشار إليه بقوله (وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيۡهِ) »(10).

جـ- ما قاله مروان بن الحكم؛ أنكرته أم المؤمنين « وهي المصدوقة »(11) عائشة بنت أبي بكر الصديق، وأخوها عبدالرحمن لأبيها وأمها، الحديث أخرجه الإمام البخاري «كان مروان على الحجاز استعمله معاوية، فخطب فجعل يذكر يزيد بن معاوية لكي يُبايع لـه بعد أبيه، فقال لـه عبدالرحمن بن أبي بكر شيئاً، فقال: خذوه، فدخل بيت عائشة فلم يقدروا عليه، فقال مروان إن هذا الذي أنزل الله فيه (وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيۡهِ)، فقال عائشة من وراء الحجاب: **ما أنزل الله فينا شيئاً من القرآن، إلا**

---

(1) الكشاف للزمخشري 295/4

(2) المحرر الوجيز لابن عطية 351/13

(3) التفسير الكبير للفخر الرازي 21/10

(4) غرائب القرآن لنظام الدين النيسابوري 11/26، وحكى إجماع المفسرين على إنكار أن يراد بالآية عبدالرحمن بن أبي بكر -رضي الله عنهما-.

(5) التسهيل لابن جزي 77/4

(6) البحر المحيط لأبي حيان 441/9.

(7) فتح البيان للقنوجي 26/13

(8) أضواء البيان للشنقيطي 387/7

(9) التحرير والتنوير لابن عاشور 37/26 وحكى الإجماع على أن الآية يراد بها العموم في كل عاقّ مكذب.

(10) ذكره الفخر الرازي في التفسير الكبير 22/10

(11) البحر المحيط لأبي حيان 441/9

أن الله أنزل عذري »(1). قال الحافظ ابن حجر: « نفي عائشة أن تكون نزلت في عبدالرحمن وآل بيته أصح إسناداً وأولى بالقبول »(2).

وبناءًا على ما قالته أم المؤمنين؛ حمل المفسرون معنى الآية على العموم، وهم جميع المفسرين المذكورين كالطبري، والواحدي، والنسفي، والزمخشري، وابن عطية، والفخر الرازي، والخازن، والنيسابوري، وابن جزي، وأبوحيان، وابن كثير، والبيضاوي، والبقاعي، والشوكاني، والقنوجي، والقاسمي، والسعدي، وسيد قطب، وابن عاشور، والشنقيطي.

5- حكى بعض المفسرين(3) أن اسم ابن أبي بكر المقصود هنا: عبدالله(4)... أقول: سواء كان عبدالرحمن أو عبدالله -رضي الله عنهما- جميعاً، فالجواب واحد.

والله أعلم بالصواب.

۞ ۞ ۞

المسألة: هل يدخل الجنّ الجنة؟

قولـه تعالى: ﴿ يَـٰقَوْمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِيَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ ﴾ [سورة الأحقاف: 31].

الأقوال الواردة في هذه المسألة

اختلف المفسرون في بيان هذه الآية؛ وهل تدل على أن للجن ثواباً (دخول الجنة) وعقاباً (دخول النار)؛ على أقوال:

1- أن الجن يكون لهم الثواب في الإحسان، كما يكون عليهم العقاب في الإساءة كالإنس(5).

2- وقيل: إنه لا ثواب لهم إلا النجاة من النار(6).

رأي القنوجي

قال الشيخ القنوجي: (وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ) وهو عذاب النار، وفي هذه الآية دليل على أن حكم الجن حكم الإنس فيه الثواب والعقاب والتعبد بالأوامر والنواهي، وقال الحسن: ليس لمؤمني

---

(1) أخرجه الإمام البخاري في كتاب التفسير، باب قوله تعالى: والذي قال لوالديه... 133/6، رقم الحديث: (4827).

(2) فتح الباري 577/8

(3) مختصر البغوي 861/2 ، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي 197/16.

(4) عبدالله بن أبي بكر الصديق، شقيق أسماء بنت أبي بكر، وهو الذي في قصة الهجرة كان يأتي للرسول ﷺ ولأبيه أبي بكر الصديق وهما في الغار بأخبار قريش، رُمي بسهم في الطائف فجرح ثم اندمل ثم انتقض فمات في خلافة أبيه في شوال سنة إحدى عشرة. الإصابة 283/2

(5) مختصر البغوي 863/2

(6) مدارك التنزيل للنسفي 112/4

الجن ثواب غير نجاتهم من النار، وبه قال أبو حنيفة **والأول أولى**، وبه قال مالك والشافعي وابن أبي ليلى، وعلى القول الثاني فقال القائلون به إنهم بعد نجاتهم من النار يقال لهم كونوا تراباً كما يقال للبهائم، **والأول أرجح**، وقد قال الله تعالى في مخاطبة الجن والإنس: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾﴾ [الرحمن: ٤٦] فامتن الله سبحانه على الثقلين بأن جعل جزاء محسنهم الجنة ولا ينافي هذا الاقتصار ههنا على ذكر إجارتهم من عذاب أليم، ومما يؤيد هذا أن الله سبحانه قد جازى كافرهم بالنار، وهو مقام عدل فكيف لا يجازي محسنهم بالجنة، وهو مقام فضل، ومما يؤيد هذا أيضاً ما في القرآن الكريم في غير موضع أن جزاء المؤمنين الجنة وجزاء من عمل الصالحات الجنة وجزاء من قال لا إله إلا الله الجنة وغير ذلك مما هو كثير في الكتاب والسنة.(1)

الدراسة

ما رجحه الشيخ القنوجي من تساوي الجن مع الإنس في الثواب والعقاب، وأن لمؤمنهم الجنة ولكافرهم النار؛ اتفق معه فيه عدد غير قليل من المفسرين، منهم:

1- الزمخشري: «... والصحيح أنهم في حكم بني آدم، لأنهم مكلفون مثلهم »(2).

2- الفخر الرازي: «... والصحيح أنهم في حكم بني آدم فيستحقون الثواب على الطاعة والعقاب على المعصية... والدليل على صحة هذا القول أن كل دليل على أن البشر يستحقون الثواب على الطاعة فهو بعينه قائم في حق الجن »(3).

3- نظام الدين النيسابوري: «.. والصحيح أنهم في حكم بني آدم. يدخلون الجنة ويأكلون ويشربون »(4).

4-ابن كثير: «... والحق أن مؤمنهم كمؤمني الإنس يدخلون الجنة كما هو مذهب جماعة من السلف... [يدل عليه] قولـه جل وعلا: ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن: 46-47] فقد امتن تعالى على الثقلين بأن جعل جزاء محسنهم الجنة، وقد قابلت الجن هذه الآية بالشكر القولي أبلغ من الإنس؛ (فقالوا: **ولا بشيء من آلائك ربنا نكذب فلك**

---

(1) فتح البيان 38/13

(2) الكشاف للزمخشري 304/4

(3) التفسير الكبير للفخر الرازي 29/10

(4) غريب القرآن لنظام الدين النيسابوري 17/26

الحمد)(1)، فلم يكن تعالى ليمتنّ عليهم بجزاء لا يحصل لهم، وأيضاً فإنه إذا كان يجازي كافرهم بالنار وهو مقام عدل، فلأن يجازي مؤمنهم بالجنة وهو مقام فضل بطريق الأوْلى والأحرى. ومما يدل أيضاً على ذلك عموم قولـه تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتۡ لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡفِرۡدَوۡسِ نُزُلاً ﴿١٠٧﴾ ﴾ [سورة الكهف: 107]. وما أشبه ذلك من الآيات »(2).

5- الشوكاني: «... وفي هذه الآية دليل على أن حكم الجن حكم الإنس في الثواب والعقاب والتعبد بالأوامر والنواهي [وذكر القول الثاني ثم قال بعده:] والأول أوْلى... وقد قال سبحانه في مخاطبة الجن والإنس ﴿ وَلِمَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٧﴾ ﴾ [سورة الرحمن: 46-47] فامتن سبحانه على الثقلين بأن جعل جزاء محسنهم الجنة، ولا ينافي هذا الاقتصار هاهنا على ذكر إجارتهم من عذاب أليم، ومما يؤيد هذا أن الله سبحانه قد جازى كافرهم بالنار وهو مقام عدل، فكيف لا يجازي محسنهم بالجنة وهو مقام فضل؟ ومما يؤيد هذا أيضاً ما في القرآن الكريم في غير موضع أن جزاء المؤمن الجنة، وجزاء من عمل الصالحات الجنة، وجزاء من قال: لا إله إلا الله الجنة، وغير ذلك مما هو كثير في الكتاب والسنة »(3).

6-السعدي: « (يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ) وإذا أجارهم من العذاب الأليم، فما ثَمَّ بعد ذلك إلا النعيم، فهو جزاء من أجاب داعي الله ﷻ»(4).

7-الشنقيطي: «... منطوق هذه الآية أن من أجاب [من الجن] داعي الله ﷻ محمداً ﷺ وآمن به وبما جاء به من الحق؛ غفر الله ﷻ لـه ذنوبه وأجاره من العذاب الأليم.

ومفهوماً أعني مفهوم مخالفتها المعروف بدليل الخطاب، أن من لم يجب داعي الله ﷻ من الجن ولم يؤمن به؛ لم يغفر لـه ولم يجره من عذاب أليم، بل يعذبه ويدخله النار، وهذا المفهوم جاء

---

(1) هذا جزء من حديث رواه جابر بن عبدالله -رضي الله عنهما- قال: خرج رسول الله على أصحابه فقرأ عليهم سورة الرحمن من أولها إلى آخرها، فسكتوا، فقال: « لقد قرأتها على الجن ليلة الجن فكانوا أحسن مردوداً منكم، كنت كلما أتيت على قولـه ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ قالوا: لا بشيء من نعمك ربنا نكذب فلك الحمد ». ذكره ابن الأثير في جامع الأصول، وقال محققه الشيخ عبدالقادر الأرناؤوط: « أخرجه الترمذي في التفسير، باب ومن سورة الرحمن، وقال الترمذي: حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث الوليد بن مسلم عن زهير بن محمد، يقول: والوليد مدلس وقد عنعن، وزهير بن محمد رواية أهل الشام عنه غير مستقيمة، وهذا منها. رواه الحاكم 473/2 ، وصححه، ووافقه الذهبي. انظر: جامع الأصول في أحاديث الرسول لابن الأثير 373/2 ، كتاب تفسير القرآن الكريم سورة الرحمن.

(2) تفسير القرآن العظيم لابن كثير 171/4

(3) فتح القدير للشوكاني 26/5

(4) تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص 783

مصرحاً به مبيناً في آيات أخر، كقوله تعالى: ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١١٩﴾ ﴾ [سورة هود 119]، وقوله تعالى: ﴿ وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾ [سورة السجدة: 13]، وقوله تعالى: ﴿ قَالَ ٱدْخُلُوا۟ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ فِى ٱلنَّارِ ﴾ [سورة الأعراف: 38]، وقوله تعالى: ﴿ فَكُبْكِبُوا۟ فِيهَا هُمْ وَٱلْغَاوُۥنَ ﴿٩٤﴾ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ﴾ [الشعراء: 94-95].

أما دخول المؤمنين المجيبين داعي الله ﷻ من الجن الجنة، فلم تتعرض لـه الآية الكريمة بإثبات ولا نفي، وقد دلت آية أخرى على أن المؤمنين من الجن يدخلون الجنة، وهي قولـه تعالى في سورة الرحمن: ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٧﴾ ﴾ [سورة الرحمن: 46-47]. وبه تعلم أن ما ذهب إليه بعض أهل العلم؛ قائلين إنه يفهم من هذه الآية أن المؤمنين من الجن لا يدخلون الجنة، وأن جزاء إيمانهم وإجابتهم داعي الله ﷻ؛ هو الغفران وإجارتهم من العذاب الأليم فقط، كما هو نص الآية، كله خلاف التحقيق »(1).

وبنحو هذا قد رجّح القرطبي(2) والخازن(3) والبيضاوي(4) والثعالبي(5) والبقاعي(6) والقنوجي(7) والقاسمي.(8)

ولم يرجح القول الآخر أحد من المفسرين، فلا مخالف هنا إذاً.

التعليق

الظاهر -والله أعلم- أن المؤمنين من الجن يدخلون الجنة ويأكلون ويشربون فيها، وأن الكافرين منهم يدخلون النار، وهذا المعنى هو ما اتفق فيه القنوجي مع جمهور المفسرين، يدل عليه أمور:

---

(1) أضواء البيان للشنقيطي 401/7

(2) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي 218/16

(3) لباب التأويل للخازن 142/6

(4) أنوار التنزيل للبيضاوي 215/2

(5) جواهر الحسان للثعالبي 158/4

(6) نظم الدرر للبقاعي 183/18

(7) فتح البيان للقنوجي 38/13

(8) محاسن التأويل للقاسمي 5366/15

1- تفسير القرآن بالقرآن، فآية سورة الأحقاف هنا (يَـٰقَوْمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِيَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ) قد ذكر فيها أن المؤمنين من الجن تغفر لهم ذنوبهم ويجاروا من العذاب الأليم، ولم يتعرض فيها لدخول الجنة بنفي ولا إثبات. ويقول الله تعالى في سورة الرحمن ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٧﴾ ﴾ [سورة الرحمن: 46-47]، « وقد تقرر في الأصول أن الموصولات من صيغ العموم(1)، فقوله (وَلِمَن خَافَ) يعمّ كل خائف مقام ربه، ثم صرّح بشمول ذلك للجن والإنس معاً بقوله (فَبِأَى ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ)، فبين أن الوعد بالجنتين لمن خاف مقام ربه، من آلائه أي نعمة على الإنس والجن.

ويستأنس لهذا أيضاً بقوله تعالى: ﴿ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴾ [سورة الرحمن: 56، 74] فإنه يشير إلى أن في الجنة جناً يطمثون النساء كالإنس»(2).

2- إلحاقاً للنقطة السابقة، وعند قولـه تعالى: ﴿ وَلِكُلٍّ دَرَجَـٰتٌ مِّمَّا عَمِلُواْ ۖ وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَـٰلَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ [سورة الأحقاف: 19]، قال البقاعي: «... وهذا ظاهر، أو نصٌ في أن الجن يثابون بالإحسان كما يعاقبون بالعصيان »(3).

3- ويقول جل وعلا في سورة الأنعام: ﴿ وَلِكُلٍّ دَرَجَـٰتٌ مِّمَّا عَمِلُواْ ۚ ﴾ [سورة الأنعام: 132]، وقد قال قبلها ﴿ يَـٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَـٰتِى ﴾ [سورة الأنعام: 130]، وقال تعالى في سورة الذاريات: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [سورة الذاريات: 56]، فالله ﷻ خلق الجن والإنس ليعبدوه، وأرسل الرسل إليهم لبيان الدّين، ووعد المطيع بالجنة، والعاصي بالنار.

4- لقد أجمع المفسرون على هذا القول الراجح، وهو دخول الجن المؤمنين الجنة، وعبّروا عن ترجيحهم له بألفاظ متقاربة؛ فقالوا: إنه هو «الصحيح»(4)، وهو « الحق »(1)، وهو « الأظهر»(2)، وهو « الأوْلى »(3).

---

(1) انظر: مذكرة في أصول الفقه للشنقيطي ص 246

(2) دفع إيهام الاضطراب للشنقيطي ص 263 ، مطبوع مع المجلد العاشر من أضواء البيان.

(3) نظم الدرر للبقاعي 158/18

(4) الكشاف للزمخشري 34/4 ، التفسير الكبير للفخر الرازي 29/10، لباب التأويل للخازن 142/6 ، غرائب القرآن لنظام الدين النيسابوري 17/26

5- ويؤيد هذا الترجيح أيضاً كلُّ « ما في القرآن الكريم في غير موضع أن جزاء المؤمن الجنة، وجزاء من عمل الصالحات الجنة، وجزاء من قال لا إله إلا الله الجنة، وغير ذلك مما هو كثير في الكتاب والسنة »(4).

6- وختاماً: إن مؤمني الجن « إذا أجارهم من العذاب الأليم، فما ثَمَّ بعد ذلك إلا النعيم »(5)، «ولم يرد معنا نص صريح ولا ظاهر عن الشارع أن مؤمني الجن لا يدخلون الجنة وإن أجيروا من النار، ولو صح لقلنا به »(6).

والله أعلم بالصواب.

۞ ۞ ۞

سورة الفتح

المسألة: المراد بالفتح في قوله تعالى:

﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١ ﴾ [الفتح: 1].

الأقوال الواردة في المراد بالفتح

اختلف المفسرون في بيان المراد بالفتح المذكور في الآية على أقوال:

1- أنه ما كان يوم الحديبية من صلح.

2- أن هذا الفتح فتح مكة، والمعنى أنه وُعد بفتح مكة بهذه الآية.

3- أنه فتح خيبر.

4- (إِنَّا فَتَحْنَا) أي حكمنا لك بإظهار دينك والنصرة على عدوّك(7).

5- المراد جميع ما فتح الله تعالى لرسوله من الفتوح.

6- ما فتح له من النبوة والدعوة إلى الإسلام.

7- أنه فتح الروم.(1)

---

(1) تفسير القرآن العظيم لابن كثير 171/4

(2) أنوار التنزيل للبيضاوي 215/2

(3) فتح القدير للشوكاني 26/5

(4) المرجع السابق 26/5

(5) تفسير الكريم الرحمن للسعدي ص 783

(6) تفسير القرآن العظيم لابن كثير 171/4

(7) الأقوال (1، 2، 3، 4) ذكرها ابن الجوزي في زاد المسير 159/7

رأي القنوجي

قال الشيخ القنوجي: واختلف في تعيين هذا الفتح فقال الأكثر على ما في البخاري: هو صلح الحديبية، والصلح قد يسمى فتحاً قال الفراء: والفتح قد يكون صلحاً، وقال قوم: إنه فتح مكة، وقال آخرون: إنه فتح خيبر، **والأول أرجح**، ويؤيده ما ذكرناه قبل هذا من أن السورة نزلت في شأن الحديبية. وقيل: هو جميع ما فتح الله لرسوله من الفتوح، وقيل: هو ما فتح له من النبوة، والدعوة إلى الإسلام، وقيل: فتح الروم.(2) وذكر الأحاديث أيضاً لتأييد رأيه، فالراجح عند القنوجي هو أن المراد بالفتح صلح الحديبية.

الدراسة

لقد ذهب إلى مثل ما ذهب إليه القنوجي عدد كبير من المفسرين وأن المراد بالفتح هو صلح الحديبية، منهم:

1- البغوي(3). 2- ابن عطية(4). 3- النيسابوري(5).

4- القرطبي(6). 5- الخازن(7) 6- نظام الدين النيسابوري(8).

7- ابن جزي(9). 8- ابن كثير(10) 9- الثعالبي(11).

10- الشوكاني(12). 11- الشنقيطي. (13) 12- القاسمي(14).

13- السعدي(1).

([1]) انظر: فتح البيان 13/86-87

(2) فتح البيان 13/86-87

(3) مختصر البغوي 2/871

(4) المحرر الوجيز لابن عطية 13/429

(5) إيجاز البيان للنيسابوري 2/196

(6) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي 16/261

(7) لباب التأويل للخازن 6/157

(8) غرائب القرآن لنظام الدين النيسابوري 26/39

(9) التسهيل لابن جزي 4/92

(10) تفسير القرآن العظيم لابن كثير 4/182

(11) جواهر الحسان للثعالبي 4/172

(12) فتح القدير للشوكاني 5/46

(13) أضواء البيان للشنقيطي 7/603

(14) محاسن التأويل للقاسمي 15/5395

وخالفهم في ذلك آخرون، ويمكن تصنيفهم إلى أكثر من فئة:

أ- الذين رجّحوا أن الفتح المذكور في الآية يراد به فتح مكة، منهم:

1- الزمخشري(2). 2- الفخر الرازي(3).

3- أبوحيان (4). 4- المحلي(5).

ب- من رجّح أن معنى الآية: (إِنَّا فَتَحْنَا) أي حكمنا لك بإظهار دينك والنصرة على عدوّك، ورجّح هذا الواحدي(6).

التعليق

الظاهر-والله أعلم- أن المراد بالفتح هنا في أول سورة الفتح هو صلح الحديبية،يدل لذلك أمور:

1- إجماع الجمهور عليه، فصرّح بأنه قول « الجمهور » ابن عطية(7)، ونظام الدين النيسابوري(8) والثعالبي(9) والشنقيطي(10)، وابن عاشور(11)، وبأنه قد « قاله الأكثرون » ابن الجوزي(12) والقرطبي(13) والشوكاني(14)، وصرح بأنه هو «الأصح » أو « الصحيح » ابن عطية(15) والخازن(16) وابن جزي(17) والثعالبي(18)، وأنه هو « الأرجح » الشوكاني(1). ولا شك أن إجماع جمهور المفسرين على تفسير يرجّحه على غيره.(2)

---

(1) تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص 791

(2) الكشاف للزمخشري 323/4

(3) التفسير الكبير للفخر الرازي 65/10

(4) البحر المحيط لأبي حيان 482/9

(5) تفسير الجلالين ص 430

(6) الوجيز للواحدي 1007/2

(7) المحرر الوجيز لابن عطية 429/13

(8) غرائب القرآن لنظام الدين النيسابوري 39/26

(9) جواهر الحسان للثعالبي 172/4

(10) أضواء البيان للشنقيطي 603/7

(11) التحرير والتنوير لابن عاشور 145/26

(12) زاد المسير لابن الجوزي 159/7

(13) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي 261/16

(14) فتح القدير للشوكاني 46/5

(15) المحرر الوجيز لابن عطية 429/13

(16) لباب التأويل للخازن 157/6

(17) التسهيل لابن جزي 92/4

(18) جواهر الحسان للثعالبي 172/4

2- بناء على قاعدة: **إذا ثبت تاريخ نزول الآية أو السورة فهو مرجّح لما وافقه من أوجه التفسير**.(3) فإن الوارد في سبب نزول سورة الفتح يؤيد أنها نزلت بعد صلح الحديبية وفي شأن ذلك الصلح، يقول ابن عطية: « ... نزلت السورة مؤنسة للمؤمنين لأنهم كانوا استوحشوا من ردّ قريش لهم، ومن تلك المهادنة التي هادنهم النبي ﷺ، فنزلت السورة(4) مؤنسة لهم في صدّهم عن البيت، ومُذهبةً ما كان في قلوبهم ،ومنه حديث عمر -رضي الله عنه- الشهير، وما قال للنبي ﷺ ولأبي بكر -رضي الله عنه-، واستقبل رسول الله ﷺ في تلك السَّفرة أنه هادن عَدُوَّه ريثما يتقوّى هو، وظهرت على يديه آية الماء في بئر الحديبية حيث وضع فيه سهمه وثاب الماء حتى كفى الجيش، واتفقت بيعة الرضوان، وهي الفتح الأعظم، وبلغ هديه محلَّه، واستقبل فتح خيبر، وامتلأت أيدي المؤمنين خيراً، واتفقت في ذلك الوقت ملحمة عظيمة بين الروم وفارس ظهرت فيها الروم فكانت من جملة الفتح على رسول الله ﷺ ، وسرَّ بها هو والمسلمون لظهور أهل الكتاب على المجوس وانخضاد الشوكة العظمى من الكفر »(5).

3- البناء اللغوي للآية يدل أيضاً على إرادة صلح الحديبية بالفتح المذكور، وذلك أن « لفظ الماضي في قولـه (إِنَّا فَتَحْنَا) يدل على أن ذلك الفتح قد مضى، فدعوى أنه فتح مكة ولم يقع إلا بعد ذلك بقرب سنتين خلاف الظاهر »(6) و « الأصل حمل نصوص الوحي على ظواهرها إلا لدليل »(7).

والله أعلم بالصواب

۞ ۞ ۞

المسألة : اختلاف المفسرين في متعلق اللام في قوله : ﴿لِّيُدۡخِلَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ﴾

قولـه تعالى: ﴿لِّيُدۡخِلَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ ٱللَّهِ فَوۡزًا عَظِيمًا ۝٥﴾ [الفتح: 5].

---

(1) فتح القدير للشوكاني 46/5

(2) قواعد الترجيح عند المفسرين لحسين الحربي 288/1

(3) المرجع السابق 258/1

(4) الأحاديث الواردة في شأن الحديبية وما حصل فيها من مواقف والصلح الذي أبرم، أخرجها البخاري ومسلم وغيرهما، انظر: فتح الباري 329/5، كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب، وكذلك 439/7-458 كتاب المغازي، باب غزوة الحديبية، وكذلك 582/8 كتاب التفسير، باب (إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا). وصحيح مسلم بشرح النووي 135/12-143 كتاب الجهاد والسير - صلح الحديبية، وجامع الأصول في أحاديث الرسول 286/8-332 تحت حرف الغين الكتاب الأول: في الغزوات والسرايا والبعوث.

(5) المحرر الوجيز لابن عطية 429/13

(6) أضواء البيان للشنقيطي 603/7

(7) قواعد التفسير لخالد السبت 843/2

الأقوال الواردة في الآية

اختلف المفسرون في بيان تعلق اللام في قولـه (لِّيُدۡخِل) والمعنى المترتب عليه، على أقوال:

1. متعلقة بمحذوف تقديره: أمر بالجهاد ليدخل المؤمنين...(1)
2. متعلقة بمحذوف يدل عليه ما قبله، تقديره: يبتلي بتلك الجنود من يشاء، فيقبل الخير أهله والشر ممن قضى لـه به ليدخل ويعذب.
3. أنها متعلقة بقولـه (**إنا فتحنا**)، كأنه قال: إنا فتحنا لك ما فتحنا ليدخل ويعذب.
4. أو متعلقة بـ (**ينصرك**) أي نصرك الله بالمؤمنين ليدخل ويعذب.
5. أن اللام متعلقة بقولـه (**يزدادوا**)، أي يزدادوا ليدخل ويعذب.(2)

رأي القنوجي

قال القنوجي: (لِّيُدۡخِل) أي أمر بالجهاد ليدخل (ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا) وقيل: هذه اللام متعلقة بمحذوف يدل على ما قبلها، تقديره يبتلي بتلك الجنود من شاء فيقبل الخير من أهله، والشر ممن قضى له به، ليدخل؛ ويعذب، وقيل: متعلقة بقوله إنا فتحنا لك ليدخل ويعذب، وهذا لا يصح، وقيل: متعلقة بينصرك أي نصرك الله بالمؤمنين، ليدخل، ويعذب، وقيل: متعلقة بـ (**يزدادوا**) وهذا لا يصح أيضاً، **فالأول أولى**.(3) فالراجح عند القنوجي هو أنه متعلق بمحذوف تقديره: أمر بالجهاد ليدخل المؤمنين...

الدراسة

لقد ذهب إلى مثل ما ذهب إليه القنوجي من تعلق اللام في (لِّيُدۡخِل) بالأمر بالجهاد؛ عدد من المفسرين، منهم:

1. الخطيب الشربيني: قال: بمحذوف أي: أمر بالجهاد ليدخل.(4)
2. المحلي، قال: (لِّيُدۡخِل) متعلق بمحذوف أي أمر بالجهاد.(5)
3. القاسمي، قال: متعلق بمحذوف، نحو: أمر بالجهاد ليدخل.(6)

(**1**) انظر: فتح البيان 90/13، والجلالين ص 679

(2) انظر: فتح القدير 47/5، الدر المصون 710/9

(**3**) فتح البيان 90/13

(**4**) السراج المنير للخطيب الشربيني 40/4

(**5**) تفسير الجلالين ص 679

(**6**) محاسن التأويل للقاسمي 485/8

وخالفهم جماعة من المفسرين، وهم أكثر من فئة:

أ- من رجّح أن اللام متعلقة بـ (**إنا فتحنا**) وأن المعنى كأنه قال إنا فتحنا لك ما فتحنا... ليدخل ويعذب، ومن قال بهذا:

1- الطبري، قال: قوله (لِّيُدۡخِلَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ) على اللام من قوله (﴿لِّيَغۡفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ﴾ [الفتح: ٢]، بتأويل تكرير الكلام ﴿إِنَّا فَتَحۡنَا لَكَ فَتۡحٗا مُّبِينٗا ۝١ لِّيَغۡفِرَ لَكَ ٱللَّهُ﴾ [الفتح: ١ – ٢]، إنا فتحنا لك ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار، ولذلك لم تدخل الواو التي تدخل في الكلام للعطف، فلم يقل: وليدخل المؤمنين.(1) وبه قال الثعلبي.(2)

ب- من رجح أن اللام متعلقة بمحذوف، تقديره: يبتلي بتلك الجنود من يشاء، فيقبل الخير من أهله، والشر ممن قضي لـه به... ليدخل ويعذب، وممن قال بهذا ابن عاشور(3) والشنقيطي(4) والشوكاني.(5)

التعليق

الظاهر -والله أعلم- أنه يجوز تعلق اللام في (لِّيُدۡخِلَ) بأي واحد من الاحتمالات المذكورة في مجمل الأقوال، وتوصلت لهذه النتيجة بأمور:

1- أنه ليس لدى أي واحد من الأقوال دليل قوي يرجحه هو فقط ويدفع ما سواه من الأقوال، وهي كلها مبنية على اجتهاد المفسر في استنباط ما يصلح أن تتعلق به اللام في (لِّيُدۡخِلَ).

2- من المفسرين من ذكر أن جميع الأقوال تصلح أن تكون متعلقاً لتلك اللام، وهو الإمام البيضاوي؛ فبعد أن ذكر الأقوال المحتملة فيما يصح أن تتعلق به لام (لِّيُدۡخِلَ) قال: «... أو جميع ما ذكر »(6).

3- من وجدتهم من المفسرين ذكروا الأقوال المحتملة سرداً دون ترجيح قول على آخر، وجدتهم أكثر من الموافقين وحدهم أو المخالفين وحدهم أو يقارب عدد المجموعتين معاً، فمنهم: الفخر الرازي(7)، الرازي(7)، والقرطبي(1)، والخازن(2)، وأبوحيان.(3)

---

(1) جامع البيان للطبري 205/22

(2) الكشف والبيان للثعلبي 43/9

(3) التحرير والتنوير لابن عاشور 151/26

(4) أضواء البيان للشنقيطي 604/7

(5) فتح القدير للشوكاني 47/5

(6) أنوار التنـزيل للبيضاوي 220/2

(7) التفسير الكبير للفخر الرازي 69/10

والله أعلم بالصواب.

سورة ق

مسألة: المراد بالقول الذي لا يبدل في قوله تعالى:

﴿ مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ [سورة ق : 29] .

أقوال المفسرين في الآية

في المراد بهذا القول أقوال للمفسرين منها:

1. المراد هو أن القول هو وعيد الله تعالى فلا خلف لوعيده، بل هو كائن لا محالة.
2. المراد بالقول: أن المحسن يرى جزاء إحسانه والمسيء يرى عقاب إساءته.
3. المراد بالقول هو: قوله تعالى: ﴿ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾ [السجدة: ١٣]
4. المراد هو قوله: ﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ﴾ [الأنعام: ١٦٠]
5. المراد بالقول هو الوعيد بتخليد الكافر في النار ومجازاة العصاة على حسب استحقاقهم.
6. المراد هو: قول المتخاصمين لا يمكن أن يبدل أمام الله تعالى يوم القيامة، فلا يمكن أن يكذب أحد أمام الله تعالى، ولا أن يزيد أو ينقص منه شيء.(4)

رأي القنوجي

قال القنوجي: **(ما يبدل)** أي ما يغير **(القول لدي)** في ذلك أي لا خلف لوعيدي، بل هو كائن لا محالة؛ وقد قضيت عليك بالعذاب فلا تبديل له وقيل: هذا القول هو قوله: ﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ﴾ [الأنعام: ١٦٠] وقيل: هو قوله: ﴿ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾ [السجدة: ١٣]، وقيل: المراد بالقول هو الوعيد بتخليد الكافر في النار ومجازاة العصاة على حسب استحقاقهم، وقال الفراء وابن قتيبة: معنى الآية أنه ما يكذب عندي بزيادة في القول ولا ينقص منه لعلمي بالغيب، وهو قول الكلبي، واختاره الواحدي لأنه قال: **(لدي)** ولم يقل: ما يبدل قولي قيل والمعنى لا تطمعوا أني أبدل وعيدي، والعفو عن بعض المذنبين لبعض الأسباب ليس من التبديل فإن دلائل العفو في حق عصاة

---

(1) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي 264/16

(2) لباب التأويل للخازن 158/6

(3) البحر المحيط لأبي حيان 485/9

(4) انظر لمعرفة هذه الأقوال: زاد المسير لابن الجوزي 163/4، وفتح البيان 175/13

المذنبين تدل على تخصيص الوعيد، ولا تخصيص في حق الكافر فالوعيد على عمومه في حقهم، **والأول أولى**.(1) فالراجح عند القنوجي هو أن المراد وعيد الله تعالى، فلا خلف لوعيده.

الدراسة

اختلف المفسرون في المراد بهذا القول، وأساس هذا الاختلاف هو متعلق **(لدي)** فمنهم من جعله متعلقاً بالقول ومعناه: (ما يبدل قولي...) ثم اختلفوا في المراد بقول الله هذا فقيل: المراد منه قوله تعالى: ﴿ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾ [السجدة: ١٣]، وقيل: المراد منه قوله تعالى: ﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ [الأنعام: ١٦٠]، واختار هذا القول الزجاج(2) وهو معنى قولهم: جزاء المحسن بإحسانه وجزاء المسيء بإساءته، وقيل: المراد وعيده الكفار بالتخليد في النار وعصاة المؤمنين باستحقاق العذاب. ويفسره قوله تعالى أيضاً: ﴿لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ﴾ [يونس: ٦٤].

ومنهم من جعل **لدي** متعلقاً بـ **(يبدل)** فيكون المعنى: (ما يمكن تبديل القول أمام الله تعالى)، وعلى هذا قال بعض المفسرين: أنه خطاب الله تعالى للمتخاصمين أمامه يوم القيامة فيقول لهم: لا يمكن لأحدكم أن يكذب في قوله عندي ولا أن يغيره عن جهته ولا أن يحذف منه أو يزيد فيه شيئاً، لأني أعلم غيب السماوات والأرض فلا تخفى علي حقيقة الأمور وبواطنها.(3) وهذا قول: مقاتل والكلبي(4) والفراء، وابن قتيبة(5) واختاره الواحدي.(6) وابن عطية(7) والخازن.(8)

التعليق

والراجح عندي -والعلم عند الله- هو القول الذي اختاره الواحدي وغيره وهو أن الله تعالى يقول للمتخاصمين لا يمكنكم أن تكذبوا في أقوالكم عندي، ولا أن تغيروا فيه شيئاً؛ لأني أعلم غيب السماوات والأرض. والدليل على أن هذا القوال أرجح:

---

(1) فتح البيان 175/13

(2) معاني القرآن وإعرابه للزجاج 46/5

(3) انظر : تفسير السمعاني 244/5.

(4) انظر : تفسير ابن الجوزي 18/8 وتفسير ابن عادل 35/18.

(5) انظر : معاني القرآن للفراء 79/3 وتأويل مشكل القرآن 423.

(6) التفسير البسيط للواحدي 406/20

(7) البحر المحيط 165/5

(8) تفسير الخازن 181/4، وانظر: تفسير الرازي 140/28

1. أنه موافق لسياق الآية. حيث أن الله تعالى ذكر قبل هذه الآية قول القرين: ﴿ قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا مَآ أَطۡغَيۡتُهُۥ وَلَٰكِن كَانَ فِي ضَلَٰلِۭ بَعِيدٖ ﴾ [سورة ق :27] . الذي يدل على أن المتخاصمين يتخاصمون أمام الله تعالى وينكر بعضهم على بعض أمامه سبحانه، ثم قال تعالى ذكره بعد ذلك : ﴿ مَا يُبَدَّلُ ٱلۡقَوۡلُ لَدَيَّ ﴾ [سورة ق : 29] . فدل ذلك على أن المراد بـ﴿ ٱلۡقَوۡلُ ﴾ قول القرين المتقدم ذكره. و ما دل عليه السياق مقدم على غيره، والقاعدة الترجيحية تقول: (**القول الذي تؤيده قرائن في السياق مرجح على ما خالفه**) وتقول: (**إدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أولى من الخروج به عنهما إلا بدليل**). وتقول: (**قرائن السياق مرجحة على ما خالفه**).

2. أنه تعالى قال: ﴿ مَا يُبَدَّلُ ٱلۡقَوۡلُ لَدَيَّ ﴾ [سورة ق : 29] ولم يقل : (ما يبدل قولي) فثمة فرق بين التعبيرين، والأول يدل على أن المراد بـ﴿ ٱلۡقَوۡلُ ﴾ قول غيره لا قوله.

والله تعالى أعلم بالصواب

۞۞۞

المسألة : المراد بـ (هل من مزيد؟) في قوله تعالى :

﴿ يَوۡمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمۡتَلَأۡتِ وَتَقُولُ هَلۡ مِن مَّزِيدٖ ﴾ [سورة ق : 30] .

أقوال المفسرين في الآية

للمفسرين في المراد بقوله تعالى: ﴿ هَلۡ مِن مَّزِيدٖ ﴾ قولان:

أحدهما: أن معنى قوله: (هَلۡ مِن مَّزِيدٖ) أي: قد امتلأت، فلا مزيد فيّ، فهو نفي موضع للزيادة.

الثاني: طلب الزيادة بقوله تغيظاً على الكفار، وطلبا لزيادة الانتقام.(1)

رأي القنوجي

قال القنوجي: قال الواحدي: قال المفسرون: أراها الله تصديق قوله: ﴿ لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ ﴾ [السجدة: ١٣]، فلما امتلأت قال لها: هل امتلأت؟ وتقول هل من مزيد؟ أي قد امتلأت ولم يبق فيّ موضع لم يمتلىء. وبهذا قال عطاء ومجاهد ومقاتل بن سليمان.

وقيل: إن هذا الإستفهام بمعنى الاستزادة، أي: أنها تطلب الزيادة على من قد صار فيها، وقيل: إن المعنى أنها طلبت أن يزاد في سعتها لتضايقها بأهلها. والمزيد؛ إما مصدر كالمجيد، أو إسم مفعول كالمبيع، فالأول بمعنى هل من زيادة والثاني: بمعنى هل من شيء تزيد فيه؟ قال ابن عباس: وهل في

(1) تفسير السمعاني 244/5، وانظر: النكت والعيون 353/5

من مكان يزاد فيّ؟(1) ثم ذكر الأحاديث المؤيدة على أن المراد هي الاستزادة، وذكره لها يدل على أن الراجح عنده أن المراد هو الاستزادة؛ لأن الأحاديث مصرحة بذلك.

(1) فتح البيان 13/176-177

الدراسة

لقد ذهب القنوجي وغيره من المفسرين إلى أن المراد بـ ﴿ هَلۡ مِن مَّزِيدٖ ﴾ الاستزادة، وهذا المعنى رجحه بعض المفسرين منهم:

1. **الإمام الطبري:** قال: وأولى القولين في ذلك عندي بالصواب قول من قال: هو بمعنى الاستزادة، هل من شيء أزداده؟ وإنما قلنا ذلك أولى القولين بالصواب لصحة الخبر عن رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم ... ثم ذكر سنده إلى أبي هُريرة، أن رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم قال: (**إِذَا كانَ يَوْمُ القِيامَةِ، لَمْ يَظْلِمِ اللهُ أحَدًا مِنْ خَلْقِهِ شَيْئا، وَيُلْقِي فِي النَّارِ، تَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ، حتى يَضَعَ عَلَيْها قَدَمَهُ، فَهنالكَ يَمْلأُها، وَيُزْوَى بَعْضُها إلى بَعْضٍ وَتَقُولُ: قَطْ قَطْ**). وسنده عن أنس، قال: "**ما تزال جهنم تقول: هل من مزيد؟ حتى يضع الله عليها قدمه، فتقول: قدِ قدِ، وما يزال في الجنة فضل حتى ينشئ الله خلقا، فيُسكنه فضول الجنة**".(1)

2. **ابن جزي:** قال: ومعنى قوله: ﴿ هَلۡ مِن مَّزِيدٖ ﴾ إنما تطلب الزيادة وكانت لم تمتلئ. وقيل: معناه لا مزيد أي ليس عندي موضع للزيادة، فهي على هذا قد امتلأت والأول أظهر وأرجح. (2)

3. **ابن كثير:** قال: ﴿ هَلۡ مِن مَّزِيدٖ ﴾ أي: هل بقي شيء تزيدوني؟ هذا هو الظاهر من سياق الآية، وعليه تدل الأحاديث.(3) وإلى هذا القول ذهب غيرهم من المفسرين كابن عطية، والبقاعي، والسعدي، والشنقيطي.(4)

وذهب آخرون إلى أن المراد نفي الزيادة، أي أنه لا مزيد، وقد نقل الإمام الطبري وابن كثير ذلك عن ابن عباس ، ومجاهد ، والضحاك ، وعكرمة ، وابن زيد.(5) وهو الذي رجحه السمعاني فقال: فيه قولان: أحدهما: أن معنى قوله: ﴿ هَلۡ مِن مَّزِيدٖ ﴾ أي: قد امتلأت، فلا مزيد في، وحقيقته أنك قد وفيت بما وعدت، وملأتني فلا موضع للزيادة. ... والقول الثاني: أن معنى قوله: ﴿ هَلۡ مِن مَّزِيدٖ ﴾ أي: طلب الزيادة بقوله تغيظا على الكفار، وطلبا لزيادة الانتقام. والأول أحسن.(6)

---

(1) تفسير الطبري 361/22

(2) التسهيل لابن جزي 303/2

(3) تفسير ابن كثير 403/7

(4) انظر: المحرر الوجيز 183/15 ونظم الدرر 431/18 وتفسير السعدي 366/3 وأضواء البيان 179/5.

(5) انظر: تفسير الطبري 443/21 وتفسير ابن كثير 243/4

(6) تفسير السمعاني 244/5

التعليق

والراجح – والله أعلم- هو ما ذهب إليه القنوجي وغيره من المفسرين الذين قالوا بأن المراد هو طلب الزيادة، وليس نفي الزيادة، والدليل على ذلك ما يلي:

1. أن السياق يدل على ذلك، إذ أن المقام مقام الوعيد والتغيظ على الكفار، فتقول: ﴿ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴾ [سورة ق : 30] . طلباً لزيادة الانتقام ممن خالف أمر الله وتعدى حدوده. والقاعدة الترجيحية تقول: **(القول الذي تؤيده قرائن في السياق مرجح على ما خالفه)** وتقول: **(إدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أولى من الخروج به عنهما إلا بدليل)**. وتقول: **(قرائن السياق مرجحة على ما خالفه)**.

2. أنه يؤيده الحديث الصحيح المصرح على أن النار تطلب الزيادة، فعن أنس رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ : ﴿ **لا يزال جهنم يلقى فيها، وتقول : هل من مزيد؟ حتى يضع رب العالمين فيها قدمه، فينزوي بعضها إلى بعض، وتقول: قط، قط، بعزتك وكرمك، ولا يزال في الجنة فضل حتى ينشئ الله لها خلقاً، فيسكنهم فضل الجنة** ﴾.(1)

ففي قول النبي ﷺ : ﴿**لا يزال جهنم يلقى فيها، وتقول هل من مزيد؟**﴾ دليل على أن ذلك بمعنى الاستزادة لا بمعنى النفي؛ لأن قوله (لا تزال) دليل على اتصال قولٍ بعد قول.(2)

والقاعدة الترجيحية تقول: **(إذا ثبت الحديث وكان نصا في الآية فلا يصار إلى غيره)**. و القاعدة: **(إذا ثبت الحديث وكان في معنى أحد الأقوال فهو مرجح له على ما خالفه)**.

والله تعالى أعلم بالصواب

(1) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى:﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [إبراهيم: ٤]، رقم الحديث:6836 ومسلم في صحيحه، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب النار يدخلها الجبارون، والجنة يدخلها الضعفاء، رقم الحديث: 5085.

(2) تفسير الطبري 445/21

المسألة: هل يحمل القول على الحقيقة أم على التمثيل؟ في قوله تعالى:

﴿ يَوۡمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمۡتَلَأۡتِ وَتَقُولُ هَلۡ مِن مَّزِيدٍ ﴾ [سورة ق : 30] .

أقوال المفسرين في هذه المسألة

في هذه المسألة قولان للمفسرين:

1. أنه يحمل على التحقيق.
2. أنه يحمل على التمثيل والتخييل.(1)

رأي القنوجي

قال الشيخ القنوجي: قيل هذا الكلام على طريقة التمثيل والتخييل، ولا سؤال ولا جواب؛ وبه قال الزمخشري، **والأولى** أنه على طريقة التحقيق ولا يمنع من ذلك عقل ولا شرع، قال الكرخي: جعل الزمخشري هذا من باب المجاز مردود، لما ورد: (**تحاجت النار والجنة، واشتكت النار إلى ربها**)(2) ، ولا مانع من ذلك فقد سبّح الحصى، وسلم الحجر على النبي صلى الله عليه وسلم، ولو فتح باب المجاز فيه لاتسع الخرق. قال النسفي: هذا على تحقيق القول من جهنم، وهو غير مستنكر، كإنطاق الجوارح والسؤال لتوبيخ الكفار، لعلمه تعالى أنها قد امتلأت أم لا.(3) ويتضح مما سبق أن الشيخ القنوجي يرجح القول بأن الكلام هنا على طريقة التحقيق، وليس على طريقة التمثيل والخييل.

الدراسة

ذهب المفسرون مذهبين اثنين في هذه المسألة، فذهب جمهور المفسرين، وخاصة من أهل السنة أن هذا الكلام على طريقة التحقيق، وأن الله تعالى ينطقها كما ينطق الجوارح يوم القيامة، وأن ذلك أهون على الله تعالى، ومن المفسرين الذين صرحوا بهذا الإمام السمعاني وابن عطية والواحدي والقرطبي وابن جزي و النسفي والشوكاني وابن المنير وغيرهم، وهو رأي القنوجي أيضاً، وفيما يلي بعض أقوالهم:

---

(1) انظر: فتح البيان 13/176-177

(2) هما حديثان مختلفان: فالأول عند البخاري في صحيحه عن أبي هريرة بلفظ: (تحاجت الجنة والنار، فقالت النار: أوثرت بالمتكبرين والمتجرين، وقالت الجنة...)، كتاب التفسير (65)، باب قوله: وتقول هل من مزيد، 6/138، رقم الحديث: (4850). والثاني عنده عن أبي هريرة أيضاً بلفظ: (اشتكت النار إلى ربها فقالت: رب أكل بعضي بعضاً....)، كتاب بدء الخلق (59) باب صفة النار وأنها مخلوقة 4/120،رقم الحديث: (3260).

(3) فتح البيان 13/176-177

قال السمعاني: وقال بعضهم: أن القول من جهنم هاهنا على طريق المجاز، والأصح أن هذا النطق من جهنم على طريق الحقيقة، وهذا اللائق بمذهب أهل السنة في الإيمان بتسبيح الجمادات، وما نزل في ذلك من آي القرآن.(1)

وقال ابن عطية: واختلف الناس أيضا في قول جهنم هل هو حقيقة أو مجاز؟ والذي يترجح أنها حقيقة وأنها قالت ذلك، وبين ذلك الحديث الصحيح المتواتر قول النبي صلى الله عليه وسلم: **(يقال لجهنم هل امتلأت؟ وتقول: هَلْ مِنْ مَزِيدٍ، فيضع الرب تبارك وتعالى قدمه عليها، فتقول قط قط)**.(2)

وقال الواحدي: وهذا استفهام تحقيق وذلك أن الله عز وجل وعدها أن يملأها. (3)

وقال القرطبي: وقيل: ينطق الله النار حتى تقول هذا كما تنطق الجوارح. وهذا أصح.(4)

وقال ابن جزي: واختلف هل تتكلم جهنم حقيقة أو مجازا بلسان الحال؟ والأظهر أنه حقيقة، وذلك على الله يسير.(5)

وقال النسفي: وهذا على تحقيق القول من جهنم وهو غير مستنكر كانطاق الجوارح.(6)

وقال الشوكاني: وهذا الكلام على طريقة التمثيل والتخييل، ولا سؤال ولا جواب، كذا قيل، والأولى أنه على طريقة التحقيق، ولا يمنع من ذلك عقل ولا شرع.(7)

وقال ابن المنير(8): إنا نعتقد أن سؤال جهنم وجوابها حقيقة، وأن الله تعالى يخلق فيها الإدراك بذلك بشرطه. وكيف نفرض، وقد وردت الأخبار وتظاهرت على ذلك؟ منها هذا، ومنها لجاج الجنة والنار، ومنها اشتكاؤها إلى ربها، فأذن لها في نفسين. وهذه وإن لم تكن نصوصا، فظواهر يجب حملها على حقائقها، لأنا متعبدون باعتقاد الظاهر، ما لم يمنع مانع، ولا مانع هاهنا، فإن القدرة صالحة، والعقل يجوّز، والظواهر قاضية بوقوع ما جوّزه العقل. وقد وقع مثل هذا قطعا في الدنيا، كتسليم الشجر، وتسبيح الحصى في كف النبيّ صلى الله عليه وسلم وفي يد أصحابه. ولو فتح باب المجاز والعدول عن الظاهر في

---

(1) تفسير السمعاني 245/5

(2) المحرر الوجيز 165/5 والحديث أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير (65)، باب قوله: وتقول هل من مزيد، 138/6، رقم الحديث: (4849).

(3) الوجيز للواحدي ص 1024

(4) تفسير القرطبي 18/17

(5) التسهيل لابن جزي 302/2

(6) تفسير النسفي 367/3

(7) فتح القدير 92/5

(8) هو الإمام أحمد بن محمد بن منصور ابن المنيّر، من علماء الإسكندرية وأدبائها وقضاتها وخطبائها، ولد سنة 620هـ، من مصنفاته: التفسير، وتفسير حديث الإسراء، والانتصاف من الكشاف، توفي سنة 683هـ.. انظر: الأعلام للزركلي 220/1.

تفاصيل المقالة، لا تسع الخرق، وضل كثير من الخلق عن الحق. وليس هذا كالظواهر الواردة في الإلهيات مما لم يجوز العقل اعتقاد ظاهرها، فإن العدول فيها عن ظاهر الكلام بضرورة الانقياد إلى أدلة العقل المرشدة إلى المعتقد الحق.(1)

و ذهب آخرون، وعلى رأسهم الزمخشري، وبعض المفسرين من أهل السنة كالبيضاوي وأبو السعود وغيرهم أن هذا الكلام على سبيل التخييل والمجاز، ولا سؤال ولا جواب، أي حالها حال من لو نطق لقال كذا وكذا فيجري هذا مجرى: شكا إلي جملي طول السرى.

قال الزمخشري: وسؤال جهنم وجوابها من باب التخييل الذي يقصد به تصوير المعنى في القلب وتثبيته.(2) وقال البيضاوي: سؤال وجواب جيء بهما للتخييل والتصوير.(3)

وقال أبو السعود: سؤال وجواب جيء بهما على منهاج التمثيل والتخييل لتهويل أمرها ولمعنى أنها مع اتساعها وتباعد أقطارها تطرح فيها من الجنة والناس فوجا بعد فوج حتى تمتلىء.(4)

التعليق

والراجح –والله أعلم- هو ما ذهب إليه الجمهور من أهل السنة والجماعة، ومنهم الشيخ القنوجي، وذلك لما يلي:

1. أن الأصل في الكلام أن تحمل على الحقيقة، و حمله على التخييل والتصوير مجاز، ولا يجوز العدول عن الحقيقة إلى المجاز إلا لقرينة صريحة توجب عدوله عن الظاهر، والقاعدة الترجيحية تقول: (**الأصل حمل نصوص الوحي على ظواهرها إلا لدليل**). وتقول: (**لا يجوز العدول عن ظاهر القرآن إلا بدليل يجب الرجوع إليه**). وتقول أيضاً: (**الأصل في النص الحقيقة**).

2. أن الأحاديث النبوية الأخرى تؤيد أن تحمل هذا الكلام على الحقيقة، وليس على المجاز، كما ذكرنا بعضاً منها، والقاعدة تقول: (**إذا ثبت الحديث وكان نصا في الآية فلا يصار إلى غيره**)، وتقـــول: (**إذا ثبت الحديث وكان في معنى أحد الأقوال فهو مرجح له على ما خالفه**).

والله أعلم بالصواب

❁❁❁

(1) انظر: الانتصاف على حاشية الكشاف للزمخشري 388/4، لابن المنير الإسكندري، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة الثالثة - 1407 هـ

(2) الكشاف 388/4

(3) أنوار التنزيل 143/5

(4) تفسير أبي السعود 132/8

سورة الذاريات

المسألة: المراد بالذاريات والحاملات والجاريات والمقسمات

قولـه تعالى: ﴿ وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرۡوٗا ۝١ فَٱلۡحَٰمِلَٰتِ وِقۡرٗا ۝٢ فَٱلۡجَٰرِيَٰتِ يُسۡرٗا ۝٣ فَٱلۡمُقَسِّمَٰتِ أَمۡرًا ﴾ [سورة الذاريات: 1-6].

الأقوال الواردة عن المفسرين في معنى هذه الكلمات

أ- ما قيل في (وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرۡوٗا):

1- الرياح. 2- النساء.

ب- ما قيل: في (فَٱلۡحَٰمِلَٰتِ وِقۡرٗا):

1- السحاب. 2- الرياح 3- الإناث حوامل الأجنة.

جـ- ما قيل في (فَٱلۡجَٰرِيَٰتِ يُسۡرٗا):

1- السفن. 2- الرياح. 3- السحاب. 4- النجوم.

د- ما قيل في (فَٱلۡمُقَسِّمَٰتِ أَمۡرًا):

1- الملائكة. 2- الرياح.

رأي القنوجي

قال الشيخ القنوجي: (وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرۡوٗا) يقال ذرت الريح التراب تذروه ذرواً، وأذرته تذريه ذرياً، أقسم الله سبحانه بالرياح التي تذر والتراب وغيره، وقيل: المقسم به مقدر، وهو رب الذاريات وما بعدها، **والأول أولى**،... (فَٱلۡحَٰمِلَٰتِ وِقۡرٗا) قال علي: هي السحاب، أي تحمل الماء كما تحمل ذوات الأربع الوقر، ... (فَٱلۡجَٰرِيَٰتِ يُسۡرٗا) قال علي: هي السفن أي الجارية في البحر بالرياح جرياً سهلاً أي جرياً ذا يسر، وقيل: هي الرياح الجارية في مهابها أو الكواكب التي تجري في منازلها، وقيل: السحاب **والأول أولى** ... (فَٱلۡمُقَسِّمَٰتِ أَمۡرًا) قال علي: الملائكة، وعن عمر بن الخطاب مثله. (1)

الدراسة

دراسة هذه الأقوال ستكون حسب كل آية –بإذن الله- وذلك كما يلي:

أ- (وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرۡوٗا):

---

(1) فتح البيان 190/13

رجح أن المراد بالذاريات أي الرياح التي تذور التراب ذرواً؛ كلٌّ من:

1- الطبري(1). 2- الواحدي(2). 3- البغوي(3) 4- النسفي(4)

5- الزمخشري(5). 6- النيسابوري(6). 7- ابن الجوزي(7). 8- الفخر الرازي(8).

9- القرطبي(9). 10- الخازن(10). 11- ابن جزي(11). 12- أبوحيان(12).

13- ابن كثير(13). 14- المحلي(14). 15- الثعالبي(15) 16- البقاعي(16).

17- الشوكاني(17) 18- الألوسي(18) 19-السعدي(19) 20- سيد قطب(20) 21-ابن عاشور(21)

---

(1) جامع البيان للطبري 115/26

(2) الوجيز للواحدي 1027/2

(3) مختصر البغوي 887/2

(4) مدارك التنـزيل للنسفي 138/4

(5) الكشاف للزمخشري 385/5

(6) إيجاز البيان للنيسابوري 209/2

(7) زاد المسير لابن الجوزي 204/7

(8) التفسير الكبير للفخر الرازي 161/10

(9) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي 29/17

(10) لباب التأويل للخازن 200/6

(11) التسهيل لابن جزي 120/4

(12) البحر المحيط لأبي حيان 548/9

(13) تفسير القرآن العظيم لابن كثير 232/4

(14) تفسير الجلالين ص 439

(15) جواهر الحسان للثعالبي 204/4

(16) نظم الدرر للبقاعي 445/18

(17) فتح القدير للشوكاني 83/5

(18) روح المعاني للألوسي 2/27

(19) تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص 808

(20) في ظلال القرآن لسيد قطب 3375/6

(21) التحرير والتنوير لابن عاشور 337/26

ب- (فَٱلۡحَٰمِلَٰتِ وِقۡرٗا):

من رجّح أن الحاملات يراد بها السحاب أو السفن أو الرياح؛ سواء ذكر واحداً منها أو بعضها أو كلها؛ لأنه رجح «صحة شمول الآية لجميع ذلك »(1)، فمنهم:

1- الطبري: « السحاب التي تحمل وقرها من الماء »(2).

2- الواحدي: « السحاب تحمل الماء »(3).

3- البغوي: « السحاب التي تحمل ثقلاً من الماء »(4).

4- النسفي: « السحاب لأنها تحمل المطر »(5).

5- الزمخشري: « السحاب أو الرياح »(6).

6- النيسابوري: « السحاب »(7).

7- ابن الجوزي: « السحاب التي تحمل وقرها من الماء »(8).

8- الخازن: « السحاب يحمل ثقلاً من الماء »(9).

9- ابن جزي: « السحاب تحمل المطر »(10).

10- ابن كثير: « السحاب تحمل الماء »(11).

11- المحلي: « السحب تحمل الماء »(12).

12- البقاعي: « السحب »(13).

13- الشوكاني: « السحاب تحمل الماء »(14).

---

(1) أضواء البيان للشنقيطي 660/7

(2) جامع البيان للطبري 115/26

(3) الوجيز للواحدي 1027/2

(4) مختصر البغوي 887/2

(5) مدارك التنـزيل للنسفي 138/4

(6) الكشاف للزمخشري 385/4

(7) إيجاز البيان للنيسابوري 209/2

(8) زاد المسير لابن الجوزي 204/7

(9) لباب التأويل للخازن 200/6

(10) التسهيل لابن جزي 120/4

(11) تفسير القرآن العظيم لابن كثير 232/4

(12) تفسير الجلالين ص 439

(13) نظم الدرر للبقاعي 445/018

(14) فتح القدير للشوكاني 83/5

14- الألوسي: « السحب الحاملة للمطر »(1).

15- السعدي: « السحاب »(2).

16- سيد قطب: « السحاب الحاملات وقراً من الماء »(3).

17- ابن عاشور: « السحاب أو الرياح »(4).

جـ- (فَٱلۡجَٰرِيَٰتِ يُسۡرٗا):

رجّح أن المراد بالجاريات يسراً: السفن، كل من:

1- الطبري(5)	2- الواحدي(6)	3- البغوي(7).	4- النسفي(8)
5- النيسابوري(9).	6- ابن الجوزي(10).	7- القرطبي(11).	8- الخازن(12).
9- ابن جزي(13) .	10- ابن كثير(14).	11- المحلي(15).	12- البقاعي(16).
13- الشوكاني(17).	14- الألوسي(18).	15-سيد قطب(19).	

---

(1) روح المعاني للألوسي 2/27

(2) تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص 808

(3) في ظلال القرآن لسيد قطب 3375/6

(4) التحرير والتنوير لابن عاشور 337/26

(5) جامع البيان للطبري 115/26

(6) الوجيز للواحدي 1027/2

(7) مختصر البغوي 887/2

(8) مدارك التنـزيل للنسفي 138/4

(9) إيجاز البيان للنيسابوري 209/2

(10) زاد المسير لابن الجوزي 204/7

(11) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي 29/17

(12) لباب التأويل للخازن 200/6

(13) التسهيل لابن جزي 120/4

(14) تفسير القرآن العظيم لابن كثير 232/4

(15) تفسير الجلالين ص 439

(16) نظم الدرر للبقاعي 445/18

(17) فتح القدير للشوكاني 83/5

(18) روح المعاني للألوسي 2/27

(19) في ظلال القرآن لسيد قطب 3375/6

د- (فَٱلْمُقَسِّمَٰتِ أَمْرًا):

رجّح أن المراد بالمقسمات أمراً: الملائكة، كل من:

1- الطبري(1). 2- الواحدي(2). 3- البغوي(3). 4- النسفي(4).

5- النيسابوري(5). 6- ابن الجوزي(6). 7- القرطبي(7). 8- الخازن(8).

9- ابن جزي(9) 10- ابن كثير(10) 11- المحلي(11). 12- الثعالبي(12).

13- الشوكاني(13). 14- الألوسي(14). 15- السعدي(15). 16- سيد قطب(16).

وفيما يلي ذكر أقوال المفسرين الذين لم يرجحوا بين هذه الأقوال، بل ذكروها من غير ترجيح قول على آخر:

أ- (وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرْوًا):

1- الماوردي: « الرياح، أو ما ذرت الرياح، أو النساء الولودات »(17).

---

(1) جامع البيان للطبري 115/26

(2) الوجيز للواحدي 1027/2

(3) مختصر البغوي 887/2

(4) مدارك التنـزيل للنسفي 138/4

(5) إيجاز البيان للنيسابوري 209/2

(6) زاد المسير لابن الجوزي 204/7

(7) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي 29/017

(8) لباب التأويل للخازن 200/6

(9) التسهيل لابن جزي 120/4

(10) تفسير القرآن العظيم لابن كثير 232/4

(11) تفسير الجلالين ص 439

(12) جواهر الحسان للثعالبي 204/4

(13) فتح القدير للشوكاني 83/5

(14) روح المعاني للألوسي 2/27

(15) تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص 808

(16) في ظلال القرآن لسيد قطب 3375/6

(17) النكت والعيون للماوردي 361/5

2- البيضاوي: « الرياح تذروا التراب وغيره، أو النسا الولود فإنهم يذرين الأولاد، أو الأسباب التي تذري الخلائق »(1).

3- القاسمي: « الرياح، أو النساء الولود، أو الأسباب التي تذري الخلائق »(2).

ب- (فَٱلۡجَٰرِيَٰتِ يُسۡرًا):

1- الماوردي: « السحب يحملن وقراً بالمطر، الرياح يحملن وقراً بالسحاب، الحاملات من النساء إذا أثقلن بالحمل »(3).

2- أبوحيان: « السحاب: السفن، الحوامل من جميع الحيوان »(4).

3- البيضاوي: « السحب الحاملة للأمطار، أو الرياح الحاملة للسحاب، أو النساء الحوامل، أو أسباب ذلك »(5).

4- الثعالبي: « السحاب، السفن، الحوامل من جميع الحيوانات »(6).

5- القاسمي: « السحب، الرياح، النساء الحوامل، أو أسباب ذلك »(7).

جـ- (فَٱلۡجَٰرِيَٰتِ يُسۡرًا):

1- الماوردي: « السفن، السحاب »(8).

2- الزمخشري: « الفلْك، الرياح »(9).

3- أبوحيان: « الفلْك، السحاب، الجواري من الكواكب »(10).

4- البيضاوي: « السفن الجارية في البحر سهلاً، أو الرياح الجارية في مهابّها، أو الكواكب التي تجري في منازلها »(11).

5- الثعالبي: « السفن في البحر، السحاب، الكواكب »(1).

---

(1) أنوار التنـزيل للبيضاوي 229/2

(2) محاسن التأويل للقاسمي 5520/15

(3) النكت والعيون للماوردي 361/5

(4) البحر المحيط لأبي حيان 548/9

(5) أنوار التنـزيل للبيضاوي 229/2

(6) جواهر الحسان للثعالبي 204/4

(7) محاسن التأويل للقاسمي 5520/15

(8) النكت والعيون للماوردي 361/5

(9) الكشاف للزمخشري 485/4

(10) البحر المحيط لأبي حيان 548/9

(11) أنوار التنـزيل للبيضاوي 229/2

6- القاسمي: « السفن الجارية في البحر سهلاً، أو الرياح الجارية في مهابّها، أو الكواكب التي تجري في منازلها »(2).

7- السعدي: « النجوم التي تجري على وجه اليسر والسهولة، فتتزين بها السماوات، ويهتدى بها في ظلمات البر والبحر، وينتفع بالاعتبار بها »(3).

8- ابن عاشور: « السفن، الرياح »(4).

د- (فَٱلْمُقَسِّمَٰتِ أَمْرًا):

1- الماوردي: « السحاب يقسم الله ﷻ به الحظوظ بين الناس، الملائكة التي تقسم أمر الله في خلقه »(5).

2- الزمخشري: « الملائكة، الرياح »(6).

3- البيضاوي: « الملائكة التي تقسم الأمور من الأمطار والأرزاق وغيرها، أو ما يعمهم وغيرهم من أسباب القسمة، أو الريح يقسمن الأمطار بتصريف السحاب »(7).

4- القاسمي: « الملائكة التي تقسم الأمور من الأمطار والأرزاق وغيرهما، أو ما يعمهم وغيرهم من أسباب القسمة أو الرياح يقسمن الأمطار بتصريف السحاب »(8).

5- ابن عاشور: « الملائكة، الرياح »(9).

التعليق

بيان الراجح في هذا الموضع يكون -بعون الله- على النحو الآتي:

أ- (وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرْوًا):

يظهر -والله أعلم- أن الراجح كون المراد بـ (الذاريات ذروا) أي الرياح التي تذرو التراب ذرواً، يدل لذلك:

---

(1) جواهر الحسان للثعالبي 204/4

(2) محاسن التأويل للقاسمي 5520/15

(3) تيسير الكريم الرحمن للسعدي 808

(4) التحرير والتنوير لابن عاشور 337/26

(5) النكت والعيون للماوردي 361/5

(6) الكشاف للزمخشري 385/4

(7) أنوار التنـزيل للبيضاوي 229/2

(8) محاسن التأويل للقاسمي 5520/15

(9) التحرير والتنوير لابن عاشور 337/26

1- دلالة القرآن الكريم على هذا المعنى، يقول تعالى: ﴿ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ ﴾ [سورة الكهف: 45] « فالذرو صفة مشهورة من صفات الرياح »(1)، ولا شك أن هذا من تفسير القرآن بالقرآن الذي هو « أحسن أنواع التفسير »(2).

2- اتفاق جمهور المفسرين قديماً وحديثاً عليه.

3- أما القول بأن الذاريات النساء يذرين الأولاد، فليست هناك دلالة واضحة عليه، ولا أدلة تؤيده، ولم يجزم به أحد من المفسرين معنى للآية.

ب- (فَٱلْجَٰرِيَٰتِ يُسْرًا):

يظهر -والله أعلم- أن الراجح كون المراد بالحاملات وقراً السحاب أو الرياح، وذلك لأمور:

1. لدلالة القرآن الكريم، فإن القرآن الكريم يفسر بعضه بعضاً(3)، فإن معنى الحاملات وقراً، أي السحاب تحمل وقراً ثقلاً من الماء، « ويدل لهذا تصريح الله جل وعلا بوصف السحاب بالثقال، وهو جمع ثقيلة، وذلك لثقل السحاب بوقر الماء الذي تحمله، كقوله تعالى: ﴿ وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ ﴾ [سورة الرعد: 12]، وكقوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالاً سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ ﴾ [سورة الأعراف: 57] ».(4)

2. وكون الحاملات وقراً يراد بها الرياح؛ فوجهه ظاهر، ودلت بعض الآيات على هذا بوضوح « لأن الله تعالى صرح بأن الرياح تحمل السحاب الثقال بالماء، وإذا كانت الرياح هي التي تحمل السحاب إلى حيث شاء الله ﷻ، فنسبة حمل ذلك الوقر إليها أظهر من نسبته إلى السحاب التي هي محمولة للرياح، وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالاً سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ ﴾ [سورة الأعراف: 57] فالإقلال الحمل، وهو مسند إلى الريح، ودلالة هذا على أن الحاملات وقراً هي الرياح ظاهرة »(5).

3- إن إرادة السفن بالحاملات وقراً، لا يؤيدها إلا المعنى اللغوي للفظ (الحاملات) ولفظ (الوقر)، ولا يقوى هذا أمام الدلالة الواضحة للآيات السابق ذكرها.

جـ- (فَٱلْجَٰرِيَٰتِ يُسْرًا):

---

(1) أضواء البيان للشنقيطي 659/7

(2) شرح مقدمة التفسير لابن عثيمين ص 127

(3) قواعد التفسير لخالد السبت 109/1

(4) أضواء البيان للشنقيطي 659/7

(5) المرجع السابق 660/7

يظهر -والله أعلم- أن الراجح كون المراد بالجاريات يسراً السفن تجري في البحر يسر أي جرياً سهلاً بأمر الله ﷻ، يدل لذلك:

1- التصريح في عدد من الآيات بتسمية السفن بأنها (جارية) كقوله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ ٱلْجَوَارِ فِى ٱلْبَحْرِ﴾ [سورة الشورى: 32]، كقوله تعالى ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَـٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ﴾ [سورة الحاقة: 11].

2- والتصريح أيضاً في عدد من الآيات بوصف السفن بأنها (تجري)، كقوله تعالى: ﴿وَٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ﴾ [سورة الحج: 65]، كقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَكُمُ ٱلْبَحْرَ لِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِۦ﴾ [سورة الجاثية: 12].

3- أما تفسيرها بأنها الرياح أو الكواكب، فهي وإن ذكرها بعض المفسرين على احتمال كونها معنىً للآية، إلا أنه لم يجزم أحد برجحان اعتبارها معنىً للآية.

د- (فَٱلْمُقَسِّمَـٰتِ أَمْرًا):

يظهر -والله أعلم- أن الراجح كون المراد بالمقسمات أمراً الملائكة يرسلها الله ﷻ في شئون وأمور مختلفة، يدل لذلك:

1- قولـه تعالى: ﴿فَٱلْمُدَبِّرَٰتِ أَمْرًا ۝﴾ [سورة النازعات: 5] « فمنهم من يرسل لتسخير المطر والريح، ومنهم من يرسل لكتابة الأعمال، ومنهم من يرسل لقبض الأرواح، ومنهم من يرسل لإهلاك الأمم المكذبة »(1)، وغيرها من الأعمال.

2- كذلك كثرة القائلين بأن المراد الملائكة، وندرة المرجحين لغيره من الأقوال.

والله أعلم بالصواب.

۞ ۞ ۞

(1) المرجع السابق 661/7

الفصل الثاني: ترجيحات الشيخ القنوجي من أول سورة الطور إلى آخر سورة التكوير

سورة الطور

المسألة: المراد بالمسجور في قوله تعالى: ﴿ وَٱلۡبَحۡرِ ٱلۡمَسۡجُورِ ﴾ [سورة الطور: 6].

أقوال المفسرين في المراد بالمسجور

في المراد بالمسجور سبعة أقوال للمفسرين:

أحدها: المحبوس **الثاني:** أنه المرسل **الثالث:** الموقد ناراً

الرابع: أنه الممتلىء **الخامس:** أنه المختلط **السادس:** الذي قد ذهب ماؤه ويبس

السابع: هو الذي لا يشرب من مائه ولا يسقى به زرع.(1)

رأي القنوجي

قال القنوجي: ﴿ وَٱلۡبَحۡرِ ٱلۡمَسۡجُورِ ﴾ أي: الموقد المحمي من السجر وهو إيقاد النار في التنور ومنه قوله: ﴿ وَإِذَا ٱلۡبِحَارُ سُجِّرَتۡ ﴾ [التكوير: 6]. وقد ورد أن البحار تسجر يوم القيامة فتكون ناراً فيزاد بها في نار جهنم وقيل المسجور المملوء بالماء وهو البحر المحيط... قيل: إنه من أسماء الأضداد، يقال بحر مسجور أي مملوء وبحر مسجور أي فارغ خال وقيل: المسجور الممسوك ومنه ساجور الكلب لأنه يمسكه وقال أبو العالية: المسجور الذي ذهب ماؤه ونضب، وقيل: المسجور المفجور ومنه قوله: (وَٱلۡبَحۡرِ ٱلۡمَسۡجُورِ). وقال الربيع بن أنس: هو الذي يختلط فيه العذب بالمالح، **والأول أولى.**(2)

الدراسة

لقد ذهب بعض المفسرين إلى أن المراد من المسجور هو المملوء، ومنهم الإمام الطبري حيث قال: وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب قول من قال: معناه: والبحر المملوء المجموع ماؤه بعضه في بعض، وذلك أن الأغلب من معاني السجر: الإيقاد، ... أو الامتلاء على ما وصفت، فإذا كان ذلك الأغلب من معاني السَّجْر، وكان البحر غير مُوقَد اليوم، وكان الله تعالى ذكره قد وصفه بأنه مسجور، فبطل عنه إحدى الصفتين، وهو الإيقاد صحّت الصفة الأخرى التي هي له اليوم، وهو الامتلاء، لأنه

(1) انظر: النكت والعيون 379/5

(2) فتح البيان 219/13

كلّ وقت ممتلئ.(1) وذكره ابن الجوزي ونسبه إلى جميع اللغويين(2)، وهو الذي ذكره المحلي أيضاً.(3)

وذهب آخرون إلى أن المراد منه الموقد ناراً،(4) ومنهم الشيخ القنوجي.

التعليق

الراجح -والله أعلم- هو ما ذهب إليه القنوجي ومن معه؛ لأنه المشهور من لغة العرب، والقاعدة تقول: (**يحمل كلام الله على المعروف من كلام العرب**)، وكذلك تفسره الآية الأخرى، كما ذكر القنوجي، **وما تؤيده الآيات القرآنية مقدم على غيره.**

والله أعلم بالصواب

۞۞۞

المسألة: المراد بالذرية الثانية في قوله تعالى:

﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتۡهُمۡ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلۡحَقۡنَا بِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَمَآ أَلَتۡنَٰهُم مِّنۡ عَمَلِهِم مِّن شَيۡءٖ ﴾ [سورة الطور : 21]

أقوال المفسرين في معنى الذرية الثانية

واختلف المفسرون في تفسيرها على ثلاثة أقوال:

أحدها: أي ألحقنا بهم ذرياتهم من المؤمنين في الجنة وإن كانوا لم يبلُغوا أعمال آبائهم تكرمةً من الله تعالى لآبائهم المؤمنين باجتماع أولادهم معهم.

الثاني: ألحقنا بهم ذُرِّيَّتهم الصِّغار الذين لم يبلُغوا الإيمان.

الثالث: وأتبَعْناهم ذُرِّياتهم بإيمان الآباء فأدخلناهم الجنة.(5)

رأي القنوجي

قال القنوجي: (أَلۡحَقۡنَا بِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ) الذرية هنا تصدق على الآباء وعلى الأبناء فإن المؤمن إذا كان عمله أكثر ألحق به من دونه في العمل، ابناً كان أو أباً، وهو منقول عن ابن عباس وغيره، ويلحق

(1) تفسير الطبري 459/22

(2) زاد المسير 176/4

(3) تفسير الجلالين ص 697

(4) انظر مثلاً: تفسير ابن كثير 429/7، وفتح القدير 114/5، وروح المعاني 29/24 وغيرهم.

(5) زاد المسير 178/4

بالذرية من النسب الذرية بالسبب، وهو المحبة، فإن كان معها أخذ علم أو عمل، كانت أجدر، فتكون ذرية الإفادة كذرية الولادة، قاله الخطيب، ولعل الأول أولى.(1)

الدراسة

لقد ذهب بعض المفسرين إلى أن المراد بالذرية هنا الصغار والكبار، وهم تابعون لآبائهم بسبب إيمان الآباء. واختار هذا القول : الواحدي.(2) و ذلك أنها تطلق في اللغة على الصغار والكبار.

و ذهب آخرون إلى أن المراد بهم الذرية الصغار غير المكلفين، وهو المروي عن ابن عباس والضحاك.(3). واختاره ابن القيم في حادي الأرواح.(4)

وبعض المفسرين ذهبوا إلى أن المراد بهم: ذريتهم الكبار البالغين المكلفين المؤمنين، فيلحقون بآبائهم في الدرجة التي هم فيها من الجنة وإن كانوا لم يبلغوا بأعمالهم درجة آبائهم في الجنة، وذلك تكرمة من الله تعالى لآبائهم المؤمنين باجتماع أولادهم معهم ، وهذا قول : الجمهور، ومنهم: ابن عباس، وسعيد بن جبير، واختاره ابن عطية(5) وهو الذي رجحه القنوجي كما سبق.

التعليق

وما ذهب إليه القنوجي وغيره من جمهور المفسرين هو الراجح، والله أعلم، وذلك لما يلي:

1. أن السياق الآيات يتحدث عن بيان إحسان الله تعالى إلى أهل الجنة، وهذا من جملة إحسانه أن يرعى المحسن في المسيء. والترجيح بالسياق أحد وجوه الترجيح.

2. لقد وضح الله في هذه الآية أنه يرفع ذرية المؤمن إليه وإن كانوا دونه في العمل بشرط أن يكونوا مؤمنين ﴿ وَٱتَّبَعَتۡهُمۡ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ ﴾ فيختص بالمؤمنين من ذريتهم أي: الكبار البالغون دون الصغار؛ لأن الصغير لا يحكم بإسلامه إلا تبعاً لوالده، فإنهم وإن كانوا لاحقين بآبائهم فبدليل آخر غير هذه الآية.

والله أعلم بالصواب

❁❁❁

(1) فتح البيان 13/ 215

(2) التفسير البسيط للواحدي 165/1

(3) انظر: فتح القدير للشوكاني 98/5 وزاد المسير 178/4

(4) انظر: حادي الأرواح ص 316

(5) المحرر الوجيز 189/5

سورة : النجم

مسألة : المراد بالنجم في قوله تعالى :

﴿ وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ ﴾ [سورة النجم : 1].

أقوال المفسرين في المراد بالنجم

في المراد بالنجم خمسة أقوال:

أحدها: أنه الثُّريّا

الثاني: الرُّجوم من النُّجوم، يعني ما يرمى به الشياطين

الثالث: أنه القرآن نزل نجوماً متفرِّقة

الرابع: نجوم السماء كُلِّها

الخامس: أنها الزُّهَرةُ.

السادس: النبت الذي لا ساق له.(1)

رأي القنوجي

قال القنوجي: (وَٱلنَّجۡم) هو الكوكب، وسمي به لطلوعه، وكل طالع نجم، ... والمراد به جنس النجوم، يعني نجوم السماء كلها حين تغرب أقسم الله بالنجوم إذا غابت وليس يمتنع أن يعبر عنها بلفظ واحد، ومعناه جمع، وبه قال جماعة من المفسرين، وقيل: المراد به الثريا، وهو اسم غلب عليها، تقول العرب: النجم وتريد به الثريا، وبه قال ابن عباس ومجاهد وغيرهما، ... وقيل: المراد بالنجم الشعرى، لذكرها في قوله تعالى:﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعۡرَىٰ﴾ [النجم: ٤٩]وقال السدي: النجم هنا هو الزهرة لأن قوماً من العرب كانوا يعبدونها وقيل: النجم هنا النبت الذي لا ساق له، كما في قوله: ﴿وَٱلنَّجۡمُ وَٱلشَّجَرُ يَسۡجُدَانِ﴾ [الرحمن: ٦]، قاله الأخفش، وقيل: النجم محمد صلى الله عليه وسلم، وقيل: النجم القرآن، وسمي نجماً لأنه نزل منجماً مفرقاً، **والأول أولى**، ... وقيل: المراد بها النجوم التي ترجم بها الشياطين.(2)

الدراسة

لقد اختار المفسرون أقوالاً مختلفة في المراد بالنجم في هذه الآية، فمنهم من ذهب إلى أن المراد هو الثريا إذا سقطت وغابت، وإلى هذا القول ذهب الإمام الطبري، ونسبه إلى ابن عباس

(1) زاد المسير 183/4، والنكت والعيون 389/5

(2) فتح البيان 143/13

ومجاهد والثوري.(1) ومنهم من اختار القول بأن المراد منه الزهرة، ونسب هذا القول إلى السدي.(2) ومنهم من اختار أن المراد به النجوم التي ترمي بها الشياطين، ونقل هذا القول عن ابن عباس والحسن والضحاك.(3) واختاره ابن القيم.(4) ومنهم من ذهب إلى أن المراد به القرآن الكريم إذا نزل مفرقا. واختار هذا القول الشنقيطي.(5)

وذهب جمهور المفسرين إلى أن المراد جميع النجوم التي في سماء الدنيا إذا سقطت وغربت. واختار هذا القول السمعاني،(6) وابن عطية،(7) والرازي،(8) والشوكاني،(9) والألوسي،(10) والقنوجي،(11) والسعدي.(12)

التعليق

ويبدو –والله أعلم- أن ما ذهب إليه القنوجي ومن معه هو الراجح وذلك لما يلي:

1. أنه تدل عليه اللغة في أصل الوضع، والقاعدة تقول: (**الأصل في النص الحقيقة**).

2. أنه لا وجه للتخصيص، والقاعدة الترجيحية تقول: (**العموم أولى من التخصيص**)، ولا دليل لكون النجم مفرداً فإنه أريد به الجنس.

3. الأصل هو حمل ألفاظ القرآن على ظواهرها، والقول بأن المراد بالآية : نجوم القرآن خلاف للظاهر والحقيقة، ونزول القرآن لا يسمى هويًّا، وليس ذلك معهود في كلام العرب ولا في القرآن الكريم، وكذلك القول بأن المراد هو النبات الذي لا ساق له، فهذا خلاف للظاهر. والقاعدة تقول: (**تحمل معاني القرآن على أسلوبه ومعهود استعماله**).

والله أعلم بالصواب

❁❁❁

(1) انظر: تفسير الطبري 6/22 وزاد المسير 183/4

(2) النكت والعيون 389/5.

(3) انظر: تفسير ابن كثير 264/4

(4) التبيان في أقسام القرآن (152) .

(5) أضواء البيان 200/5

(6) تفسير السمعاني 283/5- 284

(7) المحرر الوجيز 196/5

(8) مفاتيح الغيب 279/27

(9) فتح القدير 126/5

(10) تفسير الألوسي 38/27

(11) فتح البيان 243/13

(12) تفسير السعدي 380/3

المسألة : المراد بـ (اللمم) في قوله تعالى :

﴿ ٱلَّذِينَ يَجۡتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَۚ ﴾ [سورة النجم : 32] .

أقوال المفسرين في الآية وأما اللمم المستثنى ففيه ثمانية أقاويل للمفسرين:

أحدها: إلا اللمم الذي ألموا به في الجاهلية من الإثم والفواحش فإنه معفو عنه في الإسلام

الثاني: هو أن يلم بها ويفعلها ثم يتوب منها الثالث: أن اللمم الصغائر من الذنوب.

الرابع: أن اللمم ما دون الوطء من القبلة والغمزة والنظرة والمضاجعة

الخامس: هو أن يعزم على المواقعة ثم يرجع عنها مقلعاً

السادس: أن اللمم ما لم يجب عليه حد في الدنيا ولم يستحق عليه في الآخرة عذاب

السابع: أن اللمم النظرة الأولى فإن عاد فليس بلمم

الثامن: أن اللمم النكاح.(1)

رأي القنوجي

قال القنوجي: ﴿إِلَّا ٱللَّمَمَۚ﴾ أي إلا ما قل وصغر من الذنوب، ثم قال: وقد اختلف أقوال أهل العلم في تفسير هذا المذكور في الآية فالجمهور على أنه صغائر الذنوب، وقيل: هو ما كان دون الزنا من القبلة والغمزة والنظرة وكالكذب الذي لا حد فيه ولا ضرر والإشراف على بيوت الناس وهجر المسلم فوق ثلاث والضحك في الصلاة المفروضة والنياحة وشق الجيب في المصيبة، والتبختر في المشي، والجلوس بين الفساق إيناساً بهم، وإدخال مجانين وصبيان ونجاسة المسجد إذا كان يغلب تنجيسهم له واستعمال نجاسة في بدن أو ثوب لغير حاجة ونحو ذلك،... وقيل: هو الرجل يلم بذنب ثم يتوب أو يقع الوقعة ثم ينتهي ... وقيل: هو ذنوب الجاهلية فإن الله لا يؤاخذ بها في الإسلام، ... **الراجح الأول**.(2)

الدراسة

وكما ذكرنا أن المفسرين اختلفوا في المراد باللمم اختلافاً كبيراً، فمن هنا وقع الاختلاف بينهم في التفسير أيضاً، فمنهم من اختار أن المراد جميع الذنوب التي ارتكبوها في الجاهلية، فإن الله تعالى قد عفا لهم عنها. وهذا القول نسب إلى ابن عباس وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وأبيه.(3)

---

(1) انظر: النكت والعيون 401/5

(2) فتح البيان 263/13

(3) انظر: تفسير الطبري 61/22

ومنهم من قال إن المراد كبائر الذنوب التي يفعلها العبد المرة الواحدة ثم يتوب منها ولا يعود. وهذا القول نسب أيضاً إلى ابن عباس وأبي هريرة ومجاهد والحسن. (1)

ومنهم من قال إن المراد صغائر الذنوب التي لم يذكر الله تعالى لها حداً في الدنيا ولا عذاباً في الآخرة. وهو قول الجمهور ومنهم ابن عباس وأبي هريرة وابن مسعود وغيرهم من الصحابة والتابعين،(2). ورجح هذا القول الطبري،(3) والواحدي(4) والشوكاني(5) والقاسمي(6) وغيرهم.

التعليق

و بالنظر إلى هذه الأقوال يبدو –والله أعلم- أن ما ذهب إليه الجمهور ومنهم القنوجي هو الراجح، وذلك لما يلي:

1. أنه يؤيده الآية الأخرى من سورة النساء، وهي قوله تعالى: ﴿ إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ ﴾ [النساء: 31] فوعد الله سبحانه وتعالى باجتناب الكبائر العفو عن ما دونها من الصغائر وهي المرادة باللمم في هذه الآية. وما تؤيده الآيات القرآنية مقدم على غيره.

2. أنه منقول عن جماعة من السلف من الصحابة والتابعين، كما ذكرنا، والقاعدة الترجيحية تقول: **(فهم السلف حجة على من بعدهم)**. وتقول: **(تفسير جمهور السلف مقدم على كل تفسير شاذ)**. و على هذا ما ذهب إليه الجمهور يكون راجحاً.

والله أعلم بالصواب

۞۞۞

سورة القمر

المسألة: المراد بالنذر في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ جَآءَ ءَالَ فِرْعَوْنَ ٱلنُّذُرُ ﴾

قولـه تعالى: ﴿ وَلَقَدْ جَآءَ ءَالَ فِرْعَوْنَ ٱلنُّذُرُ ۝ كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا كُلِّهَا ﴾[سورة القمر: 41-42].

الأقوال الواردة في معنى النذر في الآية

(1) انظر: تفسير البغوي 411/7

(2) انظر : تفسير الطبري 61/22

(3) تفسير الطبري 61/22

(4) التفسير البسيط للواحدي 236/1

(5) فتح القدير 113/5

(6) تفسير القاسمي 376/6

اختلف المفسرون في المراد من لفظ (ٱلنُّذُر) الذي جاء بالجمع في حين أن الله تبارك وتعالى أرسل لفرعون نبيين هما موسى وهارون عليهما السلام، وجاءت الأجوبة إجمالاً على النحو الآتي:

1- أن المراد: موسى وهارون وغيرهما من الأنبياء، لأنهما عرضا عليهم ما أنذر به المرسلون(1).

2- أن المراد بـ (ٱلنُّذُر) موسى وهارون عليهما السلام، على أن أقل الجمع اثنان(2).

3- أن النذر مصدر بمعنى الإنذار(3).

4- أن النذر هي الآيات التسع التي أنذرهم بها موسى -عليه السلام-(4).

رأي القنوجي

قال القنوجي: (وَلَقَدۡ جَآءَ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ ٱلنُّذُرُ) جمع نذير أو مصدر بمعنى الإنذار كما تقدم، وهي الآيات التسع التي أنذرهم بها موسى، **وهذا أولى**، لقوله: (كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا كُلِّهَا) فإنه بيان لذلك، والمراد بها الآيات التسع التي تقدم ذكرها، وقيل: النذر موسى وهرون وغيرهما من الأنبياء.(5) فالراجح عند القنوجي هو أن المراد بها الآيات التسع التي أنذرهم بها موسى.

الدراسة

الذين وافقوا الشيخ القنوجي في رأيه هذا هم:

1- الفخر الرازي (6). 2- البيضاوي(7). 3- الشوكاني(8).

و خالفهم في ذلك آخرون، ويمكن تقسيمهم إلى فئتين:

أ- مَنْ حمل اللفظ على قول واحد فقط، ففسروا الآية بترجيح أحد الأقوال الواردة في مجمل الأقوال، وهم على نوعين أيضاً:

النوع الأول: الذين رجحوا أن المراد بلفظ (ٱلنُّذُر) موسى وهارون عليهما السلام على اعتبار أن أقل الجمع اثنان، فمنهم:

---

(1) الكشاف للزمخشري 428/4، ومدارك التنزيل للنسفي 156/4

(2) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي 145/17

(3) جامع البيان للطبري 63/27

(4) المذكورة في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَىٰ تِسۡعَ ءَايَـٰتِۭ بَيِّنَـٰتٖ...﴾ [سورة الإسراء: 101]. انظر: مختصر البغوي 906/2

(5) فتح البيان 304/13

(6) التفسير الكبير الفخر الرازي 319/10

(7) أنوار التنزيل للبيضاوي 239/2

(8) فتح القدير للشوكاني 127/5

1- الواحدي(1). 2- القرطبي(2). 3- المحلي(3).

النوع الثاني: الذين رجحوا أن لفظ (ٱلنُّذُر) مصدر بمعنى الإنذار، منهم:

1- الطبري(4). 2- ابن عاشور(5).

ب- الفئة الثانية؛ الذين فسروا الآية بحمل اللفظ على أكثر من معنى، وهم أيضاً أنواع بحسب الأقوال التي ذكروها:

النوع الأول: من اعتبر لفظ (ٱلنُّذُر) محتملاً لأن يراد به موسى وهارون وغيرهما من الأنبياء عليهم السلام، أو يراد به جمع نذير وهو الإنذار، فمنهم:

1- النسفي(6). 2- الزمخشري(7). 3- أبوحيان(8).

4- البقاعي(9). 5- الألوسي(10).

النوع الثاني: الذين اعتبروا لفظ (ٱلنُّذُر) يراد به موسى وهارون عليهما السلام على اعتبار أن أقل الجمع اثنان، وفي نفس الوقت قد يراد بالنذر الآيات التسع التي أيّد الله ﷻ بها نبيّه موسى -عليه السلام-، فمنهم:

1- البغوي (11). 2- الخازن(12). 3- ابن كثير(13). 4- السعدي(14).

---

(1) الوجيز للواحدي 1049/2

(2) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي 145/17

(3) تفسير الجلالين ص 449

(4) جامع البيان للطبري 63/27

(5) التحرير والتنوير لابن عاشور 208/27

(6) مدارك التنزيل للنسفي 156/4

(7) الكشاف للزمخشري 428/4

(8) البحر المحيط لأبي حيان 47/10

(9) نظم الدرر للبقاعي 128/19

(10) روح المعاني للألوسي 91/27

(11) مختصر البغوي 906/2

(12) لباب التأويل للخازن 230/6

(13) تفسير القرآن العظيم لابن كثير 269/4

(14) تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص 827

النوع الثالث: من حمل لفظ (ٱلنُّذُر) على أنه مصدر بمعنى الإنذار، أو يراد به الآيات التسع، منهم: ابن الجوزي(1).

النوع الرابع: من حمل لفظ (ٱلنُّذُر) على أنه يراد به موسى وهارون عليهما السلام، أو جمع نذير بمعنى الإنذار، أو الآيات التسع، منهم: القاسمي(2).

التعليق

الظاهر -والله أعلم- أن يقال بصحة حمل لفظ (ٱلنُّذُر) على جميع المعاني الواردة عن المفسرين، فإن لكل قول وجاهةً أن يحمل عليه لفظ (ٱلنُّذُر) في الآية، وإليك بيانها:

1- القول بأن المراد بالنذر موسى وهارون وغيرهما من الأنبياء عليهم السلام؛ لأنهما عرضا على فرعون مجمل رسالة جميع الأنبياء عليهم السلام وهو الدعوة إلى توحيد الله ﷻ، هذا القول تؤيده آيات من كتاب الله ﷻ؛ تبين أن تكذيب رسول واحد يساوي تكذيب جميع المرسلين، فمنها قوله تعالى: ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ [سورة الشعراء: 105] وهم إنما يكذبون نوحاً -عليه السلام-، وقال عن عاد قوم هود -عليه السلام-: ﴿ كَذَّبَتْ عَادٌ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ [سورة الشعراء: 123] وهم إنما كذبوا هوداً -عليه السلام-. وغيرهم من الأقوام المكذبة لأنبيائها.

2- القول بأن النذر يعني موسى وهارون عليهما السلام على اعتبار أن أقل الجمع اثنان، فقد وردت آيات ورد فيها لفظ الجمع والمراد اثنان فقط، كقوله تعالى: ﴿ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ﴾ [التحريم: 4] ولهما قلبان فقط، وقوله تعالى ﴿ وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ ﴾ [طه: 130] وله طرفان فقط.

3- أما أن يكون لفظ (ٱلنُّذُر) مصدر بمعنى الإنذار، فمن ما يدل عليه قوله تعالى: ﴿ وَمَا تُغْنِى ٱلْآيَـٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴾ [يونس: 101] فالنذر هنا بمعنى « الإنذارات والعِبر »(3). وكذلك تكرر في سورة القمر نفسها في عدد من الآيات لفظ (نذر) وكلها يراد بها الإنذار، منها قوله تعالى: ﴿ حِكْمَةٌۢ بَـٰلِغَةٌ فَمَا تُغْنِ ٱلنُّذُرُ ﴾ [القمر: 5]، وقوله تعالى: ﴿ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴾ [القمر: 16، 18، 21، 30]، وقوله تعالى: ﴿ فَذُوقُواْ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴾ [القمر: 37، 39].

---

(1) زاد المسير لابن الجوزي 250/7

(2) محاسن التأويل للقاسمي 5604/15

(3) مفردات القرآن الكريم لمحمد حسن الحميصي ص 220

4- وأما أن يراد بالنذر الآيات التسع التي أنذرهم بها موسى -عليه السلام-، فقد جاءت الإشارة إليها في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ﴾ [الإسراء: 101].

وبعد هذا العرض، فلا مانع من حمل لفظ (النذر) على جميع المعاني الواردة.

والله أعلم بالصواب.

۞۞۞

سورة الرحمن

المراد بقوله تعالى: ﴿عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ﴾

قوله تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ۝٤﴾ [الرحمن: 3-4].

الأقوال الواردة في المراد بالبيان

اختلف في المراد بقوله تعالى (عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ) على أقوال:

1- الإفصاح عما في الضمير. 2- تعليم كل قوم لسانهم الذي يتكلمون به.(1)

3- ما يقول وما يقال له. 4- النطق.(2) 5- المنطق والكلام.

6- الخط.(3) 7- القرآن الكريم.(4)

8- تعليم الإنسان كل ما به الحاجة إليه من أمر دينه ودنياه.(5)

9- الحلال والحرام. 10- الخير والشر. 11- الهداية(6).

رأي القنوجي

قال القنوجي: (عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ) قال قتادة والحسن: المراد بالبيان أسماء كل شيء، وقيل المراد به اللغات كلها، فكان آدم يتكلم بسبعمائة لغة أفضلها العربية، وقيل: الإنسان اسم جنس، وأراد به جميع الناس، أي: علمه النطق الذي يتميز به عن سائر الحيوان، وقيل: أراد بالإنسان محمداً صلى الله عليه وسلم، علمه بيان ما يكون وما كان لأنه صلى الله عليه وسلم ينبىء عن

(1) القولان (1، 2) ذكرهما البغوي، مختصر البغوي 908/2

(2) القولان (3، 4) ذكرهما ابن الجوزي في زاد المسير 254/7

(3) القولان (5، 6) ذكرهما الماوردي في النكت والعيون 423/5

(4) ذكره الواحدي في الوجيز 1052/2

(5) جامع البيان للطبري 67/27

(6) الأقوال (9، 10، 11) ذكرها الماوردي في النكت والعيون 423/5

خير الأولين والآخرين، وعن يوم الدين، وقال ابن كيسان: المراد به بيان الحلال من الحرام والهدى من الضلال وهو بعيد، وقال الضحاك: البيان الخير والشر والحدود والأحكام، وقال الربيع ابن أنس: هو ما ينفعه مما يضره، وقيل: البيان الكتابة بالقلم، **والأولى** حمل البيان على تعليم كل قوم لسانهم الذي يتكلمون به.(1)

الدراسة

لقد وافق الشيخ القنوجي في رأيه هذا الشيخ الشوكاني(2). فقط. لكن خالفه في ذلك كثيرون وعلى على أنواع:

الف: من رجح أن المراد بالبيان الإفصاح عما في الضمير؛ عدد من المفسرين، منهم:

1- النسفي(3). 2- ابن القيم(4).

3- البيضاوي: « (خَلَقَ ٱلۡإِنسَنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ) إيماء بأن خلق البشر وما يميز به عن سائر الحيوان من البيان وهو التعبير عما في الضمير وإفهام الغير لما أدركه لتلقي الوحي وتعرف الحق وتعلم الشرع »(5).

4- الثعالبي(6). 5- البقاعي(7).

6- الألوسي: « (عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ) لأن البيان هو الذي به يتمكن عادة من تعلم القرآن وتعليمه، والمراد به المنطق الفصيح المعرب عما في الضمير »(8).

7- القاسمي(9).

8- السعدي: « (عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ) أي التبيين عما في ضميره، وهذا شامل للتعليم النطقي والتعليم الخطي، فالبيان الذي ميز الله ﷻ به الآدمي على غيره من أجلّ نعمه، وأكبرها عليه »(10).

(**1**) فتح البيان 314/13

(2) فتح القدير للشوكاني 131/5

(3) مدارك التنزيل للنسفي 157/4

(4) بدائع التفسير لابن القيم 322/4

(5) أنوار التنزيل للبيضاوي 240/2

(6) جواهر الحسان للثعالبي 240/4

(7) نظم الدرر للبقاعي 144/19

(8) روح المعاني للألوسي 99/27

(9) محاسن التأويل للقاسمي 5612/15

(10) تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص 828

9- سيد قطب(1). 10- ابن عاشور(2).

11-الشنقيطي:: « وقوله جل وعلا في هذه الآية الكريمة (عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ) التحقيق فيه أن المراد بالبيان الإفصاح عما في الضمير. وما دلت عليه هذه الآية الكريمة من أنه علم الإنسان البيان قد جاء موضحاً في قولـه تعالى: ﴿ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾ [النحل: 4، يس: 77].

وقد امتن الله جل وعلا على الإنسان بأن جعل لـه آلة البيان التي هي اللسان والشفتان، وذلك في قولـه تعالى: ﴿ أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ۝٨ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ۝٩﴾ [البلد: 8-9] »(3).

وفيمن ذكرت كلامهم إشارة إلى البقية اختصاراً وبُعداً عن التكرار.

ب- منهم من رجّح أن البيان يراد به كل ما يحتاج إليه الإنسان مما به الحاجة إليه، فمنهم:

1- الطبري: «... والصواب من القول في ذلك أن يقال معنى ذلك أن الله ﷻ علم الإنسان ما به الحاجة إليه من أمر دينه ودنياه من الحلال والحرام والمعايش والمنطق وغير ذلك مما به الحاجة إليه؛ لأن الله جل ثناؤه لم يخصص بخبره ذلك أنه علمه من البيان بعضاً دون بعض بل عمّ فقال (عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ) فهو كما عمّ جل ثناؤه »(4).

ج- منهم من رجح أن المراد بالبيان النطق، ومنهم:

1- ابن جزي(5). 2- المحلي(6). 3- ابن كثير(7).

د- منهم من رجح أن البيان يعني القرآن، منهم:

1- الواحدي (8). 2- النيسابوري(9).

التعليق

---

(1) في ظلال القرآن لسيد قطب 3447/6

(2) التحرير والتنوير لابن عاشور 233/27

(3) أضواء البيان للشنقيطي 157/4

(4) جامع البيان للطبري 67/27

(5) التسهيل لابن جزي 151/4

(6) تفسير الجلالين ص 449

(7) تفسير القرآن العظيم لابن كثير 270/4

(8) الوجيز للواحدي 1052/2

(9) إيجاز البيان للنيسابوري 226/2

يظهر -والله أعلم- أن الراجح في المراد بـ (عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ) هو ما اختاره من قال أن المراد بالبيان الإفصاح عما في الضمير، وإن كنت لا أرى فرقا كبيرا بين بعض هذه الأقوال،وذلك لأمور:

1- أنه هو اختيار الجمهور، كما صرح بذلك أبوحيان(1)، والثعالبي(2).

2- أنه قد دلت آيات أخرى من كتاب الله ﷻ على أن البيان يراد به الإفصاح عما في داخل النفس بوضوح وحجة، كقوله تعالى: ﴿ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾ [النحل: 4، يس: 77]، وقوله تعالى: ﴿ أَوَمَن يُنَشَّؤُاْ فِي ٱلْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي ٱلْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾ [الزخرف: 18].

3- إن عدداً من الأقوال الواردة في مجمل الأقوال يدخل تماماً تحت القول الأول -وهو اختيار الجمهور وهي الأقوال رقم (2، 3، 4، 5، 6) وذلك أن تعليم كل قوم لسانهم الذي يتكلمون به، وأن يفهم الإنسان ما يقوله وما يقال لـه، وأن يراد بالبيان النطق أو المنطق والكلام، أو يراد بالبيان الخط، كل هذه المعاني داخلة في معنى الإفصاح عما في الضمير، فإن أهل كل لسان يفصحون بلسانهم سواء بالنطق أو بالخط، ومن يتكلم ويفصح عما في نفسه لابد أن يكون فاهماً لما يقوله وما يقال لـه، وهكذا نجد ارتباط هذه الأقوال ببعضها، بل ودخولها تحت القول الراجح عند الجمهور؛ وهو أن البيان يراد به الإفصاح عما في الضمير.

4- لقد جاء كلام بعض المفسرين في شمول البيان للفهم والنطق والخط، يقول ابن القيم: « (عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ) والبيان هنا يتناول مراتب ثلاثة كل منها يسمى بياناً:

أحدها: البيان الذهني الذي يميز فيه بين المعلومات.

الثاني: البيان اللفظي الذي يعبر به عن تلك المعلومات ويترجم عنها فيه لغيره.

الثالث: البيان الرسمي الخطي الذي يرسم به تلك الألفاظ فيتبين للناظر معانيها كما يتبين للسامع معاني الألفاظ. فهذا بيان للعين، وذاك بيان للسمع، والأول بيان للقلب. وكثيراً ما يجمع سبحانه بين هذه الثلاثة كقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَـٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولاً ﴾ [الإسراء: 36]، وقوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَـٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [النحل: 78], ويذم من عدم الانتفاع بها في اكتساب الهدى والعلم النافع كقوله

(1) البحر المحيط لأبي حيان 55/10

(2) جواهر الحسان للثعالبي 240/4

تعالى: ﴿ صُمٌّۢ بُكۡمٌ عُمۡيٞ ﴾ [البقرة: 18]، وقوله تعالى: ﴿ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡۖ وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞۖ ﴾ [البقرة: 7] »(1).

5- إن الإفصاح عما في الضمير قد يكون ويتحقق بغير النطق كلغة الإشارة، يقول ابن عاشور: « وأما البيان بغير النطق من إشارة وإيماء ولمح النظر فهو أيضاً من مميزات الإنسان وإن كان دون بيان النطق »(2).

8- من رجح أن (البيان) يراد به القرآن الكريم، فقوله مرجوح لأنه يصبح نوعاً من التكرار في الآيات، فقد قال تعالى: ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ ﴾ [الرحمن: 1-4] فكون أن يراد بلفظ (البيان) القرآن الكريم فهذا تكرار، والأَوْلى أن يحمل لفظ (البيان) على أن يراد به الإفصاح عما في الضمير؛ لأنه يفيد معنىً جديداً، وقاعدة: «**إذا دار الكلام بين التأسيس والتأكيد فحمله على التأسيس أولى** »(3)؛ تؤيد ما قلته.

والله أعلم بالصواب.

۞ ۞ ۞

المسألة: المراد بالنساء اللاتي لم يطمثهن إنس ولا جان في قوله تعالى:

﴿ لَمۡ يَطۡمِثۡهُنَّ إِنسٞ قَبۡلَهُمۡ وَلَا جَآنّٞ ﴾ [سورة الرحمن : 74] .

أقوال المفسرين في الآية

للمفسرين فيهن ثلاثة أقوال:

1. المراد بهن نساء الجنة خلقن فيها.

2. المراد بهن نساء الدنيا يصرن أبكاراً كأن لم يغشهن أحد.

3. المراد بهن نساء الدنيا اللاتي متن أبكاراً. (4)

رأي القنوجي

قال القنوجي: قال المفسرون: لم يطأهن ولم يغشهن ولم يجامعهن قبلهم أحد، ولم يتسلط عليهن، قال مقاتل: لأنهن خلقن في الجنة، وقيل: إنهن من نساء الدنيا أنشئن خلقاً آخر، أبكاراً، وقيل: هن الآدميات اللاتي متن أبكاراً، **والأول أولى**.(5)

---

(1) بدائع التفسير لابن القيم 322/4

(2) التحرير والتنوير لابن عاشور 233/27

(3) قواعد الترجيح عند المفسرين لحسين الحربي 473/2

(4) زاد المسير 214/4

(5) فتح البيان 342/13

الدراسة

على نحو ما ذكرنا فإن المفسرين ذهبوا إلى أقوال مختلفة، فمنهم من رأى أنهن نساء الدنيا صرن أبكاراً، وهذا القول منسوب إلى ابن عباس والشعبي. (1) ومنهم من ذهب إلى أن المراد بهن نساء الدنيار اللاتي متن أبكاراً.

وذهب الأكثرون إلى أن المراد هم الحور العين وأنهن خلقن في الجنة، وهو قول مجاهد (2) وغيره، ورجحه ابن القيم (3) وابن عاشور (4). وهو رأي القنوجي.

التعليق

والراجح –والله أعلم- هو ما ذهب إليه القنوجي وغيره من أن المراد بهن الحور العين خلقن في الجنة، وذلك لما يلي:

1. أن السياق يدل على أنهن من متاع الآخرة، لا من متاع الدنيا، فإن الآيات تتحدث عن نعيم الجنة ومتاعها، وكونهن الحور العين أليق بالمقام، فقد قال تعالى ذكره قبل هذه الآية : ﴿ فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴿٦٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٩﴾ فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ ﴿٧٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧١﴾ حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ ﴾ [الرحمن: 68 - 73] ثم قال في سياق ذلك : ﴿ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴾ [الرحمن : 74 - 75] , ثم قال بعد ذلك : ﴿ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِىٍّ حِسَانٍ ﴾ [الرحمن : 76 - 77].

2. أن الله تعالى ذكر أنهن لم يغشهن أحد، وهذه صفة الحور، أما نساء الدنيا فقد سبق طمثهن أو كن بحال من يمكن طمثهن.

3. أنه تعالى جل ذكره قال قبل هذه الآية : ﴿ حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ ﴾ [الرحمن : 72] ثم قال بعد ذلك : ﴿ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴾ [الرحمن : 74]. و(**الحور المقصورات في الخيام**) مما اتفق على أن المراد بها : الحور العين ، فكذا يكون الوصف الذي بعده : من وصفهن , وليس من وصف نساء الدنيا اللاتي لم يسبق لهن ذكر قبل ذلك.

والله أعلم بالصواب

۞۞۞

(1) تفسير البغوي 341/4

(2) تفسير البغوي 341/4

(3) حادي الأرواح ص 153

(4) التحرير والتنوير 270/27

سورة الواقعة

المسألة: نوع الاستثناء في قوله تعالى:

﴿ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا ﴾ [سورة الواقعة : 25-26] .

أقوال المفسرين في المسألة

للمفسرين في نوع الاستثناء هنا قولان:

1. أنه استثناء متصل.

2. أنه استثناء منقطع.(1)

رأي القنوجي

قال القنوجي:﴿ إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا ﴾ القيل القول، والاستثناء منقطع، لأن السلام لم يندرج تحت اللغو التأثيم، أي لكن يقولون قيلاً، أو يسمعون قيلاً، أو إلا أن يقولوا: سلاماً سلاماً، واختار هذا الزجاج، أو إلا قيلاً سلموا سلاماً سلاماً.(2) فكون القنوجي لم يذكر إلا القول بأن الاستثناء متصل يدل على أنه هو الراجح عنده.

الدراسة

اختلف المفسرون في نوع الاستثناء فمنهم من ذهب إلى أنه متصل ومنهم من ذهب إلى أنه منقطع، وممن ذهب إلى أنه متصل: الإمام ابن عطية: قال: و (قِيلا) مستثنى، والاستثناء متصل، وقال قوم: هو منقطع.(3)

وآخرون ذهبوا إلى أنه منقطع، ومنهم: الإمام الواحدي: قال: (إِلَّا قِيلًا) من الاستثناء المنقطع.(4) وقال الإمام الرازي: (إِلَّا قِيلًا) استثناء متصل أو منقطع، فنقول: فيه وجهان أحدهما: وهو الأظهر أنه منقطع.(5) وقال: السمين الحلبي: فيه قولان، أحدهما: أنه استثناء منقطع وهذا واضح؛ لأنه لم يندرج تحت اللغو والتأثيم. والثاني: أنه متصل وفيه بعد.(6)، وقال الإمام أبو

(1) انظر: المحرر الوجيز 243/5

(2) فتح البيان 365/13

(3) المحرر الوجيز 243/5

(4) التفسير البسيط للواحدي 21/ 227

(5) مفاتيح الغيب 29/ 402

(6) الدر المصون 205/10

حيان: والظاهر أن (إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا) استثناء منقطع، لأنه لم يندرج في اللغو ولا التأثيم، ويبعد قول من قال استثناء متصل.(1) واختاره الألوسي(2) والشوكاني.(3) و رجحه القنوجي. وهو قول أكثر المفسرين.

التعليق

والراجح –والله أعلم- هو قول من قال: إن الاستثناء منقطع، والدليل هو:

1. إنه يدل على العموم، وما دلّ على العموم، مقدم على ما دلّ على التخصيص من غير دليل؛ لأن المعنى أن قولهم يسلم من اللغو فلا يقولون إلا خيراً، ولا يكون مسموعهم مقصوراً على التحية فقط، بل يسمعون غيرها من الكلام الذي لا لغو فيها ولا تأثيم. أما على القول الأول فيكون المراد بالسلام مجرد التحية.

2. إنه أبلغ في المعنى، إذ لم يجعل السلام من اللغو، وهو من أفضل الكلام، أما على الأول فيترتب عليه جعل السلام من اللغو الذي يرغب عنه المتكلم.

والله أعلم بالصواب

۞۞۞

المسألة: المراد بالمقوين في قوله تعالى:

قولـه تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ ﴿٧١﴾ ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ ﴿٧٢﴾ نَحْنُ جَعَلْنَٰهَا تَذْكِرَةً وَمَتَٰعًا لِّلْمُقْوِينَ ﴿٧٣﴾﴾ [سورة الواقعة: 71-73]

الأقوال الواردة في المراد بالمقوين

أُختُلِفَ في المراد بلفظ (**المقوين**) في الآية على أقوال:

1- أن (المقوين): المسافرون.

2- أو المقوين: الجائعون.

3- الفقراء والمساكين.

4- المستمتعون(4).

---

(1) البحر المحيط 10/ 81

(2) روح المعاني 29/14

(3) فتح القدير 181/5

(4) الأقوال (1، 2، 3، 4) ذكرها الماوردي في النكت والعيون 461/5

5- أن لفظ المقوي من الأضداد، فيطلق على الغني والفقير(1).
6- أو أن لفظ المقوي يعني: أوقده وقواه وزاده(2).

رأي القنوجي

قال القنوجي: (وَمَتَٰعًا لِّلْمُقْوِينَ) أي للمسافرين، قاله ابن عباس، يعني منفعة للذين ينزلون بالقواء وهي الأرض القفر، كالمسافرين وأهل البوادي النازلين في الأراضي المقفرة، يقال أرض قراء بالمد والقصر؛ أي مقفرة، ويقال أقوى إذا سافر أي نزل القوى، وخصوا بالذكر لأن منفعتهم بها أكثر من المقيمين، فإنهم يوقدونها بالليل لتهرب السباع ويهتدي الضال إلى غير ذلك من المنافع، وقال مجاهد: المقوين المستمتعين بها من الناس أجمعين في الطبخ والخبز والإصطلاء والإستضاءة، وتذكر نار جهنم، وقال ابن زيد: للجائعين في إصلاح طعامهم، يقال: أقويت منذ كذا وكذا أي ما أكلت شيئاً وبات فلان القوى أي جائعاً. وقال قطرب: القوى من الأضداد، يكون بمعنى الفقر ويكون بمعنى الغنى يقال: أقوى الرجل إذا لم يكن معه زاد، وأقوى إذا قويت دوابه وكثر ماله والمعنى جعلناها متاعاً ومنفعة للأغنياء والفقراء لا غنى لأحد عنها، وقال المهدوي: الآية تصلح للجميع؛ لأن النار يحتاج إليها المسافر والمقيم والغني والفقير وحكى الثعلبي عن أكثر المفسرين القول الأول **وهو الظاهر**.(3)

الدراسة

لقد رجح بعض المفسرين القول بأن المراد منهم المسافرون، وأخذوا بمثل رأي القنوجي، ومنهم:

1- الطبري (4). 2- الواحدي (5). 3- ابن القيم (6).
4- أبوحيان(7). 5- المحلي(8). 6- الثعالبي(9).
7- الشنقيطي(10) 8- سيد قطب(11).

---

(1) مختصر البغوي 920/2
(2) التفسير الكبير للفخر الرازي 423/10
(3) فتح البيان 380/13
(4) جامع البيان للطبري 116/27
(5) الوجيز للواحدي 1063/2
(6) بدائع التفسير لابن القيم 356/4
(7) البحر المحيط لأبي حيان 90/10
(8) تفسير الجلالين 454/2
(9) جواهر الحسان للثعالبي 256/4
(10) أضواء البيان للشنقيطي 796/7
(11) في ظلال القرآن لسيد قطب 3470/6

وخالفهم في ذلك آخرون وهم على فئات:

أ- الفئة الأولى: من حمل لفظ (**المقوين**) على معنى واحد من المعاني المذكورة في مجمل الأقوال، منهم:

1- الفخر الرازي: «... والمقوي: هو الذي أوقده فقواه وزاده »(1).

2- البقاعي: « (**للمقوين**) أي الجياع الذين أقوت بطونهم -أي خلت- من الفقر»(2).

ب- الفئة الثانية: من حمل لفظ (**المقوين**) على معنيين من المعاني المذكورة في مجمل الأقوال على اعتبار احتمال أيّ من القولين أو كلاهما معاً للآية، وهذه الفئة على نوعين حسب الأقوال التي اختاروها:

النوع الأول: الذين حملوا لفظ (**المقوين**) على أنه يراد به المسافرون أو الجائعون -وهذان هما القولان (1+2) من مجمل الأقوال- وممن قال بهذا:

1- النسفي(3). 2- الزمخشري(4). 3- ابن جزي(5).

4- البيضاوي(6). 5- ابن عاشور(7).

النوع الثاني: الذين حملوا لفظ (**المقوين**) على أنه يراد به المسافرون أو المستمتعون المنتفعون بالنار عموماً من مسافرين وحاضرين -وهذان هما القولان (1+4) من مجمل الأقوال- وممن قال بهذا.

1- النيسابوري(8). 2- السعدي(9).

جـ- الفئة الثالثة: من حمل لفظ (**المقوين**) على ثلاثةٍ من المعاني المذكورة في مجمل الأقوال، وهي الأقوال (1+4+5)، فيراد بالمقوين: المسافرين أو المستمتعين المنتفعين بها عموماً فيشمل المسافر والحاضر، أو أن لفظ (المقوي) من الأضداد فيقال للفقير مقوٍ لخلوه من المال، ويقال للغني مقوٍ لقدرته على ما يريد، واختار هذه المعاني وذكرها عند تفسيره للآية: الخازن(10).

د- الفئة الرابعة: من ذكر أربعة أقوال تحت تفسيره للآية، وهؤلاء نوعان حسب ما اختاروه من أقوال:

---

(1) التفسير الكبير للفخر الرازي 423/10

(2) نظم الدرر للبقاعي 230/19

(3) مدارك التنزيل للنسفي 166/4

(4) الكشاف للزمخشري 456/4

(5) التسهيل لابن جزي 167/4

(6) أنوار التنزيل للبيضاوي 245/2

(7) التحرير والتنوير لابن عاشور 327/27

(8) إيجاز البيان للنيسابوري 240/2

(9) تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص 836

(10) لباب التأويل للخازن 20/7

النوع الأول: من رجح الأقوال رقم (1+2+3+4) وهي: (المسافرون، والجائعون، والفقراء، والمساكين، والمستمتعون عموماً)، وقال بهذا: ابن الجوزي(1).

النوع الثاني: من رجح الأقوال رقم (1+2+4+5) وهي: (المسافرون، والجائعون، والمستمتعون المنتفعون بها عموماً)، أو أن لفظ (المقوي) يعتبر من الأضداد فيطلق على الغني والفقير، وممن ذكر هذا:

1- البغوي(2). 2- القرطبي(3). 3- الألوسي(4).

التعليق

الذي يظهر -والله أعلم- صحة حمل لفظ (**المقوين**) على جميع المعاني الواردة عن المفسرين، وذلك لأمور:

1- أن من فسر (**المقوين**) بالمسافرين جعل اشتقاق اللفظ من: « الأرض القواء، يعني الخلاء والفلاة التي ليس فيها أحد »(5)، والمسافر في أثناء سفره يقطع أراض وفيافٍ تكون خالية من البشر غالباً؛ وهي الأرض القواء، فصح أن يقال عن المسافرين (**مقوين**).

2- من فسّر (**المقوين**) بأنهم الجائعين، أو الفقراء والمساكين، جعل اشتقاق اللفظ من قولـه: « أقويت منذ كذا وكذا أي ما أكلت شيئاً »(6). فصح إطلاق (**المقوين**) على الجائعين عموماً أو الفقراء والمساكين خصوصاً لخلو بطونهم من الطعام.

3- من حمل لفظ (**المقوين**) على أنه يراد به المستمتعين المنتفعين بالنار عموماً؛ فإن مؤيدهم في ذلك « ما تقرر في الأصول أن من موانع اعتبار مفهوم المخالفة كون اللفظ وارداً للامتنان(7). وعليه لا يعتبر مفهوماً للمقوين؛ لأنه جيء به للامتنان، أي وهي متاع أيضاً لغير المقوين من الحاضرين بالعمران »(8). »(8). وإنما خص المسافرين بالذكر لأن « أهل البوادي والأسفار منفعتهم بها أكثر من منفعة المقيم وذلك وذلك أنهم يوقدونها ليلاً لتهرب منهم السباع، ويهتدي بها الضال، وغير ذلك من المنافع »(9).

---

(1) زاد المسير لابن الجوزي 291/7

(2) مختصر البغوي 920/2

(3) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي 222/17

(4) روح المعاني للألوسي 150/27

(5) أضواء البيان للشنقيطي 796/7

(6) مختصر البغوي 920/2

(7) انظر: مذكرة أصول الفقه للشنقيطي ص 241

(8) أضواء البيان للشنقيطي 796/7

(9) مختصر البغوي 920/2

4- ومن حمل لفظ (**المقوين**) على صحة إطلاقه على الغني والفقير، فإنهم اعتبروه من الأضداد «يقال للفقير مقوٍ لخلوه من المال، ويقال للغني مقوٍ لقوته على ما يريد، يقال: أقوى الرجل إذا قويت دوابه وكثر ماله، وصار إلى حال القوة، والمعنى أن فيها متاعاً للأغنياء والفقراء جميعاً لا غنى لأحد عنها »(1).

4-وعموماً فقد صرّحوا بأن « الآية تصلح للجميع؛ لأن النار يحتاج إليها المسافر والمقيم، والغني والفقير»(2).

والله أعلم

۞ ۞ ۞

سورة الحديد

المسألة: المراد بالتربص في قوله تعالى: ﴿ وَتَرَبَّصْتُمْ ﴾

قولـه تعالى: ﴿ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ ۖ قَالُوا بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿١٤﴾ ﴾ [سورة الحديد: 14].

الأقوال الواردة في معنى التربص في الآية

1- أن المراد بالتربص: الانتظار، يعني تربص المنافقين بالنبي ﷺ الموت، وبالمؤمنين الدوائر(3).

2- أو يكون المراد بالتربص: تأخير التوبة، والمعنى: تربصتم أي أخرتم التوبة من وقت إلى وقت حتى متّم(4).

رأي القنوجي

قال الشيخ القنوجي: (وَتَرَبَّصْتُمْ) بمحمد صلى الله عليه وسلم وبمن معه من المؤمنين حوادث الدهر والدوائر وقيل: تربصتم بالتوبة، قاله ابن عباس **والأول أولى**. (5)

الدراسة

---

(1) المرجع السابق 920/2

(2) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي222/17

(3) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي 247/17، أضواء البيان للشنقيطي 809/7

(4) تفسير القرآن العظيم لابن كثير 309/4، جواهر الحسان للثعالبي 265/4

(**5**) فتح البيان 13/ 409

إن المراد بالتربص هنا: هو تربص المنافقين بالنبي ﷺ والمؤمنين معه الدوائر، يعني ينتظر المنافقون أن يموت النبي ﷺ، وتنزل بالمؤمنين نوائب الدهر من المصائب الفردية والجماعية ونحوها؛ هذا ما رجحه الشيخ القنوجي، ومثله قد رجحه عدد من المفسرين من السلف والخلف، منهم:

1- الواحدي: « (وَتَرَبَّصْتُمْ) بمحمد -عليه السلام- الموت »(1).

2-3-4-5-6- النسفي(2)، الزمخشري(3)، البيضاوي(4)، المحلي(5)، والألوسي (6): « (وَتَرَبَّصْتُمْ) بالمؤمنين الدوائر ».

7- النيسابوري: « (وَتَرَبَّصْتُمْ) قلتم: ﴿ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ ﴾ [سورة الطور: 30] »(7).

8- الشوكاني،« بمحمد ﷺ وبمن معه من المؤمنين حوادث الدهر. وقيل: تربصتم بالتوبة. والأول أولى ».(8)

9- ابن عاشور: « والتربص: انتظار شيء، ويتعدى فعله إلى المفعول بنفسه ويتعلق به ما زاد على المفعول بالباء، وحذف هنا مفعوله ومتعلقه ليشمل عدة الأمور التي ينتظرها المنافقون في شأن المؤمنين وهي كثيرة مرجعها إلى أذى المسلمين والإضرار بهم فيتربصون هزيمة المسلمين في الغزوات ونحوها من الأحداث »(9).

10- الشنقيطي: « وقوله: (وَتَرَبَّصْتُمْ) التربص: الانتظار، والأظهر أن المراد به هنا تربص المنافقين بالمؤمنين الدوائر، أي انتظارهم بهم نوائب الدهر أن تهلكهم، كقوله تعالى في منافقي الأعراب المذكورين في قولـه: ﴿ وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ ﴾ [سورة التوبة: 101]، ﴿ وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ ٱلدَّوَآئِرَ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۗ ﴾ [سورة التوبة: 98] »(10).

ومن المفسرين الذين رجحوا القول الآخر وهو أن المراد بالتربص تأخير التوبة؛ قلة من المفسرين، منهم:

---

(1) الوجيز للواحدي 1068/2

(2) مدارك التنزيل للنسفي 170/4

(3) الكشاف للزمخشري 463/4

(4) أنوار التنزيل للبيضاوي 248/2

(5) تفسير الجلالين ص 457

(6) روح المعاني للأوسي 177/27

(7) إيجاز البيان للنيسابوري 245/2

(8) فتح القدير للشوكاني 168/5

(9) التحرير والتنوير لابن عاشور 386/27

(10) أضواء البيان للشنقيطي 809/7

1- الطبري: « وقوله: (وَتَرَبَّصْتُمْ) يقول وتلبثتم بالإيمان ودافعتم بالإقرار بالله ورسوله»(1).

2- سيد قطب: « (وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ)... فصرفتموها عن الهدى، (وَتَرَبَّصْتُمْ) ... فلم تعزموا ولم تختاروا الخيرة الحاسمة »(2).

في حين أن عدداً كبيراً من المفسرين فسروا التربص هنا بذكر القولين معاً من غير ترجيح، منهم:

1- الماوردي: « (وَتَرَبَّصْتُمْ) فيه تأويلان:

أحدهما: بالحق وأهله. **والثاني:** وتربصتم بالتوبة »(3).

2- ابن الجوزي: « (وَتَرَبَّصْتُمْ) فيه قولان:

أحدهما: تربصتم بالتوبة.

والثاني: تربصتم بمحمد ﷺ الموت، وقلتم يوشك أن يموت فنستريح »(4).

3- القرطبي:« (وَتَرَبَّصْتُمْ) بالنبي ﷺ الموت، وبالمؤمنين الدوائر، وقيل: (وَتَرَبَّصْتُمْ) بالتوبة»(5).

4- ابن جزي: « (وَتَرَبَّصْتُمْ) أي أبطأتم بإيمانكم. وقيل: تربصتم الدوائر بالنبي ﷺ وبالمسلمين »(6).

5- البقاعي: « (وَتَرَبَّصْتُمْ) أي كلفتم أنفسكم أن أخرجتموها عن الفطرة الأولى فأمهلتم وانتظرتم لتروا الأمر عياناً أو لم تفعلوا كما فعلنا من الإيمان بالغيب وترك التجربة ونسبة ما يحصل لنا مما فيه فتنة إلى أنفسنا بتقصيرنا، وكنا كلما حصل لنا ما يزلزل نقول: هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله ولا يزيدنا ذلك إلا إيماناً وتسليماً، وانتظرتم أيضاً الدوائر بأهل الإيمان لتظهروا النفاق »(7).

وبنحو عبارات من ذكرت جاء كلام كل من: البغوي(8)، والفخر الرازي(9)، والخازن(10)، والخازن(10)، وأبي حيان(11)، وابن كثير(1)، والثعالبي(2).

---

(1) جامع البيان للطبري 130/27

(2) في ظلال القرآن لسيد قطب 3486/6

(3) النكت والعيون للماوردي 476/5

(4) زاد المسير لابن الجوزي 304/7

(5) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي 247/17

(6) التسهيل لابن جزي 177/4

(7) نظم الدرر للبقاعي 276/19

(8) مختصر البغوي 925/2

(9) التفسير الكبير للفخر الرازي 459/10

(10) لباب التأويل للخازن 29/7

(11) البحر المحيط لأبي حيان 107/10

التعليق

يظهر -والله أعلم- أن الراجح هو ما ذهب إليه القنوجي والموافقون، من أن التربص يراد به تربص المنافقين بالنبي ﷺ والمؤمنين معه الدوائر، فيتربصون بالنبي ﷺ أن يأتيه الموت فيستريحوا، ويتربصون بالمؤمنين أن تنزل عليهم المصائب ونوائب الدهر، يدل لذلك أمور:

1- أن تفسير القرآن بالقرآن هو أحسن وأفضل أنواع التفسير(3)، والقول المذكور قد دلت عليه آيات من كتاب الله ﷻ، كقوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلۡأَعۡرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغۡرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ ٱلدَّوَآئِرَۚ ﴾ [سورة التوبة: 98]، وقوله تعالى: ﴿ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيۡبَ ٱلۡمَنُونِ ﴾ [سورة الطور: 30].

2- أن هذا التفسير هو المناسب لسياق الآية، فإن قولـه تعالى (وَٱرۡتَبۡتُمۡ) يراد به « شككتم في توحيد الله ﷻ وفي نبوة محمد ﷺ »(4)، ومجيء لفظ (وَٱرۡتَبۡتُمۡ) بعد لفظ (وَتَرَبَّصۡتُمۡ) يناسبه أن يكون معنى التربص هو تربصهم الدوائر بالنبي ﷺ والمؤمنين، فإن شكّهم في أمر الدين والنبوة هو الذي يدفعهم إلى هذا التربص، فيظنوا أنه إن مات النبي ﷺ أو انهزم المسلمون؛ فيستريحوا ويبقوا على كفرهم ولا يدخلوا في الإسلام ولا يريدونه. ودلالة السياق على المعنى الراجح قاعدة متبعة عند المفسرين(5).

5- وأخيراً كثرة القائلين به يشبه أن يكون إجماعاً منهم على صحته ورجحانه.

والله أعلم بالصواب.

۞ ۞ ۞

المسألة: المراد بأمر الله في قوله: ﴿ يُنَادُونَهُمۡ أَلَمۡ نَكُن مَّعَكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمۡ فَتَنتُمۡ أَنفُسَكُمۡ وَتَرَبَّصۡتُمۡ وَٱرۡتَبۡتُمۡ وَغَرَّتۡكُمُ ٱلۡأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمۡرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ﴿١٤﴾ ﴾ [سورة الحديد: 14].

الأقوال الواردة في المراد بأمر الله

1- أن المراد بأمر الله ﷻ: الموت. 2- أو يكون المراد: إلقاؤهم في النار.

3- أو أن يكون المراد بأمر الله ﷻ: نصرة نبيّه ﷺ.(6)

رأي القنوجي

---

(1) تفسير القرآن العظيم لابن كثير 309/4

(2) جواهر الحسان للثعالبي 265/3

(3) شرح مقدمة التفسير لابن عثيمين ص 127

(4) جامع البيان للطبري 130/27

(5) قواعد الترجيح عند المفسرين لحسين الحربي 125/1

(6) الأقوال الثلاثة مجتمعة ذكرها القرطبي في الجامع لأحكام القرآن 247/17

قال القنوجي: (حَتَّىٰ جَآءَ أَمۡرُ ٱللَّهِ) وهو الموت قاله ابن عباس، وقيل: نصره سبحانه لنبيه صلى الله عليه وسلم، وقال قتادة: هو إلقاؤهم في النار.(1) وهنا، لم يصرح الشيخ القنوجي بالترجيح في هذه المسألة لكنه ذكره في بداية الأقوال كعادته في الترجيح.

الدراسة

عدد كبير من المفسرين ذهبوا إلى مثل ما ذهب إليه القنوجي، ورجحوا أن المراد بأمر الله ﷻ في هذه الآية: هو الموت، منهم:

1- الطبري(2).	2- الواحدي(3).	3- البغوي(4).
4- النسفي(5).	5- الزمخشري(6).	6- الفخر الرازي(7).
7- أبوحيان (8).	8- ابن كثير (9).	9- البيضاوي(10).
10- المحلي(11).	11- البقاعي(12).	12- الألوسي(13).
13- السعدي(14).	14- ابن عاشور(15).	15- الشنقيطي (16).

ولم يرجح في هذا الموضع أحدٌ قولاً آخر.

ولكن بعض المفسرين ذكروا تحت تفسيرهم للآية القولان الأول والثاني « الموت أو إلقاء المنافقين في النار » معتبرين القولين معاً معنىً للآية، منهم:

---

(1) فتح البيان 410/13

(2) جامع البيان للطبري 130/27

(3) الوجيز للواحدي 1068/2

(4) مختصر البغوي 925/2

(5) مدارك التنزيل للنسفي 170/4

(6) الكشاف للزمخشري 463/4

(7) التفسير الكبير للفخر الرازي 459/10

(8) البحر المحيط لأبي حيان 107/10

(9) تفسير القرآن العظيم لابن كثير 309/4

(10) أنوار التنزيل للبيضاوي 248/2

(11) تفسير الجلالين ص 457

(12) نظم الدرر للبقاعي 277/19

(13) روح المعاني للألوسي 178/27

(14) تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص 840

(15) التحرير والتنوير لابن عاشور 387/27

(16) أضواء البيان للشنقيطي 810/7

1- الماوردي(1). 2- ابن الجوزي(2). 3- الخازن(3).

والبعض الآخر ذكروا القولين الأول والثالث « الموت، أو نصرة النبي ﷺ » على اعتبار صلاحية القولين معنىً للآية، منهم:

1- ابن جزي(4). 2- الثعالبي(5).

و آخرون ذكروا الأقوال الثلاثة كلها « الموت، أو إلقاء المنافقين في النار، أو نصرة النبي ﷺ » على أنها محتملة للآية، منهم:

1- القرطبي(6). 2- الشوكاني(7).

التعليق

يظهر -والله أعلم- أن الراجح هو ما رجحه القنوجي والموافقون له، وأن المراد بأمر الله ﷻ في الآية: الموت، يدل لذلك:

1. أن هذا القول هو ما رجحه جمهور من المفسرين على مر العصور؛ من ابن جرير الطبري في أواخر القرن الثالث الهجري إلى عصر القنوجي ومن بعدهم.

2. أن هذا المعنى هو المناسب لسياق الآية، فإن الغاية التي تقف عندها -إجبارياً- أماني الإنسان وآماله عموماً هو الموت، يقول تعالى: ﴿وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾ [سورة الحديد: 14].

3. حتى الذين لم يرجحوا ما رجحه القنوجي، واكتفوا بسرد الأقوال كلها أو بعضها، اتفقوا جميعاً على أن أبرز المعاني لقوله (أَمْرُ ٱللَّهِ) هو الموت. فيتضح من هذا أن أظهر المعاني وأول ما يتبادر إلى الذهن عند بيان المراد بأمر الله ﷻ أن يفسر بأنه الموت.

والله أعلم بالصواب.

۞ ۞ ۞

---

(1) النكت والعيون للماوردي 476/5

(2) زاد المسير لابن الجوزي 304/7

(3) لباب التأويل للخازن 29/7

(4) التسهيل لابن جزي 178/4

(5) جواهر الحسان للثعالبي 265/4

(6) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي 247/17

(7) فتح القدير للشوكاني 168/5

المسألة: نوع الاستثناء في قوله تعالى: ﴿ وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَـٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ۖ فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَـٰسِقُونَ ﴾ [سورة الحديد : 27].

أقوال المفسرين في الاستثناء في هذه الآية

في الاستثناء في هذه الآية قولان:

الأول: أنه منقطع. **الثاني:** أنه متصل.(1)

رأي القنوجي

قال القنوجي: (مَا كَتَبْنَـٰهَا عَلَيْهِمْ) صفة ثانية لرهبانية أو مستأنفة مقررة، لكونها مبتدعة من جهة أنفسهم، والمعنى: ما فرضناها عليهم (إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ) الإستثناء منقطع، أي ما كتبناها نحن عليهم رأساً، ولكن ابتدعوها ابتغاء رضوان الله، وإلى هذا ذهب قتادة وجماعة، وقيل: متصل، أي ما كتبناها عليهم لشيء من الأشياء إلا لابتغاء مرضاة الله، ويكون كتب بمعنى قضى، وهذا قول مجاهد، وقال الزجاج: معناه لم نكتب عليهم شيئاً البتة، قال: ويكون إلا ابتغاء رضوان الله بدلاً من الهاء والألف في كتبناها، والمعنى ما كتبنا عليهم إلا ابتغاء رضوان الله. (2) إذاً، الشيخ القنوجي يرجح القول بأن الاستثناء منقطع حيث ذكره بالجزم وبدأ به و ذكر القول الثاني بصيغة التمريض.

الدراسة

ذهب بعض المفسرين إلى ترجيح كون الاستثناء متصلاً، ومنهم: الإمام أبوحيان، ونسبه إلى مجاهد فقال: والظاهر أن (إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ) استثناء متصل من ما هو مفعول من أجله، وصار المعنى: أنه تعالى كتبها عليهم ابتغاء مرضاته، وهذا قول مجاهد، ويكون كتب بمعنى قضى.(3)

و ذهب الجمهور إلى كون الاستثناء منقطعاً، ومعنى الآية تكون: ما فرضنا عليهم الرهبانية، ولكنهم فعلوها من تلقاء أنفسهم ابتغاء رضوان الله تعالى. ومنهم: الثعلبي،(4) والسمعاني،(5) والبغوي،(1) والزمخشري(2) وابن جزي(3) وابن عاشور(4) والسعدي.(5)

---

(1) التسهيل لابن جزي 349/2

(2) فتح البيان 425/13

(3) البحر المحيط 116/10

(4) تفسير الثعلبي 121/6

(5) تفسير السمعاني 380/5

التعليق

والراجح –والله أعلم- هو أن الاستثناء منقطع في هذه الآية، وهو مذهب الجمهور، ورجحه القنوجي أيضاً، وذلك لوجوه:

1. لأنه الظاهر من لفظ الآية، ولا يفيد معنى فاسداً، كما يترتب على القول الآخر.

2. ولأنه أوفق لأدلة الشرع الذي نفى الرهبانية في الإسلام.

3. لأنه يؤيده قراءة ابن مسعود رضي الله عنه: ﴿ مَا كَتَبْنَهَا عَلَيْهِمْ لكن ٱبْتَدَعُوهَا ﴾(6). والقاعدة الترجيحية تقول: (**اتحاد معنى القراءتين أولى من اختلافه**).

والله أعلم بالصواب.

❁❁❁

سورة القلم

المسألة : معنى الإدهان في قوله تعالى : ﴿وَدُّواْ لَوۡ تُدۡهِنُ فَيُدۡهِنُونَ ۝٩﴾ [القلم: ٩]

أقوال المفسرين في المراد بالإدهان في هذه الآية

فيه عدة أقوال كما يلي:

أحدها: ودوا لو تكفر فيكفرون

الثاني: ودوا لو تضعُف فيضعُفون

الثالث: لو تلين فيلينون

الرابع: لو تكذب فيكذبون

الخامس: لو ترخص لهم فيرخصون لك

السادس: أن تذهب عن هذا الأمر فيذهبون معك.

السابع: لو تُصَانِعُهم في دِينك فَيَصانِعون في دينهم

الثامن: لو تنافق وترائي فينافقون ويراءون

---

(1) تفسير البغوي 300/4

(2) الكشاف للزمخشري 69/4

(3) التسهيل لابن جزي416/2

(4) التحرير والتنوير 423/27

(5) تفسير السعدي 152/4

(6) التسهيل لابن جزي 349/2

التاسع: ودُّوا لو تداهن في دينك فيداهنون في أديانهم

العاشر: لو تقاربهم فيقاربوك (1)

رأي القنوجي

قال القنوجي: (وَدُّواْ لَوۡ تُدۡهِنُ فَيُدۡهِنُونَ) فإن الإدهان هو الملاينة والمسامحة والمداراة، قال الفراء المعنى لو تلين فيلينوا لك، وكذا قال الكلبي وقال الضحاك والسدي ودوا لو تكفر فيتمادوا على الكفر، وقال الربيع بن أنس ودوا لو تكذب فيكذبون، وقال قتادة لو تذهب عن هذا الأمر فيذهبون معك، وقال الحسن لو تصانعهم عن دينك فيصانعونك وقال مجاهد لو تركن إليهم وتترك ما أنت عليه من الحق فيمايلونك، قال ابن قتيبة كانوا أرادوه على أن يعبد آلهتهم مدة ويعبدوا الله مدة، وقال ابن عباس لو ترخص لهم فيرخصون.... **والظاهر من اللغة في معنى الإدهان هو ما ذكرناه أولاً**.(2) فالراجح عند القنوجي هو معنى التليين والتسامح، أي لو تلين فيلينون.

الدراسة

لقد اختار المفسرين معاني متعددة لكلمة (تدهن) في هذه الآية، فذهب السدي والضحاك وعطية ومقاتل إلى أن المراد به: ودوا لو تكفر فيكفرون، وذهب الفراء وابن السائب إلى أن المراد به: لو تلين فيلينون، واختار الربيع بن أنس معنى: لو تكذب فيكذبون، وروي عن ابن عباس أنه قال: لو ترخص لهم فيرخصون لك، ونقل عن قتادة قوله: ودوا لو تذهب عن هذا الأمر فيذهبون معك، ويقول أبو جعفر: ودوا لو تضعُف فيضعُفون.

كما روي عن الحسن أنه قال: لو تُصَانِعُهم في دِينك فَيَصانِعون في دينهم، ويقول زيد بن أسلم: لو تنافق وترائي فينافقون ويراءون، ويرى ابن قتيبة أن المراد: ودُّوا لو تداهن في دينك فيداهنون في أديانهم. وكذا قال أبو عبيدة، ويقول ابن كيسان: لو تقاربهم فيقاربوك.(3)

قال الإما الطبري: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: معنى ذلك: ودَّ هؤلاء المشركون يا محمد لو تلين لهم في دينك بإجابتك إياهم إلى الركون إلى آلهتهم فيلينون لك في عبادتك إلهك، كما قال جل ثناؤه: ﴿وَلَوۡلَآ أَن ثَبَّتۡنَٰكَ لَقَدۡ كِدتَّ تَرۡكَنُ إِلَيۡهِمۡ شَيۡـٔٗا قَلِيلًا ٧٤ إِذٗا لَّأَذَقۡنَٰكَ ضِعۡفَ ٱلۡحَيَوٰةِ وَضِعۡفَ ٱلۡمَمَاتِ﴾ [الإسراء: ٧٤ – ٧٥]، قال: وإنما هو مأخوذ من الدُّهن، شبه التليين في القول بتليين الدُّهن.(4)

---

(1) انظر: تفسير الماوردي 62/6، وزاد المسير 321/4

(2) فتح البيان 258/14

(3) انظر: تفسير الماوردي 62/6، وزاد المسير 321/4

(4) تفسير الطبري 534/23

وقال ابن العربي رحمه الله في تفسيره: وقال أهل اللغة: الإدهان هو التلبيس، معناه: ودوا لو تلبس إليهم في عملهم وعقدهم فيميلون إليك. وحقيقة الإدهان إظهار المقاربة مع الاعتقاد للعداوة، فإن كانت المقاربة باللين فهي مداهنة، وإن كانت مع سلامة الدين فهي مداراة أي مدافعة.(1)

التعليق

والراجح –والله أعلم- هذه هي أقوال المفسرين في الآية، ويبدو أن كلها أو جلها متقاربة، أو مرادفة، فهي من باب اختلاف التنوع، فكل واحد من المفسرين أخذ بلازم المعنى أو بمثال لأصل المعنى، والمعنى العام لهذه الكلمة يدور حول التليين والملاطفة والتسامح والسهولة والترخص والركون والميلان والكذب والنفاق، وهذه كلها درجات في التليين والمداهنة، وحينئذ فلا تعارض بين الأقوال.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: السلف كثيرًا ما يعبرون عن المسمى بعبارة تدل على عينه وإن كان فيها من الصفة ما ليس في الاسم الآخر، كمن يقول: أحمد: هو الحاشر والماحي والعاقب.(2)

ولذا قال الإمام القرطبي بعد أن ذكر هذه الأقوال وغيرها: فهذه اثنا عشر قولاً ... كلها إن شاء الله تعالى صحيحة على مقتضى اللغة والمعنى، فإن الادهان: اللين والمصانعة. وقيل: مجاملة العدو مما يلته. وقيل: المقاربة في الكلام والتليين. (3)

ومن هنا أقول: إن الراجح –والله أعلم- هو أن الأقوال كلها صحيحة كما قال الإمام القرطبي، والقاعدة الترجيحية تقول: (**واللفظ إذا كان محتملا لأكثر من معنى ولم يمتنع إرادة الجميع فإنه يحمل عليها**).

والله أعلم بالصواب

۞۞۞

المسألة: المراد بالساق في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ۝٤٢﴾ [القلم: ٤٢]

أقوال المفسرين في المراد بالساق في هذه الآية

فيه عدة أقوال:

---

(1) أحكام القرآن لابن العربي 305/4

(2) مقدمة في أصول التفسير ص 13

(3) تفسير القرطبي 231/18

أحدها: عن ساق الآخرة

الثاني: الساق الغطاء

الثالث: أنه الكرب والشدة

الرابع: هو إقبال الآخرة وذهاب الدنيا

الخامس: يكشف عن ساق جهنم

السادس: عن ساق العرش

السابع: هو عبارة عن القرب، أي اقتراب الأجل

الثامن: يكشف عن نوره

التاسع: هو أشد ساعة يوم القيامة

العاشر: أن الساق صفة من صفات الله تعالى كما تليق بجلاله سبحانه.(1)

رأي القنوجي

قال القنوجي: وتأويل الآية يوم يشتد الأمر كما يشتد ما يحتاج فيه إلى أن يكشف عن ساق، وقيل ساق الشيء أصله وقوامه كساق الشجرة وساق الإنسان أي يوم يكشف عن ساق الأمر فتظهر حقائقه، وقيل يكشف عن ساق جهنم، وقيل عن ساق العرش، وقيل هو عبارة عن القرب، وقيل يكشف عن ساق الرب سبحانه عن نوره.... وسيأتي ما هو الحق، ثم ذكر الروايات الواردة في ذلك عن الصحابة واختلافهم، ثم قال: وقد أغنانا الله سبحانه في تفسير هذه الآية بما صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم:

فقد أخرج البخاري وغيره عن أبي سعيد قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: **(يكشف ربنا عن ساقه فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة ويبقى من كان يسجد في الدنيا رياء وسمعة فيذهب ليسجد فيعود ظهره طبقاً واحداً)** (2) ... ثم قال: وإذا جاء نهر الله بطل نهر معقل وذلك لا يستلزم تجسيماً ولا تشبيهاً فليس كمثله شيء. وهكذا تهيب القول فيه شيوخ الإسلام فأجروه على ظاهر لفظه، ولم يكشفوا عن باطن معناه، والتأويل هو مذهب المتكلمين ومنهم النسفي في المدارك والبيضاوى في أنوار التنزيل.(3) ويبدو من كلام الشيخ القنوجي أنه يرجح القول بأنه صفة من صفات الله تعالى كما تليق بجلاله سبحانه من غير تأويل ولا تكييف ولا تشبيه ولا تعطيل.

---

(1) تفسير الماوردي 70/6-71، وانظر أيضاً: تفسير القرطبي 159/18-160، وفتح البيان 273/14-274

(2) صحيح البخاري 159/6، كتاب التفسير، باب قوله تعالى: يوم يكشف عن ساق، رقم الحديث: (4919).

(3) فتح البيان 273/14-274

الدراسة

لقد اختلف المفسرون في تفسير كلمة الساق في هذا الموضع من القرآن الكريم على نحو ما ذكرناه سابقاً، فمنهم من أوّلها تأويلاً، أو جعلها كناية عن شدة الكرب، ومنهم من جعلها صفة من صفات الله تعالى.

فقد روي عن ابن عباس قوله: هو الأمر الشديد المفظع من الهول يوم القيامة.(1) وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: يكشف عن ساقه، فيسجد كل مؤمن، ويقسو ظهر الكافر فيصير عظماً واحداً.(2)

وجاء عن أبي موسى الأشعري في تفسير الساق "عن نور عظيم". (3) وهكذا اختلفت الأقوال عن التابعين ومن بعدهم.

و قد وردت كلمة الساق في القرآن الكريم في موضع واحد في قوله تعالى: (يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ)، والملاحظ ورود هذه الصفة مُنكّرة دون أن تضاف إلى الله بخلاف الصفات الأخرى، التي جاءت مضافة إلى الله ومختصة به، ذلك الاختصاص الذي يزيل الإشكال، أو دعوى المشاركة بين الخالق والمخلوق في حقائق الصفات.

وهذا التنكير هو الذي جعل الصحابة والتابعين يختلفون في المراد (بالساق)، هل الساق صفة من صفات الله كالوجه واليد والقدم؟ أو للساق معنىً آخر. وليس في ظاهر الآية ما يدل على أنه صفة لله تعالى؛ لأنه سبحانه وتعالى لم يضف الساق إلى نفسه بل ذكره مجرداً ومُنكّراً.

ولكن الذين يثبتونه صفة لله، إنما يثبتونه بدليل خارجي، وهو حديث أبي سعيد الخدري السابق الذي أخرجه البخاري ونقله القنوجي في ترجيحه، وذلك بأن الساق صفة من صفات الله مثل الوجه واليد وغيرهما، وتنكيره للتعظيم والتفخيم.

فانطلاقاً من هذا الحديث الصحيح الذي يثبت لله ساقاً يحتمل أن تكون الآية من آيات الصفات المفسرة بالسنة؛ لأن الآية جاءت محتملة المعنى حيث جاء الساق مجرداً عن الإضافة المخصصة فجاءت السنة مبينة بأن المراد بالساق هو ساق الرحمن، بلا تمثيل ولا تشبيه، وتنزيه بلا تعطيل.

---

(1) الأسماء والصفات للإمام أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي تحقيق: عبد الله بن محمد الحاشدي، مكتبة السوادي، جدة - الطبعة: الأولى، 1413 هـ - 1993 م 2/ 184، رقم الحديث: (747).

(2) المصدر السابق 185/2، رقم الحديث: (750).

(3) المصدر السابق 187/2، رقم الحديث: (752). والحديث ضعفه البيهقي وقال: تفرد به روح بن جناح، وهو شامي يأتي بأحاديث منكرة لا يتابع عليها. وفي السند أيضاً عن مولى عمر بن عبد العزيز، وموالي عمر بن عبد العزيز فيهم كثرة.

قال ابن القيم –رحمه الله-: ومن حمل الآية على ذلك قال: قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾ مطابقاً لقوله صلى الله عليه وسلم: " **(يكشف عن ساقه)** وتنكيره للتعظيم والتفخيم كأنه قال: يكشف عن ساق عظيمة، قالوا: وحمل الآية على الشدة لا يصح بوجه، فإن لغة القوم أن يقال: كشف الشدة عن القوم لا كشف عنها، كقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ﴾ [الزخرف: ٥٠]، فالعذاب هو المكشوف لا المكشوف عنه، وأيضا فهناك تحدث شدة لا تزول إلا بدخول الجنة، وهنا لا يدعون إلى السجود، دائما يدعون إليه أشد ما كانت الشدة.(1)

التعليق

والراجح –والله أعلم- هو ما ذهب إليه القنوجي ومن معه من أن المراد به صفة من صفات الله تعالى كما تليق به سبحانه وتعالى من غير بيان تكييف ولا تشبيه، وذلك؛ لأن الله تعالى ذكر صفة الساق من غير الإضافة والتخصيص، و دلّت السنة النبوية الصحيحة التي ذكرناها على إثبات صفة الساق لله تعالى وكشفها يوم القيامة، فيمكن حمل هذه الآية على ذلك الحديث، وكون الحديث مبيّناً وشارحاً للآية. والقاعدة الترجيحية تقول: **(إذا ثبت الحديث وكان في معنى أحد الأقوال فهو مرجح له على ما خالفه)**. وتقول: **(إذا ثبت الحديث وكان نصا في الآية فلا يصار إلى غيره)**.

والله أعلم بالصواب

❁❁❁

سورة الجن

المسألة: المراد بـ (دون ذلك) في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ﴾ [الجن: ١١]

أقوال المفسرين في المراد بقوله (دون ذلك)

فيه قولان:

أحدهما: المشركون.

الثاني: أنهم أهل الشرِّ دون الشرك.(2)

رأي القنوجي

---

(1) انظر: مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، للإمام محمد بن أبي بكر شمس الدين ابن قيم الجوزية، واختصره: محمد بن محمد بن عبد الكريم الموصلي، تحقيق: سيد إبراهيم، دار الحديث، القاهرة – مصر، الطبعة الأولى، 1422هـ - 2001م ص 37

(2) زاد المسير 348/4، والقولان ذكرهما أكثر المفسرين.

قال القنوجي: (وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ) أي قوم دون الموصوفين بالصلاح، وقيل أراد بأهل الصلاح المؤمنين وبمن هم دون ذلك الكافرين، **والأول أولى**.(1) فالراجح عند القنوجي هو القول بأن المراد بـ (دُونَ ذَٰلِكَ) أي أقل من الموصوفين بالصلاح، وليس المراد الكفار أو المشركون.

الدراسة

لقد ذهب إلى مثل ما ذهب إليه القنوجي جمهور المفسرين، واعتبروه قولاً راجحاً بين القولين، منهم الطبري والواحدي وابن عطية والقرطبي وغيرهم :

قال الإمام الطبري: ومنا دون الصالحين.(2) وقال الواحدي: دون البررة.(3) وقال ابن عطية: أي غير الصالحين كأنه قال: ومنا قوم أو فرقة دون صالحين، وهي لفظة تقع أحياناً موقع غير.(4) وقال الزمخشري: وهم المقتصدون في الصلاح غير الكاملين فيه.(5) وقال القرطبي: وقيل: (دُونَ ذَٰلِكَ) أي ومن دون الصالحين في الصلاح، وهو أشبه من حمله على الإيمان والشرك.(6)

وقال الشوكاني: أي: دون الموصوفين بالصلاح، وقيل: أراد بـ «الصالحون» المؤمنين، وبمن هم دون ذلك الكافرين، والأول أولى.(7)

وقال الألوسي: وأرادوا بهؤلاء القوم المقتصدين في صلاح الحال على الوجه السابق لا في الإيمان والتقوى.(8)

وذهب آخرون إلى أن المراد بهم المشركون، أو الكفار عموماً، ومنهم الإمام السمرقندي فقال: (وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ) يعني: الموحدين والمسلمين. (دُونَ ذَٰلِكَ) يعني: ليسوا بموحدين.(9)

وبعض المفسرين ذكروا القولين معاً ولم يرجحوا قولاً على آخر، ومنهم الإمام الرازي و أبو حيان وغيرهم: قال الإمام الرازي: ثم المراد بالذين هم دون الصالحين من؟ فيه قولان: الأول: أنهم المقتصدون

(1) فتح البيان 358/14
(2) الطبري 659/23
(3) الواحدي 1140
(4) المحرر الوجيز 381/5
(5) الكشاف 627/4
(6) تفسير القرطبي 15/19
(7) فتح القدير 367/5
(8) روح المعاني 98/15
(9) بحر العلوم 505/3

الذين يكونون في الصلاح غير كاملين والثاني: أن المراد من لا يكون كاملا في الصلاح، فيدخل فيه المقتصدون والكافرون.(1)

وقال أبو حيان: (دُونَ ذَٰلِكَ): أي دون الصالحين، ويقع دون في مواضع موقع غير، فكأنه قال: ومنا غير صالحين. ويجوز أن يريدوا: ومنا دون ذلك في الصلاح، أي فيهم أبرار وفيهم من هو غير كامل في الصلاح.(2)

أما الإمام الخازن فجعل قوله: (دُونَ ذَٰلِكَ) عاماً يشمل غير الكاملين في الصلاح كما يشمل الكفار، فقال: أي دون الصالحين مرتبة. قيل المراد بهم غير الكاملين في الصلاح وهم المقتصدون فيدخل فيهم الكافر وغيره.(3)

التعليق

والراجح –والله أعلم- هو ما ذهب إليه الجمهور ومنهم القنوجي أيضاً وهو أن المراد بهم المسلمون ولكن غير الكاملين في الصلاح، ولم يصلوا إلى مرتبة الصالحين، وذلك لما يلي:

1. لأن الصالحين لا يقابلهم المشركون أو الكافرون، إنما الصالحون يقابلهم الطالحون أو غير صالحين، ويطلق ذلك على من هم أقل مرتبة من الصالحين غير داخلين في الكفار أو المشركين، وعلى هذا فالمقابلة بين الصلاح والكفر غير متطابقة.

2. ولأن الآيات تتحدث عن الجن قبل الإسلام، وحينئذ لم يكونوا ينقسمون إلى مومن وكافر، وإنما كانوا ينقسمون إلى أهل الصلاح وأهل الفساد والشر.

3. و لأن تقسيم الجن إلى مسلم و كافر ذكر في الآية التي بعدها، وهي صريحة في تقسيم الجن إلى مسلم والكافر، حيث قال تعالى: ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَٰسِطُونَ﴾ [الجن: ١٤]، فلو حملت هذه الآية على المؤمن والكافر لكان ذلك تكراراً، وحمل الآية على الاستقلال أولى من حمله على التكرار.

والله أعلم بالصواب

❁❁❁

المسألة: المراد بالمساجد في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾﴾ [الجن: ١٨]

أقوال المفسرين في المراد بالمساجد في هذه الآية

فيه ستة أقوال:

---

(1) مفاتيح الغيب 670/30

(2) البحر المحيط 298/10

(3) تفسير الخازن 350/4

أحدها: يعني الصلوات للَّه

الثاني: أنها الأعضاء التي يسجد عليها للَّه

الثالث: أنها المساجد التي هي بيوت اللَّه للصلوات.

الرابع: أنه كل موضع صلى فيه الإنسان، فإنه لأجل السجود فيه يسمى مسجداً.

الخامس: السجود، فإنها جمع مسجد. يقال: سجدت سجوداً، ومَسْجِداً.

السادس: المراد مكة المكرمة، التي هي القبلة، وسميت بها؛ لأن كل واحد يسجد إليها.(1)

رأي القنوجي

قال القنوجي: والمساجد المواضع التي بنيت للصلاة فيها، جمع مسجد بكسر الجيم وهو موضع السجود، ... وقال الحسن أراد بها كل البقاع لأن الأرض جعلت كلها مسجداً للنبي صلى الله عليه وسلم، وقال سعيد بن المسيب وطلق بن حبيب أراد بالمساجد الأعضاء التي يسجد عليها العبد، وهي القدمان والركبتان واليدان والجبهة والأنف، وهو على هذا جمع مسجد بالفتح، وقيل: المساجد هي الصلاة لأن السجود من جملة أركانها،... وقيل: المراد بها البيوت التي تبنيها أهل الملل للعبادة، والقول بأنها البيوت المبنية للعبادة أظهر الأقوال إن شاء الله تعالى وهو مروي عن ابن ابن عباس.(2) فالراجح عند الشيخ القنوجي هو القول بأن المراد بها البيوت المبنية للعبادة.

الدراسة

لقد ذكر المفسرون أقوالاً مختلفة في المراد بالمساجد في هذه الآية، فالجمهور على أن المراد بها البيوت التي تبنيها أهل الملل للعبادة، وهذا القول منسوب إلى ابن عباس، وقال الحسن: أراد بها كل البقاع، لأن الأرض كلها مسجد للنبي صلى الله عليه وسلم، وقال سعيد بن المسيب وطلق ابن حبيب وعطاء: أراد بالمساجد الأعضاء التي يسجد عليها العبد، وهي القدمان والركبتان واليدان والوجه.

وقيل: المساجد هي الصلوات، أي لأن السجود لله. قاله الحسن أيضا. ونقل عن ابن عباس أيضاً: المساجد هنا مكة التي هي القبلة وسميت مكة المساجد، لأن كل أحد يسجد إليها.

---

(1) انظر: تفسير الماوردي 119/6، وزاد المسير 349/4، وتفسير القرطبي 17/19

(2) فتح البيان 363/14

ورجح القرطبي القول الأول فقال: والقول الأول أظهر هذه الأقوال إن شاء الله، وهو مروي عن ابن عباس رحمه الله.(1) وكذا رجحه البغوي(2) وأبو حيان(3) والألوسي.(4)

التعليق

والراجح –والله أعلم- هو ما ذهب إليه الجمهور ومنهم الشيخ القنوجي أيضاً وذلك لما يلي:

1. أن هذا القول يقضي بعموم توحيد الله تعالى وحده في كل بقعة معدة لعبادة الله وحده. وهذا القول أعم بالنسبة للأقوال التي تخص هذا اللفظ بمكان خاص كتخصيصه بمكة المكرمة أو غيرها، والقاعدة الترجيحية تقول: (**يجب حمل نصوص الوحي على العموم مالم يرد نص بالتخصيص**).

2. أن لفظ المساجد مشتقة من كلمة سجد التي تدل على مكان السجود، فلا يراد بها الصلوات، أو الأعضاء التي يسجد عليها العبد...، والقاعدة الترجيحية تقول: (**القول الذي يؤيده تصريف الكلمة وأصل اشتقاقها أولى بتفسير الآية**).(5)

3. أن المساجد حقيقة شرعية أو عرفية على المكان المختص للعبادة أو المبني للعبادة، والقاعدة الترجيحية أيضاً تقول: (**الحقيقة الشرعية مقدمة على الحقيقة اللغوية**). وتقول: (**الحقيقة العرفية مقدمة على اللغوية**).

والله أعلم بالصواب

سورة : المدثر

مسألة : المراد بالثياب في قوله تعالى :

﴿ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤ ﴾ [سورة المدثر : 4]

أقوال المفسرين في الآية

للمفسرين في المراد بالثياب في هذه الآية أقوال:

أحدها: أن المراد بالثياب العمل.

الثاني: القلب.

الثالث: النفْس.

---

(1) انظر لهذه الأقوال كلها: تفسير القرطبي 19/ 20-21، وفتح القدير 370/5-371، وفتح البيان 363/14

(2) معالم التنزيل 162/5

(3) البحر المحيط 352/8

(4) روح المعاني 29/ 156

(5) انظر : أحكام القرآن لابن العربي 448/1، ومقدمة فتح البيان 18/1، وقواعد الترجيح للحربي 511/2.

الرابع: النساء والزوجات.

الخامس: الثياب الملبوسات على الظاهر.(1)

رأي القنوجي

قال القنوجي: (وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ) المراد بها الثياب الملبوسة على ما هو المعنى اللغوي، أمره الله سبحانه بتطهير ثيابه وحفظها عن النجاسات وإزالة ما وقع فيها منها، وقال مجاهد وابن زيد وأبو رزين: أي عملك فأصلح، وقال قتادة: نفسك فطهر من الذنب، والثياب عبارة عن النفس، وقال سعيد بن جبير: قلبك فطهر، وقال الحسن والقرطبي: أخلاقك فطهر، لأن خلق الإنسان مشتمل على أحواله اشتمال ثيابه على نفسه.

وقال الزجاج: المعنى وثيابك فقصر، لأن تقصير الثوب أبعد من النجاسات إذا انجر على الأرض، وبه قال طاووس، وذلك لأن العرب كانت عادتهم تطويل الثياب وجر الذيول ولا يؤمن معه إصابة النجاسة،... وقال أبيّ ابن كعب: معناه لا تلبسها على غدر ولا على ظلم ولا على إثم، البسها وأنت بر طاهر، وقال ابن عباس: أي لا تكن ثيابك التي تلبس من مكسب باطل، وعنه قال: فطهر من الإثم، قال: وهي في كلام العرب نقي الثياب، وعنه قال: من الغدر لا تكن غداراً، وفي لفظ لا تلبسها على غدرة، **والأول أولى** لأنه المعنى الحقيقي، وليس في استعمال الثياب مجاز عن غيرها لعلاقة مع قرينة ما يدل على أنه المراد عند الإطلاق، وليس في مثل هذا الأصل أعني الحمل على الحقيقة عند الإطلاق خلاف.(2) إذا الراجح عند القنوجي في الآية هو: الثياب الحقيقي الملبوسة، أي طهر ثيابك من النجاسات.

الدراسة

لقد اختلف المفسرون في اختيار معنى الثياب في الآية اختلافاً كثيراً، فذهب الأكثرون إلى أن المراد بالثياب: النفس، ومعنى الآية: ونفسك فطهرها من الذنوب والآثام والشرك، و ممن ذهب إلى هذا المعنى: الإمام الطبري، قال: والذي قاله ابن عباس وعكرمة... من أنه عني به جسمك فطهر من الذنوب، عليه أكثر السلف. والله أعلم بمراده من ذلك.(3)

---

(1) النكت والعيون 135/6-136

(2) فتح البيان 403/14

(3) تفسير الطبري 12/23

وقال الألوسي: تطهير الثياب كناية عن تطهير النفس عما تذم به من الأفعال، وتهذيبها عما يستهجن من الأحوال، أن من لا يرضى بنجاسة ما يماسه كيف يرضى بنجاسة نفسه!! ثم قال:..وكلمات جمهور السلف دائرة على نحو هذا المعنى في الآية الكريمة.(1)

ومنهم من ذهب إلى أن المراد هو تطهير الثياب حقيقة، منهم الإمام الشوكاني فقال: والأول أولى- أي حمله على معنى الحقيقة-لأنه المعنى الحقيقي،وليس في استعمال الثياب مجاز عن غيرها لعلاقة مع قرينة ما يدل على أنه المراد عند الإطلاق.(2) وهو الذي رجحه القنوجي أيضاً.

ومنهم من ذهب إلى أن المراد بتطهير الثياب العموم، حقيقة ومجازاً، فيراد به تطهير الثياب من النجاسات، وتطهير النفس من الذنوب والشرك، وإلى هذا ذهب ابن كثير وابن العربي وغيرهما.

قال ابن كثير: وقد تشمل الآية جميع ذلك مع طهارة القلب،فإن العرب تطلق الثياب عليه.(3)

وقال ابن العربي: ليس بممتنع أن تحمل الآية على عموم المراد فيها بالحقيقة والمجاز.(4)

التعليق

والراجح عندي –والله أعلم- هو القول بالعموم الذي رجحه ابن كثير وابن العربي رحمهما الله، وذلك لما يلي:

1. أن الأصل في الكلام الحقيقة، فلا يجوز اختيار قول مخالفاً لما تدل عليه الحقيقة إلا بقرينة. وليس هنا قرينة صريحة. والقاعدة تقول: (**الأصل في النص الحقيقة**).

2. أن حمل الآية على العموم مقدم على حمله على التخصيص، والقاعدة الترجيحية تقول: (**العموم أولى من التخصيص**).

3. أن في العموم توسيع لمفهوم الآية، الذي يدل على كون القرآن الكريم محتملاً لمعاني عديدة، والذي يدل على إعجازه.

4. وأن الحمل على العموم لا يتعارض مع أي معنى من معاني الآية، ولا يصادم الشريعة الإسلامية.

---

(1) روح المعاني 15/ 130

(2) فتح القدير5/324

(3) تفسير ابن كثير 8/263

(4) أحكام القرآن لابن العربي 4/340

5. و بناء على قاعدة الجمهور من أن المشترك يحمل على جميع معانيه إن أمكن،(1) فحمل الثياب هنا على جميع معانيه ممكن، ولذا يرجح. والقاعدة الترجيحية تقول: (**إذا احتمل اللفظ معاني عدة ولم يمتنع إرادة الجميع حمل عليها**).

والله تعالى أعلم بالصواب

❁❁❁

سورة القيامة

المسألة: المراد بـ (لا) في قوله تعالى: ﴿لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ ۝١﴾ [القيامة: ١]

أقوال المفسرين في المراد بـ (لا أقسم)

فيه ثلاثة أقوال:

الأول: أنها زائدة. ومعنى الكلام: أقسم بيوم القيامة.

الثاني: أنها لتوكيد للقسم، كقوله: لا والله.

الثالث: أنها رد لكلام مضى من كلام المشركين في إنكار البعث.(2)

رأي القنوجي

لقد ذكر الشيخ القنوجي –رحمه الله- الأقوال المذكورة أعلاه، وقدّم القول بأنها زائدة، ونسبه إلى جماعة من المفسرين، ثم أيّد ذلك القول بالأدلة وأقوال المفسرين –على ما سنذكرها قريباً- وذكر الاعتراضات عليه وأجاب عنها، ثم ذكر الأقوال الأخرى، ثم قال: **والقول الأول هو أرجح الأقوال**، وقد اعترض عليه الرازي بما لا يقدح في قوته ولا يفتّ(3) في عضد رجحانه.(4)

الدراسة

اتفق المفسرون على أن المعنى في هذه الآية هو إثبات القسم لا نفيه، ثم اختلفوا في كلمة (لا) الواردة في بداية الجملة، فذهب الجمهور إلى أنها زائدة، وزيادتها جارية في كلاب العرب، ولها نظائر في القرآن الكريم، مثل قوله تعالى: ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسۡجُدَ إِذۡ أَمَرۡتُكَۖ﴾ [الأعراف: ١٢]، فالمراد هنا: ما منعك

---

(1) انظر: الوجيز في أصول الفقه الإسلامي للدكتور محمد مصطفى الزحيلي، دار الخير للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق – سوريا، الطبعة: الثانية، 1427 هـ - 2006 م، 81/2

(2) انظر: تفسير الماوردي 151/6، وزاد المسير 368/4

(3) فتّ الشيء: كسره

(4) فتح البيان 14/ 434

أن تسجد كما في سورة ص: ﴿قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ﴾ [ص: ٧٥]، وكقوله تعالى: ﴿لِّئَلَّا يَعۡلَمَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ [الحديد: ٢٩]. وروى الإمام الطبري ذلك عن سعيد بن جبير.(1)

واعترض الإمام الرازي على هذا القول باعتراضات منها: أن هذا القول يفضي إلى الطعن في القرآن الكريم، وترك الاعتماد عليه في الإثبات والنفي. واعترض أيضاً أن هذه الزيادة إنما تكون في وسط الكلام لا في أوله.(2)

وأجيب عن الاعتراض الأول بأنه جار على كلام العرب، فهناك عدد من آيات القرآن الكريم وأشعار العرب نجد فيها هذا الأسلوب العربي المعروف. كما أجابوا عن الاعتراض الثاني بأن القرآن الكريم في حكم سورة واحدة متصل بعضه ببعض، يدل على ذلك أنه قد يجيء ذكر الشيء في سورة ويذكر جوابه في سورة أخرى كقوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِي نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ إِنَّكَ لَمَجۡنُونٞ﴾ [الحجر: ٦]، وجوابه في سورة أخرى ﴿مَآ أَنتَ بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ بِمَجۡنُونٖ﴾ [القلم: ٢]، وإذا كان كذلك كان أول هذه السورة جارياً مجرى الوسط.(3)

و ذهب آخرون إلى أن (لا) لتوكيد القسم، ومنهم الزمخشري فقال: إدخال لا النافية على فعل القسم مستفيض في كلامهم وأشعارهم، وفائدتها توكيد القسم.(4)

ويرى الفراء و كثير من النحويين أن (لا) هنا لرد لكلامهم حيث أنكروا البعث كأنه قال ليس الأمر كما ذكرتم، أقسم بيوم القيامة.(5) وهذا ما رجحه الإمام الطبري أيضاً فقال:

وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب قول من قال: إن الله أقسم بيوم القيامة وبالنفس اللوّامة، وجعل (لا) ردا لكلام قد كان تقدّمه من قوم، وجوابا لهم. وإنما قلنا ذلك أولى الأقوال بالصواب؛ لأن المعروف من كلام الناس في محاوراتهم إذا قال أحدهم: لا والله، لا فعلت كذا، أنه يقصد بلا ردّ الكلام، وبقوله: والله، ابتداء يمين، وكذلك قولهم: لا أقسم بالله لا فعلت كذا؛ فإذا كان المعروف من معنى ذلك ما وصفنا، فالواجب أن يكون سائر ما جاء من نظائره جاريا مجراه، ما لم يخرج شيء من ذلك عن المعروف بما يجب التسليم له.(6)

---

(1) تفسير الطبري 47/24

(2) مفاتيح الغيب 719/30

(3) فتح البيان 433/14-434

(4) الكشاف 658/4

(5) فتح البيان 434/14

(6) تفسير الطبري 49/24

التعليق

والراجح –والله أعلم- هو ما رجحه القنوجي وغيره من أن (لا) زائد جارية مجرى كلام العرب وأسلوبهم، وذلك لما يلي:

1. إن لهذا الأسلوب نظائر كثيرة في القرآن الكريم وفي كلام العرب -كما ذكرنا- والقاعدة الترجيحية تقول: (**حمل معاني كلام الله على الغالب من أسلوب القرآن ومعهود استعماله أولى من الخروج به عن ذلك**) وتقول: (**يحمل كلام الله على المعروف من كلام العرب دون الشاذ والضعيف والمنكر**). وما دام هذا القول جارياً على أسلوب العرب فلا يفضي إلى الطعن في القرآن ولا إلى ترك الاعتماد عليه في الإثبات والنفي.

2. إن هذا القول اعتمده أكثر المفسرين في تفاسيرهم، والقاعدة تقول: (**تفسير جمهور السلف مقدم على كل تفسير شاذ**).

والله أعلم بالصواب

۞۞۞

مسألة: رؤية الله في الآخرة، ومعنى قوله تعالى:

﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ [سورة القيامة: 22-23].

أقوال المفسرين في الآية

في معنى (ناظرة) ثلاثة أقوال للمفسرين:

أحدها: تنظر إلى ربها في القيامة. **الثاني:** تنظر إلى ثواب ربها.

الثالث: تنتظر أمر ربها.(1)

رأي القنوجي

قال القنوجي: (إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ) أي تنظر إليه عياناً بلا حجاب، هكذا قال جمهور أهل العلم والمراد به ما تواترت به الأحاديث الصحيحة من أن العباد ينظرون إلى ربهم يوم القيامة كما ينظرون إلى القمر ليلة البدر.

قال ابن كثير: وهذا بحمد الله مجمع عليه بين الصحابة والتابعين وسلف هذه الأمة كما هو متفق عليه بين أئمة الأسلام وهداة الأنام، وقال مجاهد: إن النظر هنا انتظار ما لهم عند الله من الثواب، وروي نحوه عن عكرمة، وقيل: لا يصح هذا إلا عن مجاهد وحده، قال الأزهري: وقول مجاهد خطأ؛

(1) النكت والعيون 156/6

لأنه لا يقال نظر إلى كذا بمعنى الانتظار لأن قول القائل: نظرت إلى فلان ليس إلا رؤية عين، فإذا أرادوا الانتظار قالوا: نظرته، فإذا أرادوا نظر العين قالوا نظرت إليه، وأشعار العرب وكلماتهم في هذا كثيرة جداً.

ويشهد لصحة هذا أن النظر الوارد في التنزيل بمعنى الانتظار كثير ولم يوصل في موضع بإلى كقوله: ﴿ٱنظُرُونَا نَقۡتَبِسۡ مِن نُّورِكُمۡ﴾ [سورة الحديد : 13]. وقوله تعالى: ﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأۡوِيلَهُۥ﴾ [سورة الأعراف : 53]. والوجه إذا وصف بالنظر وعدِّي بإلى لم يحتمل غير الرؤية.

والأحاديث الصحيحة تعضد قول من فسر النظر في هذه الآية بالرؤية.(1) فرأي القنوجي هو ما ذهب إليه أهل السنة والجماعة من أنه يقصد بها رؤية الله في الآخرة كما يظهر من كلامه.

الدراسة

لقد قال بثبوت رؤية الله تعالى في الآخرة الصحابة والتابعون، وأئمة الإسلام المعروفون بالإمامة في الدين، وأهل الحديث، وسائر طوائف أهل الكلام المنسوبون إلى السنة والجماعة وخالفهم في ذلك الجهمية والمعتزلة ومن تبعهم من الخوارج والإمامية، فأنكروا رؤيته سبحانه وتعالى في الجنة أصلاً، وقولهم باطل مردود بالكتاب والسنة.(2)

جميع المفسرون من أهل السنة والجماعة متفقون على أن المراد هو رؤية الله تعالى في الآخرة، سوى بعض المفسرين من المعتزلة والخوارج الذين ينكرون رؤيته سبحانه وتعالى في الآخرة، ومنهم الإمام الزمخشري صاحب الكشاف، الذي فسرها بالانتظار،(3) وكذا نقل عن مجاهد و عكرمة أنهما فسرا الآية بأنها تنتظر الثواب.(4) و ذكر ابن كثير أن ذلك لا يصح عن عكرمة، وأما مجاهد فقد أبعد النجعة.(5)

التعليق

وأولى الأقوال بالصواب- والله أعلم- هو ما ذهب إليه المفسرون من أهل السنة والجماعة من أن المراد بها رؤية الله تعالى في الآخرة للمؤمنين. وذلك لوجوه:

1 . أن القول الذي يدل على حذف المقدر (**ينتظر ثواب ربها**) خلاف الأصل، إذ أن الأصل في الكلام عدم الحذف. والقاعدة تقول: (**القول بالاستقلال مقدم على القول بالإضمار**).

---

(1) فتح البيان 443/14

(2) انظر: شرح العقيدة الطحاوية للإمام محمد بن عليّ ابن أبي العز الحنفي، الدمشقي، تخريج: الشيخ ناصر الدين الألباني، دار السلام للطباعة والنشر التوزيع، الطبعة الأولى، 1426هـ - 2005م ص 189.

(3) الكشاف للزمخشري 663/4

(4) تفسير الطبري 72/24

(5) تفسير ابن كثير 281/8، وانظر: فتح البيان 14/ 443

2. أن العرب إذا أرادوا استعمال لفظ (**الناظرة**) بمعنى (الانتظار) فإنهم لا يصلونه بـ (إلى). كقوله تعالى: ﴿ ٱنظُرُونَا نَقۡتَبِسۡ مِن نُّورِكُمۡ ﴾ [الحديد : 13]. وقوله تعالى: ﴿ هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأۡوِيلَهُۥ ﴾ [سورة الأعراف : 53]. والقاعدة الترجيحية تقول: (**حمل معاني كلام الله على الغالب من أسلوب القرآن ومعهود استعماله أولى من الخروج به عن ذلك**) وتقول: (**يحمل كلام الله على المعروف من كلام العرب دون الشاذ والضعيف والمنكر**).

7- دلالة السياق، إذ أن قبل هذه الآية قوله: ﴿ وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ﴾ ولا تتطابق نضارة الوجه مع الانتظار؛ لأن الانتظار، ذل وهوان وتعب. والقاعدة تقول: (**القول الذي تؤيده قرائن في السياق مرجح على ما خالفه**) وتقول: (**إدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أولى من الخروج به عنهما إلا بدليل**).

3. أنه يدل مفهوم الآيات الأخرى على رؤية الله تعالى في الآخرة للمؤمنين حيث نفاها الله تعالى عن الكفار فقال: ﴿ كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ ﴾ [سورة المطففين : 15]. والقاعدة تقول: (**ما تؤيد بآيات قرآنية مقدم على ما عدم ذلك**).

4. أنه تؤيده الأحاديث الصحيحة المتواترة على رؤية الله في الآخرة. والقاعدة تقول: (**إذا ثبت الحديث وكان نصا في الآية فلا يصار إلى غيره**). وتقول: (**إذا ثبت الحديث وكان في معنى أحد الأقوال فهو مرجح له على ما خالفه**).

ومن الأحاديث الواردة الصريحة في ذلك: عن أبي هريرة رضي الله عنه : (**أن ناساً قالوا لرسول الله ﷺ : يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ فقال رسول الله ﷺ : هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر ؟ قالوا : لا يا رسول الله . قال : هل تضارون في رؤية الشمس ليس دونها سحاب ؟ قالوا : لا يا رسول الله . قال : فإنكم ترونه كذلك**).(1)

وعن صهيب رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : (**ثم إذا دخل أهل الجنة الجنة ، قال : يقول الله تبارك وتعالى : تريدون شيئاً أزيدكم ؟ فيقولون : ألم تبيض وجوهنا ألم تدخلنا الجنة وتنجينا من النار . قال : فيكشف الحجاب فما أعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إلى ربهم عز وجل**).(2) فبناء على هذه

---

(1) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿ وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ﴾. رقم الحديث: 6885 ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية، رقم الحديث: 267.

(2) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم رقم الحديث: 266، والترمذي في سننه، كتاب تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ باب ومن سورة يونس، رقم الحديث: 3030.

الأدلة ثبتت رؤية الله في الآخرة، وهي رؤية حقيقية.

والله تعالى أعلم بالصواب

❁❁❁

سورة المرسلات

المسألة: المراد بالمرسلات والعاصفات والناشرات والفارقات والملقيات في قوله تعالى:

﴿وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا ۝١ فَٱلْعَٰصِفَٰتِ عَصْفًا ۝٢ وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشْرًا ۝٣ فَٱلْفَٰرِقَٰتِ فَرْقًا ۝٤ فَٱلْمُلْقِيَٰتِ ذِكْرًا﴾ [المرسلات: 1-5].

أقوال المفسرين في معاني هذه الكلمات

في الكلمات المذكورة اختلاف كثير للمفسرين على النحو التالي:

أولاً: كلمة (المرسلات): فيها خمسة أقوال:

أحدها: الملائكة ترسل بالمعروف

الثاني: أنهم الرسل يرسلون بما يُعرفون به من المعجزات

الثالث: أنها الرياح ترسل بما عرفها الله تعالى

الرابع: أنها السحب لما فيها من نعمة ونقمة عارفة بما أرسلت فيه، ومن أرسلت إليه.

الخامس: أنها الزواجر والمواعظ.

ثانياً: كلمة (العاصفات): فيها ثلاثة أقوال:

أحدها: أنها الرياح العواصف

الثاني: الملائكة

الثالث: أنها الآيات المهلكة كالزلازل والخسوف

ثالثاً: كلمة (الناشرات): فيها خمسة أقوال:

أحدها: أنها الرياح تنشر السحاب

الثاني: أنها الملائكة تنشر الكتب

الثالث: أنها المطر ينشر النبات

الرابع: أنها البعث للقيامة تُنشر فيه الأرواح

الخامس: أنها الصحف تنشر على الله تعالى بأعمال العباد

رابعاً: كلمة (الفارقات): فيها أربعة أقاويل:

أحدها: الملائكة التي تفرق بين الحق والباطل

الثاني: الرسل الذين يفرقون بين الحلال والحرام

الثالث: أنها الرياح

الرابع: القرآن

خامساً: كلمة: (الملقيات): فيها ثلاثة أقوال:

أحدها: الملائكة تلقي ما حملت من الوحي والقرآن إلى من أرسلت إليه من الأنبياء

الثاني: الرسل يلقون على أممهم ما أنزل إليهم

الثالث: أنها النفوس تلقي في الأجساد ما تريد من الأعمال.(1)

رأي القنوجي

لقد ذكر الشيخ القنوجي أقوال المفسرين في المراد بهذه الآيات ثم قال: وإذا تقرر هذا، فالظاهر أنه أقسم أولاً بالرياح ويدل عليه عطف الصفة بالفاء، والقسم الثاني فيه ترق إلى أشرف من المقسم به الأول وهم الملائكة، ويكون قوله (فَٱلۡعَٰصِفَٰتِ فَٱلۡفَٰرِقَٰتِ) من صفاتهم وإلقاؤهم للذكر وهو ما أنزل الله تعالى صحيح إسناده إليهم.

وما ذكر من اختلاف المفسرين في المراد بهذه الأوصاف ينبغي أن يحمل على التمثيل لا على التعيين، **والراجح** أن الأوصاف الثلاثة الأول للرياح، والرابع والخامس للملائكة.(2)

الدراسة

لقد رجح أكثر المفسرين ما ذهب إليه القنوجي ومنهم: ابن جزي،(3) وأبو حيان،(4) وابن كثير،(5) والشوكاني،(6) والألوسي،(7) والشنقيطي،(8) وابن عاشور.(9) وهو قول جمهور المفسرين، المفسرين، منهم: ابن عباس، وابن مسعود، ومجاهد، وقتادة، والثوري.(10)

---

(1) انظر: النكت والعيون 175/6-177

(2) فتح البيان 11/15

(3) انظر: التسهيل لابن جزي 524/2

(4) البحر المحيط 374/10

(5) تفسير ابن كثير 489/4

(6) تفسير الشوكاني 353/5

(7) تفسير الألوسي 172/29

(8) تفسير الشنقيطي 529/5

(9) التحرير والتنوير 420/29

(10) انظر: تفسير الطبري 124/24-128 والمحرر الوجيز 199/16 وتفسير ابن كثير 489/4.

ورجح الإمام الطبري العموم في بعضها فقال عن المرسلات: والصواب من القول في ذلك عندنا أن يقال: إن الله تعالى ذكره أقسم بالمرسلات عرفا، وقد ترسل عُرْفا الملائكة، وترسل كذلك الرياح، ولا دلالة تدلّ على أن المعنيّ بذلك أحد الحِزْبين دون الآخر، وقد عمّ جلّ ثناؤه بإقسامه بكل ما كانت صفته ما وصف، فكلّ من كان صفته كذلك، فداخل في قسمه ذلك مَلَكا أو ريحا أو رسولا من بني آدم مرسلا.(1)

وقال عن الناشرات: وأولى الأقوال في ذلك عندنا بالصواب أن يقال: إن الله تعالى ذكره أقسم بالناشرات نشرا، ولم يَخْصُص شيئا من ذلك دون شيء، فالريح تنشر السحاب، والمطر ينشر الأرض، والملائكة تنشر الكتب، ولا دلالة من وجه يجب التسليم له على أن المراد من ذلك بعض دون بعض، فذلك على كل ما كان ناشرا.(2)

وقال عن الفارقات فرقاً: والصواب من القول في ذلك أن يقال: أقسم ربنا جلّ ثناؤه بالفارقات، وهي الفاصلات بين الحق والباطل، ولم يخصص بذلك منهنّ بعضا دون بعض، فذلك قَسَم بكلّ فارقة بين الحقّ والباطل، مَلَكا كان أو قرآنا، أو غير ذلك.(3)

ولم يذهب إلى الأقوال المخالفة لهذا إلا بعض المفسرين من التابعين،(4) كما ذكره المفسرون.

التعليق

والراجح من هذه الأقوال –والله أعلم- هو ما ذهب إليه الجمهور، وهو أن القسم هنا على شيئين: أولاً على الرياح، والثاني على الملائكة، فيراد بالآيتين الأوليين الرياح، و يراد الملائكة بالثالث والرابع والخامس، وذلك لما يلي:

1. لأن وصف الريح بالعصف حقيقة لا مجاز فيه، والقاعدة تقول: **(الأصل في النص الحقيقة).**

والمراد بالمرسلات هو الريح أيضاً؛ لأن الله تعالى قرن كلمة الإرسال مع الرياح في غير ما موضع من كتابه: مثل: ﴿ يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ ﴾ [الأعراف: ٥٧]، ﴿وَأَرۡسَلۡنَا ٱلرِّيَٰحَ ﴾ [الحجر: ٢٢]، وغيرها، فهذا تؤيده الآيات القرآنية، وما تؤيده الآيات القرآنية مقدّم على غيره.

2. ولأنه تعالى قرن المرسلات بالعاصفات، والعصف صفة للرياح، فدلّ على أن الأول أيضاً هي الرياح.

---

(1) تفسير الطبري 124/24

(2) تفسير الطبري 127/24

(3) تفسير الطبري 128/24

(4) انظر: تفسير الطبري 124/24-128

3. ولأن الله تعالى عطف المتجانسين بالفاء، فقال: ﴿وَٱلْمُرْسَلَٰتِ﴾ ﴿فَٱلْعَٰصِفَٰتِ﴾ ثم عطف ما ليس من جنسها بالواو فقال: ﴿وَٱلنَّٰشِرَٰتِ﴾، ثم عطف عليه المتجانسين بالفاء، فقال: ﴿فَٱلْفَٰرِقَٰتِ﴾ ﴿فَٱلْمُلْقِيَٰتِ﴾.

4. وأما الآيات الثلاث الأخيرة فأن يراد بها الملائكة أليق بالمقام، وأنسب به. فالفارقات أليق بالملائكة من الرياح، وأما الملقيات المذكورة بعدها فوقع الإجماع على أن المراد منها الملائكة. كما نقل القرطبي.(1)

والله أعلم بالصواب

❁❁❁

سورة النبأ

المسألة: المراد بالأحقاب في قوله تعالى: ﴿لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا﴾ [النبأ: ٢٣]

أقوال المفسرين في المراد بالأحقاب في هذه الآية

فيه عدة أقوال كما يلي:

أحدها: ثمانون سنة

الثاني: أربعون سنة

الثالث: سبعون سنة

الرابع: أنه ألف شهر

الخامس: ثلاثمائة سنة

السادس: سبعون ألف سنة

السابع: أنه دهر طويل غير محدود

الثامن: أنه الدَّهر

التاسع: سبعة عشر ألف سنة

العاشر: أنه سنة بلغة قيس.(2)

رأي القنوجي

قال القنوجي: جمع حقب بضمتين وهو الدهر، والأحقاب الدهور، ثم ذكر الشيخ القنوجي الأقوال الأخرى، ونسبها إلى أصحابها، كما ذكر الروايات المرفوعة والموقوفة الواردة في ذلك، وضعف الضعيف منها ثم قال: **والأولى ما ذكرناه** أولاً من أن المقصود بالآية التأييد لا التقييد.(3) فالراجح عند القنوجي هو أن المراد به التأبيد وهو دهر غير محدود.

---

(1) تفسير القرطبي 156/19

(2) انظر: تفسير الماوردي 186/6، وزاد المسير 96/3

(3) فتح البيان 36/15-37

الدراسة

لقد اختلفت أقوال المفسرين وتعددت حول المراد بالأحقاب في هذه الآية، فالجمهور على أن المراد بها الدهر كله، كما أن جمع الأحقاب يفيد التأبيد، وهذا القول منقول عن ابن عباس وأبو عبيدة وغيرهما، رجحه الطبري.(1) ورجح القرطبي أيضاً هذا القول وقال: وما نقل عن النبي صلى الله عليه وسلم فليس بثابت عنه.(2) وقال عنه الزمخشري: كلما مضى حقب تبعه آخر إلى غير نهاية، ولا يكاد يستعمل الحقب والحقبة إلا حيث يراد تتابع الأزمنة وتواليها، والاشتقاق يشهد لذلك، ألا ترى إلى حقيبة الراكب، والحقب الذي وراء التصدير.(3) وهو الذي اختاره أبو حيان(4) والألوسي(5) والشوكاني(6) وابن عاشور.(7)

ومنهم من ذهب إلى أن المراد بالحقب الواحد ثمانون سنة، وهذا القول منسوب إلى عبد الله بن عمرو وأبي هريرة وابن مسعود رضي الله عنهم، ونقل عن الحسن البصري أنه قال: الحقب سبعون ألف سنة، وقال مجاهد والسدي: سبعون سنة.

ويرى مقاتل بن حيان أن سبعة عشر ألف سنة، و ذكر الفراء أنه ثمانون سنة كل يوم ألف سنة من عدد الدنيا، أو أنه سنة بلغة قيس. وروي عن ابن عمر أنه أربعون سنة، وروى أبو أمامة -رضي الله عنه- مرفوعاً أنه ألف شهر، وسنده ضعيف.

وروي عن الحسن أيضاً: الأحقاب لا يدري أحد كم هي؟ ولكن ذكروا أنها مائة حقب، والحقب الواحد منها سبعون ألف سنة، اليوم منها كألف سنة.(8)

التعليق

والراجح –والله أعلم- هو ما ذهب إليه القنوجي ومن معه من الجمهور الذين قالوا بأن المراد هو الدهر الذي لانتهاء له، أبد الآبدين، وذلك لما يلي:

1. أن هذا المعنى يشهد له اشتقاق لفظ الحقب، كما صرّح بذلك الإمام الزمخشري، والقاعدة الترجيحية تقول: القاعدة الترجيحية: (**القول الذي يؤيده تصريف الكلمة وأصل اشتقاقها أولى بتفسير الآية**).

---

(1) تفسير الطبري 163/24

(2) تفسير القرطبي 120/19

(3) الكشاف 688/4-689

(4) البحر المحيط 413/8

(5) روح المعاني 24/30

(6) فتح القدير 450/5

(7) التحرير والتنوير 27/30

(8) انظر: فتح البيان 36/15-37، وتفسير الماوردي 186/6، وزاد المسير 96/3، وتفسير القرطبي 120/19

2. أن هذا المعنى تؤيده الأيات القرآنية الأخرى الدالة على تأبيد الكفار في جهنم كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ [الأحزاب: ٦٤ – ٦٥]، وكقوله تعالى: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴿٢٣﴾﴾ [الجن: ٢٣]، وقوله: ﴿وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿١٦٧﴾﴾ [البقرة: ١٦٧]، وقوله: ﴿يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٧﴾﴾ [المائدة: ٣٧]. والقاعدة الترجيحية تقول: (**القول الذي تؤيده آيات قرآنية مقدم على ما عدم ذلك**).

والله أعلم بالصواب

❁❁❁

سورة النازعات

مسألة : المراد بالنازعات والناشطات والسابحات والسابقات والمدبرات في قوله تعالى :

﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرْقًا ﴿١﴾ وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشْطًا ﴿٢﴾ وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبْحًا ﴿٣﴾ فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبْقًا ﴿٤﴾ فَٱلْمُدَبِّرَٰتِ أَمْرًا﴾ [سورة النازعات : 1-5]

أقوال المفسرين في المراد بهذه الكلمات

في الكلمات المذكورة اختلاف كثير للمفسرين على النحو التالي:

أولاً: كلمة (النازعات): فيها ستة أقاويل:

أحدها: هي الملائكة تنزع نفوس بني آدم

الثاني: هي الموت ينزع النفوس

الثالث: هي النفوس حين تنزع

الرابع: هي النجوم تنزع من أفق إلى أفق، ومن المشرق إلى المغرب

الخامس: هي القسيّ(1) تنزع بالسهم.

السادس: هي الوحش تنزع من الكلأ وتنفر

ثانياً: كلمة (الناشطات): فيها ستة تأويلات أيضاً:

أحدها: هي الملائكة تنشط أرواح المؤمنين بسرعة كنشط العقال.(2)

الثاني: هي النجوم التي تنشط من مطالعها إلى مغاربها

---

(1) بكسر القاف والسين وتشديد الياء، جمع قوس. انظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1399هـ - 1979م. 40/5، مادة (قوس)

(2) يقال: وأنشطت العقال: أي مددت أنشوطته (عقدته) فانحلت. انظر: معجم مقاييس اللغة 426/5. مادة: (نشط).

الثالث: هي الموت ينشط نفس الإنسان

الرابع: هي النفس حيث نشطت بالموت

الخامس: هي الأوهاق(1)

السادس: هي الوحش تنشط من بلد إلى بلد، كما أن الهموم تنشط الإنسان من بلد إلى بلد.

ثالثاً: كلمة (السابحات): فيها ستة أوجه أيضاً:

أحدها: هي الملائكة سبحوا إلى طاعة الله من بني آدم.

الثاني: هي النجوم تسبح في فلكها

الثالث: هي الموت يسبح في نفس ابن آدم

الرابع: هي السفن تسبح في الماء

الخامس: هي الخيل

السادس: أن تكون السابحات الخوض في أهوال القيامة.

رابعاً: كلمة (السابقات): فيه ستة تأويلات:

أحدها: هي الملائكة تسبق الشياطين بالوحي إلى الأنبياء

الثاني: هي النجوم يسبق بعضها بعضاً

الثالث: هي الموت يسبق إلى النفس

الرابع: هي النفس تسبق بالخروج عند الموت

الخامس: هي الخيل

السادس: أن تكون السابقات ما سبق من الأرواح قبل الأجساد إلى جنة أو نار.

خامساً: كلمة (المدبرات): فيها قولان:

أحدهما: هي الملائكة

الثاني: هي الكواكب السبعة.(2)

رأي القنوجي

قال القنوجي: (وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرۡقٗا) أقسم سبحانه بهذه الأشياء التي ذكرها وهي الملائكة التي تنزع أرواح العباد عن أجسادهم كما ينزع النازع في القوس فيبلغ بها غاية المد، وكذا المراد بالناشطات

(1) الأوهاق: جمع وهق، بالتحريك، وقد يسكن وهو حبل كالطول تشد به الإبل والخيل لئلا تند. انظر: لسان العرب لابن منظور دار صادر – بيروت، الطبعة: الثالثة - 1414 هـ، 386/10 مادة (وهق).

(2) النكت والعيون 192/6-195

والسابحات والسابقات والمدبرات، يعني الملائكة(1)، والعطف مع اتحاد الكل لتنزيل التغاير الوصفي منزلة التغاير الذاتي، وإنما جاءت هذه الأقسام بلفظ التأنيث والكل وصف للملائكة مع أنهم ليسوا إناثاً لأن المقسم به طوائف من الملائكة، والطوائف جمع طائفة وهي مؤنثة، وهذا قول الجمهور من الصحابة والتابعين ومن بعدهم.(1) إذاً، يرى القنوجي أن المراد بهذه الكلمات كلها الملائكة.

الدراسة

لقد رجح أكثر المفسرين ما ذهب إليه القنوجي من أن المراد بهذه الكلمات كلها هي الملائكة، ومنهم: الطبري،(2) وابن عطية،(3) والبغوي،(4) وابن كثير،(5) والشوكاني.(6) وغيرهم.

وهذا قول جمهور المفسرين، ومنهم: ابن عباس، وقتادة(7) ولم يذهب إلى الأقوال المخالفة لهذا إلا بعض المفسرين من التابعين، كما ذكر المفسرون.(8) إلا أن الإمام الطبري رحمه الله رجح القول بالعموم، فقال عن النازعات: والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال: إن الله تعالى ذكره أقسم بالنازعات غرقا، ولم يخصص نازعة دون نازعة، فكلّ نازعة غرقا، فداخلة في قسمه، ملكاً كان أو موتاً، أو نجماً، أو قوساً، أو غير ذلك.(9)

وقال عن الناشطات: والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال: إن الله جلّ ثناؤه أقسم بالناشطات نشطا، وهي التي تنشط من موضع إلى موضع، فتذهب إليه، ولم يخصص الله بذلك شيئا دون شيء، بل عم القسم بجميع الناشطات والملائكة تنشط من موضع إلى موضع، وكذلك الموت، وكذلك النجوم والأوهاق وبقر الوحش أيضا تَنْشُط.(10)

وقال عن السابحات: والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال: إن الله جلّ ثناؤه أقسم بالسابحات سبحاً من خلقه، ولم يخصص من ذلك بعضا دون بعض، فذلك كل سابح، لما وصفنا قبل في النازعات.(11)

---

(1) فتح البيان 51/15

(2) تفسير الطبري 60/24

(3) المحرر الوجيز 21/16

(4) تفسير البغوي 323/8

(5) تفسير ابن كثير 497/4

(6) فتح القدير 450/449/5

(7) انظر: تفسير الطبري 185/24 وما بعدها، والنكت والعيون 194/6 وتفسير البغوي 325/8

(8) انظر: تفسير الطبري 185/24-190

(9) المصدر السابق 186/24

(10) المصدر السابق 188/24

(11) المصدر السابق 189/24

وقال عن السابقات: والقول عندنا في هذه مثل القول في سائر الأحرف الماضية.(1)

التعليق

والمختار –والله أعلم- هو ما ذهب إليه الجمهور ومنهم القنوجي، وذلك لما يلي:

1. أنه المنقول عن أكثر السلف، والقاعدة تقول: **(تفسير جمهور السلف مقدم على كل تفسير شاذ)**.

2. العطف بـ (الفاء) يفيد أن جميع هذه الصفات لموصوف واحد وهو الملائكة، فالعرب يعطفون بالفاء الصفات التي شأنها أن يتفرع بعضها عن بعض.

3. أن هذه الصفات المذكورة في هذه الآيات وردت أكثرها للملائكة مبعثرة في آيات قرآنية أخرى، مثل كون الملائكة تنزع الأرواح، وتدبير الأمور، وغيرها.

4. أجمع المفسرون على أن المراد بـ(المدبرات) هم الملائكة،(2) فيكون ما عطفت عليه من الصفات تابعة لها.

والله أعلم بالصواب

۞۞۞

مسألة: المراد بـ مقام الرب في قوله تعالى:

﴿ وَأَمَّا مَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفۡسَ عَنِ ٱلۡهَوَىٰ ۝٤٠ ﴾ [سورة النازعات: 40-41].

أقوال المفسرين في المراد بمقام ربه فيه وجهان:

أحدهما: هو خوفه في الدنيا من الله عند مواقعة الذنب فيقلع.

الثاني: هو خوفه في الآخرة من وقوفه بين يدي الله للحساب.(3)

رأي القنوجي

قال القنوجي: (وَأَمَّا مَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ) أي حذر مقامه بين يدي ربه يوم القيامة لعلمه بالمبدأ والمعاد، قال الربيع: مقامه يوم الحساب، قال قتادة: يقول إن لله عز وجل مقاماً قد خافه المؤمنون، وقال مجاهد: هو خوفه في الدنيا من الله عز وجل مواقعة الذنب فيقلع عنه، نظيره قولـه: ﴿ وَلِمَنۡ خَافَ مَقَامَ

(1) المصدر السابق 190/24

(2) نقله القرطبي عن القشيري. انظر: تفسير القرطبي 194/19

(3) النكت والعيون 200/6

رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾ [الرحمن: ٤٦]، **والأول أولى.**(1) إذاً، الراجح عند القنوجي هو أن المراد به هو الوقوف بين يدي الله تعالى يوم القيامة.

الدراسة

لقد ذهب جمهور المفسرين إلى ما ذهب إليه القنوجي من أن المراد به القيام لرب العالمين يوم القيامة، ومن المفسرين الذين قالوا بهذا: الطبري،(2) وابن عطية(3) وأبو حيان(4) وابن كثير(5) والشوكاني(6) وغيرهم. وهذا قول جمهور المفسرين، ولم يذهب إلى القول الثاني إلا بعض المفسرين من التابعين، كما ذكر المفسرون.(7)

التعليق

والراجح – والله أعلم- هو ما ذهب إليه الجمهور ومنهم القنوجي و ذلك لأمور:

1. أنه يدل عليه الآيات الأخرى، كقوله تعالى: ﴿ يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [سورة المطففين :6] وما دلت عليه الآيات مقدم على غيره.

2. أنه الموافق لسياق الآيات، وذلك أن الآيات تتحدث عن يوم القيامة: ﴿ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلْكُبْرَىٰ ۝٣٤ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ ﴾ إلى قوله: ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۝٤٠ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴾ [سورة النازعات : 34-41] فسياق هذه الآيات في الحديث عن أهوال يوم القيامة وما يكون فيه من وقوف العباد بين يدي الله جل وعلا للمحاسبة والمجازاة على ما قدموا من أعمالهم، والقاعدة تقول: (**إدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أولى من الخروج به عنهما**).

والله أعلم بالصواب

❁❁❁

(1) فتح البيان 71/15

(2) تفسير الطبري 212/24

(3) المحرر الوجيز 226/16

(4) البحر المحيط67/10

(5) تفسير ابن كثير 318/8

(6) فتح القدير للشوكاني 459/5

(7) انظر: تفسير الطبري 55/23 وما بعدها

سورة التكوير

مسألة: المراد بالخنس والكنس في قوله تعالى:

﴿ فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلۡخُنَّسِ ۝١٥ ٱلۡجَوَارِ ٱلۡكُنَّسِ ﴾ [سورة التكوير: 15 -18].

أقوال المفسرين في الآية

أولاً: المراد بالخنس: فيه أربعة أقوال:

أحدها: النجوم التي تخنس بالنهار وإذا غربت، أو الأنجم الخمسة وهي: زحل وعطارد والمشتري والمريخ والزهرة.

الثاني: أن الخنس بقر الوحش.

الثالث: أنها الظباء.

الرابع: أنها الملائكة لأنها تخنس فلا تُرى.

ثانياً: المراد بالجوار الكنس: فيه أربعة أقوال:

أحدها: النجوم، أو النجوم الخمسة **الثاني:** أنها بقر الوحش لاختفائها في كناسها

الثالث: الظباء **الرابع:** هي الملائكة.(1)

رأي القنوجي

قال القنوجي: (بِٱلۡخُنَّسِ) وهي الكواكب، وسميت الخنس من خنس إذا تأخر لأنها تخنس بالنهار فتخفى ولا ترى وهي زحل والمشترى والمريخ والزهرة وعطارد كما ذكره أهل التفسير، ووجه تخصيصها بالذكر من بين سائر النجوم أنها تستقبل الشمس وتقطع المجرة...

ثم ذكر أقوال أهل اللغة و الروايات عن الصحابة والتابعين بأنها النجوم، ثم قال:

وقيل: المراد بها بقر الوحش... ثم ذكر الرواية في ذلك عن ابن مسعود وعكرمة، ثم قال: (ٱلۡجَوَار) أي السيارة لأنها تجري مع الشمس والقمر (ٱلۡكُنَّس) أي أنها ترجع حتى تخفى تحت ضوء الشمس فخنوسها رجوعها وكنوسها اختفاؤها تحت ضوئها وقيل خنوسها خفاؤها بالنهار وكنوسها غروبها، قال الحسن وقتادة: هي النجوم التي تخنس بالنهار وإذا غربت، والمعنى متقارب لأنها تتأخر في النهار عن البصر لخفائها فلا ترى وتظهر بالليل وتكنس في وقت غروبها.

(1) النكت والعيون 6/216-218

وقيل: المراد بها بقر الوحش وبه قال ابن مسعود: لأنها تتصف بالخنس وبالجواري وبالكنس، وقال عكرمة: الخنس البقر والكنس الظباء فهي تخنس إذا رأت الإنسان وتنقبض وتتأخر وتدخل كناسها، وقيل: هي الملائكة **والأول أولى** لذكر الليل والصبح بعد هذا.(1)

الدراسة

لقد ذهب بعض أهل التفسير إلى أن المراد بها بقر الوحش والظباء، وهو قول ابن مسعود، و مجاهد وسعيد بن جبير وغيرهم.(2) ولم أر أحداً كتب في التفسير رجح هذا القول.

وذهب آخرون إلى أن المراد بها النجوم في الأحوال الثلاث، وهي اختفاؤها وظهورها وجريانها، وممن ذهب إلى هذا القول علي بن أبي طالب، وأبو سعيد الخدري و قتادة والحسن وابن زيد وغيرهم، ورجح هذا القول الإمام القرطبي فقال: والأصح الحمل على النجوم، لذكر الليل والصبح بعد هذا، فذكر النجوم أليق بذلك. (3) و رجحه الشوكاني (4) وتعبه القنوجي، وقال الشنقيطي مرجحاً هذا القول: وهنا يقسم بحالات الكواكب على أصح الأقوال، في ظهورها واختفائها وجريانها.(5) وهو قول جمهور المفسرين.

وذهب الإمام الطبري إلى الجمع بين القولين، حيث اختار القول بالعموم فقال: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب: أن يقال: إن الله تعالى ذكره أقسم بأشياء تخنس أحيانا: أي تغيب، وتجري أحيانا وتكنس أخرى، وكنوسها: أن تأوي في مكانسها، وغير مُنكر أن يستعار ذلك في المواضع التي تكون بها النجوم من السماء، فإذا كان ذلك كذلك، ولم يكن في الآية دلالة على أن المراد بذلك النجوم دون البقر، ولا البقر دون الظباء، فالصواب أن يُعَمّ بذلك كلّ ما كانت صفته الخنوس أحيانا والجري أخرى، والكنوس بآيات على ما وصف جلّ ثناؤه من صفتها.(6)

التعليق

والراجح –والله أعلم- هو ما ذهب إليه الإمام الطبري أن المراد هو العموم، أي كل ما يخنس ويجري ويكنس، سواء كان كوكباً أو بقراً أو ظبياً، أو غيرها، فإذا كانت اللغة العربية تتسع لذلك، فلا مانع من إرادة الجميع، وما ذهب إليه الصحابة وغيرهم من التخصيص إنما هو تمثيل

(1) فتح البيان 15/102-104

(2) تفسير الطبري 24/251-253

(3) تفسير القرطبي 19/237

(4) فتح القدير 5/472

(5) أضواء البيان 8/444

(6) تفسير الطبري 24/254

لبعض ما يدل عليه اللفظ لا كل ما يدل عليه؛ ولأن **العموم أولى من التخصيص**، كما هو مقرر في القواعد الترجيحية.

والله أعلم بالصواب

❁❁❁

المسألة: المراد بـ (عسعس) في قوله تعالى:

﴿ وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ ﴾ [سورة التكوير: 17].

أقوال المفسرين في المراد بـ (عسعس)

فيه ثلاثة أقوال للمفسرين:

أحدها: أظلم

الثاني: إذا ولّى وأدبر

الثالث: إذا أقبل.(1)

رأي القنوجي

قال القنوجي: ﴿ وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ ﴾ أي أقبل بظلامه أو أدبر، قال أهل اللغة: هو من الأضداد. يقال عسعس الليل إذا أقبل، وعسعس إذا أدبر، ويدل على أن المراد هنا أدبر قوله الآتي: ﴿ وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴾ .(2) فالراجح عند القنوجي هو أن المراد بـ (عَسۡعَس): أدبر.

الدراسة

لقد ذهب المفسرون في تفسير هذه الآية إلى تفسيرين اثنين:

أحدهما: الإقبال، **والآخر:** الإدبار، و ممن اختار القول بمعنى الإقبال: ابن عباس وعلي بن أبي طالب ومجاهد، وقتادة، وابن زيد وغيرهم.(3) و ممن رجح هذا القول من المفسرين: الإمام ابن كثير فقال: وعندي أن المراد بقوله: (عَسۡعَس) إذا أقبل، وإن كان يصح استعماله في الإدبار، لكن

---

(1) النكت والعيون 218/6

(2) فتح البيان 104/15

(3) انظر : تفسير الطبري 224/24-225

الإقبال هاهنا أنسب.(1) ومن أدلة من ذهب إلى هذا القول: أن قوله: ﴿﴿ وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾ يدل على إقبال النهار، فيناسبه أن يكون المراد من (عَسۡعَس) إقبال الليل.(2)

وممن اختار القول بأن (عَسۡعَس) يراد به: أدبر، جمهور المفسرين: كابن عباس وعلي بن أبي طالب ومجاهد وقتادة والضحاك وابن زيد، وغيرهم.(3)

ورجح هذا القول الإمام الطبري فقال: وأولى التأويلين في ذلك بالصواب عندي قول من قال: معنى ذلك: إذا أدبر، وذلك لقوله: ﴿ وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾ فدلّ بذلك على أن القسم بالليل مدبرًا، وبالنهار مقبلاً والعرب تقول: عَسۡعَس الليل، وسَعْسَع الليل: إذا أدبر، ولم يبق منه إلا اليسير.(4)

ورجحه ابن جزي أيضاً فقال: (وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ) يقال عسعس إذا كان غير مستحكم الظلام فقيل: ذلك في أوله وقيل: في آخره وهذا أرجح؛ لأن آخر الليل أفضل ولأنه أعقبه بقوله ﴿ وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾.(5) وهو القول الذي رجحه القنوجي أيضاً.

التعليق

والراجح عندي –والله أعلم بالصواب- هو أن كلمة (عَسۡعَس) من الألفاظ المشتركة بين الإقبال والإدبار، ولكن الأنسب والأقرب لمعنى الآية هو قول الجمهور ومن تبعهم –ومنهم القنوجي- وهو أن المراد أدبر، وذلك لما يلي:

1. أن الله تعالى عقب ذلك بقوله: ﴿ وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾ [التكوير: 18] مما يدل على أن القسم كان بالليل مدبراً، وبالنهار مقبلاً، وذلك أنسب لما بين إدبار الليل وتنفس الصبح من الملاصقة، والمطابقة، كما في قوله تعالى ذكره: ﴿ وَٱلَّيۡلِ إِذۡ أَدۡبَرَ ۝٣٣ وَٱلصُّبۡحِ إِذَآ أَسۡفَرَ ﴾ [المدثر: 33 - 34].

2. أن الله تعالى يقسم بالأفضل والأعظم من الأشياء، ولا شك أن آخر الليل أفضل من أوله.(6)

والله أعلم بالصواب

❁❁❁

(1) تفسير ابن كثير 338/8

(2) تفسير ابن كثير 338/8

(3) تفسير الطبري 2555/24-257

(4) تفسير الطبري 257/24

(5) التسهيل لابن جزي 456/2

(6) التسهيل لابن جزي (542/2).

مسألة: المراد بالرسول في قوله تعالى:

﴿ إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ۝١٩ ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي ٱلۡعَرۡشِ مَكِينٖ ۝٢٠ ﴾ [سورة التكوير: 19-21].

أقوال المفسرين في معنى الرسول في الآية

فيه قولان:

أحدهما: جبريل عليه السلام **الثاني:** رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم.(1)

رأي القنوجي

قال القنوجي: (إِنَّهُۥ) أي القرآن (لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ) على الله تعالى يعني جبريل، وبه قال ابن عباس؛ لكونه نزل به من جهة الله سبحانه إلى رسوله صلى الله عليه وآله وسلم وأضاف القول إلى جبريل لكونه مرسلاً به وقيل: المراد بالرسول محمد صلى الله عليه وآله وسلم، **والأول أولى.**(2) فالراجح عند القنوجي أن المراد بالرسول هو جبريل عليه السلام.

الدراسة

لقد ذهب جمهور المفسرين إلى أن المراد بالرسول الكريم هو: جبريل عليه السلام، حتى أجمع عليه المفسرون كما قال الواحدي: يعني جبريل عليه السلام في قول الجميع.(3)

وقال ابن عطية: و «الرسول الكريم» في قول جمهور المتأولين: جبريل عليه السلام، وقال آخرون: هو محمد عليه السلام في الآية، والقول الأول أصح.(4)

قال ابن جزي: والرسول الكريم جبريل وقيل: محمد صلى الله عليه وآله وسلم ... فالأظهر أنه جبريل وصفه بقوله: ذي قوة وقد وصف جبريل بهذا لقوله شديد القوى.(5)

وقال السمعاني: أي قول أنزله رسول كريم أي كريم على مرسله وهو جبريل صلوات الله عليه، وحمل الآية على ما جاء به جبريل عليه السلام على الرسول من غير القرآن، فعلى هذا يجوز أن يقال: هو قول جبريل. وقيل: إن قوله {رسول كريم} وهو محمد والقول الأول هو المشهور.(6)

وأما القول الآخر، الذي يقول: إن المراد به محمد صلى الله عليه وسلم،(7) فقد رد عليه جماعة

---

(1) النكت والعيون 218/6

(2) فتح البيان 105/15

(3) التفسير البسيط للواحدي 272/23

(4) المحرر الوجيز 444/5

(5) التسهيل لابن جزي 457/2

(6) تفسير السمعاني 169/6

(7) نسب الماوردي هذا القول إلى ابن عيسى. انظر: النكت والعيون 218/6

جماعة من المفسرين منهم ابن جزي حيث قال: لا يجوز أن يقال إنه محمد عليه السلام لأن الآية نزلت في الرد على الذين قالوا: إن محمداً قال القرآن، فكيف يخبر الله أنه قوله، وإنما أراد جبريل. وأضاف القرآن إليه لأنه جاء به، وهو في الحقيقة قول الله تعالى.(1)

التعليق

والرجح – والله أعلم- هو أن يراد به جبريل عليه السلام وذلك لما يلي:

1. لأنه أجمع عليه المفسرون كما نقله الواحدي، وما أجمع عليه المفسرون وخاصة السلف مقدم على غيره، كما ذكرنا في القواعد الترجيحية: (**كل تفسير خالف القرآن أو السنة أو الإجماع فهو رد**)، والقاعدة الأخرى: (**تفسير جمهور السلف مقدم على كل تفسير شاذ**).

2. لأن سياق الآيات يدل على أن المراد جبريل؛ لأنه وصفه بقوله: ﴿ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ۝ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴾ [سورة التكوير: 20-21]. وهي من الصفات المختصة بجبريل عليه السلام كما دل عليه قوله تعالى في سورة النجم: ﴿ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ۝ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ﴾ [سورة النجم : 5-6].

3. ولأن الآية نزلت في الرد على الذين قالوا: إن محمداً قال القرآن، فكيف يخبر الله أنه قوله، وإنما أراد جبريل. وأضاف القرآن إليه لأنه جاء به، وهو في الحقيقة قول الله تعالى.(2)

والله أعلم بالصواب

❁❁❁

(1) التسهيل لابن جزي 457/2

(2) التسهيل لابن جزي 457/2

الفصل الثالث: ترجيحات الشيخ القنوجي من أول سورة المطففين إلى آخر سورة الناس

سورة المطففين

مسألة: المراد بقوله تعالى:

﴿ كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ [سورة المطففين: 15-16]

أقوال المفسرين في الآية

فيه قولان:

1. المراد أنهم ممنوعون من النظر إلى وجهه الكريم.
2. المراد أنهم محجوبون من نظر الله إليهم برحمته وكرامته.(1)
3. المرادبه العموم.

رأي القنوجي

قال القنوجي: (كَلا) وقيل كلا بمعنى حقاً أي حقاً (إِنَّهُم) يعني الكفار (عَن رَّبِّهِمْ) أي عن رؤيته (يَوْمَئِذ) أي يوم القيامة (لَّمَحْجُوبُون) لا يرونه أبداً، قال مقاتل يعني أنهم بعد العرض والحساب لا ينظرون إلى ربهم نظر المؤمنين إِليه، ... قال الزجاج في هذه الآية دليل على أن الله عز وجل يرى في القيامة، ولولا ذلك ما كان في هذه الآية فائدة، وقال جل ثناؤه ﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ ﴿٢٣﴾ ﴾ [القيامة: ٢٢ – ٢٣]، فأعلم سبحانه أن المؤمنين ينظرون، وأعلم أن الكفار محجوبون. وقيل هو تمثيل لإهانتهم بإهانة من يحجب عن الدخول على الملوك، وقال قتادة وابن أبي مليكة(2): هو أن لا ينظر إليهم برحمته ولا يزكيهم، وقال مجاهد: محجوبون عن كرامته، **والأول أولى**.(3)

الدراسة

ذهب جمهور المفسرين إلى أن المراد أنهم محجوبون عن رؤية الله عزوجل، وهذا القول منسوب إلى ابن عباس ومقاتل والحسن ومالك بن أنس والشافعي،(4) ورجحه الزجاج(1) والواحدي.(2) ونسبه القرطبي إلى الجمهور،(3) ورجحه القنوجي وغيرهم.

---

(1) فتح البيان 132/15

(2) هو القاضي عبد الله بن عبيد الله التميمي المكي، من رجال الحديث الثقات، ولاه ابن الزبير قضاء الطائف. توفي سنة 117 من الهجرة. انظر: الأعلام للزركلي 102/4.

(3) المصدر السابق 132/15

(4) انظر: تفسير السمعاني 182/6

والقول الثاني أنهم محجوبون عن رحمة الله تعالى وكرامته، وهذا القول منسوب أيضاً إلى ابن عباس، وقتادة ومجاهد وابن أبي مليكة.(4) و رجحه الألوسي(5)

وذهب الطبري إلى أن القول بالعموم أولى، فقال: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله تعالى ذكره أخبر عن هؤلاء القوم أنهم عن رؤيته محجوبون. ويُحتمل أن يكون مرادًا به الحجاب عن كرامته، وأن يكون مرادًا به الحجاب عن ذلك كله، ولا دلالة في الآية تدلّ على أنه مراد بذلك الحجاب عن معنى منه دون معنى، ولا خبر به عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قامت حجته. فالصواب أن يقال: هم محجوبون عن رؤيته، وعن كرامته إذ كان الخبر عاما، لا دلالة على خصوصه.(6) ورجح ذلك ابن عاشور أيضاً.(7)

التعليق:

والراجح –والله أعلم- هو ما ذهب إليه الإمام الطبري من إرادة العموم أولى، لأن الله تعالى أطلق القول دون تخصيص الرؤية أو الكرامة أو الرحمة، والقاعدة الترجيحية تقول: (**العموم أولى من التخصيص**).

وليس ثمة ما يدل على تخصيص أمر دون آخر، فيحتمل أنهم محجوبون عن رؤية الله تعالى أو عن كرامته أو رحمته، ولا دلالة في القرآن ولا في السنة التي تدل على تخصيص ذلك، فوجب القول بالعموم، فيدخل فيها كل ذلك، وأعظمها رؤية الله تعالى.

والله أعلم بالصواب

---

(1) معاني القرآن للزجاج 299/5

(2) التفسير البسيط للواحدي 627/2

(3) تفسير القرطبي 261/19

(4)انظر: الكشاف للزمخشري 337/6 وتفسير القرطبي 205/19

(5) روح المعاني 280/15

(6) تفسير الطبري 290/24

(7) التحرير والتنوير 201/30

سورة الانشقاق

مسألة: المراد بالشفق في قوله تعالى: ﴿ فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلشَّفَقِ﴾ [سورة الانشقاق : 16].

أقوال المفسرين في المراد بالشفق

في المراد بالشفق أقوال:

أحدها: أنه شفق الليل وهو الحمرة **الثاني:** أنه بقية ضوء الشمس

الثالث: أنه ما بقي من النهار **الرابع:** أنه النهار.

الخامس: هو البياض.(1)

رأي القنوجي

قال القنوجي: والشفق الحمرة التي تكون بعد غروب الشمس إلى وقت صلاة العشاء الآخرة، قال الواحدي: هذا قول المفسرين وأهل اللغة جميعاً، قال الفراء: سمعت بعض العرب يقول: عليه ثوب مصبوغ كأنه الشفق وكان أحمراً، وحكاه القرطبي عن أكثر الصحابة والتابعين والفقهاء. وقال أسد بن عمرو(2) وأبو حنيفة رحمه الله: في إحدى الروايتين عنه أنه البياض، ولا وجه لهذا القول ولا متمسك له لا من لغة العرب ولا من الشرع، قال الخليل: الشفق الحمرة من غروب الشمس إلى وقت العشاء الآخرة. قال في الصحاح: الشفق بقية ضوء الشمس وحمرتها في أول الليل إلى قريب العتمة، وكتب اللغة والشرع مطبقة على هذا.(3) إذاً، الراجح عند القنوجي هو القول بأن المراد بالشفق هو الحمرة.

الدراسة

لقد ذهب جمهور المفسرين إلى أن المراد بالشفق: الحمرة، وقد ذكر القرطبي وغيره أسماء الصحابة والتابعين والفقهاء الذين ذهبوا إلى هذا القول، **قال القرطبي**: (بِٱلشَّفَقِ) أي بالحمرة التي تكون عند مغيب الشمس حتى تأتي صلاة العشاء الآخرة... وروى ابن وهب قال: أخبرني غير واحد عن علي بن أبي طالب ومعاذ بن جبل وعبادة بن الصامت وشداد بن أوس وأبي هريرة: أن الشفق الحمرة، وبه قال مالك بن أنس. وذكر غير ابن وهب من الصحابة: عمر وابن عمر وابن مسعود وابن

(1) النكت والعيون 237/6، وانظر: تفسير القرطبي 275/19

(2) هو أبو المنذر أسد بن عمرو بن عامر القشيري البجلي، قاضي من أهل الكوفة، من أصحاب أبي حنيفة، وهو أول من كتب كتب أبي حنيفة. ولي القضاء بواسط ثم ببغداد، وحجّ مع هارون الرشيد، توفي سنة 188هـ. انظر: الأعلام للزركلي 298/1

(3) فتح البيان 149/15

عباس وأنسا وأبا قتادة وجابر بن عبد الله وابن الزبير، ومن التابعين: سعيد بن جبير، وابن المسيب وطاووس، وعبد الله بن دينار، والزهري، وقال به من الفقهاء الأوزاعي ومالك والشافعي وأبو يوسف وأبو ثور وأبو عبيدة وأحمد وإسحاق وقيل: هو البياض، روي ذلك عن ابن عباس وأبي هريرة أيضا وعمر بن عبد العزيز والأوزاعي وأبي حنيفة في إحدى الروايتين عنه.... وروي عن ابن عمر أيضا أنه البياض والاختيار الأول؛ لأن أكثر الصحابة والتابعين والفقهاء عليه، ولأن شواهد كلام العرب والاشتقاق والسنة تشهد له.(1)

وقال **ابن جزي**: (بِالشَّفَقِ) هي الحمرة التي تبقى بعد غروب الشمس، وقال أبو حنيفة: هو البياض، وقيل: هو النهار كله. وهذا ضعيف والأول هو المعروف عند الفقهاء وعند أهل اللغة.(2) و هو الذي رجحه الشوكاني(3) والقنوجي.

إذاً، ذهب الجمهور إلى القول بأنه الحمرة، ولم يختر المفسرون غير هذا القول إلا ما ذهب إليه مجاهد من أن المراد هو النهار كله، مستدلا بما قرنه الله تعالى بعده من ذكر الليل ﴿ وَٱلَّيۡلِ وَمَا وَسَقَ ﴾ [الانشقاق: ١٧].(4) و أما ما ذهب إليه أبو هريرة و عمر بن عبد العزيز والأوزعي وأبوحنيفة رحمهم الله من أن المراد هو البياض بعد الحمرة، فلم يرجحه من المفسرين إلا الإمام الجصاص.(5)

التعليق

والراجح –والعلم عند الله- هو القول بأن المراد بالشفق هو الحمرة، وذلك لعدة أمور:

1. لأنه قول جمهور السلف، وهو مقدم على تفسير من جاء بعدهم، والقاعدة تقول: **(فهم السلف حجة على من بعدهم)**. وتقول: **(تفسير جمهور السلف مقدم على كل تفسير شاذ)**.
2. أن تفسيره بالحمرة يؤيده الحديث المروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم **(الشَّفَقُ الْحُمْرَةُ)**.(6) والقاعدة تقول: **(إذا ثبت الحديث وكان نصا في الآية فلا يصار إلى غيره)**، وتقـــول: **(إذا ثبت الحديث وكان في معنى أحد الأقوال فهو مرجح له على ما خالفه)**.

---

(1) تفسير القرطبي 19/274-275

(2) التسهيل لابن جزي 2/465

(3) فتح القدير 5/494

(4) تفسير ابن كثير 8/359

(5) أحكام القرآن للإمام الجصاص 5/371 تحقيق: محمد صادق القمحاوي، دار إحياء التراث العربي بيروت-1405 هـ

(6) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى 1/373، باب دخول وقت العشاء بغيبوبة الشفق، رقم الحديث: 1742، وصححه البيهقي موقوفا على ابن عمر.

3. لأنه دلت شواهد من كلام العرب على أن معنى الشفق هو الحمرة،(1) والقاعدة تقول: (**يجب حمل كلام الله تعالى على المعروف من كلام العرب دون الضعيف والمنكر**).

4. أنه يؤيده أصل اشتقاق الكلمة وتصريفها فيقدم على غيره،(2) والقاعدة تقول: (**ما يؤيده تصريف الكلمة وأصل اشتقاقها أولى بتفسير الآية**).

والله أعلم بالصواب

❁❁❁

سورة البروج

المسألة: المراد بالشاهد والمشهود في قوله تعالى: ﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ۝٣﴾ [البروج: ٣]

أقوال المفسرين في المراد بالشاهد والمشهود في هذه الآية

فيه ما يقارب ثلاثين قولاً منها:

أحدها: أن الشاهد: يوم الجمعة، والمشهود: يوم عرفة

الثاني: أن الشاهد: يوم الجمعة، والمشهود: يوم النحر

الثالث: أن الشاهد: الله عزّ وجلّ، والمشهود: يوم القيامة

الرابع: أن الشاهد: يوم عرفة، والمشهود: يوم القيامة

الخامس: أنّ الشّاهد: محمّد صلّى الله عليه وسلم، والمشهود: يوم القيامة

السادس: أن الشاهد: يوم القيامة، والمشهود: الناس

السابع: أن الشاهد: يوم الجمعة، والمشهود: يوم القيامة

الثامن: أن الشاهد: يوم التروية، والمشهود: يوم عرفة

التاسع: أن الشاهد: هو الله، والمشهود: بنو آدم

العاشر: أن الشاهد: محمد، والمشهود: يوم عرفة

الحادي عشر: أنّ الشاهد آدم، والمشهود: يوم القيامة

الثاني عشر: أن الشاهد: ابن آدم، والمشهود: يوم القيامة

الثالث عشر: أنّ الشاهد: آدم، وذريته، والمشهود يوم القيامة

الرابع عشر: أن الشاهد: الإنسان، والمشهود: الله عزّ وجلّ

---

(1) فالعرب تقول : عليه ثوب مصبوغ كأنه الشفق وكان أحمر. انظر: مفاتيح الغيب 101/31.

(2) لأن أصل كلمة الشفق بمعنى الرقة، يقال أشفق عليه، أي رق قلبه عليه. والشفق بقية ضوء الشمس وحمرتها. لأن الشمس يأخذ في الرقة والضعف عند بداية مغيبها، حتى تكون الحمرة شفقاً. انظر: تفسير القرطبي 274/19-275.

الخامس عشر: أن الشاهد: يوم النحر، والمشهود: يوم عرفة

السادس عشر: أنّ الشاهد: عيسى ابن مريم عليه السلام، والمشهود: أمته

السابع عشر: أنّ الشاهد: محمّد صلّى الله عليه وسلم، والمشهود: أمته

الثامن عشر: أن الشاهد: هذه الأمة، والمشهود: سائر الناس

التاسع عشر: أن الشاهد: الحفظة، والمشهود: بنو آدم

العشرون: أن الشاهد: الحق، والمشهود: الكون

الحادي والعشرون: أن الشاهد، الحجر الأسود، والمشهود: الحجّاج.

الثاني والعشرون: أنّ الشاهد: الأنبياء والمشهود: محمّد صلّى الله عليه وسلم

الثالث والعشرون: أنّ الشاهد: الله عزّ وجلّ، والملائكة، وأولو العلم، والمشهود: لا إله إلا الله

الرابع والعشرون: أنّ الشاهد: الأنبياء والمشهود: الأمم.

الخامس والعشرون: أن الشاهد: الجوارح، والمشهود النفس.(1)

رأي القنوجي

لقد أطال الشيخ القنوجي في تفسير هاتين الكلمتين، ففسرها في ما يقارب خمس صفحات، وذكر الأقوال المختلفة للصحابة والتابعين ومن بعدهم من أئمة التفسير مما ذكرناه.

قال القنوجي: وذهب جماعة من الصحابة والتابعين إلى أن الشاهد يوم الجمعة وأنه يشهد على كل عامل بما عمل فيه، والمشهود يوم عرفة لأنه يشهد الناس فيه موسم الحج وتحضره الملائكة، قال الواحدي وهذا قول الأكثر، قال ابن عباس: الشاهد يوم الجمعة والمشهود يوم عرفة وهو الحج الأكبر. ... ثم ذكر الأقوال الواردة عن السلف ثم قال: قلت وهذه التفاسير عن الصحابة رضي الله عنهم قد اختلفت كما ترى وكذلك اختلفت تفاسير التابعين بعدهم، واستدل من استدل منهم بآيات ذكر الله فيها أن ذلك الشيء شاهد أو مشهود، فجعله دليلاً على أنه المراد بالشاهد والمشهود في هذه الآية المطلقة، وليس ذلك بدليل يستدل به على أن الشاهد والمشهود المذكورين في هذا المقام هو ذلك الشاهد والمشهود الذي ذكر في آية أخرى، وإلا لزم أن يكون قوله هنا وشاهد ومشهود هو جميع ما أطلق عليه في الكتاب العزيز أو السنة المطهرة أنه يشهد أو أنه مشهود، وليس بعض ما استدلوا به مع اختلافه بأولى من بعض، ولم يقل قائل ذلك.

---

(1) انظر: تفسير الماوردي 241/6، وزاد المسير 423/4-425

فإن قلت: هل في المرفوع الذي ذكرته من حديثي أبي هريرة وحديث أبي مالك الأشعري وحديث جبير بن مطعم ومرسل سعيد بن المسيب ما يعين هذا اليوم الموعود والشاهد والمشهود؟

قلت: أما اليوم الموعود فلم تختلف هذه الروايات التي ذكر فيها بل اتفقت على أنه يوم القيامة، وأما الشاهد ففي حديث أبي هريرة الأول أنه يوم الجمعة وفي حديثه الثاني أنه يوم عرفة ويوم الجمعة، وفي حديث الأشعري أنه يوم الجمعة، وفي حديث جبير أنه يوم الجمعة وفي مرسل سعيد أنه يوم الجمعة فاتفقت هذه الأحاديث عليه، ولا تضر زيادة يوم عرفة عليه في حديث أبي هريرة الثاني.

وأما المشهود ففي حديث أبي هريرة الأول أنه يوم عرفة وفي حديثه الثاني أنه يوم القيامة وفي حديث أبي مالك أنه يوم عرفة وفي حديث جبير أنه يوم عرفة، وكذا في حديث سعيد، فقد تعين في هذه الروايات أنه يوم عرفة، وهي أرجح من تلك الرواية التي صرح فيها بأنه يوم القيامة، **فحصل من مجموع هذا رجحان ما ذهب إليه الجمهور من الصحابة والتابعين ومن بعدهم أن الشاهد يوم الجمعة والمشهود يوم عرفة.**(1)

الدراسة

تعددت أقوال المفسرين بالمراد بالشاهد والمشهود في هذه الآية، ولكل قول متمسك من القرآن الكريم أو السنة النبوية، ولذا توقف بعض المفسرين المراد بهما في الآية، ولم يرجح قولاً على آخر، ومن المفسرين الذين توقفوا ولم يرجحوا قولاً من هذه الآقوال: الإمام الطبري حيث قال: والصواب إطلاقه على كل ما يستحق أن يقال له شاهد ومشهود،(2) ومثله يقول القرطبي(3)والألوسي(4) وابن عاشور.(5) وغيرهم.

أما الشيخ القنوجي فقد حقق في تفسير هذه الآية بما ليس عليه مزيد، ولكنه أخذ كل ذلك عن الإمام الشوكاني بنصه وفصه.(6) والحق يقال، وهو أنه تحقيق جيد. حيث ذكر الأقوال والروايات كلها ثم حققها واحداً واحداً، وذكر الأحاديث الواردة في ذلك وبيّن ضعفها، وجمع بين بعضها، وأخيراً توصل إلى هذه النتيجة:

---

(1) فتح البيان 15/158-162

(2) تفسير الطبري 30/84

(3) تفسير القرطبي 19/188

(4) روح المعاني 30/156

(5) التحرير والتنوير 30/238

(6) فتح القدير 5/499-505، وانظر معه: فتح البيان 15/158-162

أما الشاهد ففي حديث أبي هريرة الأول أنه يوم الجمعة وفي حديثه الثاني أنه يوم عرفة ويوم الجمعة، وفي حديث الأشعري أنه يوم الجمعة، وفي حديث جبير أنه يوم الجمعة وفي مرسل سعيد أنه يوم الجمعة فاتفقت هذه الأحاديث عليه، ولا تضر زيادة يوم عرفة عليه في حديث أبي هريرة الثاني.

وأما المشهود ففي حديث أبي هريرة الأول أنه يوم عرفة وفي حديثه الثاني أنه يوم القيامة وفي حديث أبي مالك أنه يوم عرفة وفي حديث جبير أنه يوم عرفة، وكذا في حديث سعيد، فقد تعين في هذه الروايات أنه يوم عرفة، وهي أرجح من تلك الرواية التي صرح فيها بأنه يوم القيامة، فحصل من مجموع هذا رجحان ما ذهب إليه الجمهور من الصحابة والتابعين ومن بعدهم أن الشاهد يوم الجمعة والمشهود يوم عرفة.(1)

التعليق

والراجح –والله أعلم- أنه بعد أن قرأت تحقيق الشيخ الشوكاني والذي ذكره القنوجي في تفسيره بلفظه، توصلت إلى أن القول الذي رجحه الشوكاني والقنوجي من أن المراد بالشاهد يوم الجمعة وبالمشهود يوم عرفة، هو الراجح في هذه الآية وذلك لما يلي:

1. أن أكثر الروايات من الصحابة، ومنها المرفوع أيضاً تدل على أن الشاهد يوم الجمعة والمشهود يوم عرفة. والقول الذي أيّد بالأحاديث وأقوال الصحابة مقدم على كل قول آخر. والقاعدة تقول: إذا ثبت الحديث وكان نصا في الآية فلا يصار إلى غيره. وتقول: (**إذا ثبت الحديث وكان في معنى أحد الأقوال فهو مرجح له على ما خالفه**).
2. أن هذا القول اعتمده أكثر المفسرين من السلف، والقول الذي يعتمده أكثر السلف مقدم على غيره، والقاعدة تقول: (**تفسير جمهور السلف مقدم على كل تفسير شاذ**).

والله أعلم بالصواب

۞۞۞

المسألة: أين جواب القسم؟ في قوله تعالى:

﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلۡبُرُوجِ ۝١ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡمَوۡعُودِ ۝٢ وَشَاهِدٖ وَمَشۡهُودٖ ۝٣ قُتِلَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأُخۡدُودِ ۝٤﴾ [سورة البروج : 1-4] .

أقوال المفسرين في المسألة

وفي جواب القسم أقوال منها:

أحدها: أنه قوله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّ بَطۡشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾ [سورة البروج: 12].

(1) فتح البيان 15/158-162

الثاني: أنه قوله تعالى: ﴿ قُتِلَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأُخۡدُودِ ﴾ [سورة البروج:4].

الثالث: أنه قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُواْ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ ﴾ [سورة البروج: 10] .

الرابع: أنه متروك. وفي تركه أقوال: فقيل: تقديره، لتبعثن، وقيل: الجواب مقدر يدل عليه قوله تعالى: ﴿ قُتِلَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأُخۡدُودِ ﴾ أي: قتل قريش كما قتل أصحاب الأخدود. وقيل: هو مستغن عن الجواب.(1)

رأي القنوجي

قال القنوجي: ﴿ قُتِلَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأُخۡدُودِ ﴾ هذا جواب القسم واللام فيه مضمرة **وهو الظاهر**، ... وقيل تقديره لقد قتل فحذفت اللام وقد، وعلى هذا تكون الجملة خبرية والظاهر أنها دعائية لأن معنى قتل لعن،... في قول الجميع والدعائية لا تكون جواباً للقسم فقيل الجواب قوله ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُواْ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ ﴾ وقيل قوله ﴿ إِنَّ بَطۡشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴾ ... واعترض عليه بطول الفصل. وقيل هو مقدر يدل عليه قوله: ﴿ قُتِلَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأُخۡدُودِ ﴾ كأنه قال: أقسم بهذه الأشياء أن كفار قريش ملعونون كما لعن أصحاب الأخدود، فإن السورة وردت لتثبيت المؤمنين على أذاهم وتذكيرهم بما جرى على من قبلهم. وقيل تقدير الجواب أن الأمر حق في الجزاء، وقيل تقدير الجواب: لتبعثن،... وقيل: في الكلام تقديم وتأخير أي ﴿ قُتِلَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأُخۡدُودِ ﴾ ﴿ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلۡبُرُوجِ ﴾.(2)

فالراجح عند القنوجي هو أن جواب القسم قوله: ﴿ قُتِلَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأُخۡدُودِ ﴾ واللام مضمرة فيه.

الدراسة

اختلف المفسرون في جواب القسم في هذه السورة على أقوال كما ذكرنا، فذهب بعضهم إلى أنه قوله تعالى: ﴿ إِنَّ بَطۡشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴾ [سورة البروج: 12]. وما بينهما اعتراض قصد به التوطئة للمقسم عليه، وتوكيد التحقيق الذي أفاد القسم بتحقيق ذكر النظير.(3) وهو اختيار ابن مسعود، وقتادة، وغيرهم.(4) ورد بأنه قبيح، لتطويل الكلام بين القسم وجوابه.(5)

---

(1) زاد المسير لابن الجوزي 425/4، والتسهيل لابن جزي 468/2، وفتح البيان 162/15

(2) فتح البيان 162/15

(3) التحرير والتنوير لابن عاشور 240/30

(4) انظر : مفاتيح الغيب للرازي 109/31

(5) تفسير القرطبي 286/19

وذهب آخرون بأن جواب القسم هو قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُواْ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ﴾ [سورة البروج: 10] . و ما بينهما معترض، قصد به التوطئة للمقسم عليه وتوكيد التحقيق الذي أفاده القسم بتحقيق ذكر النظير.(1) ورد أيضاً لتطويل الكلام بين القسم وجوابه.(2)

وذهب آخرون بأن جواب القسم هو قوله تعالى: ﴿ قُتِلَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأُخۡدُودِ ﴾ [سورة البروج: 4]. حذفت اللام للطول بين القسم وجوابه، والتقدير : (لقد قُتِلَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأُخۡدُودِ) كما في قوله تعالى ذكره: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا﴾ [سورة الشمس : 9]. وهو اختيار أبو حيان،(3)والشوكاني.(4) وهو اختيار القنوجي أيضاً.

ومنهم من ذهب إلى أن جواب القسم محذوف لعلم السامع به ولدلالة ما بعده عليه وهو قوله: ﴿ قُتِلَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأُخۡدُودِ ﴾ [سورة البروج: 4]. والتقدير : لقد قتل كفار قريش كما قتل أصحاب الأخدود.(5) وهو اختيار الطبري والزمخشري.

قال الإمام الطبري: وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب قول من قال: جواب القسم في ذلك متروك، والخبر مستأنف؛ لأن علامة جواب القسم لا تحذفها العرب من الكلام إذا أجابته.(6)

وقال الزمخشري: فإن قلت: أين جواب القسم؟ قلت: محذوف يدل عليه قوله: ﴿ قُتِلَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأُخۡدُودِ﴾ كأنه قيل: أقسم بهذه الأشياء أنهم ملعونون، يعنى كفار قريش كما لعن أصحاب الأخدود، وذلك أن السورة وردت في تثبيت المؤمنين وتصبيرهم على أذى أهل مكة، وتذكيرهم بما جرى على من تقدّمهم: من التعذيب على الإيمان. وإلحاق أنواع الأذى، وصبرهم وثباتهم، حتى يأنسوا بهم ويصبروا على ما كانوا يلقون من قومهم، ويعلموا أن كفارهم عند الله بمنزلة أولئك المعذبين المحرقين بالنار، ملعونون أحقاء بأن يقال فيهم: قتلت قريش، كما قيل: قتل أصحاب الأخدود.(7)

التعليق

وأولى الأقوال بالصواب- والله أعلم- هو ما ذهب إليه الإمام الطبري ومن معه من أن جواب القسم محذوف، يدل عليه قوله تعالى: ﴿ قُتِلَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأُخۡدُودِ﴾، وذلك لما يلي:

---

(1) التحرير والتنوير 240/30.

(2) التسهيل لابن جزي 468/2

(3) البحر المحيط 443/10

(4) فتح القدير للشوكاني 499/5

(5) المحرر الوجيز 462/5

(6) تفسير الطبري 340/24

(7) الكشاف للزمخشري 729/4-730

1. أن هذا القول لا يقول بالحذف مطلقاً، إنما يقول بإثبات علامة القسم، فهو ليس مثل قول من قال بحذف الجواب مطلقاً ويكون تقديره (لتبعثن). **(وحمل الكلام على الإثبات أولى منه على الحذف).**
2. أن من عادة العرب أنهم لا يحذفون علامة جواب القسم.
3. أن السورة وردت في تثبيت المؤمنين على أذى أهل مكة، فيكون المراد تشبيه حال كفار مكة بحال أصحاب الأخدود، ويكون جواب القسم.

والله أعلم بالصواب

❁❁❁

سورة الطارق

مسألة: إلى أي شيء يعود الضمير المضاف إليه في قوله تعالى:

﴿إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجۡعِهِۦ لَقَادِرٞ ۝٨﴾ [سورة الطارق: 8].

أقوال المفسرين في معنى الآية

فيه ستة أقوال:

أحدها: على أن يرد المني في الإحليل **الثاني:** على أن يرد الماء في الصلب

الثالث: على أن يرد الإنسان من الكبر إلى الشباب، ومن الشباب إلى الصبا، ومن الصبا إلى النطفة.

الرابع: على أن يعيده حيّاً بعد موته. **الخامس:** على أن يحبس الماء فلا يخرج.

السادس: على أن يعيده إلى الدنيا بعد بعثه في الآخرة لأن الكفار يسألون الله فيها الرجعة.(1)

رأي القنوجي

قال القنوجي: (إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجۡعِهِۦ لَقَادِرٞ) الضمير في " إنه " يرجع إلى الله سبحانه بدلالة قوله **(خلق)** عليه، فإن الذي خلقه هو الله سبحانه، والضمير في رجعه عائد إلى الإنسان، والمعنى أن الله سبحانه على إعادة الإنسان بالبعث بعد الموت لقادر، هكذا قال جماعة من المفسرين.

وقال مجاهد: على أن يرد الماء في الإحليل، وقال عكرمة والضحاك: على أن يرد الماء في الصلب، وقال مقاتل بن حيان: يقول إن شئت رددته من الكبر إلى الشباب، ومن الشباب إلى الصبا، ومن الصبا إلى النطفة وقال ابن زيد: إنه على حبس ذلك الماء حتى لا يخرج لقادر، **والأول أظهر،** ورجحه ابن

(1) النكت والعيون 247/6

جرير والثعلبي والقرطبي.(1) فالراجح عند القنوجي هو: أن الله تعالى قادر على إعادة الإنسان بعد موته.

الدراسة

اختلف المفسرون في تفسير هذه الآية على أقوال كما ذكرنا، فذهب مجاهد وابن زيد إلى أن المراد به: أن الله قادر على حبس الماء الذي هو النطفة في الصلب أو الإحليل.(2)

ومنهم من ذهب إلى أن المراد: أن الله تعالى قادر على إعادة الإنسان من حال الكبر إلى حال الصغر، ومن حال الصغر إلى حال النطفة، ومن الشباب إلى الشيخوخة ومن الشيخوخة إلى الشباب. وهذا القول منقول عن الضحاك.(3)

وذهب الجمهور من المفسرين إلى أن المراد هو: أن الله تعالى قادر على إحياء الإنسان من بعد مماته. وهو قول ابن عباس وقتادة والحسن وعكرمة وغيرهم، من الصحابة والتابعين،(4) كما رجحه جماعة من المفسرين كالطبري(5) والبغوي(6) وابن عطية(7) والرازي(8) والقرطبي(9) وابن جزي(10) وأبو حيان(11) والشوكاني(12) وهو الذي اختاره القنوجي أيضا.

قال الطبري: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: معنى ذلك: إن الله على ردّ الإنسان المخلوق من ماء دافق من بعد مماته حيًّا، كهيئته قبل مماته لقادر. وإنما قلت: هذا أولى الأقوال في ذلك بالصواب؛ لقوله: ﴿ يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ ﴾ فكان في إتباعه قوله: ﴿ إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجْعِهِۦ لَقَادِرٌ ﴾ نبأ من أنباء القيامة، دلالة على أن السابق قبلها أيضًا منه، ومنه ﴿ يَوْمَ تُبْلَى

(1) فتح البيان 180/15

(2) تفسير الطبري 24/ 357

(3) المصدر السابق 358/24

(4) انظر: النكت والعيون 247/5، وتفسير ابن كثير 375/8-376

(5) تفسير الطبري 358/24

(6) تفسير البغوي 239/5

(7) المحرر الوجيز 466/5

(8) مفاتيح الغيب 121/31

(9) تفسير القرطبي 7/20

(10) التسهيل لابن جزي 472/2

(11) البحر المحيط 452/10

(12) فتح القدير 510/5

ٱلسَّرَآئِرُ ﴾ يقول تعالى ذكره: إنه على إحيائه بعد مماته لقادر يوم تُبلى السرائر، فاليوم من صفة الرجع، لأن المعنى: إنه على رجعه يوم تبلى السرائر لقادر.(1)

التعليق

والراجح – والله أعلم- هو ما ذهب إليه الجمهور ومنهم القنوجي، وهو أنه يراد به الحياة بعد الموت، وذلك لما يلي:

1. أن معهود القرآن الكريم و دعواه هو البعث بعد الموت والاستدلال له، وليس المراد إمكان قدرة الله تعالى على كل شيء، ولم يكن المشركون ينكرون قدرة الله تعالى على هذه الأشياء حتى يناقشهم القرآن الكريم في ذلك. والقاعدة تقول: (**تحمل معاني القرآن على أسلوبه ومعهود استعماله**).

2. يؤيد هذا القول توحيد الضمائر فيما بعده، حيث قال: ﴿ فَمَا لَهُۥ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ﴾ [سورة الطارق : 10] وهو راجع للإنسان قطعاً. والقاعدة تقول: (**توحيد مرجع الضمائر في السياق الواحد أولى من تفريقها**).

3. أن الآيات القرآنية الأخرى تفيد هذا المعنى الذي اختاره الجمهور مثل قوله: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ ﴾ [سورة الروم: 27]. وقوله جل ذكره : ﴿ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴾ [سورة يس: 79]. والقاعدة تقول: (**ما تؤيد بآيات قرآنية مقدم على ما عدم ذلك**).

4. والسياق أيضاً يدل على ترجيح ما ذكره الجمهور وذلك أن الله تعالى أتبع هذه الآية بقولـــه: ﴿ يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ ﴾ [سورة الطارق :9]. مما يدل على أنه يراد به الرجع في يوم القيامة. والسياق قرينة مرجحة كما تقول القاعدة: (**قرائن السياق مرجحة على ما خالفه**).

و بناء على هذه الأوجه أرى أن ما ذهب إليه الجمهور هو الراجح.

والله تعالى أعلم بالصواب

(1) تفسير الطبري 358/24

سورة الغاشية

المسألة : المراد بالضريع في قوله تعالى : ﴿لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ۝٦﴾ [الغاشية: ٦]

أقوال المفسرين في المراد بالضريع في هذه الآية

فيه عدة أقوال منها:

أحدها: أنها شجرة تسميها قريش الشِّبْرِق، كثيرة الشوك. **الثاني:** السّلم(1)

الثالث: أنها الحجارة **الرابع:** أنه النوى المحرق

الخامس: أنه شجر من نار **السادس:** أنه الزقوم.

السابع: أنه في الدنيا: الشوك اليابس الذي ليس له ورق، وهو في الآخرة شوك من نار.

الثامن: أن الضريع بمعنى المضروع، وهو طعام يضرعون إلى الله تعالى طلباً للخلاص منه.

التاسع: هو بعض ما أخفاه الله من العذاب.

العاشر: أنه واد في جهنم.(2)

رأي القنوجي

قال القنوجي: هو نوع من الشوك لا ترعاه دابة لخبثه يقال له الشبرق في لسان قريش إذا كان رطباً فإذا يبس فهو الضريع، كذا قال مجاهد، وقتادة وغيرهما من المفسرين، قيل وهو سم قاتل، وإذا يبس لا تقربه دابة ولا ترعاه، وقيل هو شيء يرمى به البحر يسمى الضريع من أقوات الأنعام لا من أقوات الناس، فإذا رعت منه الإبل لا تشبع وتهلك هزالاً. قال الخليل الضريع نبات أخضر منتن الريح يرمى به البحر، **وجمهور أهل اللغة والتفسير قالوا بالأول**.(3) فالراجح عند القنوجي أن المراد به الشبرق.

الدراسة

اختلف المفسرون في المراد بالضريع في هذه الآية، فذهب الجمهور ، وعلى رأسهم ابن عباس أن المراد به شجرة كثيرة الشوك تسميها قريش الشبرق، وهو قول مجاهد وقتادة وعكرمة، وهو قول جمهور أهل اللغة والتفسير. وهو الذي اختاره الطبري(4) والواحدي(5) والسمعاني (1) والقرطبي(2) وقال

---

(1) هو شَجر من الْعضَاة يدبغ بِهِ واحدته سَلمَة. انظر: المعجم الوسيط ص 446

(2) انظر: تفسير الماوردي 259/6-260، وزاد المسير 435/4، وفتح البيان 202/15

(3) فتح البيان 202/15

(4) تفسير الطبري 384/24

(5) الوجيز للواحدي ص 1196

ابن جزي عن هذا القول: وهذا أرجح لأقوال لأن أرباب اللغة ذكروه ولأن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **الضريع شوك في النار**.(3)

وذهب سعيد بن جبير إلى أن المراد به الحجارة، وقال ابن زيد: إنه شجر من نار، ونقل عن الحسن أنه بعض ما أخفاه الله من العذاب، كما نقل عنه أيضاً أنه الزقوم. وقيل: إنه واد في جهنم.(4)

التعليق

والراجح –والله أعلم- هو ما ذهب إليه الجمهور –ومنهم القنوجي- من أن المراد بالضريع: شجرة كثيرة الشوك التي يسميها قريش: الشبرق، وإنما قلنا إن هذا القول راجح لما يلي:

1. لأن عامة المفسرين وجمهور أهل اللغة قالوا بذلك. والقاعدة تقول: (**تفسير جمهور السلف مقدم على كل تفسير شاذ**)

2. ولأنه يمكن أن يطعمه الإنسان بخلاف ما قيل إن المراد به واد في جهنم أو الحجارة أو غير ذلك مما لا يمكن أن يكون طعاماً، والآية تصرح أنه من الطعام.

3. أنه المعروف عند العرب، والمخاطبون الأول بالقرآن الكريم. والقاعدة تقول: (**تحمل نصوص الكتاب على معهود الأميين من الخطاب**)، وتقول: (**يحمل كلام الله على المعروف من كلام العرب دون الشاذ والضعيف والمنكر**). وتقول: (**حمل معاني كلام الله على الغالب من أسلوب القرآن ومعهود استعماله أولى من الخروج به عن ذلك**)

والله أعلم بالصواب

۞۞۞

سورة البلد

المسألة: المراد بالبلد في قوله تعالى: ﴿لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ۝١﴾ [البلد: ١]

أقوال المفسرين في المراد بالبلد في هذه الآية

فيه ثلاثة أقوال:

أحدهما: مكة

---

(1) تفسير السمعاني 214/6

(2) تفسير القرطبي 20/29-30

(3) التسهيل لابن جزي 476/2، والحديث لم أجده في متون الحديث ولا في التفاسير المسندة. وقال عنه الثعالبي: وهذا إن صح فلا يعدل عنه. انظر: الجواهر الحسان للثعالبي 583/5

(4) انظر: مفاتيح الغيب 140/31، والمحرر الوجيز 473/5، وتفسير القرطبي 20/29-30، والتحرير والتنوير 297/30.

الثاني: الحرم كله(1)

الثالث: المدينة (2)

رأي القنوجي

قال القنوجي: قال الواحدي: أجمع المفسرون على أن هذا قسم بالبلد الحرام وهو مكة، وبه قال ابن عباس... وقال الواسطي: إن المراد بالبلد المدينة وهو مع كونه خلاف إجماع المفسرين هو أيضاً مدفوع بكون السورة مكية لا مدنية.(3) فالراجح عند القنوجي هو أن المراد مكة المكرمة.

الدراسة

ذهب جمهور المفسرين بل وقع الإجماع منهم على أن المراد بالبلد في هذه الآية هو مكة المكرمة، و ممن نقل عنهم التصريح على هذا القول من الصحابة والتابعين ابن عباس، قتادة، ومجاهد، وعطاء، وابن زيد، وسعيد بن جبير، وأبو صالح، وعطية وغيرهم.(4) وذكر المفسرون الإجماع على هذا القول، وممن حكى الإجماع على أن المراد بالبلد هي مكة:

قال ابن عطية في المحرر الوجيز: ولا خلاف بين المفسرين أن البلد المذكور هو مكة. (5)

وقال الخازن: والبلد هي مكة في قول جميع المفسرين.(6)

وقال السمعاني: هو مكة في قول الجميع.(7)

وقال الواحدي: أجمع المفسرون على أن هذا قسم بالبلد الحرام، والسورة نازلة بها.(8)

وبمثله قال الرازي (9)والقرطبي (10) والشوكاني (11) وغيرهم.

---

(1) انظر: تفسير الماوردي 274/6

(2) انظر: تفسير القرطبي 59/19، وفتح القدير 442/5

(3) فتح البيان 236/15

(4) انظر: جامع البيان 30/ 193، وبحر العلوم 3/ 479، والكشف والبيان 13/ 95 ، ومعالم التنزيل4/ 488، وزاد المسير 8/ 250، وتفسير القرآن العظيم 4/ 546.

(5) المحرر الوجيز 5/ 483

(6) تفسير الخازن 429/4

(7) تفسير السمعاني 225/6

(8) الوسيط للواحدي 7/24

(9) مفاتيح الغيب 180/31

(10) تفسير القرطبي 20/ 60،

(11) فتح القدير 442/5

وهناك من شذ فقال: إنها مدنية، قال القرطبي: والأول أصح؛ لأن السورة نزلت بمكة باتفاق.(1) باتفاق.(1) وقال الشوكاني: وهو مع كونه خلاف إجماع المفسرين، هو أيضًا مدفوع بكون السورة مكية لا مدنية. (2) وعليه ما ذكر من الإجماع فصحيح، ولا عبرة فيمن شذ، وقد رد ذلك الشيخ القنوجي أيضاً بمثل ما قاله الشوكاني.

وقد ذكر الماوردي أن البلد الحرام مكة، وساق قولاً آخر، وهو أنه الحرم كله.(3) وليس هناك فرق بين القولين، ولذا عدّهما الكثيرون قولاً واحداً.

التعليق

والراجح –والله أعلم- هو ما ذهب إليه الجمهور؛ لأنه وقع الإجماع عليه، وما وقع عليه الإجماع مقدم على كل قول آخر، والقاعدة تقول: (**كل تفسير خالف القرآن أو السنة أو الإجماع فهو رد**)، كما أن هذا القول منقول عن جمهور السلف، والقاعدة تقول: (**تفسير جمهور السلف مقدم على كل تفسير شاذ**).

وأيضاً فإن السورة مكية باتفاق المفسرين، إلا من شذّ، وكونها مكية تضعف القول بأن المراد بالبلد المدينة المنورة؛ لأن الآية التي بعدها ﴿وَأَنتَ حِلٌّۢ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ۝٢﴾ [البلد: ٢]، تفيد أن النبي -صلى الله عليه وسلم- ساكن بهذا البلد، وفي حين نزول هذه السورة كان ساكناً في مكة ولم يكن ساكناً بالمدينة، وهذا من قرائن السياق، والقاعدة تقول: (**القول الذي تؤيده قرائن في السياق مرجح على ما خالفه**) وتقول: (**إدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أولى من الخروج به عنهما إلا بدليل**). وتقول: (**قرائن السياق مرجحة على ما خالفه**).

والله أعلم بالصواب

۞۞۞

سورة الضحى

المسألة : سبب نزول سورة الضحى، وقوله تعالى : ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣﴾ [الضحى: ٣]

أقوال المفسرين في سبب نزول هذه السورة

وردت في سبب نزول هذه السورة ثلاث روايات:

---

(1) تفسير القرطبي 59/20، وممن قال إنها مكية وحكى الإجماع في ذلك: ابن الجوزي في زاد المسير8/ 250، وقال أبو حيان: هذه هذه السورة مكية في قول الجمهور. انظر: البحر المحيط474/8.

(2)"فتح القدير" 5/ 442.

(3) تفسير الماوردي 6/ 274

الأولى:

أخرج البخاري ومسلم في الصحيحين من حديث جندب بن سفيان رضي الله عنه قال: (**اشتكى النبي صلى الله عليه وسلم، فلم يقم ليلة - أو ليلتين - فأتته امرأة، فقالت: يا محمد ما أرى شيطانك إلا قد تركك، فأنزل الله عز وجل:** ﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾ [الضحى: ١ – ٣](1)

الثانية:

أخرج الطبري عن ابن عباس قال: **لما نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن أبطأ عنه جبريل أياما فتغير بذلك فقالوا: ودّعه ربه وقلاه فأنزل الله تعالى:** ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾ [الضحى: ٣].(2)

الثالثة:

أخرج الطبراني في الكبير: **أن جروا دخل البيت ودخل تحت السرير ومات فمكث نبي الله صلى الله عليه وسلم، أياما لا ينزل عليه الوحي، فقال: " يا خولة ما حدث في بيت رسول الله جبريل لا يأتيني فهل حدث في بيت رسول الله حدث فقلت: والله ما أتى علينا يوم خير من يومنا فأخذ برده فلبسه وخرج فقلت: لو هيأت البيت، وكنسته فأهويت بالمكنسة تحت السرير فإذا شيء ثقيل فلم أزل حتى أخرجته فإذا بجرو ميت فأخذته بيدي فألقيته خلف الدار فجاء نبي الله ترعد لحييه، وكان إذا أتاه الوحي أخذته الرعدة فقال: " يا خولة دثريني فأنزل الله:** ﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾ [الضحى: ١ – ٣] (3)

رأي القنوجي

قال القنوجي: وأخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن جندب البجلي قال: (**اشتكى النبي - صلى الله عليه وسلم - فلم يقم ليلتين أو ثلاثة فأتته امرأة فقالت يا محمد ما أرى شيطانك إلا قد تركك فلم يقربك ليلتين أو ثلاثة فأنزل الله:** ﴿وَٱلضُّحَىٰ﴾).

---

(1) صحيح البخاري 182/6، كتاب فضائل القرآن (66)، باب كيف نزل الوحي، وأول ما نزل، رقم الحديث: (4983). ورواه مسلم 1422/3 كتاب الجهاد والسير (32) باب ما لقي النبي صلى الله عليه وسلم من أذى المشركين والمنافقين، رقم الحديث: (1797)

(2) أخرجه الطبري 486/24

(3) المعجم الكبيرللإمام أبي القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، دار النشر: مكتبة ابن تيمية – القاهرة، الطبعة الثانية، 1415هـ 1994م 24/ 249، رقم الحديث: (636).

وعن جندب قال: (**أبطأ جبريل عن النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال المشركون قد ودع محمد - صلى الله عليه وآله وسلم - فنزلت** (مَاوَدَّعَكَ) **وعنه قال: " احتبس جبريل عن النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - فقالت بعض بنات عمه ما أرى صاحبك إلا قد قلاك، فنزلت:** ﴿وَٱلضُّحَىٰ﴾ وقيل في سبب نزولها غير ذلك **وما ذكرنا هو الأولى**.(1) فعلم أن الشيخ القنوجي رجح ما أخرجه البخاري ومسلم، وأشار إلى الروايات الأخرى، ولكن تركها لكونها مرجوحة عنده.

الدراسة

لقد ذكر المفسرون عدة أسباب في سبب نزول هذه السورة، وحقق القول فيها الحافظ ابن حجر العسقلاني(2) -رحمه الله- في فتح الباري ونذكر هاهنا ملخصه:

1. إن حديث جندب الذي رواه البخاري أن سبب نزول السورة هو شكوى النبي صلى الله عليه وسلم صحيحة ثابتة في البخاري، ولكن لم ترد الشكوى بعينها، ومن فسرها بأصبعه التي دميت لم يصب في ذلك.

2. إن رواية الطبراني من أن سبب نزول هذه السورة هي وجود جرو كلب تحت سريره صلى الله عليه وسلم، ولم يشعر بذلك، فأبطأ عنه جبريل، فقال عن هذه الرواية: إن قصة إبطاء جبريل بسبب كون الكلب تحت سريره مشهورة لكن كونها سبب نزول هذه الآية غريب، بل شاذ مردود بما في الصحيح، وقال أيضاً: إن في إسناد هذه الرواية من لا يعرف.

3. و أما ما أخرجه الطبري عن ابن عباس: لما نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن أبطأ عنه جبريل أياماً فتغير بذلك فقالوا ودعه ربه وقلاه فأنزل الله تعالى ...

فقال عنها: وكل هذه الروايات لا تثبت والحق أن الفترة المذكورة في سبب نزول والضحى غير الفترة المذكورة في ابتداء الوحي فإن تلك دامت أياما وهذه لم تكن إلا ليلتين أو ثلاثا فاختلطتا على بعض الرواة وتحرير الأمر في ذلك ما بينته وقد أوضحت ذلك في التعبير ولله الحمد.

4. وأما ما قيل من أن المشركين لما سألوا النبي صلى الله عليه وسلم عن ذي القرنين والروح وغير ذلك ووعدهم بالجواب ولم يستثن فأبطأ عليه جبريل اثنتي عشرة ليلة أو أكثر فضاق صدره وتكلم المشركون فنزل جبريل بسورة والضحى.

فقال عنها أيضاً: وذكر سورة الضحى هنا بعيد لكن يجوز أن يكون الزمان في القصتين متقارباً فضم

---

(1) فتح البيان 274/15

(2)هو الإمام أبي الفضل أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي بن أحمد الكناني العسقلاني، المصري المولد والمنشأ والدار، والوفاة الشافعي ويعرف بابن حجر شهاب الدين، مؤرخ، أديب، شاعر. من تصانيفه، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، الإصابة في تمييز الصحابة، توفى 852هـ انظر: معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة 2/20-22

بعض الرواة إحدى القصتين إلى الأخرى وكل منهما لم يكن في ابتداء البعث وإنما كان بعد ذلك بمدة والله أعلم.(1)

التعليق

والراجح –والله أعلم- هو ما ذهب إليه القنوجي، وحقق القول فيها الحافظ ابن حجر، وهو ترجيح رواية البخاري على الروايات الأخرى؛ لأن الروايات الأخرى بعضها ضعيف صرح بعضفها العلماء، وبعضها إن لم تكن ضعيفة فإنها لا تساوي في القوة ما أخرجه الشيخان، ولذا يقدم في سبب نزول هذه السورة ما أخرجه الشيخان، وما روي غير ذلك فلا يخلو من كلام.

قال الشيخ الزرقاني(2) : ولا طريق لمعرفة أسباب النزول إلا النقل الصحيح.(3) وعلى هذا عمل الأئمة الأعلام كالإمام الطبري فإنه يعرض عن اعتماد سبب نزول أية لأجل ضعفه، ويرجح غيره من الأقوال معللاً ذلك بعدم ثبوت الخبر من طريق صحيح متصل السند.(4)

والله أعلم بالصواب

۞۞۞

سورة التين

المسألة : المراد بالتين والزيتون في قوله تعالى : ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ۝١﴾ [التين: ١]

أقوال المفسرين في المراد بالتين والزيتون

فيه عدة أقوال:

أحدها: أنهما التين والزيتون المأكولان، والمعروفان.

الثاني: أن التين دمشق، والزيتون بيت المقدس.

الثالث: أن التين مسجد دمشق، والزيتون مسجد بيت المقدس أو أن التين: المسجد الحرام، والزيتون: المسجد الأقصى، أو أن التين: مسجد أصحاب الكهف، والزيتون: مسجد إيليا، أو أن التين مسجد نوح عليه السلام الذي بني على الجودي، والزيتون مسجد بيت المقدس.

---

(1) انظر: فتح الباري 710/8

(2) هو محمد بن عبد العظيم الزرقاني، من علماء الأزهر الشريف، بمصر، تخرج في كلية أصول الدين، ودرّس بها، له مناهل العرفان في علوم القرآن، توفي سنة 1367هـ. انظر: الأعلام للزركلي 210/6

(3) مناهل العرفان في علوم القرآن للشيخ محمد عبد العظيم الزُّرْقاني، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، الطبعة الثالثة، 114/1

(4) انظر مثلاً: تفسير الطبري 268/7

الرابع: الجبل الذي عليه التين، والجبل الذي عليه الزيتون، أو أن التين: جبال ما بين حلوان إلى همذان، والزيتون: جبال الشام.

الخامس: أراد بهما نعم الله على عباده التي منها التين والزيتون؛ لأن التين طعام، والزيتون إدام.(1)

رأي القنوجي

قال القنوجي: (وَٱلتِّينِ) قال أكثر المفسرين هو التين الذي يأكله الناس، وإنما أقسم بالتين؛ لأنه فاكهة مخلصة من شوائب التنغيص، وفيها أعظم عبرة لدلالتها على من هيأها لذلك وجعلها على مقدار اللقمة.

ثم ذكر الأقوال التي ذكرناها فيما سبق، والتي تحمل هذه الكلمة على المعاني المجازية،ونسبها إلى أصحابها من الصحابة والتابعين، ثم قال:

(وَٱلزَّيْتُونِ) وهو الذي يعصرون منه الزيت الذي هو إدام غالب البلدان ودهنهم ويدخل في كثير من الأدوية.

ثم ذكر الأقوال الأخرى التي تحمل هذه الكلمة على المعاني المجازية، ونسبها إلى أصحابها من الصحابة والتابعين، ثم ردّ ردّاً شديداً على هؤلاء المفسرين الذين فسروا هاتين الكلمتين على خلاف ما يدل عليه ظاهر الألفاظ، كما ردّ أيضاً على من رجحها فقال:

وليت شعري ما الحامل لهؤلاء الأئمة على العدول عن المعنى الحقيقي في اللغة العربية والعدول إلى هذه التفسيرات البعيدة عن المعنى، المبنية على خيالات لا ترجع إلى عقل ونقل، وأعجب من هذا اختيار ابن جرير للآخر منها مع طول باعه في علم الرواية والدراية، قال الفراء: سمعت رجلاً يقول: التين جبال حلوان إلى همدان، والزيتون جبال الشام.

قلت: هب إنك سمعت هذا الرجل فكان ماذا؟ فليس بمثل هذا تثبت اللغة، ولا هو نقل عن الشارع... قال النحاس: لا دليل على هذا من ظاهر التنزيل ولا من قول من لا يجوز خلافه.(2) فمن خلال ردّ الشيخ على التفسيرات التي هي على خلاف الظاهر، وتقديم المعنى الحقيقي للكلمتين يتبين أن الراجح لديه هو أن التين والزيتون هما الفاكهتان المأكولتان المعروفتان.

الدراسة

اختلف المفسرون في تفسير كلمتي (التين والزيتون) على أقوال، وخلاصتها أنهم اختلفوا في كونها تحمل على الحقيقة أم على المجاز، فذهب الجمهور على أنه تحمل على الحقيقة، و هاتين

(1)انظر: تفسير الماوردي 300/6-301، وزاد المسير 463/4

(2) فتح البيان 299/15-300

الكلمتين ليستا بكناية عن معنى آخر، وهذا القول منسوب إلى ابن عباس والحسن وعطاء وعكرمة ومجاهد وجابر بن زيد و إبراهيم.

والذين قالوا بأنهما تحملان على المعاني الكنائية أيضاً لم يتفقوا على معنى واحد، إنما اختلفوا فيها على أقوال كثيرة أساسها ثلاثة أُقوال:

- أن المراد بها مدن.
- أن المراد بها جبال.
- أن المراد بها مساجد.

فالذين قالوا بأن المراد بها مدن قالوا: إن المراد بالتين: دمشق، وبالزيتون: بيت المقدس، وبهذا قال كعب الأحبار وابن زيد. ورجحه ابن جزي(1) والألوسي(2) والقاسمي،(3) و جعله الطبري قولاً محتملاً، وقال: أراد منابت التين ومنابت الزيتون، وهما دمشق وبيت المقدس.(4) وإليه مال ابن كثير أيضاً.(5)

ومن قال إن المراد بهما جبال: فقيل: إن المراد بالتين: هو الجبل الذي عليه التين، وبالزيتون: الجبل الذي عليه الزيتون، قاله ابن قتيبة، وقيل: هما جبلان بالشام: أحدهما: طور زيتا، والآخر: طور تينا، وهو قول الربيع. واختاره الواحدي(6) وحكى ابن الأنباري: أنهما جبلان بين حلوان وهمدان.

ومن قال إن المراد بهما مساجد: فقيل: إن التين يراد به: مسجد دمشق، والزيتون: يراد به مسجد بيت المقدس، قاله قتادة وكعب والحارث وابن زيد، وقيل: التين: المسجد الحرام، والزيتون: المسجد الأقصى، قاله الضحاك، وقيل: إن التين مسجد أصحاب الكهف، والزيتون: مسجد إيليا، قاله محمد بن كعب، وقيل: التين: مسجد نوح عليه السلام الذي بني على الجودي، والزيتون مسجد بيت المقدس. رواه عطية ابن عباس، وضعفه القنوجي.(7)

هذه خلاصة ما ذكره المفسرون، وقد رجح القول الأول جمهور المفسرين منهم:

---

(1) التسهيل لابن جزي 494/2

(2) روح المعاني 393/15

(3) محاسن التأويل للقاسمي 498/9

(4) تفسير الطبري 503/24

(5) تفسير القرآن العظيم 434/8

(6) الوجيز للواحدي ص 1214

(7) تفسير الماوردي 300/6-301، وزاد المسير 463/4، والقرطبي 82/20

الإمام الطبري حيث قال: والصواب من القول في ذلك عندنا: قول من قال: التين: هو التين الذي يُؤكل، والزيتون: هو الزيتون الذي يُعصر منه الزيت، لأن ذلك هو المعروف عند العرب، ولا يُعرف جبل يسمى تينا، ولا جبل يقال له زيتون، إلا أن يقول قائل: أقسم ربنا جلّ ثناؤه بالتين والزيتون. والمراد من الكلام: القسم بمنابت التين، ومنابت الزيتون، فيكون ذلك مذهبا، وإن لم يكن على صحة ذلك أنه كذلك دلالة في ظاهر التنزيل، ولا من قول من لا يجوّز خلافه، لأن دمشق بها منابت التين، وبيت المقدس منابت الزيتون.(1) واختاره الثعلبي(2) والزمخشري(3) وابن عاشور(4) والشنقيطي.(5)

وقال أبو حيان: والظاهر أن التين والزيتون هما المشهوران بهذا الاسم.(6)

وقال أبو السعود: هما هذا التين وهذا الزيتون خصهماالله سبحانه من بين الثمار بالإقسام بهما لاختصاصهما بخواص جليلة.(7)

وقال الشوكاني -وكلامه يشبه كلام القنوجي تماماً بل هو هو-: وليت شعري ما الحامل لهؤلاء الأئمة على العدول عن المعنى الحقيقي في اللغة العربية، والعدول إلى هذه التفسيرات البعيدة عن المعنى المبنية على خيالات لا ترجع إلى عقل ولا نقل، وأعجب من هذا اختيار ابن جرير للآخر منها مع طول باعه في علم الرواية والدراية. قال الفراء: سمعت رجلا يقول: التين: جبال حلوان إلى همدان، والزيتون: جبال الشام. هب أنك سمعت هذا الرجل، فكان ماذا؟ فليس بمثل هذا تثبيت اللغة، ولا هو نقل عن الشارع.(8)

التعليق

والراجح –والله أعلم- هو ما ذهب إليه القنوجي من أن التين والزيتون يحمل على معانيهما الحقيقة، وأن المراد بهما الفاكهتان المأكولتان المعروفتان، وذلك لما يلي:

1. إن الأصل في الكلام هو أن يحمل على الحقيقة، وأن يحمل على المعنى الظاهري، ولا يجوز العدول

(1) تفسير الطبري 503/24

(2) الكشف والبيان 238/10

(3) الكشاف 773/4

(4) التحرير والتنوير 420/30

(5) أضواء البيان 3/9

(6) البحر المحيط 502/10

(7) إرشاد العقل السليم 174/9

(8) فتح القدير للشوكاني 566/5

عن الظاهر إلا بقرينة موجبة، والقاعدة الترجيحية تقول: (**الأصل حمل نصوص الوحي على ظواهرها إلا لدليل**). وتقول: (**لا يجوز العدول عن ظاهر القرآن إلا بدليل يجب الرجوع إليه**).

2. أن هذا المعنى هو المعروف المعهود عند العرب، والمخاطبين الأول بالقرآن الكريم، والقاعدة تقول: (**تحمل نصوص الكتاب على معهود الأميين من الخطاب**). وتقول: (**يحمل كلام الله على المعروف من كلام العرب دون الشاذ والضعيف والمنكر**). وتقول: (**حمل معاني كلام الله على الغالب من أسلوب القرآن ومعهود استعماله أولى من الخروج به عن ذلك**).

3. إن كلمة الزيتون –خاصة- استعملت في القرآن الكريم على معناه الحقيقي، وأنها شجرة من الأشجار، ونوع من الفواكه، وهو الغالب في استعمال القرآن، و أول ما يتبادر إلى الذهن عند الورود، ومن قواعد التفسير: (**أن اللفظ إذا احتمل معان عدة، وأحدها هو الغالب في القرآن استعمالاً فإنه يقدّم**).

4. وأيضاً فإن هذا التفسير مأخوذ من دلالة ألفاظ القرآن الكريم، وهو الظاهر من الألفاظ كما نص عليه بعض المفسرين، والقاعدة تقول: (**كل تفسير ليس مأخوذاً من دلالة ألفاظ الآية وسياقها فهو ردّ على قائله**).

5. وأخيراً: إن هذا هو اختيار المحققين من المفسرين كابن جرير والزمخشري والقرطبي و أبو حيان وأبو السعود والشوكاني والقنوجي وابن عاشور والشنقيطي وغيرهم.

والله أعلم بالصواب

۞۞۞

مسألة: لمن الخطاب؟ في قوله تعالى:

﴿ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِٱلدِّينِ ﴾ [سورة التين : 7] .

أقوال المفسرين في المسألة

في المخاطب بهذه الآية قولان:

أحدهما: النبي صلى الله عليه وسلم. الثاني: الإنسان الكافر.(1)

رأي القنوجي

قال القنوجي: ﴿ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِٱلدِّينِ ﴾ **الخطاب للإنسان الكافر** والإستفهام للتقريع والتوبيخ ولإلزام الحجة أي إذا عرفت أيها الإنسان أن الله خلقك في أحسن تقويم وأنه يردك أسفل

(1) المحرر الوجيز 500/5

سافلين، فما يحملك على أن تكذب بالبعث والجزاء، وعليه ينبغي أن يذهب إلى الإلتفات من الغيبة إلى الخطاب لما جرى من قوله ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ ﴾ وعليه جرى في الكشاف. وقيل الخطاب للنبي صلى الله عليه وآله وسلم أي أي شيء يكذبك يا محمد بعد ظهور هذه الدلائل الناطقة فاستيقن مع ما جاءك من الله أنه أحكم الحاكمين، وإلى هذا ذهب القاضي(1) وقدمه على القول الأول. قال الفراء المعنى فمن يكذبك أيها الرسول بعد هذا البيان بالدين كأنه قال من يقدر على ذلك أي على تكذيبك بالثواب والعقاب بعد ما ظهر من قدرتنا على خلق الإنسان ما ظهر، واختار هذا ابن جرير، والدين الجزاء.(2) إذا يعرف من رأي القنوجي أنه رجح القول الأول؛ لأنه ذكره بصيغة الجزم، وذكر الأقوال الأخرى بصيغة التمريض.

الدراسة

اختلف المفسرون في المخاطب بهذه الآية على قولين كما ذكرنا، فذهب بعضهم إلى أنه خطاب للرسول صلى الله عليه وسلم، وهذا قول قتادة وغيره، واختاره الطبري، حيث قال: وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب قول من قال: معنى "ما" معنى "مَنْ"، ووجه تأويل الكلام إلى: فمن يكذبك يا محمد بعد الذي جاءك من هذا البيان من الله بالدين؟ يعني: بطاعة الله، ومجازاته العباد على أعمالهم. وقد تأوّل ذلك بعض أهل العربية بمعنى: فما الذي يكذّبك بأن الناس يدانون بأعمالهم؟ وكأنه قال: فمن يقدر على تكذيبك بالثواب والعقاب، بعد ما تبين له خلقنا الإنسان على ما وصفنا.(3)

وذهب الجمهور إلى أن المخاطب هو الإنسان الكافر، والمعنى فما يكذبك أيها الإنسان بعد هذه الحجج التي احتججنا بها تكذب بطاعة الله تعالى وما بعث به رسوله من الحق والبعث بعد الموت ومجازاة الأعمال.(4) وممن ذهب إلى هذا القول مجاهد وعكرمة وغيرهما(5) ورجحه السمعاني(6) وأبو حيان(7) والقرطبي(8) وابن عاشور(1) وغيرهم، وهو الذي رجحه القنوجي.

---

(1) يقصد القاضي البيضاوي، انظر: تفسير البيضاوي 323/5

(2) فتح البيان 305/15

(3) تفسير الطبري 515/24

(4) المصدر السابق 514/24

(5) تفسير ابن كثير 435/8

(6) تفسير السمعاني 254/6

(7) البحر المحيط 504/10

(8) تفسير القرطبي 116/20

التعليق

والراجح -والله أعلم- هو ما ذهب إليه الجمهور من أن الخطاب للإنسان الكافر، وذلك لما يلي:

1. أن كلمة الإنسان مذكورة قبل هذه الآيةفي قوله: ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾ [سورة التين : 4] ولكنه عام في جنس الإنسان، ثم استثناه بقوله: ﴿ إِلا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ فلم يبق إلا الإنسان المكذب، فخاطبه على طريقة الالتفات للتوبيخ.(2) فعلى هذا، قول الجمهور موافق للسياق. والقاعدة تقول: (**القول الذي تؤيده قرائن في السياق مرجح على ما خالفه**).

2. من عادة القرآن الكريم أنه عندما يخاطب الرسول فإن يخاطبة بقوله: (**يا أيها النبي**) و (**يا أيها الرسول**)، وهنا لم يرد شيء من تلك الألفاظ.

3. لقد ذهب الجمهور من الصحابة والتابعين ومن بعدهم إلى قول الجمهور، وعلى هذا يكون راجحاً على غيره من الأقوال. والقاعدة تقول: (**تفسير جمهور السلف مقدم على كل تفسير شاذ**).

والله أعلم بالصواب

۞۞۞

سورة العاديات

مسألة: المراد بالعاديات والموريات والمغيرات في قوله تعالى:

﴿ وَٱلْعَـٰدِيَـٰتِ ضَبْحًا ۝١ فَٱلْمُورِيَـٰتِ قَدْحًا ۝٢ فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا ۝٣ ﴾ [سورة العاديات : 1-3] .

أقوال المفسرين في المراد بهذه الكلمات

أولاً: في المراد بـ (العاديات) قولان:

أحدهما: أنها الخيل في الجهاد الثاني: أنها الإبل في الحج

ثانياً: في المراد بـ(الموريات) ستة أقوال:

أحدها: أنها الخيل توري النار بحوافرها إذا جرت من شدة الوقع.

الثاني: أنها نيران الحجيج بمزدلفة.

الثالث: أنها نيران المجاهدين إذا اشتعلت فكثرت نيرانها إرهاباً.

الرابع: أنها تهيج الحرب بينهم وبين عدوهم.

الخامس: أنه مكر الرجال.

س(1) التحرير والتنوير 430/30

(2) انظر: التحرير والتنوير 430/30

السادس: أنها الألسنة إذا ظهرت بها الحجج وأقيمت بها الدلائل وأوضح بها الحق وفضح بها الباطل.

ثالثاً: في المراد بـ (المغيرات) قولان:

أحدهما: أنها الخيل تغير على العدو صبحاً

الثاني: أنها الإبل حين تعدو صبحاً من مزدلفة إلى منى.(1)

رأي القنوجي

قال القنوجي: (وَٱلۡعَٰدِيَٰتِ) جمع عادية وهي الجارية بسرعة من العدو، وهو المشي بسرعة فقلبت الواو ياء لكسرة ما قبلها كالغازيات من الغزو، والمراد بها الخيل العادية في الغزو نحو العدو،... وقد ذهب الجمهور إلى ما ذكرنا من أن العاديات ضبحاً هي الخيل...

وقال: (فَٱلۡمُورِيَٰتِ قَدۡحٗا) هي الخيل حين توري النار بسنابكها، والإيراء إخراج النار، والقدح الصك، فجعل ضرب الخيل بحوافرها كالقدح بالزناد... والخلاف في كونها الخيل أو الإبل كالخلاف الذي تقدم في العاديات، **والراجح أنها الخيل** كما ذهب إليه الجمهور، وكما هو الظاهر من هذه الأوصاف المذكورة في هذه السورة ما تقدم منها وما سيأتي فإنها في الخيل أوضح منها في الإبل، وتقدم ما في ذلك من الخلاف بين الصحابة.

وقال: (فَٱلۡمُغِيرَٰتِ صُبۡحٗا) أي التي تغير على العدو وقت الصباح، يقال أغار يغير إغارة إذا باغت عدوه لقتل أو أسر أو نهب... وعن ابن عباس قال: هي الخيل أغارت فصبحت العدو، وعنه قال إذا أصبحت العدو، وعنه قال الخيل تصبح العدو، وقال أيضاً غارت الخيل صبحاً، وقال ابن مسعود حين يفيضون من جمع.(2) ويتضح من كلام القنوجي رحمه الله أنه يرجح القول بأن المراد منها الخيل.

الدراسة

اختلف المفسرون في معاني هذه الكلمات بين أن يكون المراد بالجميع الخيل أو الإبل أو لها مدلولات متباينة، فذهب الجمهور أنه يراد بها جميعاً: الخيل، وممن ذهب إلى هذا القول ابن عباس، وأنس بن مالك، وعكرمة، ومجاهد، وعطاء، وقتادة، والضحاك، والحسن.(3) ورجحه: الطبري،(4) والسمعاني،(1) والرازي(2) وغيرهم.

---

(1) النكت والعيون 6/323-324

(2) فتح البيان 15/349-351

(3) انظر : تفسير الطبري24/557-558، و زاد المسير 4/480

(4) تفسير الطبري24/559

وبعضهم ذهب إلى أن المراد بها الإبل التي تسرع في أماكن مناسك الحج، وهذا القول منسوب إلى ابن مسعود وعلي بن أبي طالب وغيرهما.(3) ومنهم من ذهب إلى أقوال متباينة أخرى.(4)

التعليق

والراجح –والله تعالى أعلم- هو ما ذهب إليه الجمهور من أن المراد بها جميعا: الخيل، وذلك لأمور:

1. لأن كلمة (**ضبحاً**) تستعمل لصوت أنفاس الخيل، وهي حقيقة في ذلك مجاز في الإبل، ولا يجوز العدول عن الحقيقة إلى المجاز. والقاعدة تقول: (**الأصل في النص الحقيقة**).
2. أن هذا القول موافق مع سياق الآيات، فينبغي أن تكون الآيات على وتيرة واحدة، فأما أن يكون المراد بآية واحدة شيئاً وبالأخرى شيء آخر لا يطابقه، فهذا مما لا يناسب أسلوب القرآن الكريم.
3. أن العطف بـ (الفاء) يفيد أن جميع هذه الصفات لموصوف واحد وهو الخيل، فالعرب يعطفون بالفاء الصفات التي شأنها أن يتفرع بعضها عن بعض.
4. أن هذا القول هو قول جمهور المفسرين، ولا ينبغي العدول عن قولهم إلا إذا خالف الدليل.

والله أعلم بالصواب

❁❁❁

سورة التكاثر

مسألة: من المخاطب بهذه الآية؟

﴿ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴾ [سورة التكاثر : 8] .

أقوال المفسرين في الآية

في المخاطب بهذه الآية قولان:

أحدهما: أنه خاص للكفار الثاني: أنه عام.(5)

رأي القنوجي

قال القنوجي: قال قتادة: يعني كفار مكة كانوا في الدنيا في الخير والنعمة فيسألون يوم القيامة عن شكر ما كانوا فيه، ولم يشكروا رب النعم حيث عبدوا غيره وأشركوا به، قال الحسن:

---

(1) تفسير السمعاني 6/ 270

(2) مفاتيح الغيب للرازي 259/32

(3) انظر: تفسير الطبري559/24، و زاد المسير 480/4

(4)النكت والعيون 323/6-324

(5) زاد المسير 486/4

لا يسأل عن النعم إلا أهل النار. وقال قتادة: إن الله سبحانه سائل كل ذي نعمة عما أنعم عليه **وهذا هو الظاهر** ولا وجه لتخصيص النعيم بفرد من الأفراد، أو نوع من الأنواع، لأن تعريفه للجنس أو للاستغراق. ومجرد السؤال لا يستلزم تعذيب المسؤول على النعمة التي سئل عنها فقد يسأل الله المؤمن عن النعم التي أنعم بها عليه فيم صرفها وبم عمل فيها ليعرف تقصيره وعدم قيامه بما يجب عليه من الشكر. (1)

الدراسة

لقد ذهب جماعة من المفسرين إلى أنه خطاب للكفار وأهل النار خاصة أو لأهل مكة على وجه الأخص-أقوال متباينة-، و ممن ذهب إلى القول بالتخصيص مقاتل، والحسن.(2) ورجحه الإمام الواحدي، وابن عاشور.

قال الواحدي بعد أن ذكر هذا القول: والظاهر يشهد لهذا القول وهو: أن الكفار لم يؤدوا حق النعمة حيث أشركوا به وعبدوا غيره، واستحقوا أن يسألوا عما أنعم عليهم توبيخًا لهم؛ هل قاموا بالواجب فيه، أم ضيعوا حق النعمة؟ ثم يعذبون على ترك الشكل بتوحيد المنعم، وهذا معنى ما ذكره مقاتل، وهو قول الحسن.(3)

وقال ابن عاشور: وهذا السؤال عن النعيم الموجه إلى المشركين هو غير السؤال الذي يسأله كل منعم عليه فيما صرف فيه النعمة فإن النعمة لما لم تكن خاصة بالمشركين – خلافاً للتكاثر – كان السؤال عنها حقيقاً بكل منعم عليه وإن اختلفت أحوال الجزاء المترتب على هذا السؤال.(4)

واستدل أهل هذا القول بأن جميع آيات هذه السورة خطاب للكافرين، فجاء هذا الخطاب أيضاً على ذلك النسق وأن قوله تعالى: ﴿ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ﴾ [سورة التكاثر: 6] خطاب صريح للكفار، حيث أنها مصيرهم لا المؤمنين. وكذلك الآيات الأخرى تدل على أن الكفار هم المسؤولون، كما في قوله تعالى: ﴿ كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴾ [سورة الملك: 8]. وغيرها. واستدلوا بغير ذلك من الأدلة.

وذهب الجمهور إلى أنه خطاب للناس جميعاً، وهذا قول قتادة.(1) ورجحه ابن الجوزي،(2) والماوردي،(3) والرازي،(4) والشوكاني(5). وغيرهم، وهو الذي رجحه القنوجي أيضاً.

---

(1) فتح البيان 15/368-369

(2) تفسير البغوي 5/299، والتفسير البسيط للواحدي 24/285

(3) التفسير البسيط للواحدي 24/285

(4) التحرير والتنوير 30/524.

التعليق

والراجح – والله أعلم- هو ما ذهب إليه الجمهور من أن الخطاب عام، يشمل المؤمن والكافر، وذلك لما يلي:

1. الآية وردت بلفظ العموم ولا وجه للتخصيص بفرد من الأفراد أو شخص من الأشخاص. و مجرد السؤال لا يستلزم التعذيب. والقاعدة تقول: (**العموم أولى من التخصيص**).

2. القول بالعموم تؤيده الأحاديث الصحيحة مثل حديث الزبير (6) رضي الله عنه قال: لمـــا نزلت ﴿ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴾ قال الزبير: أيْ رسول الله، أيُّ نعيم نُسأل عنه، وإنما، يعني، هماَ الأَسودانِ، التمر والماء؟ قال:(**أمَا إن ذلك سيكون**).(7) وتؤيد هذا الحديث أيضاً أحاديث أخرى مثل حديث: (**لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن عمره فيما أفناه وعن علمه فيم فعل وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه وعن جسمه فيم أبلاه**)(8) وحديث: (**إن أول ما يسأل عنه العبد يوم القيامة – يعني من النعيم – أن يقال له : ألم نصح جسمك؟ ونرويك من الماء البارد ؟**)(9)

فهذه الأحاديث وغيرها تدل على أن المراد هو العموم. والقاعدة تقول: (**إذا ثبت الحديث وكان نصا في الآية فلا يصار إلى غيره**). وتقول: (**إذا ثبت الحديث وكان في معنى أحد الأقوال فهو مرجح له على ما خالفه**). فبناء على ما ذكر يرجح قول الجمهور.

والله تعالى أعلم

❁❁❁

---

(1) تفسير البغوي 299/4

(2)زاد المسير لابن الجوزي 486/4

(3) النكت والعيون 332/6

(4) مفاتيح الغيب274/32

(5) فتح القدير للشوكاني 598/5

(6) هو أبو عبد الله الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزّى القرشي الأسدي، حواريّ رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وآله وسلم وابن عمته، وأحد العشرة المشهود لهم بالجنة، أسلم وله 12 سنة وقيل 8 سنين. قتل رضي الله عنه بعد أن انصرف يوم الجمل بيد ابن جرموز غدراً، سنة 36، وله 76 أو 77 سنة. انظر: الإصابة لابن حجر 2/ 461، رقم الترجمة (2796).

(7) رواه الإمام أحمد في مسنده 186/2، رقم الحديث: (1405)، وصحح إسناده الشيخ أحمد شاكر.

(8) أخرجه الترمذي في سننه، عن أبي برزة الأسلمي، كتاب صفة القيامة، باب ما جاء في شأن الحساب والقصاص. 442/8 رقم الحديث: (2417). وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة برقم: (946) وصحيح وضعيف سنن الترمذي.

(9) أخرجه الترمذي أيضاً في سننه عن أبي هريرة، كتاب تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ باب ومن سورة ألهاكم التكاثر، 200/11 رقم الحديث: (3281). وصححه الألباني كما في سلسلة الأحاديث الصحيحة برقم: (539).

سورة العصر

مسألة: المراد بـ (العصر) في قوله تعالى:

﴿ وَٱلۡعَصۡرِ﴾ [سورة العصر: 1] .

أقوال المفسرين في المراد بالعصر

في المراد بالعصر ثلاثة أقوال:

أحدهما: أن العصر الدهر

الثاني: أنه العشي ما بين زوال الشمس وغروبها.

الثالث: أنه صلاة العصر.(1)

رأي القنوجي

قال القنوجي: أقسم سبحانه بالعصر وهو الدهر لما فيه من العبر من جهة مرور الليل والنهار على تقدير الأدوار وتعاقب الظلام والضياء، فإن في ذلك دلالة بينة على الصانع عز وجل وعلى توحيده،... وقال قتادة والحسن: المراد به في الآية العشي وهو ما بين زوال الشمس وغروبها. وعن قتادة أيضاً أنه آخر ساعة من ساعات النهار، وقال مقاتل: إن المراد به صلاة العصر، وهي الصلاة الوسطى التي أمر الله سبحانه وتعالى بالمحافظة عليها...

وقيل هو قسم بعصر النبي صلى الله عليه وآله وسلم. قال الزجاج: قال بعضهم معناه ورب العصر **والأول أولى** وبه قال ابن عباس، وعنه: هو ساعة من ساعات النهار، وقال أيضاً هو ما قبل مغيب الشمس من العشي.(2) فالراجح عند القنوجي هو أن المراد به الدهر.

الدراسة

لقد ذهب المفسرون مذاهب مختلفة في المراد بـ (**العصر**) في هذه السورة، فمنهم من قال إن المراد به وقت العشي الذي يبدأ ببزوغ الشمس وينتهي بغروبها، وممن ذهب إلى هذا القول أبي بن كعب، والحسن، وقتادة.(3) ومنهم من ذهب إلى أن المراد هو صلاة العصر، وقد أقسم الله تعالى بها، لأنها أفضل الصلوات، وهذا القول ينسب إلى ابن عباس ومقاتل.(4)

---

(1) النكت والعيون 333/6، وزاد المسير لابن الجوزي 487/4

(2) فتح البيان 375/15-376

(3) انظر: النكت والعيون 333/6 والمحرر الوجيز 520/5

(4) النكت والعيون 333/6

وذهب الجمهور إلى أن المراد هو الدهر الذي يشمل جميع أوقات الليل والنهار، وهذا القول منقول عن ابن عباس وزيد بن أسلم وغيرهم،(1) ورجحه الطبري(2) والشوكاني،(3) وهو رأي القنوجي أيضاً.

قال الطبري: والصواب من القول في ذلك: أن يقال: إن ربنا أقسم بالعصر (**وَالْعَصْرِ**) اسم للدهر، وهو العشيّ والليل والنهار، ولم يخصص مما شمله هذا الاسم معنى دون معنى، فكلّ ما لزِمه هذا الاسم، فداخل فيما أقسم به جلّ ثناؤه.(4)

التعليق

والراجح –والله أعلم- هو قول من قال إن المراد به الدهر، وذلك لما يلي:

1. لأن الله تعالى لم يخص معنى من معاني هذه الكلمة، ولم يخص وقتاً دون وقت، فيحمل على أشمل معنى من معاني هذه الكلمة، وهو: الدهر لأنه يشمل جميع ما ذكر من المعاني. والقاعدة تقول: (**العموم أولى من التخصيص**).

8- لأن هذا المعنى يطابق السياق أيضاً، حيث أن الخسران إنما يكون في الدهر، وهو ميدان العاملين، فيطابق ما بعده بما قبله. والقاعدة تقول: (**قرائن السياق مرجحة على ما خالفه**).

والله أعلم بالصواب

❁❁❁

سورة الإخلاص

المسألة: المراد بالصمد في قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢﴾ [الإخلاص: ٢]

أقوال المفسرين في المراد بالصمد

فيه عشرة تأويلات:

أحدها: هو المصمت الذي لا جوف له

الثاني: هو الذي لا يأكل ولا يشرب

الثالث: الباقي الذي لا يفنى

الرابع: هو الذي لم يلد ولم يولد

الخامس: الذي يصمد إليه في الحوائج

السادس: السيد الذي قد انتهى سؤدده

السابع: الكامل الذي لا عيب فيه

الثامن: الذي يفعل مايشاء ويحكم بما يريد

(1) المصدر السابق 333/6

(2) تفسير الطبري 24/ 589

(3) فتح القدير للشوكاني 600/5

(4) تفسير الطبري 589/24

التاسع: المستغني عن كل أحد **العاشر:** المقصود في الرغائب ، والمستغاث في المصائب.(1)

رأي القنوجي

قال القنوجي: والصمد هو الذي يصمد إليه في الحاجات أي يقصد لكونه قادراً على قضائها فهو فعل بمعنى مفعول كالقبض بمعنى المقبوض، لأنه مصمود إليه أي مقصود إليه.

قال الزجاج: الصمد السيد الذي انتهى إليه السؤدد فلا سيد فوقه، وقيل معنى الصمد الدائم الباقي الذي لم يزل ولا يزول، وقيل معنى الصمد ما ذكر بعده من أنه الذي لم يلد ولم يولد، وقيل هو المستغني عن كل أحد، والمحتاج إليه كل أحد، وقيل هو المقصود في الرغائب والمستعان به في المصائب، وهذان القولان يرجعان إلى معنى القول الأول، وقيل هو الذي يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد، وقيل هو الكامل الذي لا عيب فيه.

وقال الحسن وعكرمة والضحاك وسعيد بن جبير وسعيد بن المسيب ومجاهد وعبد الله بن بريدة وعطاء وعطية العوفي والسدي: (الصمد) هو المصمت الذي لا جوف له، وهذا لا ينافي القول الأول لجواز أن يكون هذا أصل معنى الصمد ثم استعمل في السيد المصمود إليه في الحوائج، **ولهذا أطبق على القول الأول أهل اللغة وجمهور أهل التفسير.**(2) فالظاهر من كلام القنوجي ترجيح القول الأول أي: الذي يصمد إليه في الحاجات.

الدراسة

لقد ذكر المفسرون عدة معاني لكلمة الصمد، وهو من أسماء الله تعالى، المذكورة في القرآن الكريم، فيا ترى ماذا تعني هذه الكلمة، وما أقوال المفسرين في المراد بهذا الإسم العظيم، وما هو المعنى الراجح من بين هذه المعاني المتعددة.

نقل عن ابن عباس ومجاهد والحسن وعكرمة وقتادة والسدي والضحاك وسعيد بن جبير أن المراد به المصمت الذي لا جوف له، وقال الشعبي: إنه الذي لا يأكل ولا يشرب، وقال قتادة والحسن أيضاً: إنه الباقي الذي لا يفني والدائم الذي لم يزل ولا يزال. وقيل: إن ما بعده يفسره، أي إنه الذي لم يلد ولم يولد، قاله أبي بن كعب ومحمد بن كعب القرظي.

والمنقول عن ابن عباس، وروي عنه مرفوعاً أيضاً: أنه الذي يصمد الناس إليه في حوائجهم، وقال الزجاج: إنه السيد الذي انتهى سؤدده. وهو منقول عن علي وابن عباس وأبي وائل وسفيان، وقال مقاتل: إنه

(1) تفسير الماوردي 371/6-372، وزاد المسير 506/4

(2) فتح البيان 448/15-449

الكامل الذي لا عيب فيه. وقيل: إنه المقصود في الرغائب والمستغاث في المصائب، قاله السدي، وقيل: إنه المستغني عن كل أحد، منقول عن أبي هريرة.(1)

فالمنقول عن ابن عباس وغيره قولان مشهوران:

الأول: أنه هو الذي يصمد الناس إليه في حوائجهم، والثاني: أنه المصمت الذي لا جوف له، والأول رجحه جماعة كبيرة من المفسرين، منهم الطبري وابن عطية وابن جزي والشوكاني وابن عاشور:

قال الطبري: الصمد عند العرب: هو السيد الذي يُصمد إليه، الذي لا أحد فوقه، وكذلك تسمى أشرافها...فإذا كان ذلك كذلك، فالذي هو أولى بتأويل الكلمة، المعنى المعروف من كلام من نزل القرآن بلسانه.(2)

وقال ابن عطية: والصَّمَدُ في كلام العرب السيد الذي يصمد إليه في الأمور ويستقل بها... وبهذا تفسر هذه الآية لأن الله جلت قدرته هو موجود الموجودات، وإليه تصمد به قوامها، ولا غني بنفسه إلا هو تبارك وتعالى، وقال كثير من المفسرين: الصَّمَدُ الذي لا جوف له، كأنه بمعنى المصمت، وقال الشعبي: هو الذي لا يأكل ولا يشرب، وفي هذا التفسير كله نظر، لأن الجسم في غاية البعد عن صفات الله تعالى. فما الذي تعطينا هذه العبارات.(3)

وقال ابن جزي: في معنى الصمد ثلاثة أقوال: أحدها أن الصمد الذي يصمد إليه في الأمور أي يلجأ إليه والآخر أنه لا يأكل ولا يشرب والثالث أنه الذي لا جوف له، والأول هو المراد هنا على الأظهر.(4)

وأما الشوكاني والقنوجي: فقولهما يشبه تماماً وكأن الثاني أخذ العبارة بتمامها من الأول.(5) وأما ابن عاشور فهو أيضاً يرجح هذا القول.(6)

وذهب بعضهم إلى هذين المعنيان هما الصحيحان وما سواهما فلا يعول عليها، وهذا القول رجحه ابن تيمة والألوسي.

قال ابن تيمية: والاسم "الصمد" فيه للسلف أقوال متعددة قد يظن أنها مختلفة، وليست كذلك، بل كلها صواب، والمشهور منها قولان: **أحدها:** أن الصمد هو الذي لا جوف له. **والثاني:** أنه السيد الذي يصمد إليه في الحوائج. والأول قول أكثر السلف من الصحابة والتابعين وطائفة من أهل اللغة، والثاني: قول طائفة من السلف والخلف وجمهور اللغويين.(7)

---

(1) تفسير الماوردي 371/6-372، وزاد المسير 506/4، وتفسير القرطبي 176/20

(2) تفسير الطبري 693/24

(3) المحرر الوجيز 536/5

(4) التسهيل لعلوم التنزيل 524/2

(5) فتح القدير 634/5، وقارنه بفتح البيان 448/15-449

(6) انظر: التحرير والتنوير 618/30

(7) مجموع الفتاوى 214/17

وقال الألوسي: والمعول عليه تفسيرا بالسيد الذي يصمد إليه الخلق في الحوائج والمطالب، وتفسيره بالذي لا جوف له وما عداهما إما راجع إليهما أو هو مما لا تساعد عليه اللغة. (1)

وذهب بعض المفسرين إلى أن جميع المعاني المذكورة محتملة وعلى هذا كلها صحيحة، ويمكن أن تحمل عليها هذه الكلمة، ومنهم الخازن وابن كثير.

قال الخازن: والأولى أن يحمل لفظ الصمد على كل ما قيل فيه لأنه محتمل له، فعلى هذا يقتضي أن لا يكون في الوجود صمد سوى الله تعالى العظيم القادر على كل شيء وأنه اسم خاص بالله تعالى انفرد به له الأسماء الحسنى والصّفات العليا.(2)

وقال ابن كثير: وكل هذه صحيحة، وهي صفات ربنا، عز وجل، وهو الذي يصمد إليه في الحوائج، وهو الذي قد انتهى سؤدده، وهو الصمد الذي لا جوف له، ولا يأكل ولا يشرب، وهو الباقي بعد خلقه.(3)

التعليق

والراجح –والله أعلم- هو المعنى الأول، وهو أن المراد به الذي يصمد إليه في الحوائج، وأنه المستغني عن الجميع، وهو الذي رجحه القنوجي، وهو قول جمهور المفسرين من الصحابة وغيرهم، ونرجحه لما يلي:

1. أن الموافق لما عليه أهل اللغة، وهو المعروف في كلام العرب، والمنقول في أشعارهم وكلامهم،والقاعدة تقول: (**تحمل نصوص الكتاب على معهود الأميين من الخطاب**). والقاعدة تقول: (**يحمل كلام الله على المعروف من كلام العرب دون الشاذ والضعيف والمنكر**).
2. أن هذا المعنى هو أول ما يتبادر إلى الذهن عند الورود، ومن قواعد التفسير: (**أن اللفظ إذا احتمل معان عدة، وأحدها هو الغالب فإنه يقدّم**).
3. أن هذا هو اختيار المحققين من أهل العلم كابن جرير وابن عطية وابن جزي والقرطبي والشوكاني والقنوجي وغيرهم.

والله أعلم بالصواب

(1) روح المعاني 512/15

(2) تفسير الخازن 498/4

(3) تفسير ابن كثير 529/8

سورة الفلق

مسألة: المراد بـ (غاسق) في قوله تعالى:

﴿ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴾ [سورة الفلق : 3] .

أقوال المفسرين في معنى (غاسق)

فيه أربعة أقوال:

أحدها: يعني الشمس إذا غربت الثاني: القمر إذا ولج أي دخل في الظلام.

الثالث: أنه الثريا إذا سقطت الرابع: أنه الليل.(1)

رأي القنوجي

قال القنوجي: ﴿ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴾ الغاسق الليل والغسق الظلمة، قال الفراء يقال غسق الليل وأغسق إذا أظلم، وقال الزجاج: قيل لليل غاسق؛ لأنه أبرد من النهار والغاسق البارد، والغسق البرد، ولأن في الليل تخرج السباع من آجامها والهوام من أماكنها وينبعث أهل الشر على العبث والفساد كذا قال **وهو قول بارد**، فإن أهل اللغة على خلافه، وكذا جمهور المفسرين، ... وقيل الغاسق الثريا .... وقال الزهري: هو الشمس إذا غربت، ... وقيل: هو القمر إذا خسف، ...وقيل: الغاسق الحية إذا لدغت، وقيل الغاسق كل هاجم يضر كائناً ما كان من قولهم غسقت القرحة إذا جرى صديدها، وقيل الغاسق هو السائل. **وقد عرفناك أن الراجح في تفسير هذه الآية هو ما قاله أهل القول الأول** ووجه تخصيصه أن الشر فيه أكثر والتحرز من الشرور فيه أصعب، ومنه قولهم الليل أخفى للويل.(2) فالراجح عند القنوجي –رحمه الله- أن المراد بـ (غاسق) هو الليل.

الدراسة

اختلف المفسرون في تفسير (غاسق) على عدة أقوال –كما ذكرنا- فمنهم من ذهب إلى أن المراد به القمر إذا دخل في الظلام،(3) ورجحه القرطبي،(4) و آخرون اختاروا أقوالاً أخرى مما أسلفنا، والجمهور ذهبوا إلى أن المراد به الليل إذا أظلم، وهو قول ابن عباس، والحسن ومجاهد

(1) النكت والعيون 6/374-375

(2) فتح البيان 15/459

(3) ذكره الطبري وغيره، تفسير الطبري 24/ 703

(4) تفسير القرطبي 20/257

وعكرمة وقتادة وغيرهم.(1) وهو الراجح عند الشوكاني(2) وابن عاشور(3) والشنقيطي،(4) ورجحه القنوجي أيضاً.

التعليق

والراجح –والله أعلم- هو أن المراد به الليل وذلك لما يلي:

1. أن هذا القول تؤيده الآيات الأخرى من القرآن الكريم، مثل قوله تعالى: ﴿ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيۡلِ ﴾ [سورة الإسراء : 78] .والقاعدة تقول: (**ما تؤيد بآيات قرآنية مقدم على ما عدم ذلك**).

2. أن هذا التفسير لا ينافي التفاسير الأخرى، مثل قولهم أن المراد به القمر؛ لأن القمر علامة الليل، وله فيه سلطان. فهذا القول أعم من الأقوال الأخرى. والقاعدة تقول: (**العموم أولى من التخصيص**).

والله أعلم بالصواب

❁❁❁

سورة الناس

مسألة : هل الجار والمجرور في (مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ) بيان للموسوِس أو الموسوَس؟

﴿ قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣ مِن شَرِّ ٱلۡوَسۡوَاسِ ٱلۡخَنَّاسِ ۝٤ ٱلَّذِي يُوَسۡوِسُ فِي صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥ مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ﴾ [سورة الناس : 1-6] .

أقوال المفسرين في المسألة

فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: أن (مِنَ ٱلۡجِنَّةِ)، بيان للذي يوسوس، والناس عطف على الوسواس، ومعنى الآية: أعوذ من شر الوسواس من الجنة وأعوذ من شر الناس.

الثاني: أنه بيان للذي يوسوس (فاعل الوسوسة) والمعنى: أعوذ من شر الوسواس الذي قد يكون من الجن وقد يكون من الناس.

---

(1) انظر : تفسير الطبري 702/24، والنكت والعيون 375/6، والتسهيل لابن جزي 526/2

(2) فتح القدير 639/5

(3) التحرير والتنوير 627/30

(4) أضواء البيان 160/9

الثالث: أنه بيان للناس في قوله (صُدُورِ ٱلنَّاسِ)، والمعنى: أعوذ من شر الوسواس الذي يسوس في صدور الجن وفي صدور الناس.(1)

رأي القنوجي

قال القنوجي: ثم بين سبحانه الذي يوسوس بأنه ضربان جني وإنسي فقال: (مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ) أما شيطان الجن فيوسوس في صدور الناس، وأما شيطان الإنس فوسوسته، في صدور الناس أنه يرى نفسه كالناصح المشفق فيوقع في الصدر من كلامه الذي أخرجه مخرج النصيحة ما يوقع الشيطان فيه بوسوسته كما قال سبحانه: (شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ) [سورة الأنعام : 112]. ويجوز أن يكون متعلقاً بيوسوس أي يوسوس في صدورهم من جهة الجنة ومن جهة الناس ويجوز أن يكون بياناً للناس.(2) فالذي يرجحه القنوجي هو أنه بيان لفاعل الوسوسة، أي أعوذ من شر الوسواس الذي هو من الجنة ومن الناس؛ لأنه ذكره أولاً و بصيغة الجزم، وذكر القولين الآخرين على وجه الاحتمال فقال: ويجوز...

الدراسة

لقد اختار المفسرون من التابعين وغيرهم أقوالاً مختلفة مما ذكرنا، فمنهم من اختار القول بأن المراد الاستعاذة من شر الموسوس من الجن، والاستعاذة من شر الناس مطلقاً. وممن اختار هذا القول الزجاج والنحاس وغيرهما.(3)

ومنهم من اختار القول بأنه بيان لمن وقع عليه فعل الوسوسة في قوله: ﴿ فِي صُدُورِ ٱلنَّاسِ ﴾ وهذا قول الفراء والكلبي.(4)

والجمهور اختاروا القول الثالث وهو: أنه بيان لفاعل الوسوسة، والمعنى: الذي يوسوس في صدور الناس، قد يكون من الجن وقد يكون من الإنس. وهذا قول جمهور المفسرين ومنهم ابن عباس، وقتادة، وعبد الرحمن بن زيد، والحسن وغيرهم.(5) ورجّح هذا القول السمعاني(1) والشوكاني(2) وابن عاشور(3)، كما مال إليه القنوجي أيضاً.

(1) انظر: البحر المحيط 579/10، والكشاف 824/4

(2) فتح البيان 467/15-468

(3) زاد المسير لابن الجوزي 510/4

(4) تفسير البغوي 336/5

(5) انظر: التفسير البسيط للواحدي 402/24

التعليق

والراجح –والله أعلم- هو رأي الجمهور وهو أنه بيان لفاعل الوسوسة، وذلك لما يلي:

1. أن هذا القول تؤيده الآيات الأخرى في القرآن الكريم منها قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴾ [الأنعام : 112]. فهذه الآية تدل على أن الشياطين من الجن والإنس يضل الإنسان بأقوالهم المزخرفة، مثل آية سورة الناس، والقاعدة تقول: (**ما تؤيد بآيات قرآنية مقدم على ما عدم ذلك**).

2. هذا القول يؤيده الحديث: ﴿ **يا أبا ذر تعوذ بالله من شياطين الإنس والجن. فقال: يا رسول الله أو للإنس شياطين؟ قال: نعم شر من شياطين الجن** ﴾(4). والقاعدة تقول: (**إذا ثبت الحديث وكان نصا في الآية فلا يصار إلى غيره**)، وتقول: (**إذا ثبت الحديث وكان في معنى أحد الأقوال فهو مرجح له على ما خالفه**).

والله أعلم بالصواب

---

(1) تفسير السمعاني 308/6

(2) فتح القدير 643/5

(3) التحرير والتنوير 635/30

(4) المجتبى من السنن، للإمام النسائي عن أبي ذر، كتاب الاستعاذة، باب الاستعاذة من شر شياطين الإنس 275/8، رقم الحديث: (5507). تحقيق: عبد الفتاح أبوغدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، الطبعة الثانية: 1406هـ 1987م، مذيل بأحكام الألباني، وقد ضعف الألباني إسناد هذا الحديث.

قائمة الترجيحات والمرجحات حسب ترتيب السور من أول سورة الروم إلى آخر سورة الناس

قائمة الترجيحات والمرجحات حسب ترتيب السور من أول سورة الروم إلى آخر سورة الناس

ترقيم	عنوان المسألة	المرجح
	سورة الروم	
1	معنى (يُحْبَرُونَ)	قاعدة العموم
2	المراد بالتسبيح والتحميد في قوله: ﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ۝١٧ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ﴾	قاعدة العموم
3	معنى الفطرة في قوله تعالى: ﴿فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾	دلالة السياق ودلالة الحديث
4	المراد بالفساد في قوله تعالى: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾	قاعدة العموم
5	المراد بالبر والبحر في قوله تعالى: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾	غالب استعمال القرآن، والتبادر إلى الذهن
	سورة لقمان	
6	المراد بـ (لَهْوَ الْحَدِيثِ)	قاعدة العموم
7	هل كان لقمان نبياً؟	أقوال الصحابة
	سورة السجدة	
8	المراد بالمؤمن والفاسق في قوله: ﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا﴾	قاعدة العموم
	سورة الأحزاب	
9	المراد بأهل البيت في قوله: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾	دلالة السياق، سبب النزول، دلالة اللغة
10	المراد بقوله ﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ﴾	تفسير القرآن بالقرآن، والأليق بحال الأنبياء
11	المراد بالأمانة في قوله: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ﴾	قاعدة العموم، وسياق الآية
	سورة سبأ	
12	المراد بقوله: ﴿أَرُونِيَ﴾	قاعدة العموم
13	المراد بقوله: ﴿وَأَنَّىٰ لَهُمُ التَّنَاوُشُ﴾	سياق الآية
	سورة فاطر	
14	المراد بالعزة في قوله تعالى: ﴿فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾	إجماع المفسرين وسياق الآية
	سورة يس	
15	المراد بـ ﴿يس ۝١﴾	الترجيح بقول الجمهور

16	الاختلاف في لفظة (ما) في قوله تعالى:﴿مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمۡ﴾	دلالة السياق، ودلالة آيات أخرى
17	المراد بقوله تعالى﴿ إِنَّا جَعَلۡنَا فِيٓ أَعۡنَٰقِهِمۡ أَغۡلَٰلٗا..﴾	دلالة السياق
18	المراد بإحياء الموتى في قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحۡنُ نُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ﴾	دلالة السياق
19	المراد بمستقر الشمس في قوله:﴿وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ﴾	دلالة الأحاديث وقول الجمهور
20	إلى من يعود الضمير (ذريتهم) في قوله:﴿وَءَايَةٞ لَّهُمۡ أَنَّا حَمَلۡنَا ذُرِّيَّتَهُمۡ﴾	توحيد مرجع الضمائر
21	المراد بـ (المثل المخلوق) في قوله: ﴿ وَخَلَقۡنَا لَهُم مِّن مِّثۡلِهِۦ ﴾	دلالة السياق والظاهر
	سورة الصافات	
22	المراد بالصافات	دلالة الآيات والإجماع وتوحيد مرجع الضمائر في السياق الواحد
23	المراد بالزاجرات	
24	المراد بالتاليات	
25	مرجع الضمير في قوله تعالى: ﴿۞وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ﴾	إعادة الضمير إلى المذكور، وكونه قول الجمهور
26	المراد باليمين في قوله تعالى: ﴿فَرَاغَ عَلَيۡهِمۡ ضَرۡبَۢا بِٱلۡيَمِينِ ٩٣﴾	الأصل حمل الكلام على الحقيقة دون المجاز
27	القول في (ما) في قوله:﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ ٩٦ ﴾	دلالة السياق
28	المراد بالحين في قوله تعالى: ﴿فَتَوَلَّ عَنۡهُمۡ حَتَّىٰ حِينٖ ١٧٤﴾	دلالة العموم
	سورة ص	
29	المراد بالعزة في قولـه تعالى:﴿ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي عِزَّةٖ... ﴾	دلالة العموم
30	المراد باليد في قوله تعالى: ﴿ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ ﴾	تفسير جمهور السلف
	سورة الزمر	
31	المراد بأرض الله وسعتها في قوله تعالى:﴿ وَأَرۡضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ ﴾	الآيات القرآنية
	سورة غافر	
32	معنى الإماتتين والإحياءتين في قوله: ﴿ أَمَتَّنَا ٱثۡنَتَيۡنِ وَأَحۡيَيۡتَنَا ٱثۡنَتَيۡنِ ﴾	الآيات القرآنية وإجماع الجمهور
33	المراد بالرجل المؤمن في قوله: ﴿ وَقَالَ رَجُلٞ مُّؤۡمِنٞ﴾	ظاهر القرآن، والبقاء على ترتيب القرآن
34	المراد بالعرض في قوله: ﴿ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا﴾	ظاهر القرآن والأحاديث

سورة فصلت		
35	المراد بالجلود في قوله: ﴿شَهِدَ عَلَيۡهِمۡ سَمۡعُهُمۡ وَأَبۡصَٰرُهُمۡ وَجُلُودُهُمۡ﴾	غالب استعمال القرآن
36	المـــراد بالظـــن في قوله تعالى: ﴿ وَظَنُّواْ مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ ﴾	إجماع الجمهور ودلالة الآيات
سورة الزخرف		
37	المراد بالجزء في قوله: ﴿ وَجَعَلُواْ لَهُۥ مِنۡ عِبَادِهِۦ جُزۡءًاۚ ﴾	دلالة السياق واللغة والعرف
38	المراد بكلمة ﴿ سُخۡرِيًّا ﴾	دلالة العموم
سورة الأحقاف		
39	المراد بـ ﴿ ٱلَّذِى ﴾ في قوله: ﴿ وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيۡهِ ﴾	السياق وقرائن الآيات وأقوال الصحابة
40	هل يدخل الجنّ الجنة؟	دلالة الآيات وإجماع المفسرين
سورة الفتح		
41	المراد بالفتح في قوله: ﴿ إِنَّا فَتَحۡنَا لَكَ فَتۡحًا مُّبِينًا ۝١ ﴾	إجماع الجمهور والبناء اللغوي
42	اختلاف المفسرين في متعلق اللام في قوله: ﴿لِّيُدۡخِلَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾	العموم
سورة ق		
43	المراد بالقول الذي لا يبدل في قوله: ﴿ مَا يُبَدَّلُ ٱلۡقَوۡلُ لَدَىَّ ﴾	دلالة السياق
44	المراد بـ (هَلۡ مِن مَّزِيدٍ)	دلالة الحديث الصحيح والسياق
45	هل يحمل القول على الحقيقة أم على التمثيل؟ في قوله: ﴿ يَوۡمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمۡتَلَأۡتِ وَتَقُولُ هَلۡ مِن مَّزِيدٍ﴾	دلالة الأحاديث وحمل المعنى على الحقيقة
سورة الذاريات		
46	المراد بالذاريات	دلالة الآيات، وقول الجمهور
47	المراد بالحاملات	دلالة الآيات واللغة
48	المراد بالجاريات	دلالة الآيات
49	المراد بالمقسمات	دلالة الآيات وقول الجمهور
سورة الطور		
50	المراد بالمسجور في قوله تعالى: ﴿ وَٱلۡبَحۡرِ ٱلۡمَسۡجُورِ ﴾	المعروف من كلام العرب
52	المراد بالذرية الثانية في قوله: ﴿ وَٱتَّبَعَتۡهُمۡ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلۡحَقۡنَا بِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ﴾	دلالة السياق

سورة النجم		
53	المراد بالنجم في قوله تعالى: ﴿ وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ﴾	دلالة اللغة والعموم والظاهر
54	المراد بـ (اللمم) في قوله:	دلالة الآيات وقول جماعة من السلف
سورة القمر		
55	المراد بالنذر في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ جَآءَ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ ٱلنُّذُرُ ﴾	دلالة العموم
سورة الرحمن		
56	المراد بقوله تعالى: ﴿ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ ﴾	دلالة الآيات وحمله على التأسيس
57	المراد بالنساء اللاتي ﴿ لَمۡ يَطۡمِثۡهُنَّ إِنسٞ قَبۡلَهُمۡ وَلَا جَآنّٞ ﴾	دلالة السياق
سورة الواقعة		
58	نوع الاستثناء في قوله تعالى: ﴿إِلَّا قِيلٗا سَلَٰمٗا سَلَٰمٗا﴾	دلالة العموم
59	المراد بالمقوين	دلالة اللغة والاشتقاق
سورة الحديد		
60	المراد بالتربص في قوله تعالى: ﴿ وَتَرَبَّصۡتُمۡ ﴾	دلالة الآيات والسياق
61	المراد بأمر الله في قوله: ﴿ حَتَّىٰ جَآءَ أَمۡرُ ٱللَّهِ ﴾	دلالة السياق
62	نوع الاستثناء في قوله تعالى: ﴿ وَرَهۡبَانِيَّةً ٱبۡتَدَعُوهَا مَا كَتَبۡنَٰهَا عَلَيۡهِمۡ إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ رِضۡوَٰنِ ٱللَّهِ ﴾	ظاهر القرآن وموافقته لأدلة الشرع
سورة القلم		
63	معنى الإدهان في قوله تعالى: ﴿وَدُّواْ لَوۡ تُدۡهِنُ فَيُدۡهِنُونَ ۝٩﴾	دلالة العموم
64	المراد بالساق في قوله تعالى: ﴿يَوۡمَ يُكۡشَفُ عَن سَاقٖ ﴾	دلالة الحديث
سورة الجن		
65	المراد بـ (دون ذلك) في قوله: ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَۖ﴾	دلالة الآيات والسياق
66	المراد بالمساجد في قوله: ﴿وَأَنَّ ٱلۡمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدۡعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدٗا ﴾	دلالة العموم، والحقيقة الشرعية
سورة المدثر		
67	المراد بالثياب في قوله تعالى: ﴿ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ ۝٤ ﴾	حمل الكلام على الحقيقة والعموم

سورة القيامة		
68	المراد بـ (لا) في قوله تعالى: ﴿لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ ۝١﴾	المعروف من كلام العرب
69	رؤية الله في الآخرة، ومعنى قوله: ﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ﴾	دلالة الآيات والأحاديث والسياق واستعمال العرب
سورة المرسلات		
70	المراد بالمرسلات	حمل الكلام على الحقيقة وتأييد الآيات القرآنية وعطف المتجانسين والأليق بمقام الملائكة
71	المراد بالعاصفات	
72	المراد بالناشرات	
73	المراد بالفارقات	
74	المراد بالملقيات	
سورة النبأ		
75	المراد بالأحقاب في: ﴿لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحۡقَابٗا﴾	الاشتقاق اللغوي ودلالة الآيات
سورة النازعات		
76	المراد بالنازعات	دلالة الآيات وقول جمهور السلف وإجماع المفسرين ودلالة اللغة
77	مسألة: المراد بالناشطات	
78	مسألة: المراد بالسابحات	
79	مسألة: المراد بالسابقات	
80	مسألة: المراد بالمدبرات	
81	المرادبـ مقام الرب في قوله: ﴿وَأَمَّا مَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ﴾	دلالة الآيات والسياق
سورة التكوير		
82	المراد بالخنس والكنس	دلالة العموم
83	المراد بـ (عسعس)	دلالة السياق
84	المراد بالرسول في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ﴾	دلالة الإجماع والسياق
سورة المطففين		
85	المراد بقوله: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ ۝١٥﴾	دلالة العموم
سورة الانشقاق		
86	المراد بالشفق في قوله تعالى: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلشَّفَقِ﴾	دلالة الحديث واللغة

سورة البروج		
87	المراد بالشاهد والمشهود في قوله تعالى: ﴿وَشَاهِدٖ وَمَشۡهُودٖ ۝٣﴾	روايات الصحابة وجمهور المفسرين
88	أين جواب القسم في قوله: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلۡبُرُوجِ ۝١﴾	كون الإثبات أولى من الحذف
سورة الطارق		
89	عود الضمير المضاف إليه في قوله: ﴿إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجۡعِهِۦ لَقَادِرٞ﴾	معهود القرآن، توحيد الضمائر
سورة الغاشية		
90	المراد بالضريع في قوله: ﴿لَّيۡسَ لَهُمۡ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٖ ۝٦﴾	المعروف من كلام العرب
سورة البلد		
91	المراد بالبلد	الإجماع، وقرائن السياق
سورة الضحى		
92	سبب نزول سورة الضحى	كونه صحيحا ومن رواية البخاري
سورة التين		
93	المراد بالتين والزيتون	الحقيقة والمعروف من كلام العرب
94	لمن الخطاب؟ في قوله:﴿ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعۡدُ بِٱلدِّينِ ﴾	دلالة السياق
سورة العاديات		
95	المراد بالعاديات	حمل الكلام على الحقيقة موافقة السياق دلالة اللغة
96	المراد بالموريات	
97	المراد بالمغيرات	
سورة التكاثر		
98	من المخاطب بقوله:﴿ ثُمَّ لَتُسۡـَٔلُنَّ يَوۡمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴾ ؟	دلالة الأحاديث والعموم
سورة العصر		
99	المراد بـ (العصر)	دلالة العموم والسياق
سورة الإخلاص		
100	االمراد بالصمد	المعروف من كلام العرب
سورة الفلق		
101	المراد بـ (غاسق)	دلالة الآيات القرآنية
سورة الناس		
102	هل الجار والمجرور في (مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ) بيان للموسوِس أو الموسوَس؟	دلالة الآيات والأحاديث

الباب الثالث

ترجيحات الشيخ القنوجي في الميزان

ويشتمل على فصلين:

الفصل الأول: مصادر تفسيره ومراجعه

الفصل الثاني: مميزات ترجيحات الشيخ القنوجي في تفسيره والمآخذ عليه

الفصل الأول

مصادر تفسيره ومراجعه

ويشتمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: مصادره من كتب التفسير وعلوم القرآن

المبحث الثاني: مصادره من كتب السنة

المبحث الثالث: مصادره من كتب اللغه

تمهيد

لا بد لكل مفسر أن يعتمد على ما يرتكز عليه في تفسيره، وقد اعتمد القنوجي في تفسيره على أمهات كتب التفسير القديمة اعتماداً يكاد يكون كلياً، ولا سيما كتب التفسير المأثورة، وكتب الحديث النبوي الشريف، وكتب اللغة العربية مما جعل تفسيره ذا قيمة علمية قيّمة يجدها كل من نظر في تفسيره. وقد تنوعت نقولاته وبرزت لحاجة تفسيره إليها؛ لأن تفسيره الذي عدّه جامعاً بين الرواية والدراية لا بدّ له من اعتماده على مصادر شتى، ومن خلال ذلك تبرز مكانة القنوجي وسعة فكره في العلوم النقلية والعقلية والإحاطة بها إحاطة واسعة، وكثرة التفاسير والمصادر في تفسيره ونقله منها واعتماده عليها، و مواقفه تجاهها إما موافقة وإما رداً من غير تجريح.

وفيما يلي نذكر نبذة يسيرة عن مصادر تفسيره من كتب التفاسير القديمة، ومن كتب السنة، ومن كتب اللغة العربية، موزعةً ذلك على المباحث التالية:

المبحث الأول

مصادره من كتب التفسير

مما لا شك فيه أن الشيخ القنوجي رحمه الله استفاد من كتب المفسرين القدمى والمحدثين، ونقل أقوال كثير منهم في تفسيره، حتى جاء بالموقف السليم معتمدا على القواعد الترجيحية المتداولة عند المفسرين.

يقول القنوجي: (وتلقيت هذا التفسير من تفاسير متعددة عن أئمة ظهرت مفاخرهم ، وانتشرت مآثرهم ، وأن هذا التفسير مشتمل على جميع الفوائد الذي توجد في كتب التفاسير).(1)

وسنذكر فيما يلي كتب التفسير التي اعتمد عليها الشيخ القنوجي واستفاد منها في تفسيره، ونحاول أن نأتي مع كل تفسير بمثال واحد للتوضيح:

1. **تفسير مقاتل بن سليمان**(2)**:**

عند تفسير قوله تعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾﴾ [آل عمران: ١٨]، قال الشيخ القنوجي رحمه الله اختلف المفسرون في تفسير هذه الآية : (أولي العلم ، هؤلاء من هم) ؟ ثم ذكر أربعة أقوال وهي:

---

(1) فتح البيان 23/1

(2) هو تفسير لأبي الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخى (المتوفى: 150هـ) المحقق: عبد الله محمود شحاته ، (الناشر: دار إحياء التراث – بيروت ، الطبعة: الأولى: 1423 هـ)ـ. في خمس مجلدات

القول الأول: هم الأنبياء.

القول الثاني : المهاجرون والأنصار، قاله ابن كيسان.

القول الثالث: مؤمنو أهل الكتاب ، **قاله مقاتل بن سليمان.**

القول الرابع: المؤمنون كلهم قاله السدى، والكلبي.

بعد ذكر الأقوال العلماء المفسرين ومنها قول مقاتل بن سليمان، رجح القنوجي القول الرابع فقال: هم المؤمنون كلهم، وهو الحق إذ لا وجه للتخصيص، وفي ذلك فضيلة لأهل العلم جليلة ومنقبة نبيلة لقرنهم باسمه واسم ملائكته.والمراد بأولي العلم هنا علماء الكتاب والسنة وما يتوصل به إلى معرفتهما إذ لا اعتداد بعلم لا مدخل له في العلم الذي اشتمل عليه الكتاب العزيز والسنة المطهرة.(1)

2. تفسير عبدالرزاق (2) :

عند تفسير قوله تعالى : ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾﴾ [طه: ١٢٤]، ذكر الشيخ القنوجي في تفسير هذه الآية ثلاثة أقوال وهي:

القول الأول: وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه مرفوعاً: **(معيشة ضنكاً، قال: عذاب القبر).** أخرجه البيهقي والحاكم وصححه، ومسدد في مسنده.(3)

القول الثاني: يضيق عليه قبره حتى تختلف أضلاعه ، قاله عبد الرزاق.

القول الثالث: ضمة القبر، وهذا لفظ ابن أبي حاتم وفي سنده ابن لهيعة ، وفيه مقال معروف . وقال ابن كثير: الموقوف أصح.

بعد ذكر الحديث وأقوال المفسرين في شرحه فقال القنوجي رحمه الله : في سنده مقال ، ثم ذكر قول الإمام ابن كثير رحمه الله أي ليس هذا الحديث مرفوعا بل موقوفه أصح.(4)

3. جامع البيان في تأويل القرآن (5) :

تفسير قوله تعالى: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [البقرة: ٣]، ذكر القنوجي في تفسيره أربعة أقوال وهي:

القول الأول: قول ابن عباس رضي الله عنهما : يعني زكاة أموالهم.

---

(1) انظر: فتح البيان في مقاصد القرآن (2 / 204).

(2) هو تفسير لأبي بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني (المتوفى: 211هـ) ، (الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت. ، الطبعة الأولى: سنة 1419هـ) ، عدد الأجزاء: 3.

(3) أخرجه الحاكم في المستدرك 413/2، رقم الحديث: (3440)، وقال: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

(4) انظر :فتح البيان في مقاصد القرآن (8 / 290).

(5) هو تفسير لمحمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبي جعفر الطبري (المتوفى: 310هـ) المحقق: أحمد محمد شاكر (الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، 1420 هـ / 2000 م) ، عدد الأجزاء: 24.

القول الثاني: قول قتادة رحمه الله : يعني الإنفاق في فرائض الله التي افترض عليهم في طاعته وسبيله كالزكاة والنذر وفي الجهاد وعلى النفس .

القول الثالث: قول ابن مسعود رضي الله عنه : هي نفقة الرجل على أهله.

القول الرابع: اختار ابن جرير : أن الآية عامة في الزكاة والنفقات.

بعد ذكر الأقوال رجح القنوجي رحمه الله قول ابن جرير رحمه الله فقال : وهو الحق من غير فرق بين النفقة على الأقارب وغيرهم وصدقة الفرض والنفل، وعدم التصريح بنوع من الأنواع التي يصدق عليها مسمى الإنفاق يشعر أتم إشعار بالتعميم.(1)

4. معاني القرآن وإعرابه (2):

عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾﴾ [آل عمران: ١٧٠]، ذكر الشيخ القنوجي رحمه الله ثلاثة أقوال في تفسيرها وهي :

القول الأول: ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم من إخوانهم الذين تركوهم أحياء في الدنيا على منهج الإيمان والجهاد، والمراد اللحوق بهم في القتل والشهادة أي بل سيلحقون بهم من بعد.

القول الثاني: المراد لم يلحقوا بهم في الفضل وإن كانوا أهل فضل في الجملة.

القول الثالث: المراد بإخوانهم هنا جميع المسلمين الشهداء وغيرهم ، لأنهم لما عاينوا ثواب الله وحصل لهم اليقين بحقية دين الإسلام استبشروا بذلك لجميع أهل الإسلام الذين هم أحياء لم يموتوا.

بعد ذكر هذه الأقوال رجح القنوجي القول الثالث فقال : وهذا قوي لأن معناه أوسع ، وفائدته أكثر ، واللفظ يحتمله بل هو الظاهر، ثم قال : وبه قال الزجاج ...(3)

5. كتاب تفسير القرآن (4):

عند تفسير قوله تعالى: ﴿فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ ﴿٤٦﴾﴾ [يونس: ٤٦]، قال الشيخ القنوجي رحمه الله في تفسير هذه الآية :

" (ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ) من تكذيبهم وكفرهم فيعذبهم أشد العذاب وجاء بثم الدالة على التبعيد مع كون الله سبحانه شهيدا على ما يفعلونه في الدارين للدلالة على أن المراد بهذه الأفعال ما يترتب

---

(1) انظر: فتح البيان في مقاصد القرآن (1 / 82).

(2) هو تفسير لإبراهيم بن السري بن سهل ، أبي إسحاق الزجاج (المتوفى: 311هـ) ، (الناشر: عالم الكتب – بيروت ، الطبعة الأولى 1408 هـ - 1988 م) ، عدد الأجزاء: 5.

(3) انظر: فتح البيان في مقاصد القرآن (2 / 377).

(4) انظر : أبو بكر محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري (المتوفى: 319هـ) ، قدم له الأستاذ الدكتور: عبد الله بن عبد المحسن التركي ، حققه وعلق عليه الدكتور: سعد بن محمد السعد ، (دار النشر: دار المآثر - المدينة النبوية ،الطبعة: الأولى 1423 هـ، 2002 م).

عليها من الجزاء أو ما يحصل من إنطاق الجوارح بالشهادة عليهم يوم القيامة، فجعل ذلك بمنزلة شهادة الله عليهم كما ذكره النيسابوري.(1)

أي فسر القنوجي رحمه الله هذه الآية ثم قال هكذا قال النيسابوري رحمه الله .

6. تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (2):

عند تفسير قوله تعالى: ﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ﴾ [القدر: ٤]، ذكر الشيخ القنوجي رحمه الله في تفسيرها خمسة أقوال وهي :

القول الأول: (مِّن) أجل (كُلِّ أَمْرٍ) من الأمور التي قضى الله بها في تلك السنة.

القول الثاني: وقيل أن من بمعنى اللام أي لكل أمر.

القول الثالث: وقيل هي بمعنى الباء أي بكل أمر، فهي للتعدية، قاله أبو حاتم.

القول الرابع: قرأ الجمهور " أمر " وهو واحد الأمور، وقرىء امرىء مذكر امرأة أي من أجل كل إنسان.

القول الخامس: وتأولها الكلبي على أن جبريل ينزل مع الملائكة فيسلمون على كل إنسان، فـ (من) على هذا بمعنى على.

بعد ذكر الأقوال المفسرين منها قول أبي حاتم رحمه الله ، رجح القنوجي رحمه الله القول الأول فقال : والأول أولى.(3)

7. الكشف والبيان عن تفسير القرآن (4) :

عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ﴾ [القيامة: ٢]، ذكر القنوجي رحمه الله في تفسيرها أربعة أقوال وهي:

القول الأول: ذهب قوم إلى أنه سبحانه أقسم بالنفس اللوامة كما أقسم بيوم القيامة فيكون الكلام في (لا) هذه كالكلام في الأولى وهذا قول الجمهور.

القول الثاني: وقال الحسن أقسم بيوم القيامة ولم يقسم بالنفس اللوامة.

---

(1) فتح البيان في مقاصد القرآن (6 / 72).

(2) هو تفسير لأبي محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (المتوفى: 327هـ)، المحقق: أسعد محمد الطيب ، (الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز - المملكة العربية السعودية ، الطبعة: الثالثة - 1419 هـ).

(3) انظر : فتح البيان في مقاصد القرآن (15 / 324).

(4) هو تفسير لأحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبي إسحاق (المتوفى: 427هـ) ، تحقيق: أبي محمد بن عاشور ، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي ، (الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان ، الطبعة: الأولى 1422، هـ - 2002 م) ،عدد الأجزاء: 10.

القول الثالث: قال الثعلبي: والصحيح أنه أقسم بهما جميعاً.

القول الرابع: وجرى الجلال المحلي على زيادتها في الموضعين ، وهو الصواب.(1)

بعد ذكر الأقوال رجح القنوجي رحمه الله رأي الجمهور وبه قال الثعلبي والمحلي رحمهما الله.

8. **الكشف عن وجوه القراءات السبع(بر)**

استفاد منه في عدة مواضع منها: عند تفسير قوله تعالى: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ۝٦﴾ [الإنسان: ٦] قال: وقال مكي إنها بدل من محل من كأس على حذف مضاف كأنه قيل يشربون خمراً خمر عين، وقيل إنها منتصبة على أنها مفعول يشربون أي عيناً من كأس، وقيل هي منتصبة على الاختصاص، قاله الأخفش وقيل بإضمار فعل يفسره ما بعده أي يشربون عيناً، وذكر السمين في نصبها وجوهاً **والأول أولى**.(3)

9. **النكت والعيون** (4) :

عند تفسير قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٩] قال القنوجي رحمه الله في تفسير هذه الآية: " (سَبْعَ سَمَاوَاتٍ) مستويات لا صدع فيها ولا فطور، وفي هذا التصريح بأن السموات سبع، وأما الأرض فلم يأت في ذكر عددها إلا قوله تعالى: (﴿وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ ۖ﴾ [الطلاق: ١٢]، فقيل: في العدد وقيل في غلظهن وما بينهن. وقال الماوردي: أن الأرض سبع، ولكن لم يفتق بعضها من بعض، والصحيح أنها سبع كالسموات: وعلى أنها سبع أرضين متفاصلة بعضها فوق بعض."(5)

ذكر القنوجي في تفسيرها قول الماوردي ثم رده فقال: والصحيح أنها سبع كالسموات.

10. **الوسيط في تفسير القرآن المجيد**(6):

عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَاذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ﴾ [آل عمران: ٤١] ذكر القنوجي رحمه الله في تفسير (العشي) ثلاثة أقوال وهي :

---

(1) انظر: فتح البيان في مقاصد القرآن (14 / 434).

(2) هو للإمام مكي بن أبي طالب الأندلسي القيسي، المتوفى (437هـ)، وهذا الكتاب شرح لكتابه التبصرة في القراءات السبع.

(3) انظر: فتح البيان في مقاصد القرآن (14 / 461). وانظر أيضاً: 466/14، 123/15

(4) هو تفسير لأبي الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى: 450هـ) ، (الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان) ، عدد الأجزاء: 6.

(5) انظر: فتح البيان في مقاصد القرآن (1 / 122).

(6) هو تفسير لأبي الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: 468هـ)، (الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ، الطبعة الأولى: 1415 هـ / 1994 م)، عدد الأجزاء: 4.

القول الأول: هو جمع عشية وهي آخر النهار، قاله الواحدي.

القول الثاني: هو واحد وهو المشهور وهو من حين زوال الشمس إلى أن تغيب ، ومنه سميت صلاة الظهر والعصر صلاتي العشاء.

القول الثالث: من العصر إلى ذهاب صدر الليل وهو ضعيف.(1)

بعد ذكر الأقوال منها قول الواحدي رحمه الله، رد القنوجي رحمه الله القول الثالث فقال: هو ضعيف.

11. معالم التنزيل في تفسير القرآن (2):

كون سورة الفاتحة مكية أم مدينة ؟ ذكر القنوجي رحمه الله فيها ثلاثة أقوال وهي:

القول الأول: أنها مكية وهو قول أكثر العلماء.

القول الثاني: مدنية وهو قول مجاهد.

القول الثالث: أنها نزلت مرتين مرة بمكة حين فرضت الصلوات الخمس، ومرة بالمدينة حين حولت القبلة جمعاً بين الروايات.

بعد ذكر هذه الأقوال رجح القنوجي رحمه الله القول الأول فقال : والأول أصح قاله البغوي ، ورجحه البيضاوي.(3)

12. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (4) :

عند تفسير قوله تعالى: ﴿فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [المنافقون: ١٠]، قال الشيخ القنوجي رحمه الله في تفسير هذه الآية :

" (فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِيٓ) أي يقول عند نزول ما نزل به منادياً لربه: هلا أمهلتني وأخرت موتي، فلولا بمعنى هلا التي معناها التحضيض وتختص بما لفظه ماض، وهو في تأويل المضارع كما هنا، إذ لا معنى لطلب التأخير في الزمن الماضي، أو لا زائدة، ولولا للتمني، وقضية كلام الكشاف أن لولا بمعنى هل الاستفهامية والأولى أولى.(5)

---

(1) فتح البيان في مقاصد القرآن (2 / 232).

(2) هو تفسير لمحيي السنة ، أبي محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى : 510هـ) ، (الناشر : دار إحياء التراث العربي -بيروت ، الطبعة الأولى: 1420 هـ)،عدد الأجزاء :5.

(3) انظر: فتح البيان في مقاصد القرآن (1 / 31).

(4) هو تفسير الإمام أبي القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: 538هـ) ، (الناشر: دار الكتاب العربي – – بيروت الطبعة الثالثة: 1407 هـ)، عدد الأجزاء: 4.

(5) فتح البيان في مقاصد القرآن (14 / 154).

بعد الأقوال منها قول الكشاف ، رجح القنوجي القول الأول فقال: الأول أولى .

13. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز(1):

عند تفسير قوله تعالى : ﴿قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ [النمل: ٤٠]، ذكر القنوجي رحمه الله في تفسيرها ستة أقوال وهي:

القول الأول: قال أكثر المفسرين : اسمه آصف بن برخيا بالمد وبالقصر ، وهو من بني إسرائيل، وكان وزيراً لسليمان وصديقاً له.

القول الثاني: كاتبه ، وكان من أولياء الله تظهر الخوارق على يديه كثيراً.

القول الثالث: كان يعلم اسم الله الأعظم الذي إذا سئل به أعطى، وإذا دعي به أجاب، قاله ابن عطية.

القول الرابع: هو سليمان نفسه ، ويكون الخطاب على هذا للعفريت كأن سليمان استبطأ ما قاله العفريت، فقال له هذه المقالة تحقيراً له.

القول الخامس: هو جبريل وقيل : ملك آخر.

القول السادس: هو الخضر.

بعد ذكر هذه الأقوال منها قول ابن عطية، رجح القنوجي القول الأول فقال : وقد قيل غير ذلك مما لا أصل له والأول أولى.(2)

14. مفاتح الغيب(3):

عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَىْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ [البقرة: ١١٣]، ذكر الشيخ القنوجي في تفسيرها قول الرازي هكذا فقال: "قال الرازي: واعلم أن هذه الواقعة بعينها قد وقعت في أمة محمد صلى الله عليه وسلم فإن كل طائفة تكفر الأخرى مع اتفاقهم على تلاوة القرآن انتهى."(4)

---

(1) هو تفسير لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: 542هـ) ، (الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت ، الطبعة الأولى : 1422 هـ).

(2) انظر: فتح البيان في مقاصد القرآن (10 / 45).

(3) هو تفسير لأبي عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: 606هـ) ، (الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت ، الطبعة الثالثة - 1420هـ).

(4) فتح البيان في مقاصد القرآن (1 / 257).

15. الجامع لأحكام القرآن (1):

عند تفسير قوله تعالى : ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن وَلِيٍّ مِّنۢ بَعْدِهِۦ﴾ [الشورى: ٤٤]، ذكر القنوجي رحمه الله في تفسيرها قولان وهما: القول الأول: ظاهر الآية العموم، القول الثاني: هي خاصة بمن أعوض عن النبي صلى الله عليه وسلم ولم يعمل بما دعاه إليه من الإيمان بالله والعمل بما شرعه الله والمودة في القربى، أي فمن أضله الله عن هذه الأشياء فلا يهديه هاد، قاله القرطبي.

بعد ذكر القولين منهما قول الإمام القرطبي، رجح القنوجي القول الأول فقال: والأول أولى.(2)

16. أنوار التنزيل وأسرار التأويل (3):

عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ﴾ [غافر: ٧]، ذكر القنوجي رحمه الله في تفسيرها قول البيضاوي وأبي السعود رحمهما الله، هكذا:

" (رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا) أي وسع رحمتك كل شيء، وعلمك كل شيء، وتقديم الرحمة على العلم لأنها المقصودة بالذات ههنا، قاله البيضاوي وأبو السعود، لأن المقام مقام الاستغفار، وإلا فالعلم متقدم ذاتاً."(4)

17. مدارك التنزيل وحقائق التأويل (5):

عند تفسير قوله تعالى: ﴿قَالَ كَلَّا ۖ فَٱذْهَبَا بِـَٔايَٰتِنَآ ۖ إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ﴾ [الشعراء: ١٥]، ذكر القنوجي رحمه الله في تفسيرها قول النسفي رحمه الله فقال:

" (مُّسْتَمِعُونَ) أي: سامعون ما تقولون وما يقال لكم، والاستماع في غير هذا، الإصغاء للسماع يقال: استُمع فلان حديثه أي: أصغي إليه، ولا يجوز حمله هاهنا على ذلك، فحمل على السماع، قاله النسفي." (6)

---

(1) هو تفسير لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى : 671هـ)، الناشر : دار الكتب المصرية – القاهرة ، الطبعة الثانية :، 1384هـ - 1964م) ، عدد الأجزاء : 20 جزءا (في 10 مجلدات).

(2) انظر: فتح البيان في مقاصد القرآن (12 / 316).

(3) هو تفسير لناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (المتوفى: 685هـ) (الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت ، الطبعة الأولى: 1418 هـ).

(4) فتح البيان في مقاصد القرآن (12 / 164).

(5) هو تفسير لأبي البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (المتوفى: 710هـ) (الناشر: دار الكلم الطيب، بيروت الطبعة الأولى، 1419 هـ - 1998 م) ، عدد الأجزاء: 3.

(6) فتح البيان في مقاصد القرآن (9 / 367).

18. **التسهيل لعلوم التنزيل (1):**

عند تفسير قوله تعالى: ﴿رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا﴾ [النازعات: ٢٨]، ذكر القنوجي رحمه الله في تفسيرها قول ابن جزي رحمه الله فقال:

"قال ابن جزي: السمك غلظ السماء وهو الإرتفاع الذي بين السطح السفلي الأسفل الذي يلينا ، وسطحها الأعلى الذي يلي ما فوقها، قال البغوي: رفع سمكها أي سقفها ولينظر ما المراد بسقفها ، ويمكن أن يقال سقف كل سماء هو السماء التي فوقها كما أن السماء الدنيا سقف للأرض تأمل." (2)

19. **لباب التأويل في معاني التنزيل (3):**

عند تفسير قوله تعالى: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [البقرة: ٢٥٣]، ذكر القنوجي رحمه الله في تفسير هذه الآية قول الخازن رحمه الله فقال:

"قال الخازن: أجمعت الأمة على أن نبينا محمداً صلى الله عليه وسلم أفضل الأنبياء لعموم رسالته وهو قوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [سبأ: ٢٨]."(4)

20. **البحر المحيط في التفسير (5):**

عند تفسير قوله تعالى : ﴿وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ﴾ [الممتحنة: ٢]، ذكر الشيخ القنوجي رحمه الله في تفسير هذه الآية ترجيح أبي حيان رحمه الله فقال: "(وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ) معطوف على جواب الشرط، أو على جملة الشرط والجزاء، ورجحه أبو حيان على غيره من الاحتمالات، والمعنى أنهم تمنوا ارتدادكم وودوا رجوعكم إلى الكفر."(6)

---

(1) هو تفسير لأبي القاسم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزي الكلبي الغرناطي (المتوفى: 741هـ) ، (الناشر: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم – بيروت ، الطبعة الأولى: 1416 هـ).

(2) فتح البيان في مقاصد القرآن (15 / 65).

(3) هو تفسير لعلاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبي الحسن، المعروف بالخازن (المتوفى: 741هـ) (الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة الأولى: 1415 هـ).

(4) فتح البيان في مقاصد القرآن (2 / 84).

(5) هو تفسير لأبي حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: 745هـ) ، (الناشر: دار الفكر – بيروت ، الطبعة: 1420ه)ـ.

(6) فتح البيان في مقاصد القرآن (14 / 75).

21. الدر المصون في علوم الكتاب المكنون(1):

عند تفسير قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [التوبة: ٧٣]، ذكر الشيخ القنوجي رحمه الله في تفسير هذه الآية تعليق السمين رحمه الله فقال: " إن قيل كيف حسنت الواو هنا والفاء أشبه بهذا الموضع، ففيه ثلاثة أجوبة. أحدها: أن الواو واو الحال وتلك الحال حال كفرهم، والتقدير افعل ذلك في حال استحقاقهم جهنم. والثاني تقديره واعلم أن مأواهم جهنم. والثالث أن الكلام قد حمل على المعنى، والمعنى أنه قد اجتمع لهم عذاب الدنيا بالجهاد والغلظة وعذاب الآخرة، فيجعل جهنم مأواهم، قال السمين: ولا حاجة إلى هذا كله بل هذه جملة استئنافية. قال أبو السعود: مستأنفة لبيان مآل أمرهم بعد بيان عاجله (وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ) مصيرهم إليها.(2)

22. تفسير القرآن العظيم(3):

عند تفسير قوله تعالى: ﴿فَٱلْمُقَسِّمَٰتِ أَمْرًا﴾ [الذاريات: ٤]، ذكر القنوجي رحمه الله في تفسيرها حديثا ، ثم ضعفه ، ونقل في الأخير حكم الحديث من ابن كثير رحمه الله فقال: "﴿فَٱلْمُقَسِّمَٰتِ أَمْرًا﴾ قال علي: الملائكة، وعن عمر بن الخطاب مثله، ورفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم وفي إسناده أبو بكر بن سبرة وهو ضعيف لين الحديث وسعيد بن سلام وليس من أصحاب الحديث كذا قال البزار، قال ابن كثير: فهذا الحديث ضعيف رفعه وأقرب ما فيه أنه موقوف على عمر."(4)

23. غرائب القرآن ورغائب الفرقان(5)

عند تفسير قوله تعالى : ﴿وَمَن كَانَ فِى هَٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٢]، ذكر القنوجي رحمه الله في تفسيرها قول النيسابوري رحمه الله فقال: " قال النيسابوري: لا خلاف أن المراد بهذا العمى ، عمى القلب لا عمى البصر. وأما قوله (فَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ) التي لم تعاين ولم تر

---

(1) هو تفسير لأبي العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي (المتوفى: 756هـ) (الناشر: دار القلم، دمشق) ، عدد الأجزاء: 11.

(2) فتح البيان في مقاصد القرآن (5 / 350).

(3) هو تفسير لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: 774هـ) ، (الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع ، الطبعة الثانية: 1420هـ /1999م)، عدد الأجزاء: 8.

(4) فتح البيان في مقاصد القرآن (13 / 190).

(5) هو تفسير لنظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري (المتوفى: 850هـ) ، (الناشر: دار الكتب العلميه – بيروت الطبعة الأولى - 1416 ه)ـ.

(أَعْمَىٰ) فيحتمل أن يراد به عمى البصر كقوله: ﴿وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا﴾ [طه: ١٢٥]، وفي هذه زيادة العقوبة، ويحتمل أن يراد عمى القلب."(1)

24. تفسير الجلالين(بر):

عند تفسير قوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ وَهَٰرُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ بِـَٔايَٰتِنَا فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾ [يونس: ٧٥]، ذكر الشيخ القنوجي رحمه الله في تفسيرها قولين وهما:

القول الأول: المراد بالملأ الأشراف ، هكذا قرره بعض المفسرين.

القول الثاني: وقرر بعضهم أن المراد بالملأ هنا مطلق القوم من استعمال الخاص في العام.

بعد ذكر القولين قال القنوجي: إن القول الثاني وهو ظاهر صنيع السيوطي في الجلالين.(3)

25. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور(4) :

عند تفسير قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا﴾ [الملك: ٣]، ذكر القنوجي رحمه الله في تفسيرها قول البقاعي رحمه الله فقال :

" (طِبَاقًا) أي مطبقاً بعضها فوق بعض كل سماء مقببة على الأخرى وسماء الدنيا كالقبة على الأرض وهو جمع طبق نحو جبل وجبال، أو جمع طبقة نحو رحبة ورحاب أو مصدر طابق يقال طابق مطابقة وطباقاً، وعلى هذا الوصف بالمصدر للمبالغة أو على حذف مضاف أي ذات طباق أو طوبقت طباقاً، قال البقاعي: طباق بحيث يكون كل جزء منها مطابقا للجزء من الأخرى ولا يكون جزء منها خارجاً عن ذلك."(5)

26. الدر المنثور في التفسير بالمأثور(6)

عند تفسير قوله تعالى : ﴿فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾ [البقرة: ٧٩]، قال الشيخ القنوجي رحمه الله في تفيسرها : وقد ذكر صاحب الدر المنثور آثاراً عن جماعة من السلف

---

(1) فتح البيان في مقاصد القرآن (7 / 429).

(2) هو تفسير لشيخين جلال الدين محمد بن أحمد المحلي (المتوفى: 864هـ) وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (المتوفى: 911هـ) ،(الناشر: دار الحديث – القاهرة ، الطبعة: الأولى ، عدد الأجزاء: 1).

(3) فتح البيان في مقاصد القرآن (6 / 103).

(4) هو تفسير لإبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (المتوفى: 885هـ) ، (الناشر: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة ،عدد الأجزاء: 22).

(5) فتح البيان في مقاصد القرآن (14 / 231).

(6) هو تفسير لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: 911هـ) ، دار الفكر – بيروت ، عدد الأجزاء: 8).

أنهم كرهوا بيع المصاحف مستدلين بهذه الآية، ولا دلالة فيها على ذلك، ثم ذكر آثاراً عن جماعة منهم أنهم جوزوا ذلك ولم يكرهوه.(1)

27. الإتقان في علوم القرآن للإمام السيوطي أيضاً

عند تفسير قوله تعالى: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ﴾ [العلق: ١] نقل عن السيوطي في إتقانه فقال: قال السيوطي في إتقانه إن أول سورة اقرأ مشتمل على نظير ما اشتملت عليه الفاتحة من براعة الاستهلال لكونها أول ما نزل من القرآن فإن فيها الأمر بالقراءة وفيها البداءة باسم الله وفيها الإشارة إلى علم الأحكام، وفيها ما يتعلق بتوحيد الرب وإثبات ذاته وصفاته من صفة ذات وصفة فعل، وفي هذا الإشارة إلى أصول الدين وفيها ما يتعلق بالإخبار من قوله (علم الإنسان ما لم يعلم) ولهذا قيل إنها جديرة أن تسمى عنوان القرآن لأن عنوان الكتاب يجمع مقاصده بعبارة وجيزة في أوله انتهى.(2)

28. إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (3):

عند تفسير قوله تعالى: ﴿جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلۡكَعۡبَةَ ٱلۡبَيۡتَ ٱلۡحَرَامَ قِيَٰمٗا لِّلنَّاسِ وَٱلشَّهۡرَ ٱلۡحَرَامَ وَٱلۡهَدۡيَ وَٱلۡقَلَٰٓئِدَۚ﴾ [المائدة: ٩٧]، ذكر القنوجي رحمه الله في تفسيرها قول أبي السعود رحمه الله فقال:

والمراد بالقلائد ذوات القلائد من الهدي وهي البدن، خصت بالذكر لأن الثواب فيها أكثر، وبهاء الحج بها أظهر، فهو من عطف الخاص على العام، قاله أبو السعود.

بعد ذكر قوله قال : ولا مانع من أن تراد القلائد أنفسها أي التي كانوا يقلدون بها أنفسهم يأخذونها من لحاء شجر الحرم إذا رجعوا من مكة ليأمنوا على أنفسهم من العدو.(4)

29. تفسير المظهري(5) :

عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلۡمَلَكَيۡنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَۚ﴾ [البقرة: ١٠٢] ذكر الشيخ القنوجي رحمه الله في تفسيرها ثلاثة أقوال وهي:

القول الأول: هما معذبان ببابل.

---

(1) فتح البيان في مقاصد القرآن (1 / 209).

(2) انظر : فتح البيان في مقاصد القرآن (310/15).

(3) هو تفسير لأبي السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى: 982هـ) ، دار إحياء التراث العربي – بيروت).

(4) انظر : فتح البيان في مقاصد القرآن (4 / 58).

(5) هو تفسير لمحمد ثناء الله المظهري (المتوفى : 1225هـ) ، المحقق: غلام نبي التونسي ، (الناشر: مكتبة الرشدية – باكستان الطبعة: 1412 هـ).

القول الثاني: قيل معلقان بشعورهما.

القول الثالث: وقيل منكوسان يضربان بسياط الحديد إلى قيام الساعة .

بعد ذكر هذه الأقوال نقل القنوجي رحمه الله قول أبي السعود رحمه الله فقال: وقال أبو السعود: وهذا مما لا تعويل عليه ، لما أن مداره رواية اليهود مع ما فيه من المخالفة لأدلة العقل والنقل انتهى.

ثم قال القنوجي : اختار هذا الموقف الخازن والمظهري رحمهما الله ، ثم قال : وهذا القول يقتضي أن هذه القصة غير صحيحة وأنها لم تثبت بنقل معتبر.(1)

30. فتح القدير (2):

عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ [غافر: ٣٤]، ذكر القنوجي رحمه الله في تفسيرها ثلاثة أقوال وهي:

القول الأول: المراد بيوسف هو يوسف بن يعقوب عليهما السلام .

القول الثاني: يوسف بن إفرائيم بن يوسف بن يعقوب، وكان أقام فيهم أي في القبط نبياً عشرين سنة.

القول الثالث: أن الله بعثه إليهم رسولاً من الجن يقال له: يوسف ، حكاه النقاش عن الضحاك

بعد ذكر هذه الأقوال ذكر القنوجي رحمه الله ترجيح الشيخ الشوكاني رحمه الله فقال: قال الشوكاني رحمه الله: والأول أولى.(3)

هذه جملة من كتب التفسير التي استفاد منها الشيخ صديق حسن خان القنوجي -رحمه الله- غالباً في تفسيره " فتح البيان في مقاصد القرآن "، ولكنه في أكثر الأحيان رجع إلى تفسير " فتح القدير " للشيخ الشوكاني -رحمه الله-، واستفاد منه ما لم يستفد من غيره؛ لأنه كان معجباً به وبمنهجه أيّما إعجاب، ولذا أثنى عليه في مقدمة تفسيره حيث قال:" ومن أحسن التفاسير جمعاً بين الرواية والدراية فيما علمت تفسير الإمام الحافظ القاضي محمد بن علي بن محمد الشوكاني اليمني المتوفى سنة خمسين ومائتين وألف الهجرية ، وهو تفسير كبير بالقول في مجلدات أربع".(4)

---

(1) انظر : فتح البيان في مقاصد القرآن (1 / 239). وانظر أيضاً: 129/1

(2) هو تفسير لمحمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: 1250هـ) ، (الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت ، الطبعة الأولى : - 1414 هـ).

(3) انظر: فتح البيان في مقاصد القرآن (12 / 188).

(4) مقدمة فتح البيان في مقاصد القرآن (1 / 20)

لقد بالغ الشيخ القنوجي في النقل عن الشوكاني حتى إنه قد ينقل عنه صفحات(1) من غير أن ينسبه إليه أو يحيل على تفسيره، وهذا مما يؤخذ عليه، ولكن عند ما يعرف القارئ أن تفسير القنوجي كان تلخيصاً لتفسير الشوكاني في بداية الأمر فلا يكون الأمر عندئذٍ مما يثير العجب.(2)

وطريقة القنوجي في تفسيره أنه يذكر ما ذكره الشوكاني على منهجه الجامع بين الرواية والدراية، ويختصر كلامه بالإجمال تارة وبالحذف تارة أخرى، ثم يزيد عليه من التفاسير الأخرى من اللطائف والنكات النفيسة مع بيان الراجح منها، وكثيراً ما يرجّح ما رجّحه الشوكاني ولا يخالفه إلا في الحالات النادرة، ومن أجل إكثاره من النقل من فتح القدير اتهمه البعض بتقليده إياه ناقل محض،(3) وليس الأمر كذلك تماماً، ومن قارن بين التفسيرين وجد بينهما فرقاً، ولعل من أبرز الفروق بين التفسيرين ما يلي:

أولاً: إن أسلوب القنوجي في فتح البيان يغاير أسلوب الشوكاني في فتح القدير، فإن القنوجي اختار أسلوب التفسير الممزوج، بينما الشوكاني يذكر جملة من الآيات القرآنية ذات الموضوع الواحد أو بالآية الكبيرة ثم يشرع في تفسيرها وبيان ما فيها من الغريب و وجوه النحو ثم يسرد ما روي في تفسير تلك الآية أو الآيات من أحاديث مرفوعة.

ثانياً: نجد الشيخ القنوجي يخالف الشوكاني في عديد من المواضع ويزيد عليه، نكتفي هنا بذكر مثال واحد على ذلك، ففي تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَن تَصُومُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡ﴾ [البقرة: ١٨٤]، قال الشوكاني: أي الصوم خير لكم من الفدية.(4) أما القنوجي فقال: أي إن صيامكم أيها المطيقون خير لكم من الإفطار مع الفدية، وكان هذا قبل النسخ، وقيل: معناه: و أن تصوموا في السفر، والمرض غير الشاق-وقيل: هو خطاب مع الكافة؛ لأن اللفظ عام فرجوعه إلى الكل أولى، وهو الأصح. (5)

فنرى في هذا المثال أن القنوجي خالف الشوكاني، وهناك أمثلة أخرى كثيرة. والله أعلم

فيتضح مما سبق أن الشيخ القنوجي استفاد من تراث تفسيري ضخم، ولم يكتف بكتب التفسير فقط، بل استفاد من كتب الحديث والعقيدة والتاريخ والفقه والأصول واللغة وغيرها.

---

(1) انظر مثلاً: فتح البيان 300/2، وقارنه بفتح القدير 487/1، و فتح البيان 350/6، وقارنه بفتح القدير 23/4، وانظر: فتح البيان 302/10 وقارنه بفتح القدير 218/5، و 417، وانظر: فتح البيان 38/5 وقارنه بفتح القدير 48/3. ومثل هذا كثير عند القنوجي، وأبرز مثال على ذلك ما نقل عنه في تفسير قوله تعالى: ﴿وَشَاهِدٖ وَمَشۡهُودٖ﴾ [البروج: ٣]، فقارن بين التفسيرين تجد ما قلناه واضحاً، فلقد أخذ القنوجي عن الشوكاني في تفسير هذه الآية ما يقارب خمس صفحات.

(2) انظر: إبقاء المنن بإلقاء المحن ص 348 من كلام تلميذه وصاحبه ذوالفقار أحمد.

(3) انظر: إبقاء المنن بإلقاء المحن ص 345

(4) انظر: فتح القدير 181/1

(5) انظر: فتح البيان 236/1

المبحث الثاني

مصادره من كتب السنة

وبما أن السنة النبوية تعتبر من أهم مصادر تفسير القرآن الكريم، فهي شارحة له وموضحة لمعانية، ومبيّنة لمبهماته، ومن هنا نرى الشيخ القنوجي يستقي من كتب السنة ويستفيد منها في تفسيره للقرآن الكريم، وقد بيّن ذلك في مقدمة تفسيره فقال: (وكذلك إذا ثبت تفسير ذلك من الرسول صلى الله عليه وسلم فهو أقدم من كل شيء بل حجة متبعة لا يسوغ مخالفتها لشيء آخر).(1)

وقال أيضاً: (وأذكر الحديث معزواً إلى راويه من غير بيان حال الإسناد، لأني آخذه من الأصول التي نقلت عنها كذلك كما يقع في تفسير ابن جرير والقرطبي وابن كثير والسيوطي، ويبعد كل البعد أن يعلموا في الحديث ضعفاً ولا يبينوه، ولا ينبغي أن يقال فيما أطلقوه أنهم قد علموا ثبوته، فإن من الجائز أن ينقلوه من دون كشف عن حال الإسناد، بل هذا هو الذي يغلب به الظن لأنهم لو كشفوا عنه فثبتت عندهم صحته لم يتركوا بيان ذلك كما يقع منهم كثيراً التصريح بالصحة والحسن، فمن وجد الأصول التي يروون عنها ويعزون ما في تفاسيرهم إليها فلينظر في أسانيدها موفقاً إن شاء الله تعالى).(2)

ومن أهم مصادره من كتب السنة ما يلي:

1. مسند الإمام أحمد بن حنبل، فقد استفاد منه الشيخ القنوجي في تفسيره كثيراً.(3)
2. الجامع الصحيح للإمام البخاري، لقد اعتمد عليه القنوجي في تفسيره ناقلاً ومستشهداً برواياته في أغلب الأحيان عند التعرض للحديث الشريف في تفسيره، فقد ينقل عنه منفرداً،(4) وقد ينقل عنه مجتمعاً مع غيره من المحدثين(5) وقد ينقل عنه وعن مسلم فيقول: وفي الصحيحين.(6) أو وأخرج البخاري ومسلم،(7) وقد نقل عن البخاري في الأدب المفرد(8) و تاريخه أيضاً.(9)

---

(1) فتح البيان 18/1

(2) فتح البيان 22/1

(3) انظر مثلاً: 246/10،235، 274، 11/ 58

(4) انظر مثلاً: 72/12

(5) انظر مثلاً: 379/11

(6) انظر مثلاً:332/14، 184/15

(7) انظر مثلاً: 39/11، 119/11

(8) انظر مثلاً: 132/12.

(9) انظر مثلا: 379/11

3. الجامع الصحيح للإمام مسلم، فقد اعتمد عليه القنوجي واستشهد بأحاديثه التي رواها في تفسير القرآن الكريم وأسباب النزول والترغيب والترهيب وغيرها من المسائل. (1)
4. كتاب السنن للإمام أبي داود.(2)
5. الجامع السنن للإمام الترمذي.(3)
6. السنن الصغرى للإمام النسائي. (4)
7. سنن ابن ماجه (5)
8. المعاجم الثلاثة للطبراني (6)
9. مستدرك الحاكم (7)
10. السنن الكبرى للإمام البيهقي(8)
11. شعب الإيمان للإمام البيهقي أيضاً(9)
12. السنن للإمام الدارمي(10)
13. مسند الإمام الدارمي(11)
14. سنن الدارقطني(12)
15. شرح معاني الآثار للطحاوي(13)
16. المسند للطيالسي (14)
17. المسند للإمام أبي يعلى الموصلي(1)

---

(1) انظر مثلاً: 342/15، 32/13، 411/13.

(2) انظر مثلاً: 135/10، 109/11

(3) انظر مثلاً: 113/11، 11/ 124، 135/11.

(4) انظر مثلاً: 10/ 271، 33/12، 75/12

(5) انظر مثلاً: 15/ 130، 15/ 461

(6) انظر مثلاً: 10/ 261، 11/ 32، 103/11

(7) انظر مثلاً: 53/11، 69/11، 151/11

(8) انظر مثلاً: 34/12، 379/14، 385 413/14

(9) انظر مثلاً: 70/14، 197، 275/14

(10) انظر مثلاً: 268/11، 385/12

(11) انظر مثلاً: 385/12، 268/11

(12) انظر مثلاً: 34/12

(13) انظر مثلاً: 450/1

(14) انظر مثلاً: 78/1، 247/2، 104/9، 176/9

18.المصنف للصنعاني (2)

19.المصنف للإمام ابن أبي شيبة(3)

20.الموطأ للإمام مالك (4)

21.نيل الأوطار للإمام الشوكاني(5)

إضافة إلى ما سبق من كتب السنة النبوية المذكورة أعلاه فإن الشيخ القنوجي ينقل عن غيرها من كتب الحديث كمسند البزار وابن مردويه وابن راهويه، والجامع الصغير كما يستفيد من كتب شروح الحديث شرح المؤطأ للزرقاني ومصابيح السنة للبغوي وغيرها من كتب الحديث وشروحها المعتبرة التي يستفيد منها الشيخ القنوجي قلة وكثرة.

وهذه المصادر الكثيرة التي تربو على عشرين مصدراً تدل على أن الشيخ القنوجي يهتم بتفسير القرآن الكريم بالرواية اهتماماً كبيراً كما يبدو ذلك لمن طالع تفسيره مطالعة دقيقة، وقد صرح الشيخ القنوجي أن تفسيره هذا جامع للرواية والدراية من علم التفسير على طريقة الإمام الشوكاني.(6)

المبحث الثالث

مصادره من كتب اللغة

إن الشيخ القنوجي يكثر النقل من المصادر اللغوية والنحوية والبلاغية في تفسيره على الرغم من انتقاده لمن يعتمد على ذلك كلياً، كما بيّن في مقدمة تفسيره فتح البيان، فقال: ومنهم من ملأ كتابه بما غلب على طبعه من الفن واقتصر فيه على ما تمهر هو فيه، كأن القرآن أنزل لأجل هذا العلم لا غير، مع أن فيه تبيان كل شيء، فالنحوي تراه ليس له إلا الإعراب وتكثير الأوجه المحتملة فيه وإن كانت بعيدة وينقل قواعد النحو ومسائله وفروعه وخلافياته كالزجاج والواحدي في البسيط وأبي حيان في البحر والنهر.(7)

---

(1) انظر مثلاً: 268/11

(2) انظر مثلاً: 101/6، 277

(3) انظر مثلاً: 87/11،86، 395/13

(4) انظر مثلاً: 84/6، 282، 292

(5) انظر مثلاً: 276/10، 115/5، 56/4

(6) فتح البيان 20/1

(7) فتح البيان 15/1

وهو لا يقصد بذلك الإشارة أو تفصيل ما يحتاج إليه ولمكن ينقد بذلك الاعتماد الكلي أو الغالب على ذلك؛ لأنه يبيّن أنه قد اعتمد في تفسيره على ما يراه مناسباً من اللغة والقراءة، وكثيراً ما يذكر في تفسيره قائلاً: إن التفسير الذي ينبغي الاعتداد به والرجوع إليه هو تفسير كتاب الله جل جلاله باللغة العربية حقيقة ومجازاً إن لم تثبت في ذلك حقيقة شرعية فإن ثبتت فهي مقدمة على غيرها. (1)

وقد بيّن أن الثابت من التفسير عن الصحابة ومن تبعهم بإحسان إن كان من اللفظ الذي قد نقله الشرع فهو كواحد من أهل اللغة مقدم على غيره، وإن كان من الألفاظ التي لم ينقلها الشرع كواحد من أهل اللغة الموثوق بعربيتهم، فإذا خالف ذلك المشهور المستفيض لم تقم الحجة علينا بتفسيره الذي قاله على مقتضى لغة العرب العرباء، فبالأولى تفاسير من بعدهم من تابعهم وسائر الأئمة. (2)

ويثني على التفسير اللغوي الصادر ممن يعتمده ويشير إليه من الصحابة ومن تبعهم، وإن ما يقتصر عليه المفسر عن وجه واحد مما يقتضيه النظم القرآني باعتبار المعنى اللغوي، ومعلوم أن ذلك لا يستلزم إهمال سائر المعاني التي تفيدها اللغة العربية، ولا إهمال ما يستفاد من العلوم التي تبين بها دقائق العربية وأسرارها كعلم المعاني والبيان، فإن التفسير بذلك هو تفسير باللغة لا تفسير بمحض الرأي المنهي عنه.(3)

وقد يشير إلى المصادر اللغوية من غير الرجوع إليها ناقلاً ذلك عن المفسرين الذين سبقوه وأكثر الذين نقل عنهم هم الشوكاني والقرطبي؛ لأنهم توسعوا في نقل أقوال اللغويين والنحاة، مع زيادة أو نقصان أو تقديم و تأخير.

وفيما يلي نذكر أهم مصادره اللغوية التي استفاد منها الشيخ القنوجي في تفسيره:

1- **الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية)** تأليف الإمام أبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري(4) الجوهري(4) المتوفى سنة 393هـ، وهو من أقدم ما ألف من معاجم اللغة العربية، يمتاز بحسن الترتيب وسهولة المطلب، وقد أكثر منه الشيخ القنوجي عند شرح الغريب، فقد يقول: قال في الصحاح، وقد يقول: قال الجوهري.(5)

---

(1) فتح البيان 18/1

(2) فتح البيان 18/1

(3) فتح البيان 21/1

(4) مضت ترجمته في ص 120

(5) فتح البيان 137/1، 6/ 35،39

وقد استمد الشيخ القنوجي من مادته اللغوية، ولا سيّما كتابه الصحاح، ومما نقل عنه في تفسير قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا﴾ [مريم: ٧٠]، قال: قال الجوهري: يقال صليت الرجل ناراً إذا أدخلته النار وجعلته يصلاها، فإن ألقيته إلقاء كأنك تريد الإحراق، قلت أصليته بالنار بالألف، وصلَّيته تصلية، ومنه ﴿وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا﴾ [الانشقاق: ١٢]،(1) وكذا في قوله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [البقرة: ٥٢]، قال: قال الجوهري الشكر الثناء على المحسن بما أولاك من المعروف، يقال شكرته وشكرت له، وباللام أفصح والشكران خلاف الكفران.(2)

2- **كتاب العين** للإمام خليل بن أحمد الفراهيدي الأزدي المتوفى سنه 175هـ، واضع علم العروض، وقاموسه هذا أول قاموس عربي، عنه القنوجي ولا يذكر اسمه، وقد يقول: قال الخليل.(3)

3- **القاموس المحيط والقابوس الوسيط لما ذهب من كلام العرب شماطيط**، تأليف الإمام مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزأبادي الشيرازي المتوفى سنة 819هـ وهو معجم جامع فوق غيره و دون لسان العرب، ويعتبر من أهم مراجع الشيخ القنوجي.(4)

4- **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي**، تأليف الإمام أحمد بن علي بن المقري الفيومي المتوفى سنة 770 هـ، وهو كتاب يعني بشرح المفردات ويلخص القواعد العامة في الاشتقاق والتحليل الصرفي، ويعتبر من مصادر الشيخ القنوجي في تفسير لشرح الكلمات الغريبة.(5)

5- **إملاء ما منّ به الرحمن** تأليف أبي البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري، يستفيد منه الشيخ القنوجي في مباحث الإعراب في تفسيره. (6) ونقل عنه مستشهداً بقوله آخذا ما يراه مناسباً للأخذ، مثل: تفسير قوله تعالى: ﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ﴾ [البقرة: ٢٣٦]، قال:

---

(1) فتح البيان 185/8

(2) فتح البيان 169/1

(3) فتح البيان 145/1، 6/ 42

(4) فتح البيان 69/5

(5) فتح البيان 25/5، 6/ 387

(6) فتح البيان 73/2، 114/3

وقال أبو البقاء(1): همزة أحد أصل بنفسها غير مقلوبة، وذكر أن أحد يفيد العموم دون واحد.(2)

وخالف القنوجي رأيه أحياناً مثل قوله: في تفسير قوله تعالى: ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا﴾ [الإسراء: ١]، قال: ثم التفت ثانياً من التكلم في باركنا إلى الغيبة في ليريه على قراءة الحسن بالياء، ثم التفت ثالثاً من هذه الغيبة إلى التكلم في آياتنا، ثم التفت رابعاً من هذا التكلم إلى الغيبة في قوله أنه هو على الصحيح في الضمير (إنه) لله تعالى. وأما على ما نقله أبو البقاء أن الضمير في أنه هو للنبي صلى الله عليه وسلم فلا يجيء ذلك(3)

6- **مختار الصحاح** للإمام محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، وهو تلخيص للصحاح للجوهري، واقتصر على كلمات القرآن الكريم والسنة النبوية واجتنب عويص اللغة وغريبها، وهو من مراجع الشيخ القنوجي في تفسيره التي استفاد منها.(4)

وبالإضافة إلى ما ذكر من كتب اللغة فإن ينقل أيضاً عن أئمة اللغة العربية من معاني الكلمات والآراء النحوية والإعرابية والاشتقاقات اللغوية ومن أمثلة ذلك:

ما نقل عن الفراء في معنى كلمة الاستواء فقال: وقال الفراء الإستواء في كلام العرب على وجهين (أحدهما) أن يستوي الرجل وينتهي شبابه وقوته أو يستوي من اعوجاج (5)

كما ينقل عنه آراؤه النحوية في مثل قوله: قال الفراء: ﴿فَعَّالٞ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [البروج: ١٦] هو رفع على التكرير والاستئناف لأنه نكرة محضة.(6) وقد ينقل عنه أكثر من معنى في الآية الواحدة، وقد يرجح يرجح رأيه إن رأى وجها للترجيح، مثل تفسير قوله تعالى: ﴿لَّا تَسۡمَعُ فِيهَا لَٰغِيَةٗ﴾ [الغاشية: ١١]، قال الفراء والأخفش: أي لا تسمع فيها كلمة لغو قيل: المراد بذلك الكذب والبهتان والكفر، قاله قتادة وقال مجاهد أي الشتم، وقال الفراء لا تسمع فيها حالفاً يحلف بكذب، قال الكلبي لا تسمع في الجنة حالفاً بيمين برة ولا فاجرة، وقال الفراء أيضاً لا تسمع في كلام أهل الجنة كلمة تلغى لأنهم لا يتكلمون إلا بالحكمة وحمد الله تعالى على ما رزقهم من النعيم الدائم، وهذا أرجح الأقوال لأن النكرة

---

(1) هو الإمام محب الدين عبد الله بن الحسين العكبري البغدادي النحوي الحنبلي الضرير، المقرئ الفقيه المفسر، صاحب كتاب إملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن، توفي سنة 616هـ انظر: البداية والنهاية لابن كثير 85/13، وفيات الأعيان 2/ 286، طبقات المفسرين للداودي 231/1.

(2) فتح البيان 447/15

(3) فتح البيان 350/7

(4) فتح البيان 167/10

(5) فتح البيان 121/1

(6) فتح البيان 15/ 170

في سياق النفي من صيغ العموم ولا وجه لتخصيص هذا بنوع من اللغو خاص إلا بمخصص يصلح للتخصيص. ولاغية إما صفة موصوف محذوف أي كلمة لاغية أو جماعة لاغية أو نفس لاغية أو مصدر أي لا تسمع فيها لغواً قال ابن عباس لا تسمع أذى ولا باطلاً.(1)

وقد يرد قوله، ولا يوافقه في مثل تفسير سورة الكافرون: قال الأخفش والفراء: المعنى لا أعبد الساعة ما تعبدون ولا أنتم عابدون الساعة ما أعبد ولا أنا عابد في المستقبل ما عبدتم ولا أنتم عابدون في المستقبل ما أعبد. ثم قال: وكل هذا فيه من التكلف والتعسف ما لا يخفى على منصف، فإن جعل قوله لا أعبد ما تعبدون للإستقبال وإن كان صحيحاً على مقتضى اللغة العربية ولكنه لا يتم جعل قوله: ﴿وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ﴾ [الكافرون: ٣]، للاستقبال لأن الجملة الاسمية تفيد الدوام والثبات في كل الأوقات فدخول النفي عليها يرفع ما دلت عليه من الدوام والثبات في كل الأوقات، ولو كان حملها على الاستقبال صحيحاً للزم مثله في قوله: ﴿وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٞ مَّا عَبَدتُّمۡ﴾ [الكافرون: ٤]، وفي قوله ﴿وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ﴾ فلا يتم ما قيل من حمل الجملتين الآخرتين على الحال.(2)

وهكذا نقل عن الإمام أبي عبيدة في مواضع مختلفة من تفسيره مستشهداً بقوله تارة ورادا عليه تارة أخرى، وتارة ينقل عنه بالنص، وأخرى بتصرف. ومن أمثله ما نقل عنه تفسير لكلمة الصدع في قوله تعالى: ﴿وَٱلۡأَرۡضِ ذَاتِ ٱلصَّدۡعِ﴾ [الطارق: ١٢]، فقال: والصدع الشق لأنه يصدع الأرض فتنصدع له قال أبو عبيدة والفراء: تتصدع بالنبات.(3)

وقد يأخذ برأيه ويعضده بقول غيره أيضاً تأكيداً له كما في قوله تعالى: ﴿حُورٞ مَّقۡصُورَٰتٞ فِي ٱلۡخِيَامِ﴾ [الرحمن: ٧٢]، أي محبوسات فيها، ومنه القصر، لأنه يحبس من فيه، وقيل: مخدرات مستورات لا يخرجن، لكرامتهن وشرفهن، يقال: امرأة قصيرة وقصورة ومقصورة، أي: مخدرة،... وقيل: معنى مقصورات أنهن قصرن على أزواجهن فلا يردن غيرهم، وحكاه الواحدي عن المفسرين، والأول أولى، وبه قال أبو عبيدة ومقاتل وغيرهما.(4)

وقد ينقل عنه ولا يعقب عليه بالتأييد ولا بالرد، مثل تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلۡبُرُوجِ﴾ [البروج: ١] قال: وقال أبو عبيدة ويحيى بن سلام وغيرهما: هي المنازل للكواكب وهي إثنا عشر

---

(1) فتح البيان 15/204-205

(2) فتح البيان 15/421-422

(3) فتح البيان 15/180

(4) فتح البيان 13/348

برجاً لاثني عشر كوكباً وهي: الحمل والثور والجوزاء والسرطان والأسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدي والدلو والحوت.(1)

وهذا لا يعني أن القنوجي يأخذ بجميع أقواله بل أحياناً يرفضها ويرد عليها، مثل تفسير كلمة النقع في قوله تعالى: ﴿فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا﴾ [العاديات: ٤]، قال: وقال أبو عبيدة النقع رفع الصوت، وعلى هذا رأيت قول أكثر أهل العلم، انتهى. والمعروف عند جمهور أهل اللغة والمفسرين أن النقع الغبار، وهذا هو المناسب لمعنى الآية وليس لتفسير النقع بالصوت فيها كثير معنى، فإن قولك أغارت الخيل على بني فلان صبحاً فأثرن به صوتاً قليل الجدوى مغسول المعنى، بعيد من بلاغة القرآن المعجزة.(2)

كما نقل عن المبرد(3) أيضاً في غير ما موضع من تفسيره ويستشهد بأقواله في مواطن كثيرة ومتفرقة و يرد عليه في مواطن أخرى، ومن أمثلة ذلك: في تفسير قوله تعالى: ﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ﴾ [البلد: ١١]، قال المبرد وأبو علي الفارسي: أن " لا " هنا بمعنى لم أي فلم يقتحم، وروي نحو ذلك عن مجاهد، فلهذا لم يحتج إلى التكرير.(4)

وقد يوافق المبرد إذا رأى الحق معه، وقد يذكر مناقشاته مع غيره، مثل: تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص: ٤]، وقد رد المبرد على سيبويه بهذه الآية لأن سيبويه قال: إنه إذا تقدم الظرف كان هو الخبر وههنا لم يجعل خبراً مع تقدمه، وقد رد على المبرد بوجهين:

أحدهما: أن سيبويه لم يجعل ذلك حتماً بل جوزه. والثاني: أنا لا نسلم كون الظرف هنا ليس بخبر، بل يجوز أن يكون خبراً ويكون كفواً منتصباً على الحال.(5)

ويستشهد بأقوال الزجاج ذاكراً آراءه النحوية مستعيناً في تفسيره للقرآن الكريم، من ذلك قوله تعالى: ﴿خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ﴾ [الطارق: ٦]، يقول في تفسيره: قال الزجاج: من ماء ذي اندفاق يقال دارع وقايس ونابل أي ذو درع وقوس ونبل، يعني من صيغ النسب كلابن وتامر.(6)

---

(1) فتح البيان 15/ 157

(2) هو أبو العباس محمد بن يزيد المبرد، صاحب كتاب الكامل في اللغة والأدب، وكتاب إعراب القرآن، توفي سنة 286هـ. انظر: طبقات المفسرين للداودي 267/2.

(3) فتح البيان 352/15

(4) فتح البيان 15/ 245

(5) فتح البيان 451/15-452

(6) فتح البيان 177/15

وينقل عنه أيضاً في معاني تفسير الآيات كما في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا سِجِّينٞ﴾ [المطففين: ٨]، يقول في تفسيره: قال الزجاج: معنى قوله وما أدراك ما سجين ليس ذلك مما كنت تعلمه أنت ولا قومك أي في الدنيا قبل نزول الوحي عليك وإنما علمته بالوحي.(1)

ثم دافع عن رأي الزجاج في كون نون سجين أصلية، مشتقة من السجن، وهو الحبس، ويرد قول الواحدي الذي يضعف هذا القول؛ لأن العرب ما كانت تعرف سجيناً، فيجيب القنوجي عن الزجاج ومن تبعه قائلاً: ويجاب عنه بأن رواية هؤلاء الأئمة تقوم بها الحجة وتدل على أنه من لغة العرب.(2)

وقد يرد على الزجاج أيضاً في مثل قوله تعالى: ﴿وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٞ مَّا عَبَدتُّمۡ ۝٤ وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ ۝٥﴾ [الكافرون:٤-٥] قال: قال الزجاج: نفى رسول الله صلى الله عليه وسلم، بهذه السورة عبادة آلهتهم عن نفسه في الحال وفي المستقبل، ونفى عنهم عبادة الله في الحال، وفيما يستقبل، ثم قال: وكما يندفع هذا يندفع ما قيل من العكس لأن الجملة الثانية والثالثة والرابعة كلها جمل اسمية مصدرة بالضمائر التي هي المبتدأ في كل واحد منها مخبر عنها باسم الفاعل العامل فيها بعده منفية كلها بحرف واحد وهو لفظ لا في كل واحد منها فكيف يصح القول مع هذا الاتحاد بأن معانيها في الحال والاستقبال مختلفة.(3)

وينقل عن النحاس كثيراً من أقواله النحوية واللغوية، ففي قوله تعالى: ﴿إِن نَّشَأۡ نُنَزِّلۡ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةٗ فَظَلَّتۡ أَعۡنَٰقُهُمۡ لَهَا خَٰضِعِينَ﴾ [الشعراء: ٤] قال بعد أن ذكر التفسير اللغوي للآية بقول مجاهد في معنى كلمة أعناقهم: أي كبراؤهم، ثم أيد ذلك بقول النحاس فقال: قال النحاس: وهذا معروف في اللغة، يقال: جاءني عنق من الناس، أي رؤساء منهم.(4)

وقد يرد على قوله أو يشير إلى الرد مثل: تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَعۡزِمُواْ عُقۡدَةَ ٱلنِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبۡلُغَ ٱلۡكِتَٰبُ أَجَلَهُۥۚ﴾ [البقرة: ٢٣٥]، قال: قال النحاس: يجوز أن يكون المعنى ولا تعقدوا عقدة النكاح لأن معنى تعزموا وتعقدوا واحد، قيل: إن العزم على الفعل يتقدمه فيكون في هذا النهي مبالغة لأنه إذا نهى عن المتقدم على الشيء كان النهي عن ذلك الشيء بالأولى.(5)

---

(1) فتح البيان 128/15

(2) فتح البيان 128/15

(3) فتح البيان 15/ 422

(4) فتح البيان 362/9

(5) فتح البيان 44/2 وانظر أيضاً: 82/11

وإلى جانب من تقدم من المصادر اللغوية والنحوية فإن الشيخ القنوجي له نقولات واستشهادات أخرى عن هؤلاء وعن غيرهم من مشاهير أهل اللغة والنحو والبلاغة من البصريين والكوفيين، وممن ذكرهم في تفسيره وأخذ عنهم كذلك: سيبويه، والكسائي(1) والأخفش وغيرهم.

وكذلك الشيخ القنوجي لا يكتفي بهذه المصادر والمراجع المذكورة هنا، بل يستفيد من كتب السيرة والتاريخ والفقه والأصول والتزكية والسلوك، فقد استفاد من كتب شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم ومن كتب الإمام الشوكاني مثل الدرر البهية في الفقه و إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول في أصول الفقه.(2)

وممن استفاد من كتبه في تفسيره كتاب إعلام الموقعين عن رب العالمين لابن القيم الجوزية،(3) كما استفاد من كتب السيرة والتاريخ أمثال كتاب الكامل في التاريخ(4) ومقدمة ابن خلدون المسمى بـ (العبر وديوان المبتدأ والخبر)(5) وغيرها من الكتب والمصادر العلمية المباركة.

وأخيراً، فإن الشيخ القنوجي جمع في تفسيره من كنوز المعرفة وذخائر العلم، غير ما ذكرنا، ولعل التي ذكرناها غيض من فيض، فقد ملأ تفسيره مما استمده من هذه الكتب ومما جادت به قريحته، فقدم موسوعة علمية كبيرة يمكن أن يستفيد منها المبتدي والمنتهي.

۞ ۞ ۞

---

(1) هو أبو الحسن علي بن حمزة بن عبد الله الأسدي، أحد أئمة القراءة والنحو واللغة، كان مؤدب الأمين والمأمون، له كثير من المصنفات منها: معاني القرآن والحروف والمصادر. وفيات الأعيان 295/3. و معجم الأدباء 167/13.

(2) فتح البيان 66/3

(3) فتح البيان 1/ 162

(4) فتح البيان 4/ 330

(5) فتح البيان 4331

الفصل الثاني

مميزات ترجيحات الشيخ القنوجي في تفسيره والمآخذ عليه

ويشتمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: مكانة تفسير القنوجي وترجيحاته

المبحث الثاني: مميزات ترجيحات الشيخ القنوجي في تفسيره

المبحث الثالث: المأخذ على ترجيحات الشيخ القنوجي في تفسيره

المبحث الأول

مكانة تفسير القنوجي وترجيحاته

يعتبر تفسير الشيخ القنوجي المسمى بـ (فتح البيان في مقاصد القرآن) من أهم كتب التفسير الجامع بين الرواية والدراية، و تبرز أهمية هذا التفسير و قيمته العلمية من خلال موقف أهل العلم من هذا التفسير، فقد أثنى عليه كثير من العلماء ومدحه كثير من المعاصرين للشيخ القنوجي ومن جاء بعده، وقد ذكرنا نبذة صالحة من أقوالهم وثنائهم على هذا التفسير وصاحبه عند الحديث عن التعريف بتفسير فتح البيان في مقاصد القرآن وأهميته. ومن ذلك:

قال العلامة حمد بن عتيق:

"وقد وصل إلينا التفسير بكماله فرأينا أمرًا عجيبًا ما كنا نظن أن الزمان يسمح بمثله وما قرب منه لما في التفاسير التي تصل إلينا من التحريف والخروج عن طريقة الاستقامة وحمل كلام الله على غير مراد الله وركوب التفاسير في حمله على المذاهب الباطلة وجعلت السنة كذلك فلما نظرنا في ذلك تبين لنا حسن قصد منشئه وسلامة عقيدته وتبعده من تعمد مذهب غير ما عليه السلف الكرام فعلمنا أن ذلك من قبيل قوله تعالى:﴿وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ۝٦٥﴾ [الكهف: ٦٥] فالحمد لله رب العالمين ...".(1)

وقال الشيخ ذو الفقار احمد المالوي:

"هذا التفسير بحمد الله تعالى قد جاء جامعاً للصحيح من الأقاويل عارياً عن الشبه والتصحيف والتبديل محلىً بالأحاديث النبوية مطرزاً بالأحكام الشرعية موشياً بالقصص الصحيحة و أخبار الماضيين الصريحة مرصعاً بأحسن الإشارات مخرجاً بأوضح العبارات مفرغاً في قالب الجمال بأفصح لفظٍ وأبلغ مقال ومهذباً جامعاً لمعاني التفسير ولباب التأويل والتتعبير حاوياً لتلخيص مأثوره و منقوله متضمناً لنكته و أصوله، ولم يجعل لنفسه تصرفاً فيه سوى النقد والانتخاب مجتنباً حد التطويل الممل والإيجاز المخل وفضول الأسباب فهو كتاب مبارك وسط في التأويلات جامع لوجوه الإعراب والقراءات متضمن لحقائق السنن و مقالات أهاليها موشح بتفاسير سلف الأمة و أئمتها و مواليها خال عن أباطيل الآراء الفاسدة و أكاذيب العقول الكاسدة

---

(1) هداية الطريق من رسائل وفتاوى الشيخ حمد بن علي بن عتيق، عناية: إسماعيل بن سعد بن عتيق، (ص119-120)، و انظر أيضاً: الدرر السنية في الأجوبة النجدية، لعلماء نجد الأعلام، جمع وتحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم النجدي، الطبعة السادسة، 1417هـ/1996م، 13/23-24، وانظر أيضا: الرسائل المتبادلة بين الشيخين صديق حسن خان و أحمد بن عيسى، اعتنى بها سليمان بن صالح الخراشي، در التوحيد للنشر، الرياض، الطبعة الأولى 1431هـ 2010م ص (38)

ساقه بأبلغ ما قدر عليه من الإيجاز و حسن التهذيب مازجاً له بالكتاب العزيز مع التسهيل والتقريب".(1)

وقال الشيخ قاسم القيسي-رحمه الله-:

" وأما التفسير المسمى (فتح البيان في تفسير القرآن) للعلامة محمد صديق حسن خان فهو تفسير جيد أيضاً كتفسير الإمام الشوكاني من حيث الجمع بين الرواية والدراية والتحقيق لما هو الصحيح والتمييز بين الراجح والمرجوح، إلا أنه كان موضوعاً بطريقة المزج بمتن القرآن بخلاف ما قبله وقد ضاهاه وحاكاه في أكثر المواضع لفظاً بلفظ، وزاد عليه في مواضع عديدة وقد أحسن وما أساء ..." (2)

و أما بالنسبة لترجيحات الشيخ القنوجي في تفسيره و أهميتها عند دارسي التفسير،(3) فمما يلاحظ أنه يعتبر من أهم التفاسير التي يهتم بترجيح الأقوال بعضها على بعض، وقد صرح بذلك الشيخ القنوجي أيضاً في مقدمة تفسيره أنه يهتم بترجيح الأقوال بعضها على بعض. فقال: (وجمعته جمعاً حسناً بعبارة سهلة وألفاظ يسيرة مع تعرض للترجيح بين التفاسير المعارضة في مواضع كثيرة، وبيان للمعنى العربي والإعرابي واللغوي مع حرص على إيراد صفوة الصفوة مما ثبت من التفسير النبوي ومن عظماء الصحابة وعلماء التابعين، ومن دونهم من سلف الأمة وأئمتها المعتبرين).(4)

---

(1) انظر: تقريظه على تفسير فتح البيان في آخر المجلد الرابع ص975، المطبع الصديقي الواقع في دار الإمارة بهوبال المحمية سنة 1294هـ.

وقد تضمن آخر المجلد الرابع من الطبعة الهندية البهوباليه الصديقية تقاريظ جماعة من العلماء المعاصرين للشيخ القنوجي منهم: السيد محمد الكتبي الحنفي الخطيب الإمام المدرس بالمسجد الحرام و شيخ الأدباء و تاج الأذكياء الحنفاء و نخبة الأصدقاء الشيخ أمين بن حسن المدني الحلواني و الشيخ فيض الحسن السهارنفوري والشيخ العلامة المفسر المحدث علي بن عبد الله الشامي الكناني والشيخ العلامة الفقيه يحيى بن محمد المفتي وغيرهم رحمهم الله جميعاً. كما مدح تفسيره جماعة من العلماء غير ما ذكرنا، وجمعت أقوالهم في كتاب قرة الأعيان و مسرة الأذهان ، فليراجعه من أراد التفصيل.

(2) تاريخ التفسير للشيخ قاسم القيسي، مطبعة المجمع العلمي العراقي، 1358هـ ص 137.

(3) انظر: قواعد الترجيح عند المفسرين للحربي 1/ 12، و يشير الحربي أيضاً إلى كثير من المواضع التي رجح فيه القنوجي رأياً من آراء المفسرين.

(4) فتح البيان 1/ 21

وقال أيضاً: (ووطنت النفس على سلوك طريقة، هي بالقبول عند الفحول حقيقة، مقتصراً فيه على أرجح الأقوال، وإعراب ما يحتاج إليه عند السؤال، وترك التطويل بذكر أقوال غير مرضية، وقصص لا تصح وأعاريب محلها كتب العربية).(1)

فهذه التصريحات من الشيخ القنوجي تدل على اهتمامه البالغ بالترجيح بين أقوال المفسرين، لكنه في الغالب يأخذ بترجيحات الإمام الشوكاني، فهو متأثر به أيما تأثير، والإمام ابن عطية والقرطبي وغيرهم، كما أنه متأثر بشيخ الإسلام ابن تيمية و بتلميذيه ابن القيم وابن كثير رحمهم الله جميعاً، ومن هنا يعتبر الشيخ القنوجي من هذه المدرسة.

المبحث الثاني

مميزات ترجيحات الشيخ القنوجي في تفسيره

بناء على ما يقتضيه البحث العلمي من أنه يجب على الباحث أن يبيّن للقراء مدى أهمية ما يكتب عنه ويوضح المميزات والمآخذ عليه؛ ليكون القارئ على بيّنة من الأمر، ومن هنا فأرى من حق القارئ عليّ أن أوضح له ذلك في الأسطر القادمة.

من مميزات هذا التفسير القيم:

1. أنه يمتاز من حيث الجمع بين الرواية والدراية.
2. من مميزات هذا التفسير أنه يرجح بين أقوال المفسرين، ويميز بين القول الصحيح والسقيم.
3. إنه صاحب منهج مستقيم ومستقل في تفسير القرآن، فهو يحاول أن يفسر القرآن بالقرآن ثم بالسنة ثم بأقوال الصحابة والتابعين، ولا يقلد شخصاً بعينه في آرائه الفقهية والتفسيرية.
4. من مميزات تفسيره أنه شديد التمسك بالكتاب والسنة، ومخالفة البدع والأهواء.
5. رده على أنواع الشرك و مظاهره التي انتشرت في المجتمعات الإسلامية.
6. دعوته إلى التوحيد الخالص، المستفاد من ينابيعه الصافية- القرآن والسنة-.
7. ومن مميزات هذا التفسير أيضاً أنه يرد على أهل الأهواء والبدع، وخاصة أصحاب التقليد الأعمى.
8. من مميزات تفسيره أنه لا يرجع في تبني الأراء بمجرد أقوال الأئمة من غير تحقيق واستدلال، فلا يأخذ من أحد قولاً بدون دليل.
9. لا يكثر من رواية الأحاديث الضعيفة حتى في فضائل الأعمال ولا يتساهل في روايتها.

---

(1) فتح البيان 1/ 23

10. يتجنب رواية الموضوعات والأحاديث المكذوبة في فضائل السور وغيرها.
11. ممن مميزات تفسيره أن مؤلفه صانه من كثير من الخرافات والقصص الإسرائيلية والباطلة التي لا أصل لها إلا عند أهل الكتاب.
12. ومن مميزات تفسيره أنه لا يخوض عادة في المسائل التي لا تجدي، فلا يضيع وقت القارئ في المسائل التي لا طائل تحته، ويحاول قدر الإمكان أن يعطي القارئ فائدة علمية تنفعه في دنياه وأخراه.
13. من مميزات هذا التفسير أنه يرد على الفرق الباطلة كالمعتزلة وغيرها، ويفند آراءهم الباطلة بالأدلة القوية.
14. ومن مميزاته أنه صاحب عقيدة صحيحة، فلا يؤول في آيات الصفات، ويثبت له سبحانه وتعالى من الصفات ما أثبته لنفسه أو أثبته له رسوله صلى الله عليه وسلم وينفي عنه ما نفاه عن نفسه أو نفاه عنه رسوله صلى الله عليه وسلم، من غير تكييف ولا تعطيل ولا تمثيل ولا تشبيه ولا تجسيم.
15. من مميزات هذا التفسير أنه يعطيك خلاصة أقوال السابقين من المفسرين، ولا يستطرد كثيراً في أقوالهم، كما يذكر اللطائف التفسيرية والنكات والحِكم النفيسة حول الآيات القرآنية.
16. من مميزات التفسير خلوه عن التعصب المذهبي في المسائل الفقهية، وتميّزه بالنزعة التحريرية، مع الاحترام لآراء الأئمة المجتهدين.
17. من مميزاته أيضاً اهتمامه باللغة والنحو والاشتقاق والبلاغة، و ترجيح الأقوال على أساسها.
18. من مميزات هذا التفسير أيضاً أنه يولي اهتماما كبيراً للإجماع في التفسير وقول الجمهور إذا كان مستنداً إلى أدلة قوية.
19. من مميزات تفسيره أيضاً أنه سهل العبارة، واضح المقصد، ليس بالمغلق الذي لا يمكن أن يستفيد منه إلا الجهابذة من العلماء.
20. إنه يستفيد من المصادر الأصلية في الموضوع وكثيراً ما يشير إلى المصدر عند الأخذ عنه.
21. ومن المميزات اهتمامه بمباحث علوم القرآن كالمكي والمدني وأسباب النزول والناسخ والمنسوخ والقراءات في بداية كل سورة أو أثناء التفسير.
22. تركيزه على بيان أسباب النزول الذي هو أهم وسائل توضيح معنى الآية.

هذه بعض من المميزات التي يتميز بها الشيخ القنوجي وتفسيره، ولا شك أن تفسيره يتميز بميزات غير ما ذكرت، وأنه من التفاسير التي لا يمكن الاستغناء عنه.

المبحث الثالث

المآخذ على ترجيحات القنوجي في تفسيره

من باب الأمانة العلمية ومن الإنصاف جداً أن يذكر الباحث بجانب مميزات المؤلف المآخذ عليه؛ كي يتجنب القارئ تلك الأمور التي ينبغي الابتعاد عنها، ولا شك أنه لا يجوز لمثلي أن يؤاخذ على الشيخ القنوجي وأمثاله، ولكن يستلزم البحث العلمي أن يذكر فيه بجانب المميزات ما يؤخذ على المفسر أيضاً.

ومن المآخذ على هذا التفسير ما يلي:

1. إنه يأخذ من الإمامين الجليلين السيوطي والشوكاني -رحمهما الله- بعض الأحاديث الضعيفة والموضوعة التي وردت في علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- (1) ويمر عليها و لا ينبه على ضعفها أو وضعها، ولعل سبب تركها شدة وضوحها وشهرتها بين أهل السنة والجماعة.
2. من كثرة اعتماده على بعض المفسرين فقد يقع في ما وقعوا فيه من إيراد الإسرائيليات وأباطيل اليهود، مثل رواياته في قصة سليمان عليه السلام وحديث الخاتم.(2)
3. أنه قد ينقل الصفحات بنصها وفصها من بعض المفسرين وخاصة الإمام الشوكاني من غير أن يحيل عليه بأنه أخذ ذلك منه أو ينسبه إلى أحد.(3)
4. إن من يقارن بين تفسيري الشوكاني والقنوجي يجد أن الأخير هو صورة مطابقة تماماً للأول، مع بعض الزيادة والنقص في المواضع القليلة.(4)

---

(1) مثاله: ما رواه عن أبي سعيد الخدري قال: نزلت هذه الآية يوم غدير خُمّ في علي بن أبي طالب، وعن ابن مسعود قال كنا نقرأ على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك إن عليّاً مولى المؤمنين وإن لم تفعل فما بلغت رسالته). انظر: فتح البيان 19/4، ما ذكره في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ﴾ [المائدة: ٥٥]، فقال: عن ابن عباس قال: تصدّق عليّ بخاتم وهو راكع فأنزل الله فيه هذه الآية، وعن علي نحوه. انظر: فتح البيان 453/3.وكله من دسائس الشيعة.

(2)انظر: فتح البيان 50/10، وانظر أيضاً: 42/12-43

(3) انظر مثلاً: فتح البيان 300/2، وقارنه بفتح القدير 487/1، و فتح البيان 350/6، وقارنه بفتح القدير 23/4، وانظر: فتح البيان 302/10 وقارنه بفتح القدير 218/5، و 417، وانظر: فتح البيان 38/5 وقارنه بفتح القدير 48/3.

(4) هذا كثير عند القنوجي، وإن شئت المثال على ذلك فقارن بين التفسيرين في تفسير قوله تعالى: ﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾ [البروج: ٣]، تجد ما قلناه واضحاً، فلقد أخذ القنوجي عن الشوكاني في تفسير هذه الآية ما يقارب خمس صفحات.

5. ومن المآخذ عليه –رحمه الله- شنّه الحملة الشديدة على مقلدي المذاهب الأربعة، واعتبارها تقليداً محرماً، مندرجاً تحت الآيات التي تنعى على المشركين تقليد آبائهم المشركين.(1)

6. قد يخوض في بعض المسائل اللغوية والبلاغية التي لا تجدي كثيراً، ومع ذلك يطيل النفس فيها و كثيراً ما يكون صعب العبارات و مشكل المنال خاصة لطلبة العلم.(2)

7. من المآخذ عليه في ترجيحاته أنه لا يستدل كثيراً لما رجحه، بل يكتفي بذكر ترجيحه، وكثيراً ما يرجح بقوله: والأول أولى، ولا يذكر المرجح.

8. ومن المآخذ أيضاً في ترجيحه أنه لا يصرح عادة بالقاعدة التي رجح بها قولاً على غيره، إلا أنه في بعض الأحيان يذكر القاعدة، وخاصة قاعدة العموم.

9. يترك كثيراً من الأقوال بدون الترجيح، فيسرد الأقوال ولا يرجح فيها. ولعله يرى أن وجه الترجيح يكون واضحاً في تلك الأقوال.

10. وقد يغلب على الشيخ القنوجي التفسير بالرأي على التفسير بالمأثور، وخاصة ما نقل عن الصحابة والتابعين، وقد لا يذكره أصلاً.(3)

هذه بعض المآخذ على تفسير الشيخ القنوجي –رحمه الله- المسمى بـ (فتح البيان في مقاصد القرآن)، وعلى كل حال فإن تفسيره موسوعة علمية عظمية، تستحق الإشادة والتنويه، فجزاه الله تعالى عن أمة الإسلام خيرا الجزاء.

۞ ۞ ۞

---

(1) انظر مثلاً: فتح البيان 327/4، 338/8، 387/9، 292/10، 340/12، 12/ 246، 260/13 وغيرها.

(2) انظر مثلاً: فتح البيان 91/9، 270/3، 185/1، 76/9، 3/ 303-304

(3) انظر: فتح البيان 75/2، 124/1، 56/3

الخاتمة

وتشتمل على:

- **النتائج**
- **التوصيات والاقتراحات**

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبفضله تتضاعف الحسنات، وبلطفه تتنزل الرحمات، والصلاة والسلام على أشرف المخلوقات، وعلى آله وأصحابه و أزواجه الطاهرات، ومن هدى بهديه إلى يوم الحسرات. أما بعد:

فهذا ما يسر الله تعالى لي تحريره من كتابة رسالة الدكتوراه المتعلقة بترجيحات الشيخ القنوجي -رحمه الله- في تفسيره فتح البيان في مقاصد القرآن، وبعد هذه الجولة الممتعة في هذا التفسير القيم ألخص عدداً من النتائج التي توصلت إليها خلال معايشتي معه:

1- غزارة علم الشيخ القنوجي -رحمه الله-وعلو كعبه في كثير من العلوم و على رأسها التفسير والحديث والفقه واللغة العربية والأصول والبلاغة وغيرها.

2- كان الشيخ القنوجي –رحمه الله- مصلحاً كبيراً، وداعية إلى التمسك بالكتاب والسنة، له تأثيره في إصلاح العقائد ونشر العلم والأمن في البلاد، ويبرز ذلك في تفسيره أيمّا بروز.

3- يعتبر الشيخ القنوجي من المفسرين الذين يهتمون بالترجيح بين أقوال المفسرين، كما صرح بذلك في مقدمة تفسيره، نجد الترجيحات الصريحة عنده تربو على ألف ترجيح بين أقولا المفسرين، إلا أنه في حالات قليلة لا يرجح قولاً على آخر.

4- لقد تناول الشيخ القنوجي في تفسيره الترجيحات المتعلقة بالنص القرآني وسياقه، وما يتعلق بالسنة والآثار، وقرآئن ذلك، ومنها ما يتعلق بلغة العرب من إعراب وتصريف، ومنها ما يتعلق بقضايا العقيدة والمسائل الفقهية.

5- لا يخرج الشيخ في ترجيحاته عن القواعد الترجيحية المقررة عند المفسرين، بل جلّ ترجيحاته أو كلها تكاد تكون موافقة لقواعد الترجيح المعتبرة عند المفسرين.

6- لم يخرج الشيخ القنوجي في ترجيحاته في التفسير عن الأقوال المشهورة والراجحة عند المفسرين كثيراً، بل إن أكثر ترجيحاته موافقة لما عليه جمهور المفسرين، وقد يختار التوقّف في المسألة عند ما لا يتضح له قرائن الترجيح في قول من الأقوال، مثل توقّفه في مسألة: هل الذبيح إسحاق أم إسماعيل؟(1)

---

(1) بعد أن ذكر اختلاف المفسرين في من يكون الذبيح، وبيان أدلة كل قول، قال:

"وبما سقناه من الاختلاف في الذبيح هل هو إسحق أو إسماعيل؟ وما استدل به المختلفون في ذلك تعلم أنه لم يكن في المقام ما يوجب القطع أو يتعين رجحانه تعيناً ظاهراً وقد رجح كل قول طائفة من المحققين المنصفين كابن جرير فإنه رجح أنه إسحق، ولكنه لم يستدل على ذلك إلا ببعض ما سقناه ههنا وكابن كثير فإنه رجح أنه إسماعيل وجعل الأدلة على ذلك أقوى وأصح وليس الأمر كما ذكره فإنها إن لم تكن دون أدلة القائلين بأن الذبيح إسحق لم تكن فوقها ولا أرجح منها، ولم يصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك شيء، وما روي عنه فهو إما موضوع أو ضعيف جداً ولم يبق إلا مجرد استنباطات من القرآن كما أشرنا إلى

7- يهتم الشيخ القنوجي بما يدل عليه المعنى الظاهري للآية، فكثيراً ما يرجح بقوله: وهو الظاهر من النظم القرآني، أو من سياق الآيات، وهذا هو الأصل كما هو معلوم من أصول التفسير، ولذا عند ما يذكر بعض التفاسير الإشارية فإنه يعقبها بقوله: وليس هذا من التفسير في شيء.**(1)**

8- براعته في استعمال ألفاظ الترجيح، فيستخدم عند كل ترجيح ما يناسبه من الصيغة التي يختارها حيث يعطي ذلك نوعاً من الأهمية لترجيحه والمسألة التي يرجح فيها. فمن عادته أنه عند ما يريد الترجيح في المسألة العقدية فإنه يرجحها بقوله: والحق... وفي المسائل الفقهية يقول: والصواب... وفي الأحاديث يقول: والصحيح... وأما في اللغة وما يتعلق بالتفسير فإنه كثيراً ما يستخدم صيغة ... أولى... والراجح....أو ألأرجح.

9- تصريحه في كثير من المواضع بألفاظ الترجيح، إلا في المواضع القليلة.

10- اعتناؤه التام بتفسير القرآن الكريم بالسنة النبوية، ويعتبر عمدة في هذا الباب، وقد ذكرنا منهجه في ذلك في مبحث مستقل، ولذا نجده يرجح القول المؤيد بالحديث على كل قول خالفه ولو كان منقولاً من مفسري الصحابة كابن عباس وغيره.

11- إعطاؤه اهتماماً كبيراً للإجماع في التفسير، وقول جمهور المفسرين. فما أجمع عليه جمهور المفسرين من السلف مرجّح عنده على ما شذ عنهم. وهذا أيضاً بيّناه في مبحث مستقل.

12- يولي المباحث اللغوية أيضاً اهتماماً بالغاً، ويذكر أقوال اللغويين، و يرجح قولاً على آخر على أساس اللغة وأقوال أئمتها، إن لم يكن في تفسيره نص صريح، أما إذا ورد النص فيه من القرآن أو السنة الصحيحة الصريحة فلا يلتفت إلى أقوال أهل اللغة.

13- ترجيحه كثيراً من الأقوال على أساس قاعدة العموم، ففي كثير من المواضع يرجح القول الذي يدل على العموم حيث يصرح بقاعدة: العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، و أحياناً يختار القول الجامع للأقوال المتعددة نظراً للقاعدة المذكورة.

14- ومن القواعد التي أكثر الشيخ القنوجي الترجيح بها: قاعدة السياق، وقاعدة ترجيح القول المشهور المعروف في اللغة على كل قول شاذ، وقاعدة تقديم قول جمهور السلف على قول غيره، وترجيح المعنى الحقيقي على المعنى المجازي، وتأييد المعنى بالآيات القرآنية الأخرى وغيرها.

15- تحرّيه للصواب المؤيد بالدليل، وعدم تعصبه لمذهب أو شخص معين في ترجيحاته.

ذلك فيما سبق، وهي محتملة ولا تقوم حجة بمحتمل، **فالوقف هو الذي لا ينبغي مجاوزته**، وفيه السلامة من الترجيح بلا مرجح ومن الاستدلال بالمحتمل". انظر: فتح البيان 410/11

(1) انظر: فتح البيان 29/1، 33/8، 37/13

16- يحاول الشيخ القنوجي أولاً الجمع بين الأقوال المتعارضة في التفسير ما أمكن، فإذا لم يمكن الجمع بين الأقوال عندئذ يرجح قولاً على الآخر.

17- يرجح القنوجي بعض الأقوال على أساس القرآءات القرآنية، حيث يقول إن هذا القول تؤيده القرآءة الفلانية، ولكنه اعتمد القراءات المتواترة والصحيحة.

18- من عادة الشيخ القنوجي أنه لا يذكر المرجحات أو الأدلة التي ترجح القول الذي رجحه، كما هو دأب عامة المفسرين، ولكنه يكفتي بذكر الترجيح دون ذكر الدلائل والمرجحات.

19- لا نستطيع أن نجزم بأن جميع ترجيحات الشيخ القنوجي صحيحة وموافقة لقواعد الترجيح، ولكننا نستطيع أن نجزم ونقطع بأن معظم ترجيحاته واختياراته صحيحة وموافقه للقواعد، وقد أصاب في اختيارها وتقديمها على الأقوال الأخرى، وأنا كباحث في الثلث الأخير من ترجيحات هذا التفسير لم أجد في حيز دراستي حسب علمي وفهمي القاصر إلا بضعة عشر موضعاً رأيت قول الشيخ القنوجي فيها مرجوحاً حسب الدراسة التي قمت بها، ولعل الصواب في ذلك أيضاً يكون مع الشيخ القنوجي إلا أن نفسي اقتنعت بالمرجحات التي ذكرها المفسرون الآخرون، وإليها اطمأنت، ولذا رجحت أقوالهم دون قول الشيخ القنوجي.

20- لقد تأثر الشيخ القنوجي بالمفسرين قبله، كابن جرير وابن كثير والقرطبي وعلى وجه الأخص الشوكاني، فيعتبر فتح القدير أصلاً لتفسير القنوجي، وممن تأثر بهم القنوجي أيضاً شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه الشيخ ابن القيم رحمهم الله جميعاً.

21- كما أثر التفسير القنوجي في كثير المفسرين الذين جاءوا بعده، واستفادوا منها واعتبروه موسوعة علمية ضخمية أضيفت إلى المكتبة الإسلامية بيراع هذا العالم الجليل.

22- إن النظر والبحث في ترجيحات المفسرين ينمي في الباحث ملكة الاستدلال ومعرفة ما هو الصواب من أقوال المفسرين عند التعارض.

التوصيات والاقتراحات

فإن كنت أستحق أن أوصي إخوتي بشيء حول هذا الموضوع، فإني أوصيهم بما يلي:

1- ضرورة اهتمام الباحثين على تراث الشيخ القنوجي –رحمه الله- وخاصة فيما يتعلق بالدراسات القرآنية؛ فإنه صاحب تصنيفات جليلة و قيّمة في التفسير وعلوم القرآن، فقد كتب تفسيره الجامع (فتح البيان) و تفسيره لآيات الأحكام المسمى بـ (نيل المرام) كما كتب (الإكسير في أصول التفسير) و خصص بعض الموضوعات بالتأليف في مباحث علوم القرآن كـ (إفادة الشيوخ بمقدار الناسخ والمنسوخ) وغيرها.

2- ضرورة اهتمام العلماء وطلبة العلم بترجمة ما كتبه الشيخ القنوجي بالفارسية والأردية من الكتب العلمية إلى اللغة العربية، وإبراز الجوانب الخفية من حياة وثقافة هذه الشخصية الفذة، كي يعرف العالم العربي والإسلامي شخصية هذا العالم الجليل صاحب التصانيف العظيمة معرفة دقيقة.

3- ضرورة دراسة حيادية عن حياة هذا العالم ومواقفه الفقهية والسياسية والاجتماعية ومكانته بين العلماء والأمراء من المسلمين حيث جهل عن حقيقة أمره كثير من الناس، فهم بين الغالين في مدحه و الناقدين له من غير بيّنة وبصيرة.

4- يمكن أن تكتب رسالة علمية تعتني باستدراكات الشيخ القنوجي وزياداته على الإمام الشوكاني، فإنه وإن كان تفسير القنوجي يعتبر نسخة مطابقة لتفسير الشوكاني إلا أنه قد زاد ونقص ونظّم ورتّب في بعض المواضع حيث يمكن جمع هذه المواد في رسالة علمية، توضح مواضع الاتفاق والافتراق والزيادة والاستدراكات بين التفسيرين.

هذه بعض ما عندي من النتائج والتوصيات حول الشيخ القنوجي وتفسيره، وأنا بدوري أدعو الله عز وجل بأن يغفر للشيخ القنوجي ويرحمه ويرفع درجاته في الفردوس الأعلى لما قدمه من خدمة علمية لكتاب الله تعالى وسنة نبيّه صلى الله عليه وسلم، فجراه الله عنا خير الجزاء.

وفي الختام فهذا هو جهد المقل، وأحمد الله وأثني عليه على ما منّ علي من إتمام هذا البحث، فله الحمد في الأولى والآخرة، وأسأله سبحانه أن يغفر زلاتي وأخطائي، وأن يتقبل **مني** هذا الجهد المتواضع، كما أرجو القارئ الكريم أن يقبل عذري؛ لأن الكمال لله وحده.

وصلى الله تعالى على خير خلقه محمد وعلى آله وأصحابه وسلم.

والله الموفق، وهو الهادي إلى سواء السبيل

الفهارس العامة

1. فهرس الآيات الكريمات
2. فهرس الأحاديث النبوية
3. فهرس آثار الصحابة والتابعين
4. فهرس الأعلام (الشخصيات)
5. فهرس الأماكن والمدن
6. فهرس القبائل والفرق والأحداث
7. فهرس المراجع والمصادر
8. فهرس الموضوعات

أولاً: فهرس الآيات القرآنية

رقم الآية	الآية	رقم الصفحة
	سورة البقرة	
2	﴿ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾	126
3	﴿ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾	119، 397
7	﴿ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ ۖ ﴾	202، 306
18	﴿ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ ﴾	306
28	﴿ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ﴾	234، 236
29	﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ﴾	400
37	﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ ﴾	100، 112
43	﴿ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾	103، 105
79	﴿ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴾	406
97	﴿ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ... ﴾	129
102	﴿ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ ۚ ﴾	407
113	﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَىْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ ﴾	402
127	﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ ﴾	126
137	﴿ فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ ﴾	89
143	﴿ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ ﴾	127
167	﴿ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾	343
168	﴿ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾ ﴾	135
169	﴿ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلْفَحْشَآءِ وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٦٩﴾ ﴾	135
173	﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ ﴾	101، 110
183	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ ﴾	105
187	﴿ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ ﴾	105
197	﴿ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ ﴾	94

206	﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ ﴾	202
217	﴿ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ ﴾	110
228	﴿ وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ ﴾	100، 110
235	﴿ وَلَا تَعْزِمُوا۟ عُقْدَةَ ٱلنِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْكِتَٰبُ أَجَلَهُۥ ﴾	418
236	﴿ لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ ﴾	415
238	﴿ حَٰفِظُوا۟ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ ﴾	122
249	﴿ قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ ﴾	348
253	﴿ * تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾	404
268	﴿ ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ﴾	127
	سورة آل عمران	
18	﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ﴾	396
41	﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ ﴾	400
90	﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ ثُمَّ ٱزْدَادُوا۟ كُفْرًا لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ ﴾	101
97	﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾	105
133	﴿ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ ﴾	230
170	﴿ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾	398
	سورة النساء	
3	﴿ فَٱنكِحُوا۟ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ﴾	100
11	﴿ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا ﴾	114
18	﴿ وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ ﴾	101
23	﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَٰتُكُمْ وَعَمَّٰتُكُمْ... ﴾	100
24	﴿ وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ ﴾	104
29	﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ﴾	138
31	﴿ إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴾	299
36	﴿ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ ﴾	114
42	﴿ يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَعَصَوُا۟ ٱلرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلْأَرْضُ ﴾	101، 102،

		239
58	﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا ﴾	130
75	﴿ رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا مِنۡ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهۡلُهَا ﴾	128
97	﴿ أَلَمۡ تَكُنۡ أَرۡضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٗ فَتُهَاجِرُواْ فِيهَاۚ ﴾	230
97	﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمۡ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمۡۖ ﴾	232
	سورة المائدة	
1	﴿ أُحِلَّتۡ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلۡأَنۡعَٰمِ إِلَّا مَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ ﴾	100
3	﴿ حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحۡمُ ٱلۡخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلۡمُنۡخَنِقَةُ وَٱلۡمَوۡقُوذَةُ وَٱلۡمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيۡتُمۡ ...﴾	100
37	﴿ يُرِيدُونَ أَن يَخۡرُجُواْ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنۡهَاۖ وَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّقِيمٞ ﴾	343
38	﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقۡطَعُوٓاْ أَيۡدِيَهُمَا ﴾	104
41	﴿ وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتۡنَتَهُۥ فَلَن تَمۡلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗاۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمۡۚ لَهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴾	202
64	﴿ بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ ﴾	229
97	﴿ جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلۡكَعۡبَةَ ٱلۡبَيۡتَ ٱلۡحَرَامَ قِيَٰمٗا لِّلنَّاسِ وَٱلشَّهۡرَ ٱلۡحَرَامَ وَٱلۡهَدۡيَ وَٱلۡقَلَٰٓئِدَۚ ﴾	407
	سورة الأنعام	
23	﴿ ثُمَّ لَمۡ تَكُن فِتۡنَتُهُمۡ إِلَّآ أَن قَالُواْ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشۡرِكِينَ ﴾	101
82	﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ ﴾	138
112	﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّٗا شَيَٰطِينَ ٱلۡإِنسِ وَٱلۡجِنِّ يُوحِي بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٖ زُخۡرُفَ ٱلۡقَوۡلِ غُرُورٗاۚ وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُۖ فَذَرۡهُمۡ وَمَا يَفۡتَرُونَ ﴾	393
125	﴿ وَمَن يُرِدۡ أَن يُضِلَّهُۥ يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجٗا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِۚ ﴾	202
130	﴿ يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِي ﴾	269
132	﴿ وَلِكُلّٖ دَرَجَٰتٞ مِّمَّا عَمِلُواْۚ ﴾	269
145	﴿ قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٖ يَطۡعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيۡتَةً ﴾	101
145	﴿ أَوۡ دَمٗا مَّسۡفُوحًا ﴾	110

154	﴿ ثُمَّ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ ﴾	126
160	﴿ مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشۡرُ أَمۡثَالِهَا ﴾	277 ،276
	سورة الأعراف	
12	﴿ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسۡجُدَ إِذۡ أَمَرۡتُكَۖ ﴾	333
23	﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٢٣ ﴾	112 ،100
33	﴿ قُلۡ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلۡإِثۡمَ وَٱلۡبَغۡيَ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَأَن تُشۡرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنٗا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٣٣ ﴾	135
38	﴿ قَالَ ٱدۡخُلُواْ فِيٓ أُمَمٖ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِكُم مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ فِي ٱلنَّارِۖ ﴾	266
53	﴿ هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأۡوِيلَهُۥ ﴾	336 ،335
53	﴿ يَوۡمَ يَأۡتِي تَأۡوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبۡلُ قَدۡ جَآءَتۡ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلۡحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشۡفَعُواْ لَنَآ أَوۡ نُرَدُّ فَنَعۡمَلَ غَيۡرَ ٱلَّذِي كُنَّا نَعۡمَلُۚ قَدۡ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ﴾	186
54	﴿ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ ﴾	123
57	﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَيۡ رَحۡمَتِهِۦٓۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتۡ سَحَابٗا ثِقَالٗا سُقۡنَٰهُ لِبَلَدٖ مَّيِّتٖ ﴾	290
57	﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتۡ سَحَابٗا ثِقَالٗا سُقۡنَٰهُ لِبَلَدٖ مَّيِّتٖ ﴾	290
145	﴿ وَكَتَبۡنَا لَهُۥ فِي ٱلۡأَلۡوَاحِ مِن كُلِّ شَيۡءٖ مَّوۡعِظَةٗ وَتَفۡصِيلٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ ﴾	149
145	﴿ فَخُذۡهَا بِقُوَّةٖ وَأۡمُرۡ قَوۡمَكَ يَأۡخُذُواْ بِأَحۡسَنِهَاۚ سَأُوْرِيكُمۡ دَارَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴾	68
158	﴿ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا ﴾	186
172	﴿ وَإِذۡ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ ﴾	233
186	﴿ مَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُۥۚ ﴾	201
	سورة التوبة	
5	﴿ فَٱقۡتُلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡ ﴾ [التوبة: ٥]	93
18	﴿ إِنَّمَا يَعۡمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ ... ﴾	116
60	﴿ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡعَٰمِلِينَ عَلَيۡهَا وَٱلۡمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمۡ ... ﴾	94

73	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ﴾	404
75	﴿ ۞ وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ ﴾	116
98	﴿ وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ ٱلدَّوَآئِرَ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۗ ﴾	314، 316
101	﴿ وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ ﴾	314
	سورة يونس	
46	﴿ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ ٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾	397
64	﴿ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ ﴾	125
64	﴿ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ ﴾	276
75	﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ وَهَٰرُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ بِـَٔايَٰتِنَا فَٱسْتَكْبَرُوا۟ ﴾	405
101	﴿ وَمَا تُغْنِى ٱلْـَٔايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴾	301
	سورة هود	
20	﴿ وَمَا كَانَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ۘ يُضَٰعَفُ لَهُمُ ٱلْعَذَابُ ۚ ﴾	202
82	﴿ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ ﴾	102
119	﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١١٩﴾ ﴾	266
	سورة الرعد	
7	﴿ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴿٧﴾ ﴾	115
12	﴿ وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ ﴾	290
	سورة الحجر	
6	﴿ وَقَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴾	333
22	﴿ وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ ﴾	115
92	﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ ﴾	111
	سورة النحل	
4	﴿ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴾	304، 305
44	﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾	102

78	﴿ وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَتَشۡكُرُونَ ﴾	305
108	﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَسَمۡعِهِمۡ وَأَبۡصَٰرِهِمۡۖ ﴾	202
	سورة الإسراء	
1	﴿ سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا ﴾	414
24	﴿ رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا ﴾	ج
29	﴿ وَلَا تَجۡعَلۡ يَدَكَ مَغۡلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ ﴾	199
36	﴿ وَلَا تَقۡفُ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ ﴾	135
36	﴿ إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا ﴾	305
72	﴿ وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعۡمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ أَعۡمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلٗا ﴾	404
75-74	﴿ وَلَوۡلَآ أَن ثَبَّتۡنَٰكَ لَقَدۡ كِدتَّ تَرۡكَنُ إِلَيۡهِمۡ شَيۡـٔٗا قَلِيلًا ٧٤ إِذٗا لَّأَذَقۡنَٰكَ ضِعۡفَ ﴾	322
78	﴿ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيۡلِ ﴾	390
101	﴿ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَىٰ تِسۡعَ ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٖۖ ﴾	301
	سورة الكهف	
45	﴿ فَأَصۡبَحَ هَشِيمٗا تَذۡرُوهُ ٱلرِّيَاحُ ﴾	289
53	﴿ وَرَءَا ٱلۡمُجۡرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا ﴾	247
57	﴿ إِنَّا جَعَلۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ أَكِنَّةً أَن يَفۡقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٗاۖ ﴾	201
65	﴿ وَعَلَّمۡنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلۡمٗا ٦٥ ﴾	58 ،29
101	﴿ ٱلَّذِينَ كَانَتۡ أَعۡيُنُهُمۡ فِي غِطَآءٍ عَن ذِكۡرِي وَكَانُواْ لَا يَسۡتَطِيعُونَ سَمۡعٗا ١٠١ ﴾	202
107	﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتۡ لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡفِرۡدَوۡسِ نُزُلٗا ﴾	266
	سورة مريم	
70	﴿ ثُمَّ لَنَحۡنُ أَعۡلَمُ بِٱلَّذِينَ هُمۡ أَوۡلَىٰ بِهَا صِلِيّٗا ﴾	413
	سورة طه	
10	﴿ فَقَالَ لِأَهۡلِهِ ٱمۡكُثُوٓاْ ﴾	173
124	﴿ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ ١٢٤ ﴾	396

125	﴿ وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرۡتَنِيٓ أَعۡمَىٰ وَقَدۡ كُنتُ بَصِيرٗا ﴾	405
130	﴿ وَأَطۡرَافَ ٱلنَّهَارِ ﴾	301
	سورة الأنبياء	
30	﴿ أَوَلَمۡ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ كَانَتَا رَتۡقٗا فَفَتَقۡنَٰهُمَاۖ ﴾	102
57	﴿ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصۡنَٰمَكُم ﴾	217
	سورة الحج	
29	﴿ وَلۡيَطَّوَّفُواْ بِٱلۡبَيۡتِ ٱلۡعَتِيقِ ٢٩ ﴾	130
65	﴿ وَٱلۡفُلۡكَ تَجۡرِي فِي ٱلۡبَحۡرِ بِأَمۡرِهِۦ ﴾	291
	سورة الشعراء	
4	﴿ إِن نَّشَأۡ نُنَزِّلۡ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةٗ فَظَلَّتۡ أَعۡنَٰقُهُمۡ لَهَا خَٰضِعِينَ ﴾	417
15	﴿ قَالَ كَلَّاۖ فَٱذۡهَبَا بِـَٔايَٰتِنَآۖ إِنَّا مَعَكُم مُّسۡتَمِعُونَ ﴾	402
95-94	﴿ فَكُبۡكِبُواْ فِيهَا هُمۡ وَٱلۡغَاوُۥنَ ٩٤ وَجُنُودُ إِبۡلِيسَ أَجۡمَعُونَ ﴾	267
105	﴿ كَذَّبَتۡ قَوۡمُ نُوحٍ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴾	301
123	﴿ كَذَّبَتۡ عَادٌ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴾	301
	سورة النمل	
40	﴿ قَالَ ٱلَّذِي عِندَهُۥ عِلۡمٞ مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبۡلَ أَن يَرۡتَدَّ إِلَيۡكَ طَرۡفُكَۚ ﴾	401
44	﴿ قَالَتۡ رَبِّ إِنِّي ظَلَمۡتُ نَفۡسِي وَأَسۡلَمۡتُ مَعَ سُلَيۡمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٤٤ ﴾	124
82	﴿ أَخۡرَجۡنَا لَهُمۡ دَآبَّةٗ مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ ﴾	117
	سورة القصص	
20	﴿ وَجَآءَ رَجُلٞ مِّنۡ أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ يَسۡعَىٰ ﴾	239 ،238
78	﴿ وَلَا يُسۡـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ ٧٨ ﴾	101
	سورة العنكبوت	
5	﴿ مَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ ﴾	130
45	﴿ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۗ ﴾	114
56	﴿ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ أَرۡضِي وَٰسِعَةٞ فَإِيَّيَ فَٱعۡبُدُونِ ٥٦ ﴾	113

60	﴿ وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحۡمِلُ رِزۡقَهَا ٱللَّهُ يَرۡزُقُهَا وَإِيَّاكُمۡ ﴾	115، 116
سورة الروم		
15	﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَهُمۡ فِي رَوۡضَةٖ يُحۡبَرُونَ ١٥ ﴾	152
18-17	﴿ فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمۡسُونَ وَحِينَ تُصۡبِحُونَ ١٧ وَلَهُ ٱلۡحَمۡدُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ...﴾	154
27	﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهۡوَنُ عَلَيۡهِۚ وَلَهُ ٱلۡمَثَلُ ٱلۡأَعۡلَىٰ ﴾	366
30	﴿ فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَاۚ ﴾	156
38	﴿ فَـَٔاتِ ذَا ٱلۡقُرۡبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلۡمِسۡكِينَ وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِۚ ﴾	86
40	﴿ هَلۡ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفۡعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَيۡءٖۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴾	159
41	﴿ ظَهَرَ ٱلۡفَسَادُ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ بِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِي ٱلنَّاسِ ﴾	158، 159
سورة لقمان		
6	﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡتَرِي لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًاۚ ﴾	86، 89، 162
12	﴿ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا لُقۡمَٰنَ ٱلۡحِكۡمَةَ أَنِ ٱشۡكُرۡ لِلَّهِ ﴾	164
13	﴿ يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ ١٣ ﴾	138
سورة السجدة		
3	﴿ أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۚ بَلۡ هُوَ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوۡمٗا ﴾	193
12	﴿ وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلۡمُجۡرِمُونَ نَاكِسُواْ رُءُوسِهِمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ رَبَّنَآ أَبۡصَرۡنَا ... ﴾	185، 187
13	﴿ وَلَٰكِنۡ حَقَّ ٱلۡقَوۡلُ مِنِّي لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ ﴾	260
13	﴿ لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ ﴾	275
18	﴿ أَفَمَن كَانَ مُؤۡمِنٗا كَمَن كَانَ فَاسِقٗاۚ لَّا يَسۡتَوُۥنَ ١٨ ﴾	167، 168
سورة الأحزاب		
33	﴿ وَقَرۡنَ فِي بُيُوتِكُنَّ ﴾	169
33	﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرٗا ٣٣ ﴾	87
34	﴿ وَٱذۡكُرۡنَ مَا يُتۡلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلۡحِكۡمَةِۚ ﴾	82
37	﴿ وَتُخۡفِي فِي نَفۡسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبۡدِيهِ ﴾	175، 176
37	﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيۡدٞ مِّنۡهَا وَطَرٗا زَوَّجۡنَٰكَهَا ﴾	176

49	﴿ فَمَا لَكُمۡ عَلَيۡهِنَّ مِنۡ عِدَّةٖ تَعۡتَدُّونَهَاۖ ﴾	110
65-64	﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمۡ سَعِيرًا ٦٤ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ ﴾	342
72	﴿ إِنَّا عَرَضۡنَا ٱلۡأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱلۡجِبَالِ فَأَبَيۡنَ أَن يَحۡمِلۡنَهَا وَأَشۡفَقۡنَ مِنۡهَا وَحَمَلَهَا ٱلۡإِنسَٰنُۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومٗا جَهُولٗا ٧٢ ﴾	95، 178
	سورة سبأ	
27	﴿ قُلۡ أَرُونِيَ ٱلَّذِينَ أَلۡحَقۡتُم بِهِۦ شُرَكَآءَ كَلَّاۚ ﴾	180
28	﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا ﴾	403
37	﴿ وَمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُم بِٱلَّتِي تُقَرِّبُكُمۡ عِندَنَا زُلۡفَىٰٓ ﴾	81
52	﴿ وَقَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦ وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٖ ٥٢ ﴾	184
	سورة فاطر	
10	﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ جَمِيعًاۚ ﴾	188
10	﴿ إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥۚ ﴾	189
	سورة يس	
1	﴿ يسٓ ١ ﴾	190
3	﴿ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ٣ ﴾	191
6	﴿ لِتُنذِرَ قَوۡمٗا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمۡ فَهُمۡ غَٰفِلُونَ ٦ ﴾	192
8	﴿ إِنَّا جَعَلۡنَا فِيٓ أَعۡنَٰقِهِمۡ أَغۡلَٰلٗا فَهِيَ إِلَى ٱلۡأَذۡقَانِ فَهُم مُّقۡمَحُونَ ٨ ﴾	196
10	﴿ وَسَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ١٠ ﴾	198
11	﴿ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكۡرَ وَخَشِيَ ٱلرَّحۡمَٰنَ بِٱلۡغَيۡبِۖ فَبَشِّرۡهُ بِمَغۡفِرَةٖ وَأَجۡرٖ كَرِيمٍ ١١ ﴾	204
12	﴿ إِنَّا نَحۡنُ نُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ ﴾	202 ،83
38	﴿ وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ ﴾	204
41	﴿ وَءَايَةٞ لَّهُمۡ أَنَّا حَمَلۡنَا ذُرِّيَّتَهُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ ٱلۡمَشۡحُونِ ٤١ ﴾	206
42-41	﴿ وَءَايَةٞ لَّهُمۡ أَنَّا حَمَلۡنَا ذُرِّيَّتَهُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ ٱلۡمَشۡحُونِ ٤١ وَخَلَقۡنَا لَهُم مِّن مِّثۡلِهِۦ مَا يَرۡكَبُونَ ﴾	209
43	﴿ وَإِن نَّشَأۡ نُغۡرِقۡهُمۡ فَلَا صَرِيخَ لَهُمۡ وَلَا هُمۡ يُنقَذُونَ ﴾	210
77	﴿ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٞ مُّبِينٞ ﴾	304

79	﴿ قُلۡ يُحۡيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلۡقٍ عَلِيمٌ ﴾	366
	سورة الصافات	
3-1	﴿ وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفّٗا ۝١ فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجۡرٗا ۝٢ فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكۡرًا ۝٣ ﴾	211
27	﴿ وَأَقۡبَلَ بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ يَتَسَآءَلُونَ ۝٢٧ ﴾	90
28	﴿ قَالُوٓاْ إِنَّكُمۡ كُنتُمۡ تَأۡتُونَنَا عَنِ ٱلۡيَمِينِ ۝٢٨ ﴾	91
69	﴿ إِنَّهُمۡ أَلۡفَوۡاْ ءَابَآءَهُمۡ ضَآلِّينَ ﴾	196
83	﴿ ۞ وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبۡرَٰهِيمَ ۝٨٣ ﴾	216
93	﴿ فَرَاغَ عَلَيۡهِمۡ ضَرۡبَۢا بِٱلۡيَمِينِ ۝٩٣ ﴾	217
95	﴿ قَالَ أَتَعۡبُدُونَ مَا تَنۡحِتُونَ ﴾	221
96	﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ ۝٩٦ ﴾	219
165	﴿ وَإِنَّا لَنَحۡنُ ٱلصَّآفُّونَ ﴾	212
166-165	﴿ وَإِنَّا لَنَحۡنُ ٱلصَّآفُّونَ ۝١٦٥ وَإِنَّا لَنَحۡنُ ٱلۡمُسَبِّحُونَ ۝١٦٦ ﴾	211
174	﴿ فَتَوَلَّ عَنۡهُمۡ حَتَّىٰ حِينٖ ۝١٧٤ ﴾	221
176	﴿ أَفَبِعَذَابِنَا يَسۡتَعۡجِلُونَ ۝١٧٦ ﴾	222
	سورة ص	
2	﴿ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي عِزَّةٖ وَشِقَاقٖ ۝٢ ﴾	223
17	﴿ ٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلۡأَيۡدِۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٞ ۝١٧ ﴾	82
20	﴿ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحِكۡمَةَ وَفَصۡلَ ٱلۡخِطَابِ ﴾	166
23	﴿ وَعَزَّنِي فِي ٱلۡخِطَابِ ۝٢٣ ﴾	223
28	﴿ أَمۡ نَجۡعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلۡمُفۡسِدِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ... ﴾	168
29	﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾	137
68-67	﴿ قُلۡ هُوَ نَبَؤٌاْ عَظِيمٌ ۝٦٧ أَنتُمۡ عَنۡهُ مُعۡرِضُونَ ۝٦٨ ﴾	110
75	﴿ قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ ﴾	333
	سورة الزمر	
10	﴿ وَأَرۡضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌۗ ﴾	229

18	﴿ ٱلَّذِينَ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقَوۡلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحۡسَنَهُۥٓ ﴾	68
22	﴿ فَوَيۡلٞ لِّلۡقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ ﴾	92
55	﴿ وَٱتَّبِعُوٓاْ أَحۡسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُم ﴾	68
65	﴿ لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ ﴾	110
74	﴿ وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي صَدَقَنَا وَعۡدَهُۥ وَأَوۡرَثَنَا ٱلۡأَرۡضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلۡجَنَّةِ... ﴾	229
سورة غافر		
7	﴿ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْۖ رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ ﴾	402
11	﴿ قَالُواْ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثۡنَتَيۡنِ وَأَحۡيَيۡتَنَا ٱثۡنَتَيۡنِ فَٱعۡتَرَفۡنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلۡ إِلَىٰ خُرُوجٖ... ﴾	187، 233
16	﴿ لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَۖ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ ١٦ ﴾	111
25	﴿ ٱقۡتُلُوٓاْ أَبۡنَآءَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ ﴾	241
28	﴿ وَقَالَ رَجُلٞ مُّؤۡمِنٞ مِّنۡ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ يَكۡتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ ﴾	237
29	﴿ يَٰقَوۡمِ لَكُمُ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَ ظَٰهِرِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأۡسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَا ﴾	239
30	﴿ يَٰقَوۡمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُم مِّثۡلَ يَوۡمِ ٱلۡأَحۡزَابِ ﴾	241
34	﴿ وَلَقَدۡ جَآءَكُمۡ يُوسُفُ مِن قَبۡلُ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ ﴾	407
38	﴿ يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُونِ أَهۡدِكُمۡ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴾	241
46	﴿ ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ ٤٦ ﴾	242
سورة فصلت		
15	﴿ مَنۡ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةًۖ ﴾	92
20	﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيۡهِمۡ سَمۡعُهُمۡ وَأَبۡصَٰرُهُمۡ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾	244
47	﴿ مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ ﴾	247
48	﴿ وَضَلَّ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَدۡعُونَ مِن قَبۡلُۖ وَظَنُّواْ مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٖ ٤٨ ﴾	255
سورة الشورى		
11	﴿ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ ﴾	88

23	﴿ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰۗ ﴾	121
32	﴿ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِ ٱلۡجَوَارِ فِي ٱلۡبَحۡرِ ﴾	290
41	﴿ وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعۡدَ ظُلۡمِهِۦ ﴾	88
44	﴿ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن وَلِيّٖ مِّنۢ بَعۡدِهِۦ ﴾	402
سورة الزخرف		
15	﴿ وَجَعَلُواْ لَهُۥ مِنۡ عِبَادِهِۦ جُزۡءًاۚ ﴾	248
16	﴿ أَمِ ٱتَّخَذَ مِمَّا يَخۡلُقُ بَنَاتٖ وَأَصۡفَىٰكُم بِٱلۡبَنِينَ ١٦ ﴾	248
17	﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحۡمَٰنِ مَثَلٗا ﴾	248
18	﴿ أَوَمَن يُنَشَّؤُاْ فِي ٱلۡحِلۡيَةِ وَهُوَ فِي ٱلۡخِصَامِ غَيۡرُ مُبِينٖ ١٨ ﴾	305
32	﴿ نَحۡنُ قَسَمۡنَا بَيۡنَهُم مَّعِيشَتَهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ وَرَفَعۡنَا بَعۡضَهُمۡ فَوۡقَ بَعۡضٖ ﴾	253
سورة الدخان		
28	﴿ كَذَٰلِكَۖ وَأَوۡرَثۡنَٰهَا قَوۡمًا ءَاخَرِينَ ٢٨ ﴾	101
سورة الأحقاف		
4	﴿ قُلۡ أَرَءَيۡتُم مَّا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُواْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِ ﴾	89
15	﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ ﴾	91
17	﴿ وَٱلَّذِي قَالَ لِوَٰلِدَيۡهِ أُفٖ لَّكُمَآ أَتَعِدَانِنِيٓ أَنۡ أُخۡرَجَ وَقَدۡ خَلَتِ ٱلۡقُرُونُ ... ﴾	258
18	﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَوۡلُ فِيٓ أُمَمٖ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِم مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِۖ ﴾	82
19	﴿ وَلِكُلّٖ دَرَجَٰتٞ مِّمَّا عَمِلُواْۖ وَلِيُوَفِّيَهُمۡ أَعۡمَٰلَهُمۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ١٩ ﴾	268
31	﴿ يَٰقَوۡمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِيَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ يَغۡفِرۡ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ وَيُجِرۡكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ٣١ ﴾	264
سورة محمد -صلى الله عليه وسلم-		
24	﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ أَمۡ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقۡفَالُهَآ ٢٤ ﴾	137
سورة الفتح		
1	﴿ إِنَّا فَتَحۡنَا لَكَ فَتۡحٗا مُّبِينٗا ١ ﴾	269
2	﴿ لِّيَغۡفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ ﴾	274

5	﴿ لِّيُدۡخِلَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ ٱللَّهِ فَوۡزًا عَظِيمًا ۝٥ ﴾	272
سورة ق		
22	﴿ فَبَصَرُكَ ٱلۡيَوۡمَ حَدِيدٞ ﴾	202
27	﴿ قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا مَآ أَطۡغَيۡتُهُۥ وَلَٰكِن كَانَ فِي ضَلَٰلِۭ بَعِيدٖ ﴾	276
29	﴿ مَا يُبَدَّلُ ٱلۡقَوۡلُ لَدَيَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ ﴾	275
30	﴿ يَوۡمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمۡتَلَأۡتِ وَتَقُولُ هَلۡ مِن مَّزِيدٖ ﴾	277
سورة الذاريات		
6-1	﴿ وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرۡوٗا ۝١ فَٱلۡحَٰمِلَٰتِ وِقۡرٗا ۝٢ فَٱلۡجَٰرِيَٰتِ يُسۡرٗا ۝٣ فَٱلۡمُقَسِّمَٰتِ أَمۡرًا ۝٤ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٞ ۝٥ وَإِنَّ ٱلدِّينَ لَوَٰقِعٞ ۝٦ ﴾	283
19	﴿ وَفِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ ۝١٩ ﴾	126
33	﴿ لِنُرۡسِلَ عَلَيۡهِمۡ حِجَارَةٗ مِّن طِينٖ ۝٣٣ ﴾	102
56	﴿ وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ﴾	268
سورة الطور		
6	﴿ وَٱلۡبَحۡرِ ٱلۡمَسۡجُورِ ﴾	291
21	﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتۡهُمۡ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلۡحَقۡنَا بِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَمَآ أَلَتۡنَٰهُم ... ﴾	393
30	﴿ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيۡبَ ٱلۡمَنُونِ ﴾	314
سورة النجم		
1	﴿ وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ ﴾	294
6-5	﴿ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلۡقُوَىٰ ۝٥ ذُو مِرَّةٖ فَٱسۡتَوَىٰ ﴾	353
32	﴿ ٱلَّذِينَ يَجۡتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَۚ ﴾	296
49	﴿ وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعۡرَىٰ ﴾	295
57	﴿ أَزِفَتِ ٱلۡأٓزِفَةُ ۝٥٧ ﴾	127

سورة القمر		
5	﴿ حِكۡمَةُۢ بَٰلِغَةٞۖ فَمَا تُغۡنِ ٱلنُّذُرُ ﴾	301
16،18 21،30	﴿ فَكَيۡفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴾	301
37،38	﴿ فَذُوقُواْ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴾ [القمر: 37، 39]	301
42-41	﴿ وَلَقَدۡ جَآءَ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ ٱلنُّذُرُ ۝٤١ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا كُلِّهَا ﴾	298
سورة الرحمن		
4-1	﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ ﴾	306
4-3	﴿ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ ۝٤ ﴾	302
6	﴿ وَٱلنَّجۡمُ وَٱلشَّجَرُ يَسۡجُدَانِ ﴾	295
27	﴿ وَيَبۡقَىٰ وَجۡهُ رَبِّكَ ﴾	227
39	﴿ فَيَوۡمَئِذٖ لَّا يُسۡـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٞ وَلَا جَآنّٞ ۝٣٩ ﴾	111
47-46	﴿ وَلِمَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ۝٤٦ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾	265
72-68	﴿ فِيهِمَا فَٰكِهَةٞ وَنَخۡلٞ وَرُمَّانٞ ۝٦٨ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٦٩ فِيهِنَّ ..... ﴾	307
72	﴿ حُورٞ مَّقۡصُورَٰتٞ فِي ٱلۡخِيَامِ ﴾	415
سورة الواقعة		
17	﴿ يَطُوفُ عَلَيۡهِمۡ وِلۡدَٰنٞ مُّخَلَّدُونَ ۝١٧ ﴾	82
73-71	﴿ أَفَرَءَيۡتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي تُورُونَ ۝٧١ ءَأَنتُمۡ أَنشَأۡتُمۡ شَجَرَتَهَآ أَمۡ نَحۡنُ ٱلۡمُنشِـُٔونَ ﴾	309
سورة الحديد		
14	﴿ يُنَادُونَهُمۡ أَلَمۡ نَكُن مَّعَكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمۡ فَتَنتُمۡ أَنفُسَكُمۡ وَتَرَبَّصۡتُمۡ ﴾	313
14	﴿ وَغَرَّتۡكُمُ ٱلۡأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمۡرُ ٱللَّهِ ﴾	318
17	﴿ ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ قَدۡ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ۝١٧ ﴾	203
29	﴿ لِّئَلَّا يَعۡلَمَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ ﴾	333
سورة المجادلة		
11	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمۡ تَفَسَّحُواْ فِي ٱلۡمَجَٰلِسِ فَٱفۡسَحُواْ يَفۡسَحِ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ ﴾	86

سورة الحشر		
2	﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخۡرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمۡ لِأَوَّلِ ٱلۡحَشۡرِ ﴾	129
20	﴿ لَا يَسۡتَوِىٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۚ ... ﴾	168
سورة الممتحنة		
2	﴿ وَوَدُّواْ لَوۡ تَكۡفُرُونَ ﴾	403
8	﴿ لَّا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِى ٱلدِّينِ ﴾	93
سورة المنافقون		
8	﴿ وَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾	226
10	﴿ فَيَقُولَ رَبِّ لَوۡلَآ أَخَّرۡتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾	400
سورة التغابن		
2	﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمۡ فَمِنكُمۡ كَافِرٞ وَمِنكُم مُّؤۡمِنٞۚ ﴾	87
سورة الطلاق		
1	﴿ لَا تَدۡرِى لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحۡدِثُ بَعۡدَ ذَٰلِكَ أَمۡرٗا ۝١ ﴾	127
4	﴿ وَأُوْلَٰتُ ٱلۡأَحۡمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعۡنَ حَمۡلَهُنَّۚ ﴾	110
4	﴿ وَٱلَّٰٓـِٔي يَئِسۡنَ مِنَ ٱلۡمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمۡ إِنِ ٱرۡتَبۡتُمۡ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشۡهُرٖ ﴾	110
4	﴿ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشۡهُرٖ ﴾	110
12	﴿ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّۖ ﴾	399
سورة التحريم		
4	﴿ فَقَدۡ صَغَتۡ قُلُوبُكُمَاۖ ﴾	301
سورة الملك		
3	﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ طِبَاقٗاۖ ﴾	405
8	﴿ كُلَّمَآ أُلۡقِىَ فِيهَا فَوۡجٞ سَأَلَهُمۡ خَزَنَتُهَآ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ نَذِيرٞ ﴾	372
19	﴿ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَى ٱلطَّيۡرِ فَوۡقَهُمۡ صَٰٓفَّٰتٖ ﴾	213
سورة القلم		
2	﴿ مَآ أَنتَ بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ بِمَجۡنُونٖ ﴾	333

9	﴿ وَدُّواْ لَوۡ تُدۡهِنُ فَيُدۡهِنُونَ ٩ ﴾	320
35	﴿ أَفَنَجۡعَلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ كَٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴾	168
42	﴿ يَوۡمَ يُكۡشَفُ عَن سَاقٖ وَيُدۡعَوۡنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ ٤٢ ﴾	323
سورة الحاقة		
11	﴿ إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلۡمَآءُ حَمَلۡنَٰكُمۡ فِي ٱلۡجَارِيَةِ ﴾	290
20-19	﴿ فَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقۡرَءُواْ كِتَٰبِيَهۡ ١٩ إِنِّي ظَنَنتُ... ﴾	247
45-44	﴿ وَلَوۡ تَقَوَّلَ عَلَيۡنَا بَعۡضَ ٱلۡأَقَاوِيلِ ٤٤ لَأَخَذۡنَا مِنۡهُ بِٱلۡيَمِينِ ٤٥ ﴾	218
سورة المعارج		
19	﴿ ۞إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ١٩ ﴾	109
20-19	﴿ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ٢٠ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلۡخَيۡرُ مَنُوعًا ﴾	109
سورة الجن		
1	﴿ إِنَّا سَمِعۡنَا قُرۡءَانًا عَجَبًا ﴾	85
11	﴿ وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَۖ ﴾	326
14	﴿ وَأَنَّا مِنَّا ٱلۡمُسۡلِمُونَ وَمِنَّا ٱلۡقَٰسِطُونَۖ ﴾	328
18	﴿ وَأَنَّ ٱلۡمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدۡعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدٗا ١٨ ﴾	328
23	﴿ وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ٢٣ ﴾	342
سورة المزمل		
12	﴿ إِنَّ لَدَيۡنَآ أَنكَالٗا وَجَحِيمٗا ١٢ ﴾	96
سورة المدثر		
4	﴿ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ ٤ ﴾	330
34-33	﴿ وَٱلَّيۡلِ إِذۡ أَدۡبَرَ ٣٣ وَٱلصُّبۡحِ إِذَآ أَسۡفَرَ ﴾	351
سورة القيامة		
1	﴿ لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ ١ ﴾	332 ،129
2	﴿ وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ ﴾	398
23-22	﴿ وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ ﴾	334 ،102

25	﴿ تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴿٢٥﴾ ﴾	85
سورة الإنسان		
12	﴿ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾ ﴾	84
18	﴿ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا ﴿١٨﴾ ﴾	84
سورة المرسلات		
5-1	﴿ وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا ﴿١﴾ فَٱلْعَٰصِفَٰتِ عَصْفًا ﴿٢﴾ وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشْرًا ﴿٣﴾ فَٱلْفَٰرِقَٰتِ فَرْقًا ﴿٤﴾ فَٱلْمُلْقِيَٰتِ ذِكْرًا ﴾	337
6-5	﴿ فَٱلْمُلْقِيَٰتِ ذِكْرًا ﴿٥﴾ عُذْرًا أَوْ نُذْرًا ﴿٦﴾ ﴾	215
9	﴿ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتْ ﴿٩﴾ ﴾	111
سورة النبأ		
2-1	﴿ عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ﴿١﴾ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢﴾ ﴾ [النبأ: ١ – ٢]	111
2	﴿ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢﴾ ﴾ [النبأ: ٢]	110
19	﴿ وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ أَبْوَٰبًا ﴿١٩﴾ ﴾ [النبأ: ١٩]	111
23	﴿ لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا ﴿٢٣﴾ ﴾ [النبأ: ٢٣]	85
25	﴿ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴿٢٥﴾ ﴾ [النبأ: ٢٥]	83
34	﴿ وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴿٣٤﴾ ﴾ [النبأ: ٣٤]	120
40	﴿ وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا ﴿٤٠﴾ ﴾ [النبأ: ٤٠]	102
سورة النازعات		
5-1	﴿ وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرْقًا ﴿١﴾ وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشْطًا ﴿٢﴾ وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبْحًا ﴿٣﴾ فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبْقًا ﴿٤﴾ فَٱلْمُدَبِّرَٰتِ أَمْرًا ﴾	343
5	﴿ فَٱلْمُدَبِّرَٰتِ أَمْرًا ﴿٥﴾ ﴾	291
28	﴿ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا ﴾	403
41-40	﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴾	346
سورة عبس		
18	﴿ مِنْ أَىِّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ﴿١٨﴾ ﴾	83

26-24	﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ ﴾	102
35-34	﴿ يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ ﴾	84
	سورة التكوير	
18-15	﴿ فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ ﴿١٥﴾ ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ ﴾	348
21-19	﴿ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ ﴾	352
21-20	﴿ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴾	353
	سورة المطففين	
6	﴿ يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾	347
8	﴿ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ ﴾	417
15	﴿ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ﴾	102، 336
	سورة الانشقاق	
16	﴿ فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلشَّفَقِ ﴾	355
17	﴿ وَٱلَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ﴾	357
	سورة البروج	
2-1	﴿ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ ﴿١﴾ وَٱلْيَوْمِ ٱلْمَوْعُودِ ﴿٢﴾ ﴾	416
3	﴿ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ﴿٣﴾ ﴾	357
4	﴿ قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ﴾	362
10	﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ﴾	361
11	﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْكَبِيرُ ﴾	84
12	﴿ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴾	361
16	﴿ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴾	414
	سورة الطارق	
6	﴿ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ﴾	416
12-11	﴿ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجْعِ ﴿١١﴾ وَٱلْأَرْضِ ذَاتِ ٱلصَّدْعِ ﴿١٢﴾ ﴾	102

12	﴿ وَٱلۡأَرۡضِ ذَاتِ ٱلصَّدۡعِ ﴾	415
سورة الغاشية		
6	﴿ لَّيۡسَ لَهُمۡ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٖ ٦ ﴾	366
سورة الفجر		
8	﴿ ٱلَّتِي لَمۡ يُخۡلَقۡ مِثۡلُهَا فِي ٱلۡبِلَٰدِ ٨ ﴾	92
سورة البلد		
1	﴿ لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ١ ﴾	130، 368
2	﴿ وَأَنتَ حِلُّۢ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ٢ ﴾	370
3	﴿ وَوَالِدٖ وَمَا وَلَدَ ٣ ﴾	89، 131
11	﴿ فَلَا ٱقۡتَحَمَ ٱلۡعَقَبَةَ ﴾	416
سورة الضحى		
3-1	﴿ وَٱلضُّحَىٰ ١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴾	370
3	﴿ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ٣ ﴾	370
سورة التين		
1	﴿ وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيۡتُونِ ١ ﴾	373
7	﴿ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعۡدُ بِٱلدِّينِ ﴾	377
سورة القدر		
4	﴿ تَنَزَّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذۡنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمۡرٖ ﴾	398
سورة العاديات		
3-1	﴿ وَٱلۡعَٰدِيَٰتِ ضَبۡحٗا ١ فَٱلۡمُورِيَٰتِ قَدۡحٗا ٢ فَٱلۡمُغِيرَٰتِ صُبۡحٗا ٣ ﴾	379
4	﴿ فَأَثَرۡنَ بِهِۦ نَقۡعٗا ٤ ﴾	96
سورة التكاثر		
8	﴿ ثُمَّ لَتُسۡـَٔلُنَّ يَوۡمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴾	381
سورة العصر		
1	﴿ وَٱلۡعَصۡرِ ﴾	384

سورة الكافرون		
3	﴿ وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ ﴾	415
4	﴿ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٞ مَّا عَبَدتُّمۡ ﴾	415
سورة الإخلاص		
2	﴿ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ ﴾	385 ،96
4	﴿ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ﴾	416
سورة الفلق		
4	﴿ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴾	389
سورة الناس		
6-1	﴿ قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣ مِن شَرِّ ٱلۡوَسۡوَاسِ ٱلۡخَنَّاسِ ۝٤ ٱلَّذِي يُوَسۡوِسُ فِي صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥ مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ﴾	390

ثانياً: فهرس الأحاديث النبوية الشريفة

طرف الحديث	الراوي	المصدر	الحكم	الصفحة
أتتني أمي راغبة وهي مشركة في عهد قريش إذ عاهدوا	أسماء بنت أبي بكر	صحيح البخاري وصحيح مسلم	صحيح	93
إذا رأيتم الرجل يعتاد المساجد فاشهدوا له بالإيمان	أبو سعيد الخدري	مسند أحمد	ضعيف	116
إِذَا كانَ يَوْمُ القِيامَةِ، لَمْ يَظْلِمِ اللهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِهِ شَيْئا ...	أبو هريرة	صحيح البخاري	صحيح	278
أذكركم الله في أهل بيتي	زيد بن أرقم	مسند أحمد	صحيح	172
اشتكت النار إلى ربها...	أبو هريرة	صحيح البخاري	صحيح	280
اشتكى النبي صلى الله عليه وسلم، فلم يقم ليلة - أو ليلتين - فأتته امرأة، فقالت: يا محمد ...	جندب بن سفيان	صحيح البخاري وصحيح مسلم	صحيح	370
إن إبراهيم حرّم مكة وإني أحرّم ما بين لابتيها	أنس بن مالك	صحيح البخاري	صحيح	174
إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة،	ابن عمر	صحيح البخاري وصحيح مسلم	صحيح	242
إِنَّ اللَّهَ لاَ يَقْبِضُ العِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنَ العِبَادِ....	عبد الله بن عمرو بن العاص	صحيح البخاري	صحيح	135
إن الله لم يأمرني بكنز الدنيا ولا باتباع الشهوات، ألا وإني لا أكنز ديناراً ولا درهماً؛ ولا أخبئ رزقاً لغد.	ابن عمر	مسند عبد بن حميد	ضعيف	115
إن أول ما يسأل عنه العبد يوم القيامة ...	أبو هريرة	سنن الترمذي	صحيح	383
أن جرواً دخل البيت ودخل تحت السرير ومات فمكث نبي الله صلى الله عليه وسلم، أياما لا ينزل عليه الوحي،	خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم	المعجم الكبير للطبراني	ضعيف	371
أنا المنذر -و أومأ بيده إلى منكب علي فقال:- أنت الهادي يا علي بك يهتدي المهتدون من بعدي.	ابن عباس	تفسير الطبري	ضعيف	115
إنه ليس الذي تعنون، ألم تسمعوا إلى قول العبد الصالح...	ابن مسعود	صحيح البخاري	صحيح	138
أو ولد صالح يدعو له	أبو هريرة	صحيح مسلم	صحيح	114
بل هو سواد الليل وبياض النهار...	عدي بن حاتم	صحيح البخاري	صحيح	105
بني الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله ...	ابن عمر	صحيح البخاري	صحيح	105
تحاجت النار والجنة...	أبو هريرة	صحيح البخاري	صحيح	280
ثم إذا دخل أهل الجنة الجنة ، قال : يقول الله تبارك ...	صهيب	صحيح مسلم	صحيح	337
ثم أمر بقطعه من المفصل...	عمرو بن حزم	سنن الدارقطني		104
الجوار أربعون داراً	عائشة وأبو هريرة	سنن البيهقي ومسند أبي يعلى	ضعيف	114
دعا رسول الله ﷺ علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً	أم سلمة	تفسير الطبري		174
ريح الجنوب من الجنة وهي الريح اللواقح التي ذكر الله ...	أبوهريرة	تفسير الطبري	ضعيف	115
شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر، ...	علي بن أبي طالب	صحيح البخاري	صحيح	122

الشَّفَقُ الْحُمْرَةُ	ابن عمر	سنن البيهقي	صحيح	357
صلوا كما رأيتموني أصلي...	مالك بن الحويرث	صحيح البخاري	صحيح	**103**
علي وفاطمة وولداهما	ابن عباس	تفسير ابن أبي حاتم	ضعيف	**121**
فإنها تذهب، حتى تسجد تحت العرش...	أبو ذر	صحيح البخاري	صحيح	**105**
كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو...	أبو هريرة	صحيح البخاري	صحيح	**200**
لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن عمره	أبي برزة الأسلمي	سنن الترمذي	حسن	383
لا يجمع بين المرأة وعمتها ولا بين المرأة وخالتها...	أبو هريرة	صحيح البخاري	صحيح	**104**
لا يزال جهنم يلقى فيها، وتقول : هل من مزيد؟ حتى ...	أنس بن مالك	صحيح البخاري	صحيح	279
لا يقيم الرجل الرجل من مجلسه ثم يجلس فيه ولكن تفسحوا وتوسعوا	ابن عمر	صحيح البخاري وصحيح مسلم	صحيح	**86**
لما نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن أبطأ عنه...	ابن عباس	تفسير الطبري		371
اللهم علمه الكتاب	ابن عباس	صحيح البخاري	صحيح	**139**
اللهم فقِّهه في الدين، وعلِّمه التأويل	ابن عباس	صحيح البخاري	صحيح	**139**
ما تزال جهنم تقول: هل من مزيد؟ حتى يضع الله عليها...	أنس بن مالك	تفسير الطبري		278
مستقرها تحت العرش.	أبو ذر	صحيح البخاري	صحيح	205
معيشة ضنكاً، قال: عذاب القبر	أبو سعيد الخدري	مستدرك الحاكم	صحيح	396
ملعون من ذبح لغير الله	ابن عباس	مسند أحمد	صحيح	**113**
من فرّ بدينه من أرض إلى أرض وإن كان شبراً من الأرض استوجب	الحسن مرسلاً	الكشف والبيان		**113**
من فسر القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ	جندب بن عبد الله	سنن الترمذي	ضعيف	**149**
مَنْ قَالَ فِي القُرْآنِ بِرَأْيِهِ فَأَصَابَ فَقَدْ أَخْطَأَ	جندب بن عبد الله	سنن الترمذي	ضعيف	**135**
من كذب عليَّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار	أبو هريرة وجماعة من الصحابة	البخاري وجماعة من المحدثين	صحيح متواتر	**117**
ولا بشيء من آلائك ربنا نكذب فلك الحمد	جابر بن عبد الله	جامع الترمذي	صحيح	265
هماَ الأَسودانِ، التمر والماء؟ قال:(أمَا إن ذلك سيكون)	الزبير بن العوام	مسند أحمد	صحيح	383
هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً	أم سلمة	تفسير الطبري		**172**
يا أبا ذر تعوذ بالله من شياطين الإنس والجن.....	أبو ذر	سنن النسائي	ضعيف	392
يا رسول الله من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا...	ابن عباس	تفسير ابن أبي حاتم	ضعيف	**121**
يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ فقال رسول الله ﷺ : هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر؟...	أبو هريرة	صحيح البخاري وصحيح مسلم	صحيح	336
يا عمرو، صليت بأصحابك وأنت جُنُبٌ؟ ...	عمرو بن العاص	مسند أحمد	صحيح	**138**
يقال لجهنم هل امتلأت؟ وتقول: هَلْ مِنْ مَزِيدٍ، فيضع الرب ...	أبو هريرة	صحيح البخاري	صحيح	281
يكشف ربنا عن ساقه فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة...	أبو سعيد الخدري	صحيح البخاري	صحيح	224

ثالثاً: فهرس آثار الصحابة والتابعين

طرف الأثر	القائل	المصدر	الصفحة
اتقوا الرأي في دينكم	عمر بن الخطاب	السنن الكبرى للبيهقي	133
اتهموا أهواءكم ورأيكم على دين الله، ...	الحسن البصري	السنن الكبرى للبيهقي	133
الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول والإقرار به إيمان، والجحود له كفر.	أم سلمة	شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة	123
أقول فيها برأيي؛ فإن كان صواباً فمن الله، وإن كان خطأً فمني...	أبو بكر الصديق	تفسير الطبري	138
أكان هذا؟ قلت: لا. قال: فأجمّنا حتى يكون؛ فإذا كان اجتهدنا ...	أبي بن كعب	جامع بيان العلم وفضله	139
أن أرواحهم في جوف طير سود تغدو على جهنم وتروح فذلك عرضها	ابن مسعود	تفسير السمعاني	243
انظر ما تبيّن لك في كتاب الله؛ فلا تسأل عنه أحداً، ...	عمر بن الخطاب	جامع بيان العلم وفضله	134، 139
إياكم وأصحاب الرأي، أعيتهم الأحاديث أن يعوها	الزهري	جامع بيان العلم وفضله	136
إياكم وأصحاب الرأي؛ فإنهم أعداء السنن...	عمر بن الخطاب	السنن الكبرى للبيهقي	133
أيها الناس ... من ابتلي بقضاءٍ بعد اليوم فليقض بما في كتاب الله،....	عبد الله بن مسعود	جامع بيان العلم وفضله	139
قد حججت واعتمرت وأمرني الله أن أقرّ في بيتي، فوالله لا أخرج ...	سودة	الدر المنثور	88
لا أوتى برجلٍ يفسر كتاب الله غير عالم بلغات العرب إلا جعلته نكالاً	مالك بن أنس	شعب الإيمان للبيهقي وذم الكلام وأهله	140
لا يحل لأحدٍ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يتكلم في كتاب الله ...	مجاهد	البرهان للزركشي	140
لا، والذي فلق الحبّة، وبرأ النسمة، إلا أن يُعطِي الله عبداً فهماً في ..	علي بن أبي طالب	صحيح البخاري	139
لهو الحديث باطله، وعنه قال: هو الغناء وأشباهه	ابن عباس	الأدب المفرد	86
لَهْوَ الْحَدِيثِ هو الغناء، وأشباهه	ابن عباس	الأدب المفرد	164
ما أنزل الله فينا شيئاً من القرآن، إلا أن الله أنزل عذري	عائشة	صحيح البخاري	263
ما كل ما يفتي به الناس سمعناه، ولكنّ رَأْيُنا لهم خيرٌ من رأيهم ...	الحسن البصري	جامع بيان العلم وفضله	134
من يرغب برأيه عن أمر الله يضلّ	مسروق	جامع بيان العلم وفضله	136
وجه تعرفه العرب من كلامها، وتفسير لا يُعذر أحد بجهالته، ...	ابن عباس	تفسير الطبري	140

رابعاً: فهرس الأعلام (الشخصيات)

ترقيم	الشخصية	الصفحة
1	ابن أبي حاتم	126
٢	ابن أبي ليلى	121
٣	ابن أبي مليكة	354
٤	ابن الأعرابي	85
٥	ابن الطيب (القاضي الباقلاني)	227
٦	ابن القيم	34
٧	ابن المنيّر	281
٨	ابن تيمية الحراني	34
٩	ابن جريج	122
١٠	ابن حجر العسقلاني	372
١١	ابن عطية	88
١٢	ابن قدامة المقدسي	26
١٣	أبو البقاء (العكبري)	414
١٤	أبو الحسن الندوي	33
١٥	أبو العالية	108
١٦	أبو العطوف الجزري (الجراح بن منهال)	116
١٧	أبو جهل	200
١٨	أبو حيان الأندلسي	83
١٩	أبو سعيد الخدري	172

ترقيم	الشخصية	الصفحة
20	أبو سلمة بن عبد الرحمن	134
٢١	أبو عبيدة (معمر بن المثنى)	110
٢٢	أحمد بن حسن العرشي	23
٢٣	أحمد بن فارس	66
٢٤	الأخفش	81
٢٥	الأرموي (سراج الدين)	67
٢٦	أسد بن عمرو	363
٢٧	أسماء بنت أبي بكر	93
٢٨	الأسود بن يزيد	109
٢٩	أم سلمة	123
٣٠	أنس بن مالك	172
31	الثعالبي	199
٣٢	ثعلب	89
٣٣	ثعلبة بن حاطب	116
٣٤	جابر الجعفي	164
35	جلال الدين أعظم بن علي	19
٣٦	جلال الدين الثالث	19
٣٧	جمال الدين (الشيخ)	40
٣٨	جمال الدين القاسمي	31
٣٩	الجوهري	120
٤0	الحسن البصري	83

ترقيم	الشخصية	الصفحة
41	حسين بن محسن الأنصاري	25
٤٢	حمد بن عَتيق النجدي	29
٤٣	الحوفي (أبو الحسن)	88
٤٤	الدارقطني	104
٤٥	ذكية بيگم	40
٤٦	ذو الفقار أحمد المالوي	59
٤٧	الرازي (فخر الدين)	67
٤٨	الزبير بن العوام	383
٤٩	الزجاج	84
٥٠	الزرقاني (محمد عبد العظيم)	98
٥١	الزركشي (بدر الدين)	68
٥٢	الزمخشري	83
٥٣	زيد بن أرقم	172
٥٤	زيد بن أسلم	108
٥٥	زيد بن حارثة	175
٥٦	زين العابدين بن محسن الأنصاري	25
٥٧	زينب بنت جحش	95
٥٨	السدي(الكبير)	85
٥٩	سعد بن معاذ	130
٦٠	سعيد بن جبير	86
٦١	سكندر بيگم	40

ترقيم	الشخصية	الصفحة
٦٢	السمعاني (أبو المظفر)	71
٦٣	سودة	88
٦٤	سيبويه	91
٦٥	شاه جهان بيگم	21
٦٦	شريح القاضي	134
٦٧	شعبة بن الحجاج	107
٦٨	الشعبي	91
٦٩	شمس الحق العظيم آبادي	30
٧٠	صدر الدين خان بهادر	24
٧١	صفوان بن أمية الجمحي	104
٧٢	الضحاك	83
٧٣	طاووس	108
٧٤	عبد الحق بن فضل الله العثماني البنارسي	25
٧٥	عبد الحي الحسني	31
٧٦	عبد الحي اللكنوي	29
٧٧	عبدالرحمن بن أبي بكر الصديق	258
٧٨	عبد الرحمن بن زيد بن أسلم	85
٧٩	عبد الله بن إبراهيم الأنصاري	60
٨٠	عبد الله بن أم مكتوم	129
٨١	عبد الله بن زيد	112
٨٢	عبدالله بن أبي بكر	264

ترقيم	الشخصية	الصفحة
٨٣	عطاء بن أبي رباح	87
٨٤	عطاء بن السائب	124
٨٥	عكرمة مولى ابن عباس	86
86	علقمة بن قيس	109
٨٧	علي حسن القنوجي	20
٨٨	عمرو بن العاص	137
٨٩	عمرو بن حزم الأنصاري	104
٩٠	فان دك كرنيليوس (Cornelius Van Dyck)	51
٩١	الفراء	82
٩٢	قاسم القيسي	59
٩٣	قتادة بن دعامة السدوسي	85
٩٤	القرطبي	86
٩٥	الكسائي	418
٩٦	الكلبي (محمد بن السائب)	83
٩٧	الكواشي (أبو العباس)	83
٩٨	الماوردي	194
٩٩	المبرد	416
١٠٠	مجاهد بن جبر	81
١٠١	محمد (گل سرخ)	19
١٠٢	محمد بن حسين الذهبي	99
103	محمد بن سيرين	88

ترقيم	الشخصية	الصفحة
١٠٤	محمد بن عبد الله بن طاهر	109
١٠٥	محمد بن كعب القرظي	108
١٠٦	محمد رشيد رضا	32
١٠٧	محمد عَبْد الحَيّ الكتاني	32
١٠٨	محمد عوض العثماني البريلوي الحنفي	22
١٠٩	محمود الأفندي	30
١١٠	محمود شكري الآلوسي	32
١١١	المراغي	176
١١٢	مرة الهمذاني	109
١١٣	مروان بن الحكم	263
١١٤	مسروق	109
١١٥	مقاتل بن سليمان	200
١١٦	النحاس	87
117	نعمان الألوسي	27
١١٨	نور الحسن القنوجي	20
١١٩	النيسابوري (نظام الدين)	225
١٢٠	واثلة بن الأسقع	172
١٢١	الواسطي	130
١٢٢	يحيى بن محمد الحازمي	27
١٢٣	يعقوب بن محمد أفضل الدهلوي	27

خامساً: فهرس الأماكن والمدن

ترقيم	المكان	الصفحة
١	أتر برديش (Uttar Pradesh)	22
٢	إمارة تونك (TONK)	43
٣	بانس بريلي أو بريلي (Bareilly)	22
٤	بخارى (Bukhara)	19
٥	بهوبال او بوبال (Bhopal)	21
٦	فرخ آباد (Farrukhabad)	24
٧	قنوج (Kanauj)	19
٨	كانفور (Kanpur)	24
٩	مُلْتَان أو مُولْتان (Multan)	19

سادساً: فهرس القبائل والفرق والأحداث

ترقيم	القبيلة/ الفرقة/ الحدث	الصفحة
١	بنو الحارث بن عبد مناف	93
٢	الجبرية	87
٣	خزاعة	93
٤	ذات السّلاسِلِ	138
٥	القدرية	87

سابعاً: فهرس المصادر والمراجع

الرقم	اسم المصدر/المرجع، وتفاصيله
	• القرآن الكريم
١	أبجد العلوم للشيخ أبي الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي، دار ابن حزم، الطبعة الأولى 1423 هـ- 2002 م
٢	إبقاء المنن بإلقاء المحن، صديق حسن خان، 1305هـ، تسهيل مولانا محمد خالد سيف، تنقيح ونظر ثاني: قاري نعيم الحق نعيم، دار الدعوة السلفية، شيش محل رود، لاهور. الطبعة الأولى 1407هـ
٣	الإبهاج في شرح المنهاج للشيخ أبي الحسن علي بن عبد الكافي السبكي وولده تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب، الناشر: دار الكتب العلمية –بيروت، عام النشر: 1416هـ - 1995 م.
٤	إتحاف النبلاء المتقين بمآثر الفقهاء المحدثين للشيخ صديق حسن خان القنوجي، مطابع نظامي، كانبور الهند، 1288هـ
٥	الإتقان في علوم القرآن للإمام عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة: 1394هـ/ 1974 م
٦	الإجماع في التفسير للدكتور محمد بن عبد العزيز الخضيري، رسالة ماجستير من جامعة الإمام، دار الوطن للنشر، بدون طبعة وتاريخ.
٧	أحكام القرآن للإمام أبي بكر محمد بن عبدالله المعروف بابن العربي ، الناشر: دار الكتب العلمية-بيروت ، الطبعة الأولى:1408هـ،
٨	أحكام القرآن للإمام الجصاص تحقيق: محمد صادق القمحاوي، دار إحياء التراث العربي بيروت-1405 هـ
٩	الإحكام في أصول الأحكام للإمام أبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري، الناشر: دار الآفاق الجديدة، بيروت
١٠	الإحكام في أصول الأحكام، للإمام أبي الحسن علي بن أبي علي بن محمد بن سالم الثعلبي الآمدي تحقيق: عبد الرزاق عفيفي، الناشر: المكتب الإسلامي، بيروت- دمشق- لبنان.
١١	اختلاف المفسرين أسبابه وآثاره، للدكتور سعود بن عبد الله الفنيسان، رسالة دكتوراه

	من جامعة الإمام، دار أشبيليا، الرياض، الطبعة الأولى 1418هـ1997م
١٢	الإذاعة لما كان وما يكون بين يدي الساعة للشيخ القنوجي، دار ابن حزم، الطبعة الأولى 1421هـ 2000م
١٣	إرشاد العقل السليم للإمام أبي السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى: 982هـ)، دار إحياء التراث العربي – بيروت.
١٤	إرشاد الفحول إلى تحقيق علم الأصول، تأليف: محمد بن علي بن محمد الشوكاني، دار النشر: دار الفكر - بيروت - 1412 - 1992، الطبعة: الأولى، تحقيق: محمد سعيد البدري.
١٥	أسباب الخطأ في التفسير رسالة الدكتوراه لشيخنا الدكتور طاهر محمود من الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، عام 1422هـ، دار ابن الجوزي –الدمام، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى 1425هـ.
١٦	الأسماء والصفات للإمام أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي تحقيق: عبد الله بن محمد الحاشدي، مكتبة السوادي، جدة - الطبعة: الأولى، 1413 هـ - 1993 م
١٧	الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز ، للعز بن عبد السلام ، الناشر : دار البشائر الإسلامية -بيروت، الطبعة الأولى :1408هـ
١٨	الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى - 1415 هـ
١٩	أصول السرخسي للإمام محمد بن أحمد السرخسي ، دار النشر: دار المعرفة - بيروت.
٢٠	أصول الفقه للشيخ محمد أبو النور زهير المكتبة الأزهرية للتراث، بدون طبع و تاريخ.
٢١	أصول الفقه، للمقدسي تحقيق: محمد السدحان. ط1 (1420هـ-1999م). نشر مكتبة العبيكان-الرياض.
٢٢	الأصول من علم الأصول للشيخ محمد بن صالح بن محمد العثيمين، دار ابن الجوزي، الطبعة: الرابعة، 1430 هـ - 2009 م
٢٣	أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن للشيخ محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت – لبنان، 1415 هـ/ 1995 م
24	إعراب القرآن لأبي جعفر أحمد بن محمد النَّحَّاس المرادي النحوي، تعليق: عبد المنعم خليل، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1421هـ
٢٥	أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام لعمر رضا كحالة، مؤسسة الرسالة، بيروت، بدون

	طبع وتاريخ.
٢٦	الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام المسمى بـ (نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر) للعلامة عبد الحي بن فخر الدين بن عبد العلي الحسني الطالبي، دار ابن حزم - بيروت، لبنان
٢٧	الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين لخير الدين الزركلي، دار العلم للملايين بيروت، الطبعة االسادسة عشر، 2005م
٢٨	اكتفاء القنوع بما هو مطبوع لفندك، تصحيح: السيد محمد علي الببلاوي، مطبعة التأليف (الهلال) ، مصر. 1313 هـ - 1896 م.
٢٩	الأمير صديق حسن خان وجهوده في الأدب العربي رسالة ماجستير للطالب سعد الله المحمدي، من كلية اللغة العربية بالجامعة الإسلامية العالمية بإسلام آباد، باكستان، عام 1421هـ
٣٠	الانتصاف على حاشية الكشاف للزمخشري، لابن المنير الإسكندري، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة الثالثة - 1407 هـ
٣١	أنوار التنـزيل وأسرار التأويل، القاضي ناصر الدين أبوسعيد عبدالله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي، الطبعة الثانية، 1375هـ - 1955م، وشركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر.
٣٢	إيجاز البيان عن معاني القرآن، محمود بن أبي الحسن بن الحسين النيسابوري، دراسة وتحقيق: علي بن سليمان العبيد، الطبعة الأولى 1418هـ-1997م، مكتبة التوبة - الرياض.
٣٣	بحر العلوم لأبي الليث نصر بن محمد السمرقندي، دار الكتب العلمية-بيروت
٣٤	البحر المحيط في أصول الفقه للإمام بدر الدين محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي، دار الكتب العلمية - لبنان/ بيروت - 1421هـ - 2000م، الطبعة الأولى، تحقيق: ضبط نصوصه وخرج أحاديثه وعلق عليه: د. محمد محمد تامر
35	البحر المحيط في التفسير لأبي حيان محمد بن يوسف بن علي أثير الدين الأندلسي، تحقيق: صدقي محمد جميل ، (الناشر: دار الفكر – بيروت ، الطبعة: 1420 هـ)
٣٦	البداية والنهاية للإمام أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، دار الفكر، 1407 هـ - 1986م
٣٧	بدائع التفسير الجامع لتفسير الإمام ابن قيم الجوزية، جمعه: يسيري السيد محمد،

	الطبعة الأولى، 1414هـ-1993م، دار ابن الجوزي - الدمام.
٣٨	البرهان في أصول الفقه للإمام أبي المعالي عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني، الملقب بإمام الحرمين، تحقيق: صلاح بن محمد بن عويضة، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان
٣٩	البرهان في علوم القرآن للزركشي،الطبعة الثالثة ، 1400 هـ ، 1980 م، دار الفكر بيروت
٤٠	بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة للإمام عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية - لبنان / صيدا
٤١	تاج العروس لمحمد مرتضى الحسيني الزبيدي، مطبعة حكومة الكويت 1965م.
٤٢	التاج المكلل من جواهر مآثر الطراز الآخر والأول للشيخ أبي الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، الطبعة: الأولى، 1428 هـ - 2007م
٤٣	تاريخ التفسير للشيخ قاسم القيسي، مطبعة المجمع العلمي العراقي، 1358هـ
٤٤	تاريخ بغداد للإمام أبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي، تحقيق: الدكتور بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي – بيروت، الطبعة: الأولى، 1422هـ - 2002م
٤٥	تأويل مشكل القرآن للإمام أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان
٤٦	التبيان في أقسام القرآن للإمام محمد بن أبي بكر شمس الدين ابن قيم الجوزية تحقيق: محمد حامد الفقي، دار المعرفة، بيروت، لبنان
٤٧	التحرير والتنوير للشيخ العلامة محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، الدار التونسية للنشر – تونس
٤٨	التحصيل من المحصول، للإمام سراج الدين محمود بن أبي بكر الأَرْمَوي، تحقيق: الدكتور عبد الحميد علي أبو زنيد، مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، 1408 هـ - 1998 م.
49	تخريج أحاديث إحياء علوم الدين للحافظ العراقي، استِخرَاج: أبي عبد اللَّه مَحمُود بِن مُحَمّد الحَدّاد، دار العاصمة للنشر – الرياض، بدون طبع وتاريخ.
٥٠	تذكرة الحفاظ للذهبي إحياء التراث العربي، مصور عن طبعة الهند، بيروت-لبنان.
٥١	تذكرة الراشد برد تبصرة الناقد للإمام محمد عبد الحي اللكنوي تحقيق: الدكتور صلاح محمد أبو الحاج، مركز العلماء العالمي للدراسات وتقنية المعلومات، الطبعة

	الأولى بدون تاريخ.
٥٢	التسهيل لعلوم التنـزيل، للإمام أبي القاسم محمد بن أحمد بن جزي الكلبي الغرناطي، تحقيق: محمد عبدالمنعم؛ إبراهيم عطوة، دار الكتب الحديثة. بدون طبع وتاريخ.
٥٣	التعارض والترجيح بين الأدلة الشرعية لعبد اللطيف عبد الله عزيز البرزنجي، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، الطبعة الأولى: 1413هـ
٥٤	التعارض والترجيح عند الأصوليين وأثرهما في الفقه الإسلامي للدكتور محمد الحفناوي، دار الوفاء – المنصورة ، الطبعة الثانية، 1408هـ
٥٥	التعريفات للإمام علي بن محمد بن علي الجرجاني، دار الكتاب العربي - بيروت - 1405، الطبعة: الأولى، تحقيق: إبراهيم الأبياري
٥٦	التَّفْسِيرُ البَسِيْط للإمام أبي الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، تحقيق: رسائل دكتوراة بجامعة الإمام محمد بن سعود، عمادة البحث العلمي - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. الطبعة: الأولى، 1430 هـ
٥٧	تفسير الجلالين للشيخين جلال الدين محمد بن أحمد المحلي وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، دار الحديث – القاهرة ، الطبعة: الأولى.
٥٨	تفسير القرآن (تفسير السمعاني) للإمام أبي المظفر، منصور بن محمد السمعاني التميمي، تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن، الرياض-
٥٩	تفسير القرآن العظيم للإمام ابن أبي حاتم الرازي ، تحقيق: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز - المملكة العربية السعودية، الطبعة الثالثة - 1419 هـ 3276/10،
٦٠	تفسير القرآن العظيم للإمام أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، دار طيبة للنشر والتوزيع ، الطبعة الثانية: 1420هـ /1999م.
61	تفسير القرآن الكريم (تفسير الصنعاني) للإمام أبي بكر عبد الرزاق بن همام اليماني الصنعاني، دار الكتب العلمية - بيروت. ، الطبعة الأولى: سنة 1419هـ.
٦٢	تفسير القرآن للسر سيد أحمد خان (دراسة نقدية) رسالة ماجستير للطالب محمد نور من كلية اصول الدين الجامعة الإسلامية العالمية بإسلام آباد، عام: 2008- 2009م
٦٣	التفسير القيم للإمام محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، تحقيق: بإشراف الشيخ إبراهيم رمضان، دار ومكتبة الهلال – بيروت، الطبعة الأولى - 1410 هـ
٦٤	تفسير المراغي للأستاذ أحمد مصطفى المراغي، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي

	وأولاده بمصر، الطبعة الرابعة، 1392هـ-1972م.
٦٥	التفسير والمفسرون للدكتور محمد السيد حسين الذهبي، مكتبة وهبة، القاهرة، بدون طبع وتاريخ.
٦٦	تقريب التهذيب للحافظ أبي الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد عوامة، دار الرشيد – سوريا، الطبعة الأولى 1406هـ - 1986م.
٦٧	التقرير والتحرير في علم الأصول لابن أمير الحاج، دار الفكر، سنة النشر 1417هـ - 1996م، بيروت
٦٨	التلويح على التوضيح، للتفتازاني دار الكتب العلمية-بيروت (بدون الرقم والتاريخ).
٦٩	تهذيب الكمال في أسماء الرجال للحافظ جمال الدين أبي الحجاج المزي 479/12 ـ 495. تحقيق الدكتور بشار عواد معروف ط:الأولى 1408هـ 1988م مؤسسة الرسالة بيروت.
٧٠	تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للعلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى 1420هـ - 2000 م
٧١	تيسير مصطلح الحديث للشيخ محمود الطحان النعيمي، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الطبعة العاشرة 1425هـ-2004م
٧٢	جامع الأصول في أحاديث الرسول للإمام مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط، مكتبة الحلواني - مطبعة الملاح - مكتبة دار البيان، الطبعة الأولى.
٧٣	جامع البيان في تأويل آي القرآن للإمام محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبي جعفر الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، 1420 هـ
74	جامع بيان العلم وفضله للإمام أبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي، تحقيق: أبي الأشبال الزهيري، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، 1414هـ - 1994م
٧٥	الجامع لأحكام القرآن للإمام أبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش،

	دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة الثانية، 1384هـ - 1964 م
٧٦	جلاء العينين في محاكمة الأحمدين للعلامة السيد خير الدين نعمان بن محمود الألوسي البغدادي، تحقيق: الداني بن منير آل زهوي، المكتبة العصرية، صيدا-بيروت، الطبعة الأولى 1427هـ،
٧٧	الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي أو الداء والدواء، للعلامة محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية، دار المعرفة – المغرب، الطبعة: الأولى، 1418هـ - 1997م
٧٨	الجواهر الحسان في تفسير القرآن للإمام أبي زيد الثعالبي، تحقيق: محمد علي معوض وعادل أحمد عبد الموجود، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الأولى - 1418 هـ
٧٩	حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح للإمام محمد بن أبي بكر شمس الدين ابن قيم الجوزية، مطبعة المدني، القاهرة
٨٠	حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي للإمام شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي المصري الحنفي، دار صادر – بيروت بدون طبع وتاريخ.
٨١	حاشية العطار على شرح الجلال المحلي على جمع الجوامع، للعلامة حسن بن محمد بن محمود العطار الشافعي، دار الكتب العلمية، بدون طبعة و تاريخ.
٨٢	حسن الأسوة بما ثبت من الله ورسوله في النسوة للشيخ صديق حسن خان، تحقيق :د مصطفى الخن ومحي الدين مستو، مؤسسة الرسالة-بيروت، الطبعة الثانية:1401هـ
٨٣	الحطة في ذكر الصحاح الستة للشيخ أبي الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي الحسيني البخاري القِنَّوجي، دار الكتب التعليمية – بيروت، الطبعة الأولى، 1405هـ/ 1985م
٨٤	حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر للشيخ عبد الرزاق بن حسن البيطار الميداني الدمشقي تحقيق: محمد بهجة البيطار ، دار صادر، بيروت، الطبعة الثانية، 1413هـ
٨٥	الدر المصون في علوم الكتاب المكنون للسمين الحلبي ، الناشر : دار القلم – دمشق ، الطبعة الأولى :1406هـ.
٨٦	الدر المنثور للإمام عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، دار الفكر – بيروت
87	دراسات في أصول تفسير القرآن للدكتور محسن عبد الحميد، مطبعة الوطن العربي بغداد، الطبعة الأولى 1400هـ-1980م.
٨٨	الدراسة المقارنة بين التفسير المظهري وفتح البيان، رسالة الدكتوراه من جامعة

	البنجاب، قسم اللغة العربية، للدكتور عبد الرشيد أظهر، عام 1418هـ
٨٩	الدرر السنية في الأجوبة النجدية، لعلماء نجد الأعلام، جمع وتحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم النجدي، الطبعة السادسة، 1417هـ/1996م،
٩٠	الدررالكامنة في أعيان المائة الثامنة، لابن حجر العسقلاني ، مطبعة حيدر آباد دكن (هند) 1349 هـ
٩١	دفع إيهام الاضطراب للشنقيطي الملحق بالمجلد العاشر من تفسيره أضواء البيان ، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت – لبنان، 1415 هـ/ 1995م
٩٢	ديوان عامر بن الطفيل، دار صادر - بيروت طبعة عام 1383هـ- 1963م.
٩٣	ذم الكلام وأهله لشيخ الإسلام أبي إسماعيل عبد الله بن محمد بن علي الأنصاري الهروي، تحقيق: عبد الرحمن عبد العزيز الشبل، مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة، الطبعة الأولى، 1418هـ -1998م
٩٤	ذيل [طبقات الحفاظ للذهبي]، للإمام عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي تحقيق: الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلمية
٩٥	رائد الطلاب، جبران مسعود، دار العلم للملايين الطبعة الرابعة، 1979م.
٩٦	رحلة ابن بطوطة (تحفة النظار في غرائب الأمصار و عجائب الأسفار) تحقيق: محمد عبد المنعم العريان، دار إحياء العلوم، بيروت لبنان، الطبعة الأولى: 1407هـ 1987م.
٩٧	رحلة الصديق إلى البيت العتيق للقنوجي، تصحيح وتعليق: عبد الحكيم شرف الدين، إصدارات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، دولة قطر، الطبعة الثانية 1428هـ ، 2007م،
٩٨	الرحيق المختوم للعلامة صفي الرحمن المباركفوري، دار الهلال - بيروت (نفس طبعة وترقيم دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع)، الطبعة الأولى
٩٩	الرسائل المتبادلة بين الشيخين صديق حسن خان و أحمد بن عيسى، اعتنى بها سليمان بن صالح الخراشي، در التوحيد للنشر، الرياض، الطبعة الأولى 1431هـ 2010م
١٠٠	روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، لمحمود شكري الألوسي ،الناشر: دار الفكر-بيروت:1408هـ
101	زاد المسير في علم التفسير للإمام أبي الفرج جمال الدين عبدالرحمن بن علي بن محمد الجوزي القرشي البغدادي، تحقيق: الدكتور محمد بن عبدالرحمن عبدالله، دار

	الفكر – بيروت، الطبعة الأولى 1407هـ-1987م.
١٠٢	السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير للإمام شمس الدين محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي، مطبعة بولاق (الأميرية) – القاهرة، 1285 هـ
١٠٣	سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها للشيخ محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى1415هـ- 1995م
١٠٤	سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، للشيخ محمد ناصر الدين بن الحاج نوح الألباني، دار المعارف، الرياض - المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، 1412 هـ / 1992م
١٠٥	السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي للدكتور مصطفى السباعي، مكتبة دار العروبة، الطبعة الأولى 1380هـ1961م.
١٠٦	السنن للإمام أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت
١٠٧	السنن للإمام الترمذي، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي – بيروت عام 1998م
١٠٨	السيد صديق حسن القنوجي آراؤه الاعتقادية وموقفه من عقيدة السلف رسالة دكتوراه من جامعة أم القرى كلية الدعوة وأصول الدين، للباحث: أختر جمال محمد لقمان، عام: 1407-1408هـ
١٠٩	سير أعلام النبلاء للإمام شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، دار الحديث- القاهرة، الطبعة: 1427هـ-2006م
١١٠	السيرة النبوية للإمام أبي محمد جمال الدين عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الثانية، 1375هـ - 1955م
١١١	شخصيات وكتب للعلامة أبي الحسن الندوي، دار القلم دمشق، الطبعة الأولى 1410هـ.
112	شذرات الذهب في أخبار من ذهب للعلامة عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العَكري الحنبلي، حققه: محمود الأرناؤوط وخرج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط، دار

	ابن كثير، دمشق – بيروت، الطبعة الأولى، 1406 هـ - 1986م
١١٣	شرح (مقدمة التفسير) لابن تيمية، للشيخ محمد بن صالح بن محمد العثيمين، دار الوطن، الرياض، الطبعة الأولى، 1415 هـ - 1995 م
١١٤	شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للإمام أبي القاسم اللالكائي تحقيق: الدكتور أحمد بن سعد بن حمدان، دار طيبة للنشر والتوزيع- الرياض، الطبعة الرابعة، 1416هـ
١١٥	شرح العقيدة الطحاوية للإمام محمد بن عليّ ابن أبي العز الحنفي، الدمشقي، تخريج: الشيخ ناصر الدين الألباني، دار السلام، الطبعة الأولى، 1426هـ - 2005م
١١٦	شرح الكوكب المنير للإمام تقي الدين أبي البقاء محمد بن أحمد بن عبد العزيز بن علي الفتوحي المعروف بابن النجار الحنبلي، تحقيق: محمد الزحيلي ونزيه حماد، الناشر: مكتبة العبيكان، الطبعة: الطبعة الثانية 1418هـ - 1997 مـ.
١١٧	شعب الإيمان للإمام أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، بإشراف: مختار أحمد الندوي،مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، الطبعة: الأولى، 1423 هـ - 2003 م
١١٨	صبح الأعشى في صناعة الإنشاء لأحمد بن علي بن أحمد الفزاري القلقشندي، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان
١١٩	الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، لأبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، تحقيق: أحمد عطار، دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة: الرابعة 1407 هـ1987 م
١٢٠	صحيح الأدب المفرد للإمام البخاري، تأليف وتصحيح: الشيخ ناصر الدين الألباني، دار الصديق للنشر والتوزيع، الطبعة: الرابعة، 1418 هـ - 1997 م
١٢١	صحيح البخاري للإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، الطبعة: الأولى، 1422هـ
١٢٢	صحيح مسلم للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت بدون طبع وتاريخ.
١٢٣	صديق حسن خان القنوجي جهوده في تفسيره فتح البيان في مقاصد القرآن للإستاذ الدكتور موفق عبد الرزاق الدليمي رسالة ماجستير من جامعة بغداد، مكتبة التوبة، الرياض، الطبعة الأولى 1435هـ

١٢٤	الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة للإمام محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، تحقيق: علي بن محمد الدخيل الله، دار العاصمة، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، 1408هـ
١٢٥	الطبقات الكبرى للإمام أبي عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي، البصري، البغدادي المعروف بابن سعد، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، 1410 هـ - 1990م
١٢٦	طبقات المفسرين لأحمد بن محمد الأدنه وي، تحقيق: سليمان بن صالح الخزي، مكتبة العلوم والحكم، السعودية، الطبعة الأولى 1417هـ
١٢٧	طبقات المفسرين للداوودي للإمام محمد بن علي بن أحمد، شمس الدين الداوودي المالكي، دار الكتب العلمية – بيروت، بدون طبع وتاريخ.
١٢٨	العبرة بما جاء في الغزو والشهادة والهجرة للشيخ القنوجي، تحقيق: أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العليمة بيروت لبنان، الطبعة الأولى 1405هـ 1985م
١٢٩	عقود المرجان في قواعد المنهج الأمثل في تفسير القرآن من خلال أضواء البيان ، لأحمد سلامة أبي الفتوح، دار الكيان الطبعة الأولى 1426هـ،
١٣٠	العلامة أبو الحسن الندوي رائد الأدب الإسلامي للسيد عبد الماجد الغوري، دار ابن كثير دمشق- بيروت، الطبعة الأولى 1430هـ.
١٣١	العلو للعلي الغفار في إيضاح صحيح الأخبار وسقيمها للإمام الذهبي، تحقيق: أبو محمد أشرف بن عبد المقصود، مكتبة أضواء السلف – الرياض، الطبعة الأولى، 1416هـ
١٣٢	عون المعبود شرح سنن أبي داود، للعلامة شمس الحق العظيم آبادي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية 1415 هـ
١٣٣	غاية الأماني في الرد على النبهاني للشيخ أبي المعالي محمود شكري الألوسي تحقيق: أبي عبد الله الداني ، مكتبة الرشد، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، 1422هـ- 2001م.
١٣٤	غاية المقصود شرح سنن أبي داود لشمس الحق العظيم آبادي، المجمع العلمي - كراتشي - الطبعة الأولى 1414 هـ
١٣٥	غاية المقصود شرح سنن أبي داود للعلامة شمس الحق العظيم آبادي، طبع المجمع العلمي - كراتشي - الطبعة الأولى 1414 هـ

١٣٦	غرائب القرآن ورغائب الفرقان للإمام نظام الدين الحسن بن محمد بن الحسين القمي النيسابوري، تحقيق: إبراهيم عطوة عوض، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة الأولى، 1389هـ-1969م.
١٣٧	فتح الباري شرح صحيح البخاري للإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني الشافعي، دار المعرفة - بيروت، 1379هـ
١٣٨	فتح البيان المطبع الصديقي بهوبال –الهند-.من تقريظ الشيخ ذوالفقار احمد.
١٣٩	فتحُ البيان في مقاصد القرآن للشيخ صديق حسن خان القِنَّوجي، تحقيق: عَبد الله بن إبراهيم الأنصَاري، المَكتبة العصريَّة، صَيدَا – بَيروت، عام: 1412 هـ - 1992م
١٤٠	فتح القدير للإمام محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت ، الطبعة الأولى: 1414 هـ.
١٤١	فصول في أصول التفسير للدكتور مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار، دار ابن الجوزي، الطبعة الثانية، 1423هـ
١٤٢	فضائل القرآن للإما أبي عبيد القاسم بن سلام الهروي البغدادي، تحقيق: مروان العطية، وزملاؤه، دار ابن كثير دمشق – بيروت، الطبعة: الأولى، 1415 هـ -1995م
١٤٣	فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات للعلامة محمد عَبْد الحَيّ بن عبد الكبير الحسني الإدريسي، المعروف بالكتاني، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية 1982م
١٤٤	فواتح الرحموت بشرح مسلم الثبوت، للشيخ عبد العلي محمد بن نظام الدين محمد السهالوي اللكنوي، تحقيق: عبد الله محمود محمد عمر، دار الكتب العلمية، سنة النشر: 2002م،
١٤٥	الفوائد للإمام ابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، 1393هـ
١٤٦	في ظلال القرآن للشهيد سيد قطب دار الشروق، بيروت القاهرة، الطبعة الشرعية السابعة، 1398هـ-1978م.
١٤٧	القاموس المحيط للعلامة مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، الطبعة: الثامنة، 1426 هـ - 2005 م
١٤٨	قرة الأعيان و مسرة الأذهان في مآثر الملك الجليل النواب صديق حسن خان، طبعت

	بمطبعة الجوائب، قسطنطينية، 1298هـ
١٤٩	قضاء الأرب من ذكر علماء النحو و الأدب، مطبع مفيد عام اكره، الهند، 1316هـ.
١٥٠	القطع والائتناف، لأبي جعفر النحاس، تحقيق: د. عبد الرحمن بن إبراهيم المطرودي، دار عالم الكتب - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، 1413 هـ - 1992م
١٥١	قطف الثمر في بيان عقيدة أهل الأثر للشيخ صديق حسن خان القنوجي، تحقيق: د. عاصم بن عبدالله القريوتي، عالم الكتب - بيروت، الطبعة الأولى 1414هـ 1984
١٥٢	القنوجي وآراؤه التفسيرية على ضوء أقوال أئمة التفسير رسالة دكتوراه من جامعة أم درمان للباحث: محمد مهدي علي الحمودي.
١٥٣	قواطع الأدلة في الأصول للإمام أبي المظفر السمعاني التميمي، الحنفي ثم الشافعي (المتوفى : 489هـ)،تحقيق : محمد حسن محمد حسن اسماعيل الشافعي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1418هـ/1999م.
١٥٤	قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث للشيخ جمال الدين القاسمي، دار الكتب العلمية -بيروت-لبنان
١٥٥	قواعد الترجيح عند المفسرين للدكتور حسين بن علي بن حسين الحربي، دار القاسم، الرياض، الطبعة الثانية 1429هـ
١٥٦	قواعد التفسير للدكتور خالد بن عثمان السبت، دار ابن عفان، الطبعة الأولى، 1421هـ
١٥٧	القواعد الحسان في تفسير القرآن للسعدي ، دار ابن رجب ، الطبعة الأولى: 1423هـ
١٥٨	كتاب مناهل العرفان للزرقاني دراسة وتقويم للشيخ خالد بن عثمان السبت، دار ابن عفان للنشر والتوزيع (مصر).
١٥٩	كتب ورسائل وفتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، مكتبة ابن تيمية، الطبعة: الثانية، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي بدون طبع وتاريخ.
١٦٠	الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل للإمام أبي القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، جار الله الزمخشري، دار الكتاب العربي – بيروت الطبعة الثالثة: 1407 هـ)
١٦١	كشف الأسرار عن أصول فخر الإسلام البزدوي، لعبد العزيز علاء الدين البخاري، تحقيق: عبد الله محمود، دار الكتب العلمية –بيروت، الطبعة الأولى 1418هـ/1997م
١٦٢	الكشف والبيان عن تفسير القرآن للإمام أبي إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم

	الثعلبي، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى 1422، هـ،
١٦٣	لباب التأويل في معاني التنزيل للإمام علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي المعروف بالخازن، دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة الأولى: 1415 هـ).
١٦٤	لباب النقول في أسباب النزول للإمام جلال الدين السيوطي تحقيق: الاستاذ أحمد عبد الشافي، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان،
١٦٥	اللباب في علوم الكتاب (تفسير ابن عادل) للإمام ابن عادل الحنبلي تحقيق: عادل أحمد وعلي معوض، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، 1419 هـ -1998م
١٦٦	لسان العرب، تأليف: محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، دار النشر: دار صادر - بيروت، الطبعة الأولى بدون طبع وتاريخ.
١٦٧	لقطة العجلان مما تمس إلى معرفته حاجة الإنسان للشيخ أبي الطيب صديق حسن خان القِنَّوجي، دار الكتب العلمية - بيروت- لبنان، الطبعة: الأولى، 1405-1985م
١٦٨	مآثر صديقي للسيد علي حسن خان (ابن الشيخ صديق حسن خان القنوجي)، جمعية أهل سنّة لاهور، 1411هـ 1991م
١٦٩	مباحث في علوم القرآن للشيخ مناع بن خليل القطان، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الطبعة: الطبعة الثالثة 1421هـ- 2000م
١٧٠	المجتبى من السنن، للإمام النسائي تحقيق: عبد الفتاح أبوغدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، الطبعة الثانية: 1406هـ 1987م، مذيل بأحكام الألباني.
١٧١	مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للإمام أبي الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي، تحقيق: حسين سليم أسد الداراني.
١٧٢	مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، جمع: عبدالرحمن بن محمد وابنه محمد، طبع مجمع الملك فهد لطباعة المصحف في المدينة المنورة، تحت إشراف وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد بالمملكة العربية السعودية، عام 1416هـ-1995م.
١٧٣	محاسن التأويل (تفسير القاسمي) للإمام محمد جمال الدين بن محمد القاسمي، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلميه – بيروت. الطبعة: الأولى - 1418هـ

١٧٤	المحرر الوجيز للإمام أبي محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي، دار الكتب العلمية – بيروت ، الطبعة الأولى : 1422 هـ.
١٧٥	المحصول في علم الأصول للإمام محمد بن عمر بن الحسين الرازي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - الرياض - 1400، الطبعة: الأولى، تحقيق: طه جابر فياض العلواني
١٧٦	المحلى بالآثار للإمام أبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري، دار الفكر – بيروت، بدون طبعة وتاريخ.
١٧٧	مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، للإمام محمد بن أبي بكر شمس الدين ابن قيم الجوزية، واختصره: محمد بن محمد بن عبد الكريم الموصلي، تحقيق: سيد إبراهيم، دار الحديث، القاهرة – مصر، الطبعة الأولى، 1422هـ - 2001م
١٧٨	مختصر تفسير البغوي للإمام محي السنة أبي محمد الحسين بن مسعود الفرّاء البغوي الشافعي، اختصار: الدكتور عبدالله بن أحمد الزيد، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع – الرياض الطبعة الأولى، 1416هـ- 1996م.
١٧٩	مختصر في قواعد التفسير لخالد بن عثمان السبت، دار ابن القيم- دار ابن عفان، الطبعة الأولى 1426هـ/ 2005
١٨٠	مدارك التنـزيل وحقائق التأويل للإمام أبي البركات عبدالله بن أحمد بن محمود النسفي، مطبوعات محمد علي صبيح وأولاده - ميدان الأزهر - القاهرة.
١٨١	المدخل إلى السنن الكبرى للإمام أبي بكر أحمد بن الحسين الخراساني، البيهقي، تحقيق: د. محمد ضياء الرحمن الأعظمي، دار الخلفاء للكتاب الإسلامي- الكويت
١٨٢	المدخل إلى مذهب الإمام أحمد لعبد القادر الدمشقي تعليق: عبد الله الزي. مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية 1401هـ-1981م.
١٨٣	مذكرة أصول الفقه للعلامة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي، المكتبة السلفية - باب الرحمة - المدينة المنورة.
١٨٤	مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع لعبد المؤمن بن عبد الحق القطيعي البغدادي، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى: 1412 هـ
١٨٥	المستصفى في علم الأصول، تأليف: محمد بن محمد الغزالي أبو حامد، دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت - 1413، الطبعة: الأولى، تحقيق: محمد عبد السلام عبد الشافي
١٨٦	المسلمون في الهند للعلامة أبي الحسن الندوي، دار ابن كثير دمشق- بيروت، الطبعة الأولى 1420هـ

١٨٧	مسند أبي يعلى الموصلي، تحقيق: حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث – دمشق، الطبعة الأولى، 1404 – 1984م.
١٨٨	مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، 1421هـ - 2001 م
١٨٩	مشكل إعراب القرآن لأبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي مؤسسة الرسالة -بيروت، الطبعة الثانية : 1405هـ
١٩٠	مصطلحات علم أصول الفقه، لخلف محمد، مؤسسة الريان-بيروت، الطبعة الأولى: 1425هـ-2004م.
١٩١	معالم التنزيل للإمام محيي السنة ، أبي محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي، دار إحياء التراث العربي -بيروت ، الطبعة الأولى: 1420 هـ)
١٩٢	معاني القرآن للإمام أبي زكريا الفراء، تحقيق: أحمد يوسف النجاتي، وزملاؤه، دار المصرية للتأليف والترجمة- مصر، الطبعة: الأولى.
١٩٣	معاني القرآن وإعرابه للإمام إبراهيم بن السري بن سهل الزجاج، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب – بيروت، الطبعة: الأولى 1408 هـ - 1988م
١٩٤	معجم الأدباء أو (إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب) لشهاب الدين ياقوت الحموي تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة: الأولى، 1414 هـ - 1993م
١٩٥	معجم البلدان لشهاب الدين ياقوت الحموي، دار صادر بيروت، الطبعة الأولى 1977م،
١٩٦	المعجم الكبير للإمام أبي القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، دار النشر: مكتبة ابن تيمية – القاهرة، الطبعة الثانية، 1415هـ 1994م
١٩٧	معجم المؤلفين تراجم مصنفي الكتب العربية لعمر رضا كحالة 40/2، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الثانية 1376هـ-1957م، بيروت-لبنان.
١٩٨	المعجم الوسيط، تأليف: إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار، دار النشر: دار الدعوة، تحقيق: مجمع اللغة العربية.
١٩٩	معجم قبائل العرب القديمة والحديثة لعمر بن رضا كحالة الدمشقي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة السابعة، 1414 هـ
٢٠٠	معجم مقاييس اللغة، تأليف: أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل - بيروت - لبنان - 1420هـ - 1999م، الطبعة الثانية.

٢٠١	معرفة الصحابة للإمام أبي نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد الأصبهاني، تحقيق: عادل بن يوسف العزازي، دار الوطن للنشر، الرياض، الطبعة الأولى 1419 هـ - 1998 م
٢٠٢	مفاتيح الغيب للإمام أبي عبد الله محمد بن عمر التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري، دار إحياء التراث العربي – بيروت ، الطبعة الثالثة - 1420هـ).
٢٠٣	مفردات القرآن الكريم لمحمد حسن الحميصي
٢٠٤	المفردات في غريب القرآن ، لراغب الأصفهاني، مادة : فسر . بدون ذكر الطبع ، قديمي كتب خانه كراتشي.
٢٠٥	مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية طبعة دار مكتبة الحياة بيروت (بدون تاريخ الطبع)
٢٠٦	مناهل العرفان في علوم القرآن للزرقاني، الطبعة الثانية ، دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان منهاج الأصول إلى علم الأصول، (بشرح الأصبهاني) للإمام البيضاوي، تحقيق: عبد الكريم النملة، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى: 1420هـ-1999م.
٢٠٧	المنتخب من مسند عبد بن حميد، للإمام أبي محمد عبد الحميد بن حميد، تحقيق: الشيخ مصطفى العدوي، دار بلنسية للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية 1423هـ
٢٠٨	منهج الشيخ صديق حسن خان في تفسيره فتح البيان في مقاصد القرآن رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير من الجامعة الإسلامية العالمية بإسلام آباد، كلية أصول الدين قسم التفسير والحديث، للطالب عمرخان سنة 1415هـ الموافق 1994م.
٢٠٩	منهج صديق حسن خان في تفسيره فتح البيان، رسالة ماجستير من قسم القرآن وعلومه، كلية أصول الدين، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، للباحث: أحمد محمد صالح عبد الله، سنة 1410هـ
٢١٠	الموافقات للإمام أبي إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي تحقيق: أبي عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، الطبعة الأولى 1417هـ/ 1997م
٢١١	موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، لمحمد بن علي التهانوي، إشراف ومراجعة: د. رفيق العجم، تحقيق: د. علي دحروج، تعريب: د. عبد الله الخالدي، الترجمة الأجنبية: د. جورج زيناني، مكتبة لبنان ناشرون – بيروت، الطبعة: الأولى - 1996م.
٢١٢	الموطأ للإمام مالك بن أنس الأصبحي المدني تحقيق: محمد مصطفى الأعظمي، مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان للأعمال الخيرية والإنسانية - أبو ظبي الإمارات، الطبعة الأولى، 1425 هـ - 2004م

٢١٣	ميزان الاعتدال للإمام الذهبي، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، 1382 هـ - 1963 م.
٢١٤	الناسخ والمنسوخ في كتاب الله عزوجل للإمام أبي جعفر النحاس أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي النحوي، تحقيق: د. محمد عبد السلام محمد، مكتبة الفلاح – الكويت، الطبعة الأولى، 1408هـ
٢١٥	النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة لأبي المحاسن جمال الدين يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري الحنفي، دار الكتب، مصر. بدون طبع وتاريخ.
٢١٦	نزهة الفضلاء تهذيب سير أعلام النبلاء لمحمد حسن عقيل موسى، دار الأندلس للنشر والتوزيع – جدة، الطبعة الأولى، 1411هـ-1991م.
٢١٧	النسخ في القرآن الكريم (دراسة تشريعية تاريخية نقدية) للدكتور مصطفى زيد، دار الوفاء، المنصورة، الطبعة الثالثة 1408هـ-1987م.
٢١٨	النشر في القراءات العشر للإمام أبي الخير شمس الدين محمد بن محمد الجزري، تحقيق: علي محمد الضباع ، المطبعة التجارية الكبرى بدون طبع وتاريخ.
٢١٩	نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للإمام إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، بدون طبع وتاريخ.
٢٢٠	النكت والعيون للإمام أبي الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان
٢٢١	نهاية السول شرح منهاج الوصول للشيخ عبد الرحيم بن الحسن بن علي الإسنوي الشافعيّ، دار الكتب العلمية -بيروت-لبنان، الطبعة الأولى 1420هـ- 1999م
٢٢٢	هداية الطريق من رسائل وفتاوى الشيخ حمد بن علي بن عتيق، عناية: إسماعيل بن عتيق. بدون دار الطبع وتاريخه.
٢٢٣	الوجيز في أصول الفقه الإسلامي للدكتور محمد مصطفى الزحيلي، دار الخير للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق – سوريا، الطبعة: الثانية، 1427 هـ - 2006 م،
٢٢٤	الوجيز في تفسير الكتاب العزيز للإمام أبي الحسن الواحدي، النيسابوري، تحقيق: صفوان عدنان داودي، دار القلم، الدار الشامية - دمشق، بيروت، الطبعة الأولى، 1415 هـ
٢٢٥	وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لأبي العباس أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان، تحقيق: الدكتور إحسان عباس، دار صادر - بيروت طبعة عام 1397هـ-1977م.

المقالات والمجلات

الرقم	عنوان المقالة
1	الإثارة الرابعة: مسألة زيد وزينب- أو إبطال التبني، من مقالة: أثارات للأستاذ محمد عبده، ضمن كتاب تفسير سورة الفاتحة وست سور من خواتيم القرآن، تأليف السيد محمد رشيد رضا.
2	الأمير صديق حسن خان وأسرته مقالة للدكتور السيد محمد إجتباء الندوي بمجلة المجمع العلمي الهندي رقم 1-2 عام يونيو 1978م
3	الأمير صديق حسن خان، حياته وخدماته مقالة للدكتور السيد محمد إجتباء الندوي في مجلة ثقافة الهند التابعة للمجلس الهندي للعلاقات الثقافية نيودهلي- الهند، المجلد 52 العدد 2 عام (2001م).
4	حياة الأمير صديق حسن خان و مآثره مقالة الدكتور محمد إجتباء الندوي بمجلة المجمع العلمي الهندي رقم 1-2 (1يونيو 1997م).
5	مقالة للدكتور السيد محمد إجتباء الندوي بعنوان: (الأمير صديق حسن خان وأسرته) بمجلة المجمع العلمي الهندي رقم 1-2 عام يونيو 1978م
6	ملكة بهوبال الهندية في إنكلترة بمجلة المنار، للشيخ محمد رشيد رضا، المجلد الرابع عشر، عدد جمادي الآخرة 1329هـ 1911م.

مراجع الشبكة العنكبوتية وروابطها

No.	Website/Pages
1	http://www.alukah.net/culture/0/57749
2	http://www.qatarch.com
3	https://ar.wikipedia.org/wiki/
4	https://en.wikipedia.org/wiki/Bareilly
5	https://en.wikipedia.org/wiki/Bhopal
6	https://en.wikipedia.org/wiki/Multan
7	https://en.wikipedia.org/wiki/Uttar_Pradesh
8	https://www.dorar.net/firq/872

ثامناً: فهرس الموضوعات

الموضوع الصفحة

الإهداء ..... أ
كلمة الشكر والتقدير ..... ب

المقدمة

التعريف بالموضوع 2
أهمية الموضوع 3
أسباب اختيار الموضوع 3
أهداف البحث 4
إشكالية البحث 5
الدراسات السابقة عن الموضوع 5
منهج الدراسة 7
خطوات البحث 8
خطة البحث: 9

التمهيد

ترجمة الشيخ القنوجي ومعرفة تفسيره

الفصل الأول

نبذة عن ترجمة الشيخ القنوجي –رحمه الله–

المبحث الأول: اسمه ونسبه وكنيته ولقبه ومولده 15
المطلب الأول: اسمه و نسبه ونسبته 15
المطلب الثاني: كنيته ولقبه 17
المطلب الثالث: مولده 19
المبحث الثاني: نشأته وطلبه للعلم ورحلاته 19
المطلب الأول: نشأته **19**
المطلب الثاني: بدؤه في طلب العلم وحبّه له **20**
المطلب الثالث: رحلاته العلمية **20**
المبحث الثالث: شيوخه وتلاميذه 23
المطلب الأول: شيوخه 23
المطلب الثاني: تلامذته 24

المبحث الرابع: ثناء العلماء عليه 25
المبحث الخامس: عقيدته ومذهبه 30
المطلب الأول: عقيدته 30
المطلب الثاني: مذهبه الفقهي 31
المبحث السادس: حياته العلمية والاجتماعية 34
المطلب الأول: حياته العلمية 34
المطلب الثاني: حياته الاجتماعية 36
المبحث السابع: وظائفه، أعماله وإصلاحاته 39
المبحث الثامن: مؤلفاته وآثاره 42
أولاً: التفسير وعلومه 42
ثانياً: الحديث وعلومه 42
ثالثاً: العقيدة وعلم الكلام والسلوك والتزكية 43
رابعاً: الفقه وأصوله 44
خامساً: الأدب و اللغة وعلومها 45
سادساً: التاريخ والتراجم 46
سابعاً: الأخلاق والآداب 46
المبحث التاسع: محنته وابتلاءاته 48
المبحث العاشر: وفاته ودفنه 50

الفصل الثاني

التعريف بتفسير فتح البيان في مقاصد القرآن

المبحث الأول: اسمه الكامل و سبب و زمن تأليفه 53
المبحث الثاني: أهمية هذا التفسير وثناء العلماء عليه 54
المبحث الثالث: أهم معالم منهجه وطريقته في تفسيره 56
المبحث الرابع: الدراسات حول هذا التفسير 58
المبحث الخامس: نسخه وطبعاته 59

الباب الأول

الترجيح والتفسير ومنهج القنوجي فيهما

الفصل الأول

شروط الترجيح ومنهج القنوجي فيه

المبحث الأول: معنى الترجيح وشروطه وقواعده 62
المطلب الأول: معنى الترجيح لغة واصطلاحًا 62
المطلب الثاني: شروط الترجيح 65
الفرع الأول: شروط المرجح (المجتهد) 65
الفرع الثاني: شروط محل الترجيح (الأدلة) 67
الفرع الثالث: شروط المرجَّح به 68
المطلب الثالث: نماذج من قواعد الترجيح 71
المبحث الثاني: صيغ الترجيح عند الشيخ القنوجي 74
المبحث الثالث: منهج الشيخ القنوجي في الترجيح بين الأقوال في تفسيره 77
المبحث الرابع: وجوه الترجيح عند الشيخ القنوجي 86

الفصل الثاني

التفسير بالمأثور ومنهج القنوجي فيه

المبحث الأول: التفسير بالمأثور، مفهومه وأنواعه 94
أولاً: تعريف التفسير لغة واصطلاحاً 94
ثانياً: أقسام التفسير من حيث الوصول إليه 94
أولاً: تفسير القرآن بالقرآن 95
الوجه الأول: تبيين المجمل 96
الوجه الثاني: تخصيص العام 96
الوجه الثالث: تقييد المطلق 97
الوجه الرابع: توضيح المشكل 97
الوجه الخامس: تفسير لفظة بلفظة 98
الوجه السادس: تفسير المفهوم من آية بآية أخرى 98
الوجه السابع: تفسير معنى بمعنى 98
ثانياً: تفسير القرآن بالسنة 98
الوجه الأول: التفسير بطريق تفصيل المجمل من القرآن 99
الوجه الثاني: التفسير بطريق تخصيص العام من القرآن 100

الوجه الثالث: التفسير بطريق تقييد المطلق من القرآن.....100
الوجه الرابع: التفسير بطريق توضيح المشكل من القرآن 101
الوجه الخامس: التفسير بطريق التأكيد 101
ثالثاً: تفسير القرآن بأقوال الصحابة –رضي الله عنهم- 101
رابعاً: تفسير القرآن بأقوال التابعين -رحمهم الله- 103
المبحث الثاني: منهج الشيخ القنوجي في تفسير القرآن بالقرآن 105
المبحث الثالث: منهج الشيخ القنوجي في تفسير القرآن بالسنة النبوية 108
المبحث الرابع: منهج الشيخ القنوجي في تفسير القرآن الكريم بأقوال الصحابة والتابعين 114
المبحث الخامس: منهج الشيخ القنوجي في تفسير القرآن بالإجماع 120
أولاً: تعريف الإجماع 121
ثانياً: فوائد الإجماع وأهميته.....121
ثالثاً: طرق معرفة الإجماع 121
رابعاً: أنواع الإجماع في التفسير 121
خامساً: تنبيهات حول الإجماع في التفسير 122
سادساً: أمثلة للإجماعات في التفسير 122

الفصل الثالث

التفسير بالرأي ومنهج القنوجي فيه

المبحث الأول: التفسير بالرأي مفهومه، أنواعه وموقف العلماء منه 129
مفهوم التفسير بالرأي 129
أنواع القَوْلِ بالرّأي: 130
المبحث الثاني: قواعد الترجيح في التفسير بالرأي 138
أولاً: قواعد الترجيح المتعلقة بالمعنى الظاهر من الآية والغالب منها: 138
ثانياً: قواعد الترجيح المتعلة بالسياق: 139
ثالثا: قواعد الترجيح المتعلقة بلغة العرب:.....139
المبحث الثالث: منشأ الخطأ في التفسير بالرأي..... 142
المبحث الرابع: منهج الشيخ القنوجي في التفسير بالرأي 144

الباب الثاني

عرض و دراسة ترجيحات القنوجي في تفسيره من أول سورة الروم إلى آخر سورة الناس

الفصل الأول

ترجيحات الشيخ القنوجي من أول سورة الروم إلى آخر سورة الذاريات

سورة الروم 149
سورة لقمان 159
سورة السجدة 164
سورة سبأ 177
سورة فاطر 185
سورة يس 187
سورة الصافات 209
سورة ص 221
سورة غافر 231
سورة فصلت 242
سورة الزخرف 246
سورة الفتح 267
سورة ق 273
سورة الذاريات 282

الفصل الثاني

ترجيحات الشيخ القنوجي من أول سورة الطور إلى آخر سورة التكوير

سورة الطور 292
سورة : النجم 295
سورة القمر 298
سورة الرحمن 302
سورة الواقعة 308
سورة الحديد 313
سورة القلم 320
سورة الجن 325
سورة : المدثر 329
سورة القيامة 332

سورة المرسلات 337
سورة النبأ 340
سورة النازعات 342
سورة التكوير 347

الفصل الثالث

ترجيحات الشيخ القنوجي من أول سورة المطففين إلى آخر سورة الناس

سورة المطففين 354
سورة الانشقاق 356
سورة البروج 358
سورة الطارق 364
سورة الغاشية 367
سورة البلد 368
سورة الضحى 370
سورة التين 373
سورة العاديات 379
سورة التكاثر 381
سورة العصر 384
سورة الإخلاص 385
سورة الفلق 389
سورة الناس 390
قائمة الترجيحات والمرجحات حسب ترتيب السور من أول سورة الروم إلى آخر سورة الناس ..391

الباب الثالث

ترجيحات الشيخ القنوجي في الميزان

الفصل الأول

مصادر تفسيره ومراجعه

المبحث الأول: مصادره من كتب التفسير 402
المبحث الثاني: مصادره من كتب السنة 416
المبحث الثالث: مصادره من كتب اللغة 418

الفصل الثاني

مميزات ترجيحات الشيخ القنوجي في تفسيره والمآخذ عليه

المبحث الأول: مكانة تفسير القنوجي وترجيحاته 427
المبحث الثاني: مميزات ترجيحات الشيخ القنوجي في تفسيره 429
المبحث الثالث: المآخذ على ترجيحات القنوجي في تفسيره 431

الخاتمة

الخاتمة 432

الفهارس العامة

أولاً: فهرس الآيات القرآنية 439
ثانياً: فهرس الأحاديث النبوية الشريفة 459
ثالثاً: فهرس آثار الصحابة والتابعين 461
رابعاً: فهرس الأعلام (الشخصيات) 462
خامساً: فهرس الأماكن والمدن 468
سادساً: فهرس القبائل والفرق والأحداث 468
سابعاً: فهرس المصادر والمراجع 469
المقالات والمجلات..... 487
مراجع الشبكة العنكبوتية وروابطها 487
ثامناً: فهرس الموضوعات 488